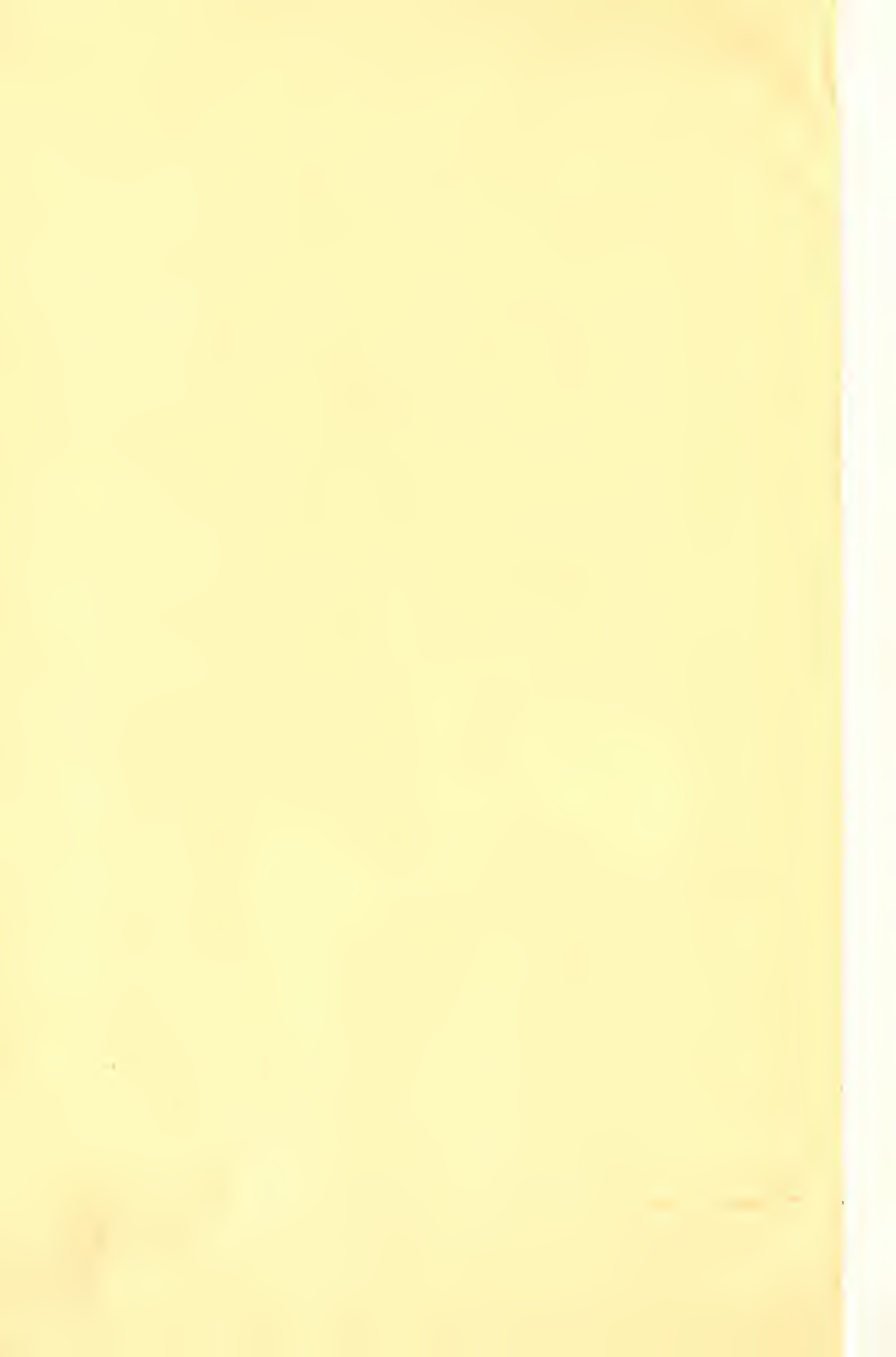




(فهرسة كتاب خزانة الادب)

(فهذه الانواع البديعية مائة واثنان وأربعون نوعا)

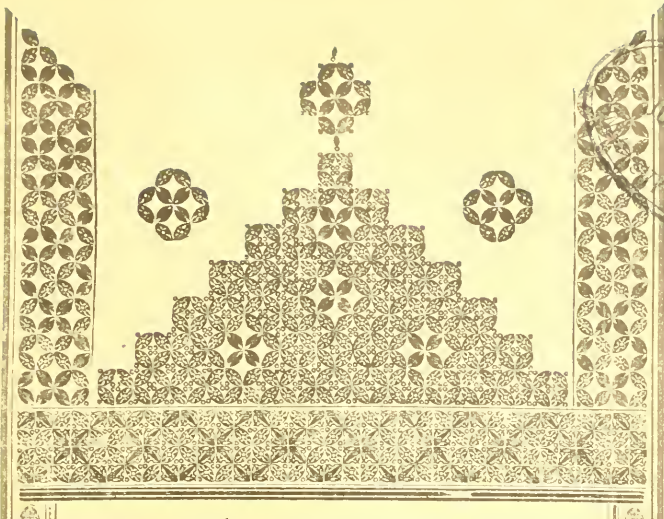
عبد الحميد الملا

خزانة الادب وغاية الارب للعالم الاديب
واللوذعي الاريب الشيخ تقي
الدين أبي بكر علي المعروف
بابن حجة الحموي
رحمه الله

م

{ وبهامشها رسائل ابي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى }
{ ابن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان رحمه الله }

عبد الحميد الملا





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعته واولانا جميل الصنيع فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع أدب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه حتى أرشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب وأوضح لنا بديعه وغريبه نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فاحسن النظم وأعوذ بالله من قوم لايشعرون بهذا النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة شاعر بانه الواحد وان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الاعراب والاعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعدة وحلب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة وماذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبى وآله سالك أدام الله توفيقك وسهل الى نفائس الخيرات طريقك ان اجمع لك آثار ابى الفضل أحمد بن الحسين البديع نظمها ونثرها واؤلف شواردها قلها وكثرها ليكون متمسكها لخاطرك

برحمته

برحمته لانه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غير أن الشيخ عز الدين ما أعرب عن بناء بيوت اذن الله ان ترفع ولا طالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن أبي الاصبع وربما عارضني في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى ونثر شمل الالفاظ والمعاني لشدة ما عقده نظما

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فاستخار الله مولانا الناصري المشار اليه ورسم لي بنظم قصيدة اطرز حلتها بديع هذا الالتزام وأجاري الحلي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عقد الاقلام فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس ويقول بيت الصفي أصفى موردا وأنور اقتباس فاسن كل ما حده الفكر وارجعه ببيت له على المناظرة طاقه فيحكم لي بالسبق وينقلني الى غيره وقد صار لي فكرة الى الغايات سباقه فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبي بكر عالما انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال وكان المشار اليه عظم الله شأنه هو الذي مشى امامي وأشار الى هذا السلوك وارشد فاقتديت برأيه وهل يقتدى أبو بكر بغير محمد فقلت

*(لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم * براعة تستهل الدمع في العلم)*

اعلم انه اتفق علماء البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها وان لا يتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطالعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده وشرطوا ان يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثاني وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد في هذا الباب قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال زكي الدين بن أبي الاصبع امري انه أحسن ابن المعتز الاختيار فاني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني وليس في الشطر الثاني شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معاني وما عظم ابتداء امرئ القيس في النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال أعني ابن أبي الاصبع اذا وصلت الى قول البحتري من هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهو قوله

أوان فراغك من دواعي أشغالك ومتنزها الناظرك وقت التفاضلك من عوارض أحوالك وكان أبو الفضل رضي الله عنه العشرة فتان المشاهدة بحار الفاتحة غاية في الظرف آية في اللطف معشوق الشيمة مرزوق فاضل القيمة طلق البديهة سمح القريحة شديد العارضة سديد السيرة

يودّى لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكى الدين بن أبى الاصبع ولقد أحسن أبو الطيب المتنبى حيث قال

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

ومثله قوله (اى قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم ادر أىّ الظاعنين أشيع

وما ألطف قول أبى تمام فى هذا الباب

لا انت انت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول أبى العلاء المعرى

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقد خلب القلوب ابن المعتز فى تناسب القسمين بقوله

أخذت من شبابى الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمى مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف أبو جعفر البياضى يشير الى الرفق بالابل عند السرى وتلطف ما شاء فى تناسب القسمين حيث قال

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراها اعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يقلبن ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجابد ماتهن البيدا

فكأنهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب فى الذوق من هذا الباب قول ابن قاضى ميله

يزيد الهوى دمعى وقلبى المعنف * ويحيى جفونى الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم فى حسن الابتداء فانه أول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر فى أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك فى حسن الابتداء هو العمدة فى حسن الادب فقد حكى ان ابا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك فى مجلسه فانشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها فى الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك احول فاخرجه وأمر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه فى مطلع قصيدة حيث قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن أمانيا

زلال الكلام عذبه فصيح اللسان عضبه ان دعا الكتابة جابته عفوا فأعطته قيادها صفوا أو القوافى أتته ملء الصدور على القوافى ثم كانت له طرق فى الفروع هو افترعها وسنن فى المعانى هو اخترعها ومصداق ما ادعيناه له تشهد به فى أثناء شعره ونثره وكان فى صفاء العقيدة بين

ومن مستقبحات الابتداء قول البحتري وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي أولها

* لك الويل من ليل تقاصر آخره *

فقال بل لك الويل والخزي وأما قصة اسحق بن ابراهيم الموصلي في هذا الباب فانى انفعل وأخجل عند سماعها وماذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع في انشاء قصيدة نزل بمطلعها الى الحضيض وكان هو وحكاية الحال في طرفي نقيض وهو

يا دار غيرك البلا ومحاك * يا ليت شعري ما الذي ابلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحق وسير الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلي حيث قال

هل الى ان تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خمول السهو الى ان خاطب المعتصم في قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة أبي نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تتحلى بشعاره مع بلوغه في تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقصة ذي الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فامره بانشاد شيء من شعره فانشد قوله

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك رمش فهي تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة فمقته وأمر باخراجه انتهى ما أوردته في حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء ونبهت على حسنه وقبحه ولكن جذبتني يا أخا العرب نسبة المتأخرين الى ان أثبت في هذا المحل تشبيبها ونسيبها وأظهر في شرح هذه البديعية الآهلة بديعها وغريبها ليعلم من تنزه في هذه الحدائق الزاهرة ان مار بيع الآخر من ربيع الاول ببعيد واذا تحقق ان لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهنا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع أحد علوم الادب الستة وذلك انك اذا نظرت في الكلام العربي اما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية واما ان تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع

الكفاة قدوة وفي حسن النظر لكافة نظرائه اسوة وقد اوتي حفظا لا يسمع كلمة الا اعتلقها فاعتقلها ثم اذا شاء اعادها ونقلها وقد اجبت الى مسؤلك وجعلت بعض اوقاتي مصروفة لتحصيل مأمولك وجمعت لك ما وجدته من الرسائل والرقاع لتنظر فيها وتستفيد ويقرب اليك منها ما تريد

الى العقل وقال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه ونحوه ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لائما لامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت اشعر منه فقال له انشدنى شيأ من قوله اعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كأن اذر يونها * والشمس فيه كالية

مداهن من ذهب * فيها بقايا غالية

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به امدح هذا مرة واهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة واستعطف هذا طورا انتهى كلام ابن رشيق * ورايت الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من أنواع البديع حتى أوردلهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كافيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايرادنا ما وعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها

زار الصباح نكيف حال الدجى * قم فاستذم بفرعه أو فالنجا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لازم بالقول سهما ربما قتلا

وما ألطف ما قال بعده

وما يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا اعى

وما ألطف ما قال بعده

يقول وما عنده اننى * بغير فؤاد ولا اضلع

اما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم بافتى ما معى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تتنبه به الى فتح هذا الباب وهو

يا ساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد ما نزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرر نباته واجرى الصفى معها ينابيع فكره فما صفا له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

والله الموفق للصواب اولها * (كتب) * الاستاذ ابو الفضل الهمذانى بديع الزمان الى الشيخ ابى العباس الفضل بن احمد الاسفراينى وهو اول ما استوزر لابى القاسم محمود ابن سبكتكين الناصر لدين الله فاتح السند والهند * كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد وادام علوه

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير في أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر في أذياله نفحت

ومما يحسن نظامه في هذا السلك قوله

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من ديوان أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن في هذا الباب قوله

كم مقلة للشقيق العضر رمداء * انسانها سابح في بحر انداء

وقوله

فقفوا والأدمعي زفيرا وادمعا * ا كانا لهم الاصديقا بعد صربعا

وهو من الغايات التي اختارها الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس فطالعت الفن الغريب وفتح على بتأمل الفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب بيد أني وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا وسيما آت يكاد يذكرها ابن قلاقس يقلى انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة ومما وقع في تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزي رحمه الله وهو

يذكرني وجدي الحمام اذا غنى * لانا كلانا في الهوى يعشق الغنا

ذكر الصلاح الكتبي في كتابه فوات الوفيات ان الشيخ اثير الدين ابا حيان قال رأيت الشيخ المذكور صوفيا بحماة المحروسة وأنشدني لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها

أراك فاستحيي فاطرق هيبة * واخفي الذي بي من هواك واكتم
وهيهات ان يخفى وانت جعلتني * بجسمي اسانا في الهوى يتكلم

وتوفي بعد الثمانين والستمائة واما مطلع الشيخ شمس الدين بن العفيف في هذا الباب فظرافته لا تنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال في شطره الاول

* اعز الله انصار العيون * وفي الثاني
وخلد ملك هاتيك الجفون

وما اظرف ما قال بعده

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وما أحسن ابتدا آت الشيخ عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله

حروف غرامي كلها احرف اغراء * على ان سقمي بعض افعال اسماء

وقوله

ويلاه من نوى المشرد * أواه من شملي المبدد

وقوله

اهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

وتم كتابه عن سلامة والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله وسلم اسوسوا ءفئة بالباب قسعد بالحضرة واخرى بالغيب تنكمد بالحسرة والله ما للساعة من ولي النعمة غني ولا كالاعتياض من لقائه غني وغني فليت كتاب الاذن شفى مما نجد وليت هذا الجزء تنا ما نعد معاذ الله ان

وما أحلى ما قال بعده

اسكنه وافى وقد * حلف السهاد على ان لا

وقد توارد هو وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى

وقول مهيار الديلى فى هذا الباب مشهور والذى أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة نبات هذا البستان وقلادة هذا العقيان ومن مطالعه التى هى ابهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد

وقوله

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما ابهى الغزالة والغزالا

وقوله

سلبت عقلى باحداق واقداح * ياساحى الطرف بل ياساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين ياصاح

وقوله

انسان عينى بتجيل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله

نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * باى ذنب وقاك الله قد قتلت

وقد تقدم شروط لا بد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وقاك الله حشو اللوزينج وقوله

لام العذار اطالت فيك تسهيدى * كانها الغراى لام توكيد

ولولا الاطالة لافعمت الاذواق من هذا السكر النباتى ورايت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما انا من يحيا الى حين نلتقى

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماة ومطلعها فى حسن الابتداء حسن

بمنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو

بدر اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله

اشتاق الى حضرته لكنى افتقر اليها فقر الجسد الى الحياة والحوت الى الفرات وانما مثل العبد مع الاصحاب مثل الارض مع السحاب افيسمى القحط شوقا ام يكون الموت وجدا انى عبد الشيخ واسمى احمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد وعبد بهذه الصفة غريب نادر

وعارضه الشيخ جمال الدين بن نباته فى هذه القصيدة بعينها وترقى الى مطلع بدره وزاحمه فى حسنه فطلع الشيخ جمال الدين

له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ أجارك الله

ومن مطالعى التى حصل لى فيها الفتوح فى هذا الباب قولى

طلعتم بدورا فى أعز المطالع * فبشرنى قلبى بسعد طوالعى

وقولى

اغراه لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير

وقولى

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما أفادت قلبى سوى التقطيع

وقولى

لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت فى حبهم بالبين شعروا

وقولى

جردت سيف اللحظ عند تهددى * يا قاتلى فسلبتنى بمجرد

وقولى

هواى بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذرى

وكانى بمنتقد تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفى الشروط الادبية فى مباشرة هذا العقد وقولى

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من المخاديم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين بن نباته وتخيروا الى خمس قصائد منها قصيدته السكانية التى مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثانى من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم فى مطلع امرئ القيس من الكلام على ان فى شطره الاول ما ليس فى الثانى * وقد اتفق علماء البديع على ان عدم تناسب القسمين نقص فى حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكى الدين ابن أبى الاصبع ان مطلع النابغة أفضل من مطلع امرئ القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرئ القيس اكثر معانى انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين فى مطلعه

تمذهبت فى هجرى بطول مطالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعى الذى عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك * وداوى بنى الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطالع الشيخ صفى الدين الحلى فى قصيدته الجيمية التى هى من جملة القصائد الارتقيات التى امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما ابقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثانى ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول فى الطريق الغرامية ليس له

ولاصدور والملوك بغريب الاعلاق ولوع والمولى أحق بعبيده له ولاؤه وعليه بلاؤه واليه انتسابه وله وعليه كسبه واكتسابه ولا أزيده بحالى وباستقرائه علما وقد تطول عام أول وخولنى من العناية ما خول ووافقت القوم على نصف المال فى العاجل وانظارهم فى الباقى الى القابل ورأيت ارجاء الامر مظلمة فاغتنمت وانتهزت صفو المال ولم آخذ من القوم صفراء ولا بيضاء انما أخذت منهم الحمار والجاره والتبن والغراره والطست والمناره والكوز والغضاره والازار والغفاره والجبة والفاره ثم لطف الله فى تلك العقود فحلها وأحياها كلها وذلك بكريم عناية الشيخ الجليل السيد أدام الله تأييده فالله يحسن جزاءه ويجعلنى واهلى من كل مكروه فداءه وارتهن الباقى بعون الله

مثيل ومن أنكر هذا النقد ينظر فى مطلع الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره فانه فى هذا الباب طرفة وهو

ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق ان الشيخ نور الدين على بن سعيد الاندلسى الاديب المشهور الذى من نظمه قوله

واطول شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجرى والتلعفرى واكثر المطالعة فيهما وراجعنى بعد ذلك فغاب عنه مدة واكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا فى الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير فى غضون المحاضرة يا بان وادى الاجرع * وقال اشتهى أن يكمل لى هذا المطلع فافكر قليلا وقال سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامى أن تقول هل مات من طرب معى * وما الطف مطلع الحاجرى فى هذا الطريق

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلى أن ابكى بدمع قانى

والاراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فانه اعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغنى فى هذه الحضرة عن الموصول وهو

قلدت يوم البين جيد مودعى * دررا نظمت عقودها من أدمعى

وبالنسبة الى حسن الابتداء آت مطلع الشيخ برهان الدين القيراطى مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل فى جنباتها

فانه لم يأت بجواب القسم ولا يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده فى حسن الابتداء وقد آن ان أحبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم اطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويداوى علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه فى رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال فى النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا فى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة او مدح أو هجو وكذلك فى النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد فى سلوك ما يقوله فى حسن الابتداء وسمى هذا النوع براعة استهلال الالان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت فى اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة

واهل

تعالى ثم بعالى رأيه فان تدارك وقد ابيضت الحقوق وحان قطافها وهذه النوائب واختلافها والايدى واجترافها والافواه واعتلافها والعمالة واعتسافها والزعامة والتفافها والاكرة واتصافها والاعوان واسرافها هذه التى أعلمها ثم التى أخافها الجراد واجتحافها والقمل واتلافها والعساكر واجترافها والريح وانتسافها فاذا امتلأت أجوافها فالعطاش واغترافها والبطان واستخفافها والشفاه وارتشافها والصوفة وانتزافها والقطنة واستنطافها والشمس ونزافها أفليس عما قريب جفافها هى أيد الله الشيخ الجليل السد لا تسعها الرخصة انه لا ينبس للناحية بعد شهرين عرق ولا يوجد

وأهل الحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمى الهلال هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التى تشعر بغرض الناظم وقصده فى قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

فاشارات العتب والشكوى لاتخفى على أهل الذوق فى هذه البراعة ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكى الدين بن أبي الاصبع قال براعة الاستهلال هى ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة فى حكمها وتحتمها وتسيير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة اكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب اليه هذه القصيدة التى من جملتها

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

ومنها

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق فى غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها

وما راعنى غدر الشباب لانى * ألفت بهذا الخلق من كل صاحب

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمى * فصونوه عن تقبيل راحة واهب

رأيت رجالا حالهم فى مآدب * لديكم وحالى عندكم فى نوادب

تأخرت لما قدمتكم علاكم * على وتأبى الاسد سبق الثعالب

ترى اين كانوا فى مواطنى التى * غدوت لكم فيهن أكرم خاطب

ليالى اتلوذ كركم فى مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمى فانه بلغه انه وشى به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه فى معرض التغزل والنسيب فقال

اما وهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشى اليك فامحلا

وما احلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

واذكرنى مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين ملك المتأدبين أبى الحسن على بن الآدمى الحنفى الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من حماة المحروسة الى أبوابه العالية بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة وكانت مطالعاتى قد تأخرت عن أبوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهى رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل فى حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال أولها

وصلت ولكن بعد طول تشوقى * ودنت وقد رقت لقلبى الشيق

بأهلها اطرق من ورد حوضها الآن ورده ملآن فان احتسب الشيخ الجليل ونشط اقاصد ينهضه بنشر ديذله عن عناية يؤكدها بكتاب يصحبه الى الشيخ الرئيس أبى عامر رجوت أن يرتفع المراد والافلا وان استسقى عمر ابن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب فسقى الناس وكشف الجدب فقد استسقيت بشيخى الجماعة والسنة وابنى سيدى شباب اهل الجنة وتنجزت كتابهما (وليس امرؤ فى الروع كانا سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا) وللشيخ الجليل السيد ولى النعمة مولانا فى تشريف عبده وخادمه وتصريفه على أمره ونهيه عالى رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه صدر كتاب) كتابى اطال الله بقاء الشيخ عن سلامة يغبر فى وجهها

وما أحلى ما قلت بعده

فملت من طرب برجع حديثها * فكأنما قد نادمت بدمشق

وجمعها على هذا الطريق البديعي ومنها ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشاء بدمشق قصد نقلتي من حماة المحروسة الى أبوابه العالية وحب حماة يفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي في بعض قصائدي فيها

بلذ عناق الفقر لي بغنائها * وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بيننا فكتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف وبلابل الغزل تغرد في أفنانها على طريقة مهيار الديلمي وطريقي ولانا قاضي القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه وبراعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلمونا * ما عليهم لوانهم كلمونا

ولم اعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها

غلقوا باب وصلهم فتح الله لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نخل عنهم ولو قطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل اغازل عيون هذه المعاني الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

والحشا لم يخن عهود وفاكم * فاسئلوا من غدا عليها أمينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة العلامة لسان الدين بن الخطيب وهي

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن أحكامه لا يسئل

فانه قال نظمت للسلطان أسعده الله وانا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا لاستهلالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت انشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها الفتح الغريب في الفتح القريب منها

فاذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا

ومنها

المجد والحمد منك سجية * بحليهما بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السجايا الغر والشيم التي * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا نزلت على الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

الحرب والحصار وعافية معها الخوف والحذار وصنع الله حارس أثناء الخطوب والشيخ الجليل بحمد الله ملقى القلب ثابت القدم وافر الاعوان والخدم مخيل بالظفر والسلاح بعض ويكلم ويهددهم والحرب على ساق والفتيات على تلاق ونحن الى هذه الغاية متضعون ومستعلون والله ولي الكفاية

(وله اليه عتاب)

كتابي والثمرة أدام الله عز الشيخ تخرج من اكمامها فتكون صرة قبل تمامها ثم تصير مزة كثيرا من ايامها ثم تكون لجة عفصة ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها حتى تصبح رطبا جنيا وتؤكل حلوا هنيا وقد تصورني الشيخ الجليل حجرا لا يؤثر في الماء والنار ولا ينضجني الليل والنهار وللشباب نزقة طيش ثم يربعون اذا جاء الاربعون وينزعون

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول
والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل
والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبتلع الزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت * تختال فى برد الشباب وترفل
غرقاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل
صبحتهم غر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد اغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن ممشقة وطرف اكحل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل
غرقت بصفحته النمال واوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه * مورد والشط منه مهدل
وبكل ازرق ان شكت الحاظه * مره العيون فبالعجاجة يكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها فرائد ولما كثرمنها الاعلى ان نظم الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى غريب فى هذه البلاد ومن البراعات التى يفهم من اشاراتها انها تهنئة ولو دقول أبى بكر بن الخازن رحمه الله تعالى

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا * وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

ومما يشعر بقرينة الذوق أن الناظم يريد الرثاء قول التهامى

حكم المنية فى البرية جارى * ماهذه الدنيا بدار قرار

وهذه القصيدة يرثى بها ولده وهى نسيج وحدها وواسطة عقدها

ومنها

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وان كانوا الابوزعون واقد نظرت فى المرآة فوجدت الشيب يتلهب و ينهب والشباب يتأهب ويذهب وما أسرج هذا الاشهب الاسير واسأل الله خاتمة خير وأنا أرجو أن يكون مأنسبنى اليه ولى النعمة أدام الله علوه من الظلم والعدوان مطايبة ومزاحا فان كان اعتقادا فلاتمنى الويل وسال بى السيل فأما الخراج وتوابعه فوالله ماأحوج عاملا الى اقتضائه انما الحديث فى جزاف بطلب ومحال بكذب فاما حقوق الديوان أصلا وفرعا فلا يدعى العمال على باقيا الاغرمت للدرهم دينارا المجنون أناوا ما الشركاء فهم يفدوننى بالامهات والآباء وقد سمع الشيخ الجليل كلامهم والذكرى تنفع المؤمنين * ومما أطرف به المجلس العالى زاده الله شرفا انه كان فى جيرتنا رجل

جبلت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار

واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وما اعلم ان أحدا استهل للمراثى بأحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى ولده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى فى تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماه وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضى المدح والرثاء فى كل بيت وبراعتها

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

نرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سبحان المانح والله من لا يعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه (وكتب اليه) الشيخ صلاح الدين الصفدى قصيدة ضمن فيها أعجاز معلقة امرئ القيس وصرح فى براعتها بغلظ العتب ولم يأت فى البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فأجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

والاشارة بقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب ما مراده منها وفى هذا القدر كفاية وما أحلى ما قال بعده وهو مما قصده فى تلك الاشارة

فدونك عتب اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

(وهنا بحث) وهو انى وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لا بد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سائر بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسى شرحها شرحا مفيدا (وهنا فائدة) وهو ان الغزل الذى يصدر به المديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل فى ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب وبراعة الشيخ صفى الدين

الحلى

يكنى أبا الهول كاسمه
اسطوانة المسجد لكثرة
صلاته وكان له عم موسر
لا عقب له فرزق ولدا على كبر
السن فحمل أبا الهول فرط
غمه ان زوى الله عنه ميراث
عمه على ترك الصلاة أصلا
فكان لا يؤدى فرضا ولا نفلا
ولا يرد سلاما ولا يعمل فى
الخير عملا ولا يغسل استه
غسلا وقد وجدت لابى
الهول عدلا وهو أبو فلان
وكان فيما مضى يعتق فى كل
شهر عبدا ويصلى بالليل وردا
ويتخذ مصانع وربطا فرجع
من الحضرة وقد سلخه الله
من كل خير وضربه فى قالب
غير فهو الآن لا يشهد
جامعا ولا جمعة ولا يصلى فى
الظاهر ركعة ولا يعطى
فقيرا حبة ولا يرزق طفل
منه محبة وقد اتخذ نقباء
واعوانا وارتبط رجالة
وفرسانا وقد ملأ الرستاق
والبلد اجعالا وما حل
أحد قبلى على سعاية ولولا
أمر خصنى لرأيت حقا

الحلى فى هذا الباب من أحسن البراعات واحشمها وهى

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقرا السلام على عرب بذى سلم

فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة أيضا فى هذا الباب من أحسن البراعات أيضا وهو

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبويه وما أحلى ما قال بعده

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم

وحشمة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الاديب منها سلوك الادب وهى

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر

وما احشم قوله بعده

وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر

سقى الله اكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر

وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عذب هذا البارق وحلبة مجرى هذه السوابق لانى لم اخرج فى تغزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وقلت بعده

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين المكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم * اراك الحمى جاء الهوى يتنسم

وما أليقه أن يكون صدر الامدائح النبوية ومنها

فيا عرب الوادى المنيع جنابه * واعنى به قلبى الذى فيه خيموا

رفعتم قبابا نصب عينى وخفضها * تجر ذيول الشوق والقلب يجزم

ويا من اماتونا اشتياقا وصيروا * مدامعنا غدرانا وتيمموا

منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقد متنا فصلوا وسلموا

يقولون لى فى الحى أين قبابهم * ومن ثم من السادات قلت هم هم

عريب لهم طرفى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم

ومن ألطف الاشارات الى ان هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها

أورى بذكر البان والرند والنقا * وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم

ولم ازل فى براعة الاستهلال استهل أهلة هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت

الله ان انهض الى المجلس العالى لتصوير حاله وقد طويت هذا الكتاب على ما عاملنى به واذا كانت هذه حالى وأنا امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء علم الشيخ الجليل حال العامة واذا أنعم بالنظر فى الرقعة التى طويت كتابى هذا عليها وفى جواب القاضى فى آخرها وعلى ظهرها علم صدق ما يقوله العبد وللشيخ الجليل فى تأمل العبد للجواب وزجره هذا الطويل عما يتعاطاه رايه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه فى شأن أبى البحترى)

جزى الله الشيخ الجليل السيد النبيل أفضل ما جازى مولى عن عبده ثم أضعف الله له من عنده ومن قال جزاك الله خيرا فقد أولى جميلا وأعطى جزيلا وما قصر من اتخذ الله وكيلا وما بى آدام الله تمكين الشيخ الجليل مال حصل أو حق وصل الى لا اعدم فى كنفه المال

تقنعت فى حبى لهم فتعصبوا * على وهم سادات من قد تلثموا

لهم حسب عال ببطحاء مكة * لان رسول الله فى الاصل منهم

ومن الاغزال التى لا تليق أن يكون غزالها المديح قصيد نبوى قصيد السرى الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها

مهلا فما نقلوا آثار والده * وانما نقضوا فى قتله الدينا

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن على عليهما السلام فما ينبغى ان تكون براعتها

نطوى الليالى علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

ما أحق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل

تمنيتهم بالرقتين ودارهم * بوادى الغضى يا بعد ما اتمناه

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

وتوجى بكؤس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح أيدينا

قامت تهز قواما ناعما سرقت * شمائل البان من اعطافه اللينا

تدير خمرا تلقاها المزاج كما * القيت فوق جنى الورد نسرينا

فلست ادرى أتسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها أم تحيينا

وقد ملكنا زمان العيش صافية * لو فاتنا الملك راحت عنه تسلينا

أقول غفر الله له هذا الغزل فيه اساءة أدب على ممدوحه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة (رجع) الى البراعات البارعة التى تشعر انها صدر المديح النبوى بالاشارات اللطيفة منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطى وهى قوله

ذكرا الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتى فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فانى جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعى فى أحسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافى جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة واما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت الى ذلك فى الخطبة بقولى وهى البديعية التى هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال ومنها تقديم أبى بكر عالما انه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال ومن أحسن اشارات براعتى التى تشعر انها صدر مديح نبوى تنسيبى بعرب ذى سلم وخطابى لهم بان لى فى مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأنى وعدتهم بشئ لا بد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن أبى الاصبع بقوله براعة الاستهلال هى ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله انتهى ما أوردته هنا من البراعات

البارعة

وابلغ فى دواته الآمال
ولكن أبو البحترى حانى لذيذ النوم ومنعنى بياض اليوم أنى يكون مثلى وأنا حطب
ذرب يعبث به صفعان كانه درب وكنت أسمع بطرار كانه النبل ولم أسمع بمحتال كانه الطبل ويقولون لص كالحية فى الظلم وطرار كالزلم فاما طرار كالسلم ولص فى طول المنارة وعرض الغرارة فلا الا هذا الحرو عنوان الاحمق كنيته ثم بنيته ثم حليته ثم مشيته ووالله ما عرف معنى أبى البحترى فهلا أبو حامد وأبو خالد وان امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها وتعذبوها وشهرها ثم تسميه أبا البحترى لرعناء لا تستحق مهرها وخليقة ان تطم نهرها فلا تلد دهرها ثم الوجه اللحيم لا يحمله كريم والانف السمين لا ينقله الامين والقطف سير الحمير والهرولة مشية الخنازير

البارعة نظما وأما براعات النثر فانم امثلها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة او صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ والا فليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال فى النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره ان بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام فى بطون الانعام ورأيت الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته قد القى عند الاستشهاد بها عصى التسيار واحتجبت عنه فى هذا الافق الشموس والاقمار أين هو من علو مقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الفارقانى جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الله اكبر ان من البلاغة لسحرا والله ما أظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر ولا هلال كاتب المأمون فى هذا الاستهلال بزاهر وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأنت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس تجارى براعة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى هذه الحلبة وتساويها فى علو هذه الرتبة فانه أتى فيها بالعجائب وأصاب غرض البلاغة بسهم صائب واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا *(منها)* شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه مارد لا يصلح الا بتعريك اذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا معاطات ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها خاص الخاص ولا بد من مقدمة تكون هى النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم وما ذاك الا انه كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولا يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمع من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا) فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراكى

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عند ما رمى الشكرا كى غزال البدور بحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه * الم تنظريه كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

وله اليه فى هزيمة الدامانية بباب سرخس
ما أظن اطال الله بقاء الشيخ السيد آل ساسان الا مدعين على الله مقاطعة أرضه ومساقاة ثمارها يا هؤلاء لا تكابروا الله فى بلاده ولا تراودوا الله تعالى غير مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل سامجور الا معتقدين انهم يأخذون خراسان قهرا كأنما كانت لامهم مهرا فلهم من حولها محيط والله من ورائهم محيط وبلغنى ان صاحبهم أمر فان كان ما بلغنى صحيحا فرحبا بالا مير ولا لعا للعاثر حمام كفر الكافر وغدر الغادر وأبو الحسين بن كثير خذله الله لا يكاد يرى الخير من ابن واحد فاترجوه من ابن كثير وهو الترياق المجرب للملك المقرب يقذف من

اسعد بها يا قمري برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت في قلبي فحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

ويهجني رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فأخذه الصلاح وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

وأحسن ما وقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحي عاطر الانفاس ألمى * ملي الحسن خالي الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الصلاح وقال

بروحي خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني محل السمع والبصر
تركت من قلبك القاسي اخال جفا * لجأ ما خلته نفسا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين زفرلي الضنا * قسما وأسلني الى البلوى وفر
حتى توفر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي الذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل آخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كل صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها * لما تبدت بالتي هي أحسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية

فديتك أيها الرامي بقوس * ولحظ يا ضني قلبي عليه
اقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشيء منجذب اليه

كل جانب دحورا هذا المؤيد من السماء بين تدبيره يلتمس في بيره وهذا سنان الدولة ببركة ضميره وقع في تحبيره ولا يزال هذا البائس حتى يسأل الله العافية عن بدنه وحديث ماحدث هذا الجمال كان ابليس يقسم كل صبيحة اللعين التاقصار بقسم الوفا سلطان آتاه الله واسطة البر وحاشية البحر وامكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض يريد جمال مراغمته

* يا للرجال لنازل الحدثان *

اني لاعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الرأس فلا يندق وما أجد لابن محمود مثلا الا ابن الراوندي اذ ذهب الى ابن الاعرابي يسأله عن قول الله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف اتقول العرب ذقت اللباس فقال

فأخذه

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرّط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

وما اظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين كان فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد واين هو فى براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتى كافرا فوالدى المنعمة وبيت شعرى سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمة فاخجله فى سره وعلانيته وعاقبه على قوله ونيته * ومنها بلغنى ان بعض أدباء عصرنا ممن منحته ودى وانفقت على ذهنه الطالب ما عندى واقنه وهو لا يدرى الوزن مقام من زكاة نقدى واودعته ذخائر فكرى فانفقها واعرته أوراقى العتيقة فلا والله ما ردها ولا اعتقها بل انه غير الثناء بالهجاء والولاء بالجفاء ونسبنى الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هماز مشاء بنميم وغصة صديق اتجرعها ولو كانت من حميم واخليت من حديثه باب فمى ومجلس صدرى وصرفت ذكره عن فكرى * ولكن وقفت له على تصانيف وضعها فى علم الادب والعلم عند الله تعالى ووشحها بشعره وشعرى المغصوب المنهوب يقول ياصاحبى الا * وما توضح من جيد تلك الاشعار لمعة الا ومن لفظى مشكاتها ولا تتضوع زهرة الا ومنى فى الحقيقة نباتها فضحكت والله من ذهنه الذاهل وذكرت على زعمه قول القائل

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضى لنفسه هذا الامر منكرا وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد أوردت الآن فى هذا الكتاب قدرا كافيا ووزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير المأكول المذموم وعرضته على معدلة مولانا ليعلم ان شامخ خايله مظلوم ولولا الاطالة لاوردت جميع أبيات الشيخ جمال الدين التى دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معانى الغير * ومن البراعات التى يستهل بها فى هذا الافق الذى مرآة معانيه صقيلة براعة المقر المخدومى القضائى الفخرى عبد الرحمن بن مكانس مالك أزمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا فى رسالة كتبها الى المقر المرحومى القضائى الزينى أبى بكر ابن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلاء الذين فضلوا بالطريق الفاضلية بسبب عبد الله القيروانى الضرير فانى نقلت من خط المشار اليه ما صورته * ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى من المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى بعد ذلك أنه وشى الى صاحبى الشيخ زين الدين بن العجمى بانى اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * (أقول) انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * منها وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب برمية مثل هذه فاصمى وتردد اليه مرة اخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * والقد

لا بأس ولا باس واذا حيا الله الناس فلا حيا ذلك الراس هبك تتهم محمدا لم يكن نبيا أتتهمه بأن لم يكن فصيحا عربيا وجئت تسأل ابن الاعرابى اليس الاعرابى نفسه جاء بهذا الكلام كذلك ابن محمود ينقض استه ويضرب مذرويه لينال الملك لا لوافر عدة ولا لكثرة عدة انما يطمع فى الملك لانه ابن محمود أفليس محمود نفسه بالملك أحق فالحمد لله الذى نصركم واخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخراهم أولاهم فلا رحم الله قتلاهم ولا جبر الله جرحاهم ولا فك اسراهم ولا اراكم الا قفاهم وان اقبلوا فقض الله فاهم * ويرحم الله عبدا قال آمينا * (وله اليه فى هزيمة السامانية ياب مرو) وردت رقعة الشيخ الجليل أدام الله بسطته ى على

خسرت صفقته اذ المملوك مابرح مخلصا لمولانا فى ولائه ومباديا له على سلطنة البلاغة واجل من تشرّف بحمل لوائه ومولانا بحمد الله أولى من استقى قلبه واستدل على صفاء صدق محبته بشواهد المحبة والمأمول من صدقاته امران أحدهما الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة والآخر رد كل فاسق عن هذا الباب العالى فان آبا بكر أولى من يصلب فى الردة انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع واظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم مالدى مطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون واستهل بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وما أظن ان احدا من المتقدمين نسج على هذا المنوال ولا نفث فى عقد أقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا الافق الساطع فابدر ورقى بلاغته أعواد هذا المنبر القاضى ناصر الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماة محنة كان لطف الله تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الا من غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد لله الذى اسعف الاسلام والمسلمين بنجاته وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته ولما هاجر من حماة المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذ ذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق أحد من اعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته الحمد لله الذى أيد محمدا بهجرته ونقله من أحب البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته فعلا بالجامع الاموى أصوات ترنم حركت أعواد المنبر طربا وكاد النسر أن يصفق لها بجناحيه عجبا * وما ألطف براعة الشيخ العلامة نور الدين أبى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماة المحروسة والشهير بخطيب الدهشة بحماة المحروسة فى كتاب أدعيته المسمى بدواء المصاب فى الدعاء المجاب وهى الحمد لله سامع الدعاء ودافع البلاء وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء الى الدعاء المجاب وبدافع البلاء الى دواء المصاب * واما براعة خطيب الخطباء ابى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى فانها شغلت أفكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه المهلك من آسفه ولقد اعتذر عنها جماعة من اكابر العلماء وأورد الشيخ سرى الدين بن هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء ارجو ان تهب عليه نسمات القبول * وما احشم ما استهل الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء وحق له أن يستأثر وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فاذعنوا لحكمه القاهر * واما

صدر أنتظرها وقلب استشعرها وانى لأغلط فى قوم أميرهم صبى وانى دولة عميدها خصى وسنانها احلق ونصيرها شقى وعدوها اقوى انى اذا اغوى يا قوم بماذا ينصرون أبمال عليه اعتمادهم أم بجمع هو معادهم أم بعدد به اعتضادهم أم لرأى هو عمادهم هل هم الاسطور فى قطور ان الله تعالى علم انهم ان ملكوا لم يصلحوا وأمرهم أن لا يفلحوا فسعوا واطاعوا طائفة من المدابير وقوفهم بين النار والنير ان أقاموا فالسيوف الهندوانيه وان أمنوا فالاتراك والخانيه وان أبسروا فجرجان والجرجانيه وان استأخروا فالعطش والبريه هو الموت ان شاء الله آخذا بالحلاقيم محيطا بالظاعن منهم والمقيم جرجان ان بها بامدابير جرجان ان بها أ كالة من الذين وموته فى

خطبة الشيخ صفى الدين فى صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذى حلل لنا سحر البيان وكتابه مبنى على البديع ولهذا استهلت خطبة شرح بديعيتى بقولى الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديوانى استهلت خطبتى بقولى الحمد لله الذى لا يحصر مجموع فضله ديوان * وكان قدرسم لى أن انشئ صداقا للملك الناصر وانا اذ ذاك بدمشق وقد حل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريف السيفى كشبغا الظاهرى الحموى فاستهلت بقولى الحمد لله الذى أيد السنة الشريفة بقوة وناصر وقلت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المتمنية العباسية زاد الله شرفها تعظيما فبرزت الى أوامرها المطاعة ان انشئ عهدا بكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفر شاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلى والفتوحات الهندية فاستهلت براعته بقولى الحمد لله الذى وثق عهد النجاح للمستعين به وقلت بعد الاستهلال وثبت أوتاده ايفور زمن تمسك من غير فاصله بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا فافرغ على اطراف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان فى خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل انى جاعل فى الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله من أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النحلة الشريفة من سلالة بنى العباس وذلك فى العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة *ومما انشأته فى الديار المصرية وقد استقر بى منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهليته بقولى الحمد لله الذى أودع محمدا سره وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره وارسله لينشئ مصالح الامة فهذبنا بترسلاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التميز بكتابته وأيد الاسلام والمسلمين بملك مؤيد تمسك بمحمد وصحابته * وانشأت بعد هذا التاريخ توقيع الرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم فى غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب والكتاب مبنى على شئ من علم الادب * واما البراعات التى يحلو تقبيلها بوجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة كتبها الى القاضى علاء الدين الحسنى واستهلها بقوله يقبل الارض العلية على السحاب نسبا وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا هذا الادب ان اطنبت فى وصفه فهو فوق الوصف *وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطى من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله يقبل الارض التى رقت السماء نباتها وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها وعمر بمعانى الحسن أبياتها * ومن اظرف ماوقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضى فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق منهم بعده فكتب اليه رسالة يداعبه فيها

الحسين ونظرة الى الثمار والاخرى الى التابوت والحفار ونجارا اذا راى الحراسانى نجر التابوت على قده واسناف الحفار على لحده وعطارا يبعد الحنوط بريحه وبه اللغريب ثلاث فتحات للكيس أولها الكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة ثمن التابوت اغلى الله بهم أسواق النجارين والحفارين والمكارين آمين يارب العالمين

(وله اليه فى فتح بهاضية)

ان الله وهو العلى العظيم المعطى ماشاء من على الانسان بهذا اللسان خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يصرفها فى القرون الماضية ويخبر بها عن الامم الآتية يخبر بها عما كان بعد ماخلق وعما يكون قبل أن يخلق ينطق بالتواريخ عما وقع

واستهلها بقوله يقبل اليد الشريفة العالية كثر الله عبيدها وقال بعد البراعة وضاعف خدمها واضعف حسدها وقد خطر لي ان أوردها بكمالها لوجازتها وغرابة اسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهي بعد ولاء يتأكد ودعاء يتجدد وثناء كأنه عنبرا وكافورا ونِد ان مولانا توجه والاعضاء خافقة سائره وكل عين لغيبته ساهره ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء والظمآن الى صيب الماء والغريب الى بلده والمحصور الى سعة سلكه ومقعده فمولانا يطوي هذه الشقة ويقصر هذه المدة ويدع أحد غلمانه يسد مسده فالمملوك قلق لسماع أخبار التشويش في البلاد وتطرق اهل الجرائم والفساد فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا في خدمته ذيلا ويسهروا عليه بالنوبة لمن يطرق ليلا والله المسؤل أن تكون هذه السفرة مجلية ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله ويبلغه من فضله مزيدا ويجعل يومه عليه مباركا وأمله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومي فضل الله بن مكانس مجد الادب الذي ظهر من بيته فخره ورضيع لبانه الذي ما سقانا منه ذرة الاقلنا لله دره الى والده المقر المرحومي الفخري من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهري يشكو اليه رمدا حصل له بعده وكان مبدأ الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقال بعد الاستهلال لا استهلت لولا ناد موع ولا جفا جفنه مدى الليالي هجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة بنصيب وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب لرأى من نارها ما يفعم القلوب ومن دمعها ما هو البلاء المصبوب واستمر انهمالها حتى أنشدها المتوجع فارنها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى اقلد أتى على الانسان حين وتزايد خوف المملوك على مقلتيه وشحه بكريمتيه فقصد في الذراعين وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه أثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومي المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذي صات جماعة أهل العصر خلف امامته وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته بدر الدين رحلة الطالبين أبو عبد الله محمد بن الدماميني المخزومي المالكي جوابا عن حل لغز في ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهي ورود الجواب الذي شفى الصدور وروده وقال بعد الاستهلال واللغز الذي نمى بوروده منه بان الحمى وزروده (منه) فاستحلى المملوك منه بالتحريف ورده وودلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذيل التقصير عاريا عن ملابس عزه وأنشد قول ابن قلاقس وهو يثني بشار عجزه

اذا منعتك أشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعده نصره وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الحضره وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام اهل بيتي الراحة المخدومية بهجة ونضره (ومنه)

من خطب وجرى من حرب
وكان من يابس ورطب
وينطق بالوحي عما سيكون
بعد وصدق عن الله بالوعد
ولم ينطق التاريخ بما كان
ولا الوحي بما يكون بأن الله
تعالى خص أحدا من
عباده ليس النبيين بما خص
به الامير السيد عين الدولة
وأمين الملة ودون الجاحد
ان يجد أخبار الدولة
العباسية والمدة المروانية
والسنين الحربية والبيعة
الهاشمية والايام الاموية
والامارة العدوية والخلافة
التيمية وعهد الرسالة
وزمان الفترة ولولا الاطالة
لعددنا الى عاد وثمود بطنا
بطنا والى نوح وآدم قرنا
قرنا ثم لم يجد قائل مقالا
أن ملكا وان علا أمره
وعظم قدره وكبر سلطانه
وهبت ريحه طرق الهند
فأسر طاغيتها بسطة ملك ثم
خلاه وعرض الارض قوة

وعنى

وعشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحديقة فرأى كل وردة واخت الوجنات الحمر فتحير اوردة هى أم شقيقة وعلمت ان الفكر القاصر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قوية (منه) وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد من حدقى * وكتبت اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال ووريت فى براعتها بمصنفين له * أحدهما الفواكه البدرية الذى جمعه من ثمار أدبه * والثانى نزول الغيث الذى نكت فيه على الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهليتها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث وأثمر بالفواكه البدرية وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا المعجزاته المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وانشد لافض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدنيا ابتسام

فاكرم به من مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة وافق معان بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بما دون النجوم وميدان عربية يجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) أورى بدخوله الى دمشق ومطارحته للجماعة وتالله ما لفرسان الشقر أو الابلق فى هذا الميدان مجال واذا عرفوا ما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وتغريد اثنية ما لسجع المطوق فى الاوراق النباتية مثل سجعها واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وابرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها نظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال وينهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكآبتها وهو بسهم البين مصاب مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكاما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب

(منها) يامولانا واين ما لاقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت ازر قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الطمأ بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله

قلب وصبح بستان وهى المدينة العذراء والخطة العوراء والطمة الغراء فاخذ ملكها أخذة عز وعنف ثم خلاه بخلفه فضل ولطف ثم لم يلبث ان خاض البحر اليها ضحية والسيل والليل جنودها والشوك والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن والانس أنصارها فقتل رجالها وغنم أموالها وساق اثقالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها كل ذلك فى فحمة شتوة قبل أن يتطرقها الصيف توسطها السيف وهو الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ثم حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها للنار سيف رسول الله فى المشركين وسيف أبى بكر فى المرتدين

وكم قاتت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقته واليها وهي جارية وغشيهم منها في اليم ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الريح فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها فقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض ونوحت بالوادي في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع فيها المغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من بطنها عدة من المصبرين في التابوت تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد وتمشي مع الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود وتتشامم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم تطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم أغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما سار لاهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنة البحر طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم وقد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد * وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمى بمجرى السوابق في وصف الخيول المسومة فانها أحرزت قصبات السبق وهي الحمد لله الذي يقف عند سابق فضله كل جواد ويتصرف في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع الاستطراد فمن ألهمه الحزم وارشده الى حد المعرفة حاز قصبات السبق ولا نقول كاد نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل ونشكره شكرا نعلو به على أشهب الصبح ونمتطي أدهم الليل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان نكون منها في ميادين الرحمة من السابقين ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين فان استهلالها يبين ما كل من الذوق ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين وما ذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب اردت ان اعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهليتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفاقة بسنون عزائمها (منها) وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفا واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا و بلغ الاقلام من تقشيرها

وسيف علي في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين وسيوف الامير وفقه الله في مواقفه لا تخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد واتهم بأنه ارتد وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه العقوق نوعا من الكفر والفسوق وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض العهد بعد تغلظه ونبذ اليمين بعد تأكيده وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبه الحرب بعد ركودها وخلع الطاعة بعد قبولها وسيفه الآن في ديار الهند سيف قرنت به الفتوح وانثت عليه الملائكة والروح وذلت به الاصنام وعز به الاسلام والنبي عليه السلام واختص بفضله الامام واشترك في خيره الانام

الى الحق (منها) ماشاهدها من الاجد فى محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب كم ايقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد الصاحب بها فى المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل انها تدخل فى مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل وكلما تفعله تو جزه والرمح فى تعقيده مطول نطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل النظر يق انتهى ماأوردته من براعة الاستهلال نثرا ونظما ومن لم ير بهجة ماأبرزته للمتأخرين فهو فى هذه اعمى

(ذكر الجناس المركب والمطلق)

*(بالله سر بى فسربى طاقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم)*

اما الجناس فانه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدّى الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة فى مضمار المعانى المبتكرة كقول القائل واستحى ان أقول انه أبو الطيب

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لو افد هذا النوع نزولا الا ماقل فى أبياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بأبياتها عليه غيران هذا البيت حكمت على أبى الطيب به المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذى قلب عليه القلوب اللهم الاان يقع الجناس فى حشو بيت من البحور التى تحمل ثقله من غير اعتناء بامره كقول القائل

لله لينى كلما ابتاعلى * تعنيقها ونهودها تتقاعد

وبنار امها وهى اسمى رتبة * لقد احترقت وريقها بارد

ففى طلعة شمس التورية هنا مايغنى عن النظر الى زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة * وانما بالمعانى تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شأومشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فاتى سليل سليلها مسلولا

ولا بأس به فى مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وماقارب ذلك من أنواع البديع وحكى عن ابن جنى ان الاصمعى كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص

الجناس المركب والمطلق

وارخت بذكره الايام واحفت لشرحه الاقلام وسند كرمن حديث الهند وبلادها وغلاظ اكبادها وشدة احقادها وقوة اعتقادها وصدق جلادها وكثرة اجنادها نبذا ليعلم السامع أى غزوة غزاها الامير السعيد انها بلاد لولم تحيها السحاب بدرها لا هلكتها الشمس بحرها فهى دولة بين الماء والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار وبعمها ملتف الغياض وتحفها طوا غى الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خاص الى عدد الرمل والحصا رجالا وشبه الجبال افيالا وانزاع المخاض

وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم حتى بردورك انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعانى التى هى كالنجوم الزاهرة فى افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعانى تنزلت منزلة الاطلال البالية وما احلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران

فاذا ما الارواح ثبر ردها الحتف فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستسمن ورمه وينظمه شعرا فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتى فيه بترا كيب تخف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم فى امان بالحبيب ولا تخف * افانط واش فى اقام طواشى

وقوله

وكم ساق فى الظلماء والليل شاهد * رواحل واط فى رواح لواط

وقوله

وابن اذا كان الفراق معاندى * مطالع نافى مطال عناء

وقوله فى الراح

وكم البست نفس الفتى بمدنورها * مدارع قار فى مدار عقار

وقوله

اذا جرح العشاق قالوا اتقت فى * مدار جراح فى مدارج راح

وقوله

وكم شمت لما فست مقدار ودكم * بوارق ياس فى بوارق ياس

وقوله

ولا تفحص باب الهدايا وعندها * مطارفراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط فى طواع نشاط

وقوله

ومزعلى غيرى سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذى يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكى تحت هذا البيت والذى قبله وهو اضعف بالبرقان وان من ذلك مبانه من النظم لجدير ان يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

لجار واجرى حين جاورت واجترى * فما فاته مما يروم جناس

وقوله

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفى ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لاوردت له كثيرا من هذا النمط وما اظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك

انه

بلادا ومصناف الجبال طعانا واركان الجبال شبانا ثم لا يعرفون غدرا ولا بيانا ولا يخافون موتا ولا حيانا ولا يبالون على أى جنبيه وقع الامر وينامون ويحتهم الجمر وربما عمد أحدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ لرأسه من الطين اكليلا ثم قور نحفه خشاه فتيلا ثم اضرم فى الفتيل نارا ولم يتأوه والنار تحطمه عضوا فعضوا وتأكله جزأ فجزأ فاما محرق نفسه ومفرقها وآكل لحمه ومفصل عظمه والرامى بها من شاهق فاكثر من ان يعد واقلهم من يموت حتف أنفه فاذا مات هذه الميتة أحدهم سب بها اعقابه وعظم عندهم عقابه بلاد هذه حالها وفيه ثلاث أهوالها وجبال فى السماء قلالها وفلاة يلمع آلها وغياض ضيق مجالها وانهار كثيرة أوحالها

انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه جنان الخناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه وهذا مما يؤيد قولى انه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله ويعجبنى هنا قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى رحمه الله تعالى

اذا أحببت نظام الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذى امتناع
ولا تقصد مجانسة ولكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتى أيضا من لم يجعل الجناس له مذهبا فى نظمه وما احلى ما قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة * اوما ترى تأليفه للاحرف

ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه فى جنسه وأنواعه زاحم ابن مماتى فى لفظ بيته ومعناه فقال

الا ان من عانى القريض بطبعه * يقود فارسله لمن صدوا حتشم
الم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا فى بيتين أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد اثبت القيادة لطبع المجنس والشيخ صلاح الدين اثبت الحكم المذكور لمن يعانى نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمنى من ناظمى البديعيات اما هذا النوع فانه ما سمى جناسا الا لمجىء حروف الفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف بل يكفى فى التماثل ما تعرف به المجانسة واما اشتقاق الجناس فنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضا لانه مصدر تجانس الشيئان اذا دخلا فى جنس واحد ولما انقسم أقساما كثيرة وتنوع أنواعا عديدة تنزل منزلة الجنس الذى يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس وأنواعه التام والحرف والمصحف والملفق وهلم جرا كما أن البديع جنس وانواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع واما حدود أنواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات البديعيين ولكن نأتى بحد كل واحد من الانواع فى موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه وقد صدرت بديعيتى هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته ولكن فاته شنب التسمية وابرازها فى شعار التورية من جنس التغزل فحد المركب أن يكون احد الركنين كلمة مفردة والاخرى مركبة من كلمتين وهو على ضربين فالاول ما تشابه لفظا وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه

ومثله قول القائل

ناظراه فيما جنى ناظراه * أو دعانى امت بما أودعانى

وطريق طويل مطالها ثم الهند ورجالها والهندوانية واستعمالها زحم الامير السيد أدام الله ظله هذه الاهوال بمنكبه محتسبا نفسه معتمدا نصر الله وعونه فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ومدد من التوفيق لا ينفتر وقلب من الاهوال لا يجبن وحث على المطلوب لا يقصر وسيف على الضريبة لا يشكل فسهل الله له الصعب وكشف به الخطب ورجع ثانيا من عنانه بالاسارى تنظمهم الاغلال والسبايا تتقاهم الجمال والفيلة كأنها الجبال والاموال ولا الرمال فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية الكفرة الطاغية الجبابرة العاتية حتى وسمه بناره وجعله بعض آثاره والحمد لله معز الدين وأهله ومذل الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله

(وله أيضا)

دواء الشوق أطال الله بقاء

وحفظت من شيخي العلامة الشيخ شمس الدين الهيتي الحنفي النحوي وانا في مبادي العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه قول القائل من دو بيت

في مصر من القضاة قاض وله * في اكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقل مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وكان يقول لا أعرف لهما ناظما وما الطف قول القائل

ياسيدا حاز رقي * بما حباني واولى
أحسنت برا فقل لي * أحسنت في الشكر أولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود أنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

حار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى اورقا
بعدهم لا طل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا

واورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمى بجنان الجناس من هذا النوع قوله

يامن اذا ما أتاه * أهل المودة اولم
انا محبك حقا * ان كنت في القوم اولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذي نظمه صفي الدين في بديعيته كقول الشاعر

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها
واذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

ومثله قول القائل

يامن تدل بمقلة * وانامل من عندم
كفي جعلت لك الفدا * أسياف لحظك عن دمي

ومثله قول ابن أسد الفارقي

غدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا افهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاجة والق رائحا

ويحسن هنا قول أبي الفتح البستي فيه

وان أقر على رق أنامله * اقر بالرق كتاب الانام له

وما ألطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع

ولم أر مثل نشر الروض لما * تلاقينا بنت العامري
جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ربي

ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة

قمر اراه أم مليحا أمردا * ولحاظه بين الجوانح أم ردا

القاضي الامام ان يخلص قلم لا يطلب منه الخلاص وان انتظر حتى تمكنه قضية همته طال عليه وعلى منتجعي ماله وود الشيطان لو ظفر بمذا منه فحاضر الوقت وموجود اليوم ان هذا العالم الاصيل متبرم بالمقام منتفض للمطار صوفي الطبع في الانتظار ناري المزاج حار الامشاج ولا علاقة له بمراة الا القاضي الامام والسلام

(وله اليه أيضا)

رقعتي هذه أطال الله بقاء الشيخ الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد في الرزق وان الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسي في الرحل أشده والحبل أمده ولكني أعلم هذا وأعمل ضده وأصل سراي بسيري ليعلم أن الامر لغيري والاقن أخذني بالمطار في هذه الانظار والمصار في هذه

ومثله

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف

امرع وسرطالب المعالى * بكل وادو كل مهمه

وان لحا عاذل جهول * فقل له يا عذول مه مه

ومثله قوله

ان الذى منزله * من محب دمعى أمرعا

لم أدر من بعدى هل * ضيع عهدى ام رعى

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى * حتى تعود لى الحياة وانت هى

وأنشدنى قاضى القضاة تقى الدين بن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب

قال للعاذل الملح على الدمـ * ـع واجرائه على الخد نيلا

سل سبيلا الى النجاة ودع دمـ * ـع عيونى تجرى الهم سلسبيلا

ومن أنواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون أحد الركنين جزأ مستقلا والآخر مجزأ من كلمة أخرى كقول الحريرى

والمكرمهما اسطعت لا تأته * لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غيران هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لا معنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع والتورية من اعز أنواعه وأعلاها رتبة فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق وابهجت خاطر السامع بما تحتنه من بديع تركيبها وتأهله بغريبها واناذاكر المثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب

أعن العقيق سالت برقا أومضا * أأقام حادبالركائب أومضى

قال صاحب التورية

واذا تبسم ضاحكا ثم التفت * ان عاد برقا فى الدياجى أومضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه فى الحال من شما

ومثله قول الشاعر

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى

ودع كاسها الطلسا * ولا تسقنى مع دنى

الامصار لولا الشقاء لم يأتنى العمر مهجا والرزق نهجا نضيجا حتى آتيه قصدا واتكلف له زرعا وحصدا واعارضه شببا وطبخا واعرض له الشعاب والجبال الصعاب وانزل بمناخ سوء لكن المرء يساق الى ماراد به لا الى ما يريد اما هذه الاشقاص ان تيسر منها الخلاص بعد ماسافرت وسفرت وناظرت ونظرت وحفرت وحرثت وبذرت ونذرت وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورأيته نعما كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها مجال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتألف به شارد وما كل يوم لى بارضك حاجة وما كل يوم لى اليك رسول والسلام

نسخة ماجرى بينه وبين الاستاذ أبى بكر الخوارزمى

ومن التورية المركبة ما أنشدني من لفظه علامة عصرنا القاضي بدر الدين بن الدماميني مما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملاذ المتأدبين وعمدة المحققين أبي العباس أحمد بن حجر الشافعي

حمى ابن علي حوزة المجد والعلا * ومن رام اشتات المعالي وحازها
وكم مشكلات في البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (ومازها)

فاجابه شيخنا المشار اليه

بروحي بدرا في الندا ما أطاع من * نهاه وقد حاز المعالي فزانها
يسائل ان ينهى عن الجود نفسه * وها هو قد بر العفاة ومانها (ومانهى)

وما أحلى ما قال متغزلا

سالت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * وانقوس الحاجبان وقت رنا (واقترنا)

ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه في التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض أهل الادب على مصنف سأل لم يمكن تسميته والتزم في التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر (٢) وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله ولقد كنت أرتجي بابا أدخل منه الى التقريظ ففتح لي المقر التقوي بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت منهجا ومثله قوله في التقريظ الذي كتبه على بديعتي هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغماد والزمن قد كادني بسهام أوتاره المصيبة ورماني بعدان كاد ومثله ما أنشدني من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر القاضي مجد الدين ابن مكانس حيث قال

اقول لحبي قم ومس يا معذبي * كميت خود حولك السكر راسها
ولا تسه عن شيء اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

واعجبه الشيخ شهاب الدين ابن حجر في هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة في الاصل

يا فاضلا هو في الاحا * جي ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى * يشكو الحبيب اسكت رجع

اسكت مرادف اسكت وبامر ادف رجع فحصلت التورية في صهبا وصهبا ومن النظم في هذا النوع الغريب قول المعمار

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
وإسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها (اساءلها)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين في غلام مليح وله لالا مليح

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر في الدجا نة لالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نظمي الغريب في هذا النوع

تصديتم

---

(٢) قوله وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف هكذا في النسخ والصواب اسقاطه

من المناظرة يوم اجتماعهما في دار الشيخ السيد أبي القاسم المتوفى بشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس وهي باملاء الاستاذ ابي الفضل بديع الزمان رحمه الله (من هجا)

(أنكاد)

قال الاستاذ أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني بديع الزمان سأل السيد امتع الله ببقائه اخوانه ان أملي جوامع ما جرى بيننا وبين أبي بكر الخوارزمي أعزه الله من مناظرة مرة ومنافرة أخرى وموادعة اولا ومنازعة ثانيا املاء يجعل السماع له عيانا فما

تصديتم لقتل ضعيف جسم * اغيرالوجد فيكم ما تصدى
وعدض لوعه بالسقم لما * تعديتم عليه وما تعدّى (وما تعدا)

وقلت فيه

بعد هند وبعد سلمى تعطشت الى رشف كل العس الى
وفؤادى يقول لا نطاب الرى من الريق بعد هند وسلمى (وسلما)

وقلت من قصيدة مطولة

حين قابلت خده بدموعى * أنزت خال نوب خز منمنم
وانظر اليوم خده مع دموعى * واحك ماشئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعة التى لم يسبق اليها انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التوريه وأما الجناس المطلق فان للناس فى الفرق بينه وبين المشتق معارك وعلماء السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى بصحته ظاهرا فان المشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدّوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منه يباين الآخر فى المعنى وانا اذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشتقاق راجع الى أصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى أزفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الالا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما ألطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه * لم تخط ما أوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضىء منها الذى الدارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضىء وهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الحال واحدة * انا الخيال ونار الشوق تخييل

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الحال واحدة ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

تلقيته الا بالطاعة على حسب الاستطاعة الا ان للقصة تشبيبا لا تطيب الا به ومقدمات لا تحسن الا معها وسأسوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز فبدأت فيها باسم الله عز وجل والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ذهابا بالقصة ان تكون بتراء وصيانة لها عن ان تدعى جذماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطبة لم يبدأ فيها باسم الله فهى بتراء وقد خطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على رسوله عليه السلام وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق والصواب بورده وصدره نعم أطال الله بقاء السيد وامتع ببقائه أحباءه ان قعدنا نعد آثاركم ونروى

قال ظلمت وظلام جناس اشتقاق وهو كقوله تعالى واسات مع سليمان قلت اما ظلمت وظلام فاشتقاق بلا خلاف وأسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع فى المعنى الى أصل واحد وهو أعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشتق وأما الجناس المطلق فالشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه ان أصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومنه ما كتب به الى المأمون فى حق عامل له وهو فلان ماترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا اذهبه ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا الا اداره اهلكا ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا اضعها ولا عقارا الا عقره ولا حالا الا أحاله ولا جليلا الا اجلاه ولا دقيقا الا ادقه فهذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها اركان يرجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ماذكرنا اسماء أجناس وهى محمولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل
فاقت بين الازد غير مزود * ورحات عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبى ينفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلى تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر

وما أحلى قول القائل

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

فالثلاثة عنان جنسها مطلق فى المطلق وقال الآخر واجاد

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

وما أحلى قول أبى فراس فى هذا النوع

فما السلاف ازدهتنى بل سوالفه * ولا الشمول دهتنى بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

وللبحترى

واذا مارياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أراك فيمتلى قلبى سرورا * واخشى أن تشط بك الديار
فجر واهجر وصد ولا تصلنى * رضيت بان تجور وانت جار

وما احسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه

تولى شبابى فولى الغرام * ولازم شيبى لزوم الغريم
ولولم يصدنى بازيه * لما صار مثنى مهاة الصريم

انتهى

ما أثر كم تنقد المصر قبل نفاد نقودها وفنيت الخواطر قبل أن تفنى المآثر فكيف لاوان ذكر الشرف فأنتم بنو بجدته أو العلم فأنتم عاقدو بردته او الدين فأنتم ساكنوا بلدته أو الجود فأنتم لابسو جلدته أو التواضع صرتم اسدته أو الرأى صلتم بنجدته وان ينمانولى الله عزوجل بناءه ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم فناءه وأقام الوصى كرم الله وجهه عماده وخدم جبريل عليه السلام أهله لحقيق ان يصان عن مدح لسان قصير نعود للقصة نسوقها (وأولها) انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا نيسابور دارا والاجوار السادة جوارا لاجرم أنا حططنا بها الرحل ومددنا عليها الطنب

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه وبين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لي ان أثبت في بديعيتي هذه أبيات من تقدمني في النظم كالشيخ صفي الدين الحلي والشيخ عز الدين الموصلي وما ورد في بديعية العميان من القدر الذي استعملوه ليشاهد المتأمل في هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفي الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق في بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقرا السلام على عرب بذي سلم

والعميان لم يأتوا في البيت الا بنوع واحد فقالوا في المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى * وأم سلعا وسل عن أهله القدم

وقالوا في الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا * وهل أضام لدى عرب على اضم

فالمطلق في أضام واضم واما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما في البيتين من الثقل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

في سلمى وسل ما ركبت بشذا * قد اطلقته أمام الحي عن امم

فالشيخ أتى بالنوعين في بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتي تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالله سر بي فسربي طلقوا وطني * وركبوا في ضلوعي مطلق السقم

وفي تسمية النوع هنا ما يغني عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفي الدين والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلا مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق والتقييد بضيق هذا الخناق لان الرقيق لم يقم له سوق بل يصدق اذا ما ادعى عتقه والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول في متاجر الرقة فان الشيخ صفي الدين قال في خطبته مع اطلاق قياده فانظر أيها العالم الاديب الى غزارة الجمع وهي ضمن الرياقة في السمع ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتي فانني * أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

*(ورمت تلفيق صبري كي أرى قدمي * يسعى معي فسعى لكن أراق دمي)

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من أفرده عنه وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا الا الحاتمي وابن رشيق وأمثالهما ولعمري لو سموا الملفق مركبا والمركب ملفقا لكان أقرب الى المطابقة في التسمية لان الملفق مركب في الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثاني مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما ألم بالملفق احد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي وما ذاك الا أنه قال في خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التي ذكرها الشيخ صفي الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتي وأما العميان فانهم عدوه في بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية أبياتهم في انواع

وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ونخبره على المغيب فنتعشقه ونقدر أنا لو وطئنا ارضه ووردنا بلده يخرج لنا في العشرة عن القشرة وفي المودة عن الجلدة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع

أجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها وفضة فضوها وذهب ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة وكيس أخلى من

الملفق

جوف حار وزي أوحش من طلعة المعلم بل الطلاعة الرقيب فما حالنا الا خصبة جواره ولا وطئنا الا عتبة

الجناس تعين اختصارها فانهم لم يأتوا فى البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق فى النظم قول الشاعر

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

ومما الطف ما قال القاضى أبو على عبد الباقى بن أبى حصين فى هذا النوع وقد ولى القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام فى الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان

فلم تضع الاعادى قدر شانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين فى هذا الباب

خبروها بانه ما تصدى * لسلو عنها ولو مات صدا

ويعجبنى قوله بعد المطلع

وسلوها فى زورة من خيال * ان تكن لم تجد من الهجر بدا

انتهى وبيت الحلى فى الملفق

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم * لهم ولم استطع مع ذاك منع دمى

ولم يمكن الشيخ صفى الدين ان يحصر مع الملفق غيره من انواع الجناس فى بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن له رونق وموقع فى الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه وبيت الشيخ صفى الدين فى غاية الرقة والانسجام غير ان التحريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق احدهما على الآخر وبيت صفى الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سرى وشان دمى * لما جرى من عيونى اذ وشى ندمى

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتتميمه على الشروط المذكورة ولكن عجزت اعادة تركيبه عن الطيران باجنحة الفهم لا احوم له على معنى ونظرت بعد ذلك فى شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة للجار والمجرور فى قوله فحى سلمى وسل ما ركبت بشذا يعنى ان الشذا الذى أطلقته سلمى امام الحى كان ملفقا و بينى المسؤل له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى * يسعى معى فسعى لكن أراق دمى

والكلام فى رقة قولى ورمت تلفيق صبرى الخ البيت انما وقع من أصحاب الغراميات لا من أصحاب البديعيات وقد تقدم قولى ان الفرقة الناجية من التعسف والتكلف فى النظم لم ترض بالجناس اذا امكنت التورية وقال المقر المرحوم الفخرى فى التورية التى سماها جناسا ملفقا

ان الهوا من يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سرى وفى علنى

فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فنى (فى كفنى)

وانشدنى من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدمامينى

تدرى لماذا أنالك قلبى * فى عسكر الوجد وهو ذائب

اذنب ثم اختشى فوانى * من ذلك الذنب فيك تائب (فى كتائب)

داره وهذا بعد رقمة كتبناها واحوال انس نظمناها فلما أخذنا الحظ عنه سقانا الدردى من أول دنه وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه من طرف نظر بشطره وقيام دفع فى صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بأمره لكنا أقطعناه جانب أخلاقه وولينا خطة رأيه وقاربناه اذ جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه على كدورته واديناه على خشونته ورددنا الامر فى ذلك الى زى استغنه ولباس استرته وكاتبناه نستمد وداده ونلتمس قياده ونستميل فؤاده ونقيم منا آده بما هذا نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم) الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه أن وجده يضرب اباطه القلة فى أطمار الغربة فأعمل فى رتبته أنواع المصارفة وفى الاهتزاز اليه أنواع المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة

وأنشدني من لفظه لنفسه الكريمة احد أعيان العصر ابن مكانس

كمال أوصافي يا منيتي * في الحب أن اصبحت مثل الخلال

وملت من سكر الهوى نشوة * فارحم معنى مغرما فيك مال (في كال)

ومن نظمي في هذا النوع الغريب

رأت حياة شبابي قد قضت اجلا * والسقم قد زاد لما قل مصطبري

قالت سرقت نحول الخصر قلت لها * ما يعمل الشيخ هذا وهو في كبر (فيك بري)

انتهى والله عز وجل أعلم (المذيل واللاحق)

*(وذيل الهم هل الدمع لي تجري * كلاحق الغيث حث الارض في ضرم)*

المذيل اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وما ذاك الا أن المذيل هو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه وبين المطرف ويأتي الكلام على المطرف في موضعه فالمذيل كقول كعب بن زهير

واقد علمت وأنت خير عليمة * أن لا يقربني الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسألتها باشارة عن حالها * وعلي فيها للوشاة عيون

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول أبي تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيري من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لأعباء الامور كاف كافل لمصالح الجمهور ومنه فلان سال عن اخوانه سالم من زمانه * ومن غراميات البهاء زهير في الجناس المذيل قوله من قصيدة

أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

ولم يخرج عما نحن فيه قوله منها

يا ليل بدرك حاضر * يا ليت بدري كان حاضر

حتى يبان لناظري * من منهما زاه وزاهر

وما احلى ما ختم القصيدة بقوله

بدري أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تأتي الزيادة في آخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبي قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

ومنه قول النابغة

(المذيل واللاحق)

بشطر الكف ودفع صدر القيام عن التمام ووضع الكلام وتكلف رد السلام وقد قلبت تربيته صغرا واحتملته وزرا واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال واستمع هذه الحال وفي هذه الاسمال أنفر زصف النعال فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب اقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف (شعر)

وفيهم مقامات حسان وجوههم *

وانديه ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه الضيف خصيبا ورأى الاستاذ أبي بكر في الوقوف في هذا العتاب الذي معناه ود والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شاء الله تعالى

اها نارجن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب

ومنه فى رثاء قوله

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح

وارق ما سمعته فى هذا الباب قول القائل

ان البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقل من فرق بينه و بين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمى مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا اذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما دق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه فى المخرج كقوله تعالى وهو الى الغاية التى لا تدرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضى رحمه الله

لا يذكر الرمل الا حن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمى وابن دريد والفراء قال بعض أهل الادب فى كتاب راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا الباب

رق النسيم كرقتى من بعدكم * فكأننا فى حبكم نتغاير

ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا فى كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه فى مخارج حروفه على الابدال واللاحق قد تقدم انه ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * وكتب بعضهم فى جواب رسالة وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحترى وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلفى منازل الاشراف

وقعودى عن التقلب والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف

ليس عن ثروة بلغت مداها * غير أنى امرؤ كفانى كفافى

فكفانى وكفافى هو اللاحق الذى لا يلحق * وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحترى فى بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلفى منازل الاشراف

قيل لبعضهم فى أى موضع فى القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال فى قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهذا أشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة والاطراف والاشراف مما نحن فيه * وما أحلى قول أبى

(فأجاب بما نسخته)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلت رقعة سيدى ومولاى ورئيسى أطال الله بقاءه الى آخر السكباج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتبه وعتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذى لا يخلو منه من مسه عسر ونبا به دهر والحمد لله الذى جعلنى موضع انسه ومظنة مشتكى ما فى نفسه اما ما شكاه سيدى ورئيسى من مضايقتى اياه فى القيام فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات العلوى أدام الله عزه وما كنت لارفع أحدا على من جده الرسول وامه البتول وشاهداه التوراة والانجيل وناصراه التأويل والتنزيل والبشير به جبريل وميكائيل فأما القوم الذين صدر سيدى عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال

هلال العسكرى فى اللاحق

اراعى تحت حاشية الدياجى * شقائق وجنة سقيت مداما

واذ كرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا مطرت سهاما

وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمى كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور ولا يشترط ان يكون الابدال فى الاول ولا فى الوسط ولا فى الآخر فان جل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفى الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

أبيت والدمع هام هامل سرب * والجسم فى اضم لحم على وضم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يذيل الدمع جار جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار فى الاكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتى وقد تقدمت ترجمته لما أنشدته هذا البيت والذى قبله بعد حفظى لهما من المصنف بحماة لو عزا أحد هذين البيتين الى الجان ما شككت فى قوله وبيت بديعيتى

وذيل الهم همل الدمع لى بجرى * كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم

فالمذيل فى هم وهمل واللاحق فى غيث وحيث

(التام والمطرف)

*(ياسعد ماتم لى سعد بطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم)*

أما الجناس التام فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت فى تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمى مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى وجل القصد تماثل الركنين فى اللفظ والخط والحركة واختلافهما فى المعنى سواء كانا[2] من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو أكمل الانواع ابداعا واسماها رتبة وأولاها فى الترتيب فمنه قول الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ماوقع فى القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجر من القرآن جناسا آخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * ومن الشعر قول بعضهم واجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى ردّ امر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى أعين البيض

ومثله قول أبى الفتح البستى

سماو سمابنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

تفصيل وجملة ولقد جاوزتهم فاحمدت المراد ونلت المراد

فان كنت قد فارقت نجدا وأهله * فما عهد نجد عند نابذميم

والله يعلم نيتى للاخوان كافة واسيدى من بينهم خاصة فان أعانى الدهر على مافى نفسى بلغت اليه ما فى الفكرة

(التام والمطرف)

وجاوزت مسافة القدرة وان قطع على طريق عشرتى بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنانى عن طريق الاختيار بيد الاضطرار فالنفس الانطفة بحرارة فان لم تكدر كان صفوا معينها وبعد مجند عتاب سيدى اذا استوجبنا عتبا واقترفنا ذنبا فاما أن يسلفنا

[2] قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعده

أما ابو الفتح فانه نابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما أعلم انه نظم أحسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون تورية * وما أحسن قول المعرى فيه واحشمه

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفى الدين فى قصيدته البائية التى عارض بها المتنبى وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن فى هذا الباب وهو

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها

عاتبته فتضرجت وجناته * وازورّ ألحاظا وقطب حاجبا
فأذابنى الخدّ الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التى امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية فى هذا النوع وقد عارض أبا الطيب المتنبى ولكن أتى فيها بما لو سمعه ابو العلاء لرجع عن ديوان احمد واقر بمعجزات محمد فمطلع المتنبى

ارق على ارق ومثلى يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة

ما بت فيك بدمع عينى اشرق * الا وأنت من الغزالة اشرق

ولاجل اطنابى فى هذه القصيدة تعين ايرادى من محاسنها هنا * فمنها

انفقت عينى فى البكاء وحبذا * عين على مرأى جمالك تنفق
وتكاثرت فى الجفن انجم ادمعى * فكأن غرب الجفن منى مشرق
واخافنى فيك العذول وما درى * أنى لجورك فى الهوى اتشوق
قسما بمن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق
ان العذول هو الغبىّ وان من * يشفى عليك لحبانه لموفق
لى من نصيب هواك سهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق
يمتار من دمعى عليك ذوو البكا * فاعجب له من سائل يتصدق
ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * فى غيظ عذالى عليك فلا سقوا
وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالحلى يزهر والغلائل يورق
وقرأت من خديك بعد تأمل * خطا به حب القلوب معلق
ورزقت من جفنيك ما حسد الورى * حظى عليه وهو رزق ضيق
ونعمت باللذات وهى جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق
فى ليل أفراح كأن هلاله * للشرب ما بين الندامى زورق
حتى استطال الفجر يطعن فى الدجى * فهو السنان أو العدوّ الازرق
ياحبذا الليل نبيع به الكرى * لكننا لا عن رضا نتفرق
حيث الشباب الى المسرة راكض * لا يستقر وطالب لا يرفق
ما سرنى أن الكميت بجنبها * تحوى السقاة وأن فودى ابلق

العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ولست أسومه أن يقول استغفر انا اذنبنا انا كنا خاطئين ولكنى اساله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين حتى يرد الابواب وعين العذر رائدة تركناه بعزه وطويناه على غرة وعدنا الذكر فمحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه وتركنا خطته وتجنبنا خاطته فلا طرنا اليه ولا طرنا به ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالى وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لا نعير السماع ذكره ولا نودع الصدور مدينه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه ويوردها الىّ وكلام يحفظه الالسنة من فيه وتعيده علىّ فكاتبناه بهذه نسخته

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أنا أرد من الاستاذ سيدى

زار الضنا ونأى الحبيب وعادني * ارق على ارق ومثلي يأرق

والعذر عن طول ما أوردته واضح لغرابة اسلوبها غزلا ومدحا * منها في المدح

قوم لذكراهم على صحف العلا * أصل الفخار وكل ذكر ملحق

الملك بعض ديارهم فلينزلوا * والنجم بعض جدودهم فليرتقوا

ان يسجع الدين الحنيف بمدحهم * فلأنه بابي الفتوح مطوق

أو يرق ماضيهم على سنن الوفا * فلأنهم ببقاء أفضلهم بقوا

ملأت مواهبه القلوب مهابة * فالقلب قبل الطرف فيها مطرق

وكأنما اقلامه بسوادها * غربان بين في الخزائن تنعق

لا عيب فيه سوى العزائم قصرت * عنها الكواكب وهي بعد تحلق

منها

يا أيها الملك المكمل فضله * وقيت من حدق البليك تحدق

وبقيت للمداح تجلب عيسهم * جلبا بغير بلاد كم لا ينفق

اذ كرتنا زمن المؤيد لا عدت * مثواه باكية الغمامة تشهق

حتى تجر به ذيول حديقة * اكمامها بيد النسيم تفتق

منها

وبديعة كالروض الا أنها * تجلى بجارحة السماع وتنشق

نظمتها عقدا بدون مثاله * في النظم شاب من الوليد المفرق

لا فضل لي فيها وبحرك قاذف * دررا صفاء يقول للناس انفقوا

من عش بيتك قد درجت فطار لي * في الخافقين جناح ذكرك يخفق

ولكم علقت من القريض صناعة * ما كنت لولا كم بها أتعلق

لكم الولا مني لأن نداكم * في كل حادثة لفقري يعتق

ومن مطالعي في الجناس التام قولي

يا طيب الاخبار يا ريح الصبا * يا من اليه كل قلب قد صبا

وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وثمانمائة الى القاضي تاج الدين بن البارزي صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى حماة المحروسة وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو ارق منه

يا صادق الانفاس يا أهل الذكا * يا طاهر الاذيال كم لك من نبا

يا من نراه عبارة عن حاجر * يا روح نجد مرحبا بك مرحبا

يا نسمة الخبر الذي من طيبه * تتنشق الاخبار عن تلك الربا

بالله ان رنحت ذيلك بالحمى * ووردت شعبا من دموعي معشبا

وهززت فيه كل عود أراكة * اضحى بها تيك الثغور مطيبا

ولثمت من ثغر الاقاحي مبسما * أبدى بدر الطل ثغرا أشنبا

ودخلت كل خباء زهرة غدا * بدموع أجفان الغمام مطنبا

أطال الله بقاء شريعة وده وان لم تصف وألبس خلعة بره وان لم أنصف وقصاراي أنا كيله صاعا عن مده وان كنت في الادب دعي النسب ضعيف السبب ضيق المضطرب سيئ المنقلب أمت الى عشرة أهله بدقة وانزع الى خدمة أصحابه بطريقة ولكن بقي أن يكون الخليط منصفا في الوداد ان زرت زار وان عدت عاد وسيدي أطال الله بقاءه ناقشني في الحساب القبول أولا وصارفني في الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه وبعد فكلفة الفضل بينة وفروض الود متعينة وارض العشرة لينة وطرقها هينة فلم اختار قعود التعالي مركبا وصعود التغالي مذهبا وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة وذاق الحلو من ثمرها فقد علم الله أن

وطرقت حى العامرية ظامئا * فنعمت فى الوادى برياز بنبا
وحملت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالعذيب فان محجر عينه * أضحى لما حانه مترقبا
واصحب عبير المسك منه فانه * اشواردا الغزلان أضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت يا ريح الصبا
عرج على وادى حماة بسحرة * متيمما منه صعيدا طيبا
واحمل لنا فى طى بردك نشره * فبغير ذاك الطيب ان نتطيبا
وأسرع الى ودا و فى مصر به * قلبا على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادى الذى * مازال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بمصر نسبة لكن أرى * وادى حماة والطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ندى شبيبتى * ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
ياساكنى مغنى حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقى مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو دياركم * قرأ النوى لى فى الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهرى بطو * ل تعتبى و يحق لى أن أعتبا
قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا
وأمرتنى لكن بحق محمد * يادهر كن فى مخاصى متسببا
محمد ومدينة قدحلها * لم ألق غيرهما القلبى مطلبا
مولى اذا قصد الزمان بجنه * خفضى غدا عن رفع قدرى معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل أمست على حلل العلو * م برقها الزاهى طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها أن تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * لخطابة فابن الخطيب هناهبا
من بيت فضل قدعلت طبقاته * وأراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة فى بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
ياكاتب الاسرار يامن فضله * قدجمل الدنيا وزان المنصبا
اقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * أغنت نهار الخطب عن بيض الظبا
سود العيون كانما الحاظها * قدكحلت بسوادا حداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * ابدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق فى قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجعت أقوالها * لم نلق الامر قصا أومطربا

رجع الى ما كنافيه من الجناس التام * ومن نظمى فيه أيضا مع زيادة التورية

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت فى الخد نقطة حسنه

شوقى اليه فقد كدا الفؤاد برحا الى برح ونكأ قرحا على قرح ولكنها مزة مرة ونفس حرة لم تقد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استعفانى من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل بحثه اقابس الاغصن الشوق أنجرعها وحلل الصبر أتدرعها ولم أغره من نفسى فانا لو اعرت جناح طائر لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه وبقينا نلتقى خيلا ونقنع بالذكر وصلا حتى جاءت عواصفه تهب وعقاربه تدب وهو لايرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن وأفضت الحال به وبنامعه الى أن قال لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة الهمم يجمع بينى وبين فلان يعنيق فلما وردت عليه الرقعة

فرق لي قلبه وقال اذا * انت خدي لاتنكر الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولي ان جميع من نهلت من شرابهم الصافي لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب مانظموه من التورية جناسا تاما فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دوبيت

كم قال معاطفي حكتها الاسل * والبيض سرقن ماحوته المقل

والآن أوامري عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ففي تحد وتعتقل جناسان تامان اذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين في موضعه على طريق من له رغبة في الجناس ومثله قول محيي الدين بن عبد الظاهر في كوز

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ماشئت في الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى أحوى المراشف أشنبا

وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الي محببا

ومثله قول الشيخ شرف الدين الانصاري شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملني بما يحلو وتلوى * ولكن ليس في جوفي مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزي سقى الله ثراه

يالمية الحب التي * طال لها تلفتي

هل أنت مسك الترك أو * هل أنت مسك تبتي

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعي

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * والفصل البرد في الجو احتكام

فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغيرمآثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحمامي

لي منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب

اقبل ذا العذر به * واقبل الجار الجنب

ومثله قول شهاب الدين الحاجبي

حشر تلامذته وخدمه وزتم عن الجواب قلمه وجذم الايجاف قدمه وطالع مع الفجر علينا طلوعه ونظمنا حاشيتاه أزر الامام أبي الطيب فقلت الآن تشرق الحشمة وتنور وتصعد في الفضل وتغور وقصدنا مناكرين أناه فانتظرنا عادة بره وتوقعنا مادة فضله فكان خلبا شمناه وآلا وردناه وصرفنا الامر في تأخره وتأخرنا عنه الى ماقاله ابن المعتز

أنا على البعاد والتفرق
لنلتقي بالذكر ان لم نلتقي

وأنشدنا قول ابن عصرنا أبي الطيب

أحبك ياشمس البلاد وبدرها
وان لامني فيك السها والفراقد

وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد

وقول آخر وقد أحسن وزاد

أحبك في البتول وفي ابيها
ولكني أحبك من بعيد

ثم رأى اذا انجلى الغبار
أفرس تحتي أم حمار

له عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومثله قول ابن الوردي

قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والا * أجور نادبت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشاني لذاك توقدت * جمرا وابدت في المحبة فاتره
هذا وتحرمني التقبل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * وننشي له لفظا فينشي لنا معنى

ومثله قوله وهو أعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر التجانس هنا أحد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبهنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

أباح لي نرجس ألحاظه * في مجلس ما فيه ما نكره
فقلت ورد الخد جد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين بن الصاحب

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام أسير
وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

ومثله قول ابن أبي حجلة

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما أظرف قول يحيى الخباز الحموي

أصبحت في العالم أعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي امي

ومثله قول المعمار

قد بت من كربي افقد النسا * آفور كالتنور من ناريه
وقد طفي الماء فمن لي بأن * أحمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزغاري

وعلم يقينا أينا يبرز خلابه عقوا وأينا يغادر في المكر وود فلان يوسطاه بل يمناه لو رحلاو قلنا في المناخ له نم الى كلمات تحدو هذا الحذو وتحو هذا النحو وألفاظ أتتنا من عمل وكان من جوابنا ان قلنا بعد الوعيد يذهب بالبيد وقلنا الصدق ينبئ عنك لا الوعيد وقلنا ان أجرأ الناس على الاسد اكثرهم رؤية له وقد قال بعض أصحابنا قلت لفلان لا تناظر فلانا فانه يغلبك فقال أمثلي يغلب وعندي دفتر مجلد ووجدنا عندنا دفاتر مجلده وأجزاء مجوده وأنشدنا قول حجل بن نضله

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح
بل أحدث الدهر بنا نكبة
أم رقت أم شقيق سلاح

وقلنا انا نقتحم الخطب ونتوسط الحرب فنردها مقحمين ونصدرها بلغاء

وألسنتا قبل النزال قصيرة
ولكنها بعد النزال طوال

قيل لي اذا رأيت أقمار تم * عن بدور الاسماء للطرف تلهى
أي وجه أضنا الرقات دعوني * فسقامي قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلي

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدى اقلبي اشتياقه
درى انتا نصغي الى الحسن دائما * فابدى لنا ذاك الحديث وساقه

ومثله قول ابن مكانس

يقول معذبي اذهمت فيه * بخد خات فيه الشعر غلا
أتعرف خده للعشق أهلا * فقلت له نعم أهلا وسهلا

وأنشدني من لفظه لنفسه بقية السلف ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمي عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانمائة وطالبته بشئ من لفظه في المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معناك الذى اذبلتو * جدلو بقبله فقلبو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا

تقول وقد أتتني ذات يوم * مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك ان أروح اليه أجري * فقلت لها خذي مالي وروحي

ومنه قول بدر الدين الدماميني

قم بنا نركب طرف الـ * لهو سبقا للمدام
وانثنيا صاح عناني * لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر

سالوا عن عاشق في * قمر باد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

ومثله قولي

عاتبته ودموعي غير جارية * لأن دمعي من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفا

ولم استطرد الى هذا الاتساع الا ليتأيد قولي ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكنت التورية التامة وصح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر وبدر مثاله في ابالي السطو رسافر انتهى ما أوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عند الناظم يقظة وكان ممن يميل الى هذا المذهب واما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة في المذيل تكون في آخره واما المطرف فتكون زيادته في أوله لتصيرله كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفي تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف في التسمية طرفة كقوله

فأرضك ارضك ان تأتنا
تنم نومة ليس فيها حلم
فمن ظن أن سيلاقي الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا
فانك متى شئت لقيت منا
خصما ضخما يهشك قضما
ويأكل خضما وحننناه
على الاخذ بأدب الله من
قوله والصلح خير وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وأنشدناه
قول القائل
السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها
جزع

(وقلناله)
نصحتك فالتمس يا ويك غيري
طعاما ان لحمي كان مرا
الم يبلغك ما فعلت ظباه
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وجعل الشيطان يفتل بذلك
أجفان طرفه ويقيم به
شعرات أنفه
وحتى ظن ان الغش نصحي
وخالفني كأني قلت هجرا
واتفق ان السيد أبا علي
نشط للجمع بيني وبينه فدعاني
فأجبت ثم عرض على حضور

قوله حرفا المناسب ان يزيد
أو حرفين بدليل تمثيله

تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تارة تكون فى أول الركن الثانى كما تقدم وتارة فى أول الركن الاول كقول أبى الفتح البستى

أبا العباس لاتحسب بانى * بشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذاما كبت الادوار زندا * فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل

قام يسعى مابين شرب أعزه * من بنى الترك أغيد فيه عزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها فى بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم أعرف لها ناظما وأعجبنى فيها أبيات منها

يقظ مايشير طرف اليه * بمرام الاوبعرف رمزه
كلما تدعل اله وارم تغنى * عنه الحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذى جعله نفثا

عطفت كامثال القسى حواجبا * فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولى

والله ماهب النسيم بحاجر * الاترقرق مدمعى بمحاجرى

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما فى بيت البديعية ظاهران وبيت صفى الدين الحلى قوله

من شأنه حمل اعباء الهوى كمدا * اذاهمى شأنه بالدمع لم يلم

وبيت عز الدين الموصلى

مذتم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب يذل العين لم يلم

وبيتى

ياسعد ماتم لى سعد يطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى ويستجلى مايظهر فى مرآة ذوقه ولايميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

*(هل من بنى وبقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم)*

بنى وبقى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ماتماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه انقى وأتقى وأبقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لامن ربيعة آبائى ولامضر

أبى بكر فطابت ذلك وقلت هذه عدة كنت أستنجزها وفرصة لأأزال انتهزها فجنتهم السيد أبو الحسين وكانه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر فى التأخر فقلت لاولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ولاعزازة للعوائق أن تضيعنا ولانضيعها وتمنعنا ولاندفعها وكاتبته أنا أشهد عزيمته على البدار وألوى رأيه عن الاعتذار وأعرفه مافى ذلك من ظنون تشتبه وتهم تعجه وتصاوير تختلف واعتقادات تخلف وقدنا اليه مركوبا فالمكون قد ألزمناه الحج وأعطيناه الراحلة فجاءنا فى طبقة اف وعدد نف كل بغيض قذاه اصبع وانفه خمسة أشبار مع أرباب عامات وأصحاب

(المصحف والمحرف)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لحدك وأقل لحدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجرا مااخترت غير العطر ان فاتني ربحه لم تفتني ريحه ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته فانتم يابني أيوب ايديكم آفة انفس الاموال كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم بيض أيامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس وما تم الاعلى الاموال فهي ما تم والجود خاتم في أيديكم ونفس حاتم نقش في ذلك الخاتم وقال أهل الادب خلف الوعد خلق الوغد والاربعة أركان بغير حشو وهو غاية في هذا الباب ومن النظم قول الشاعر

فان حلوا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مفر

ومثله قول أبي فراس

من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم اذكر هنا من جناس التصحيف الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريري

زينت زينب بقد يقد

فهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا للواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول أبي تمام

في حده الحد بين الجد واللعب

ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومي فخر الدين بن مكانس في رسالتي التي ذكرت فيها حريق دمشق وهو وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل والبسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير توريه عطره الناسم ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ماترون بعارضي * فلا تمنعوني ان أهيم وأطربا
وما هو الا نور ثغر لثمته * تعلق في اطراف شعري فالهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما أظرف قول شمس الدين بن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذي صد عن محب * فيه أذاب الغرام قلبه
مالك في الهجر من دليل * لكن هذي علو قبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف واما قولي وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم فهذا جناس التحريف وهو مااتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلافا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التي لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان في المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذ المراد بالاول الفاعلون

جريانات لاتنال العين منهم الاجيدا ومرحنا الطرف منهم ومنه في احمى من است النمر وأعطش من ثقب النغر فظننا انه يريد أن يلقى كتيبة أو يهزم دوسرا أو يقتل الانكدين أو يرد الوفدين ثم رأينا رجالا جوفا قد حلقوا صوفا فأمنا المعرة ولم نخش المضرة وقناله والده وجلس يحرق أرمه ويتمثل بيت لاتقتضيه الحال

* مرت اتانا في الحبالة تستبق *

فتركناه على غلوائه حتى اذا نفض مافي راسه وفرغ جعبة وسواسه عطفنا عليه فقلنا ياعافاك الله دعونا لك وغرضنا غير المهارشه وأستنزرناك وقصدنا غير المناوشه فلتهد أضلاعك وليفرخ روعك

* يامارسرجس لانريد قتالا *

وما اجتمعنا الا لخير فلتسكن سورتك والتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تحم لغير سبب واتخذ كرنابك

وهم الرسل وبالثانى المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضى الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلائق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق اذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفى ومن النظم قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وما أحلى قول أبى العلاء المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعينى كل يوم فيه عبره * تصيرنى لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضى الفاضل فى هذا البحر وأظهروا من هذا الروى جواهر العقود فمن قصيد شيخ الشيوخ بحماة

اذا غفل الوشاة بعثت دمعى * فيغدو مرسلا من غير فتره

علامة شقوتى فى الحب انى * ثقلت عليك لامن طول عشره

سالزم باب خمار الثنايا * ليطلق لى ولو فى العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا اجازى حبيب قلبى بظلمه * انا أحنى عليه من قلب أمه

جوره مثل عدله عند من يهـ * ـواه مثلى وظلمه مثل ظلمه

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غرامياته فى هذا النوع

زها ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف

وقد زعموا أنه مضعف * وما علموا أنه مضعفى

وأورد الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه المسمى بحياة الحيوان عند ما انتهى الى ذكر المها أبياتا تعجبنى فى هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقى الابيات تجرى فيها تمتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلى ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم تبق يوما بها بها

لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة * كأن اباها الظبى أو أمها مها

دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبنى قول من قال ان الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك وما أحلى قول ابن نباتة

اتملاء المجالس فوائد وتذكر أبياتا شوارد وامثالا فرائد ونباحثك فنسعد بما عندك وتسألنا فتسر بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه وقديما كنت أسمع بحديثك فيعجبنى الالتقاء بك والاجتماع معك والآن اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتذوق يوما عليه والى الجدل نتجاذب طرفيه فاسمع خبرا واسمعنا مثله وابدأ بالفن الذى ملكت به زمانك وفت به أقرانك وملكت به عنانك وأخذت منه مكانك فطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه وافحمت به الرجال حتى اذعن العالم وقلد الجاهل وقالوا قول الصوفية يا دهشا كله فجارنا بفرسك وجدلنا بنفسك فقال وما هو فقلت الحفظ ان شئت والنظم ان أردت والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت فهذه أبوابك التى أنت فيها ابن دعواك تملأ منها فاك فاحجم عن الحفظ رأسا ولم

قوامك تحت شعرك يا أمامه * غدا لك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من لى بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوى الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى الحنبلى

هل من تقى نقى حين صحف لى * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف فى هذا البيت فظاهران واما المعنى فالسريرة عند الله وبيتى

هل من بقى وبنى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم

(ذكر اللفظى والمقلوب)

*(قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا الاسماع بالالم)*

اما اللفظى فهو النوع الذى اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولى فى البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثانى من التلف وجاء فى هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثانى من النظر والحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث أو بالنون والتنوين كقول الارجانى

وبيض الهند من وجدى هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

أو بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

ولم ينظم هذا النوع غير الصفى وهو قليل جدا وأصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذى فيه المناسبة اللفظية وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه أورد فى شرحه الذى سماه رقم البردة شيأ من محاسن الزجل على هذا النوع البديعى الذى أطلق عنان القلم فى الكلام عليه والزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى لجولانه فى ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة الا من عرف اصطلاحه وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عذرته وممن سلمت اليه مقاليد هذا الفن وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدى له نبذة من غرر ازجاله فى تذكرته وتاريخه تغنى عن الاكثار فى ترجمته وله فى الجناس اللفظى زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقى جفون ولحاظ * لو رآهم عابد لهام وحاض

ومع أنوار من سحر عينيه اذا * حفظوه باب أنا صلا توّدا

انما وعيون فواتر حور * فى فحور ولدانها بواتر جفون

(اللفظى والمقلوب)

يجل فى النثر فدها وقال ابادهك فقلت انت وذاك فمال الى السيد أبى الحسين يسأله بيتا ليجيز فقلت يا هذا أنا اكفيك ثم تناولت جزأ فيه اشعاره وقلت لمن حضر هذا شعر أبى بكر الذى كدبه طبعه وأسهر له جفنه وأجال فيه فكره وأنفق عليه عمره واستنزف فيه يومه ودونه فى صحيفته ما ترونه وجعله ترجمان محاسنه وعبر به عن باطنه وأخذ مكانه وهو ثلاثون بيتا وسأقرن كل بيت بوفقه وانظم كل معنى الى لفقه بحيث اصيب اغراضه ولا اعيد الفاظه وشريطتى ان لا أقطع النفس فان تهيأ لواحد أو امكن لناقد ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قولهم من قولى ويحكم

كيف لا يفتتن عشاقو ذا الفتورو وعلى خده شامه نقطة فنون

من نظرهم نظره بقى مسحور * وكيف أنوما ينسحرون عيون

يعتقدهم رقودوهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف أى قاض

يقضى فمن بسروباح وهدى * حكمه من أضل ناس وهدى

حضرتى لما ان يغيب عنى * فى غيابو ياما بحفظ فصول

حتى نوا يصير قريب منى * ولوانو يكون فى ميدان يجول

ايش تضيق الدنيا على ذهنى * ولايدرى ايش كان يريدلو يقول

وانس ماقد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بى رحب المكان الفاض

ولا اطاب يومى شراب وغدا * فابق سكران طول الليلى وغدا

يانسيم السحر على حبى * بث منى طيب السلام كاو

لله وأوصيه بالعاشق المسبى * وبقلبى ذاك الذى استلو

وان تيسر لك أن ترى قلبى * وان يسل عن جسمى الضعيف قلو

انو نحيل من بعدك الى ان فاظ * واغتسل مما من عيونو فاض

وعلى حذو الدارجين قد حذا * وفى نايو حادى المنايا حدا

اذكرانى فى عتبو وخد البهار * عصفتو حتى وقف على ماجرا

وبقى هو يحمر ونا بصفار * ونوادر منى ومنوترا

فلا تعجب من خد وكيف يحمار * فوق ورد الخدود وتحتو جرا

ماء الحيا فى وجناتو لما اغتاظ * ونشف ماء لونى الى ان غاض

وماينكر حالى وحال وفذا * سر فيه من أنا لو فدا

ونظمت فى هذا النوع الغريب توريه فجاءت فى غاية الحسن ولم أسبق اليها الا من الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عبتم من المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدايله لم تشعروا

لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء أرباب الغرام مضفر

وقولى

خاطرت فى عشقى له يامهجتى * لا تشغلى قلبى الحزين وخاطرى

فالطرف شاهد منه ناضر قده * فغدا يهيم بكل غصن ناضر

وقولى

مرج حماة بنواغيره * زاد على المقياس فى روضته

واغتاظ نيروز دمشق له * فقلت لا افكر فى غيضته

وقولى

حضبت عزمى اليك شوقا * فلم أطق مكثة بارض

وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى ان الوم حضى

انتهى الكلام على الجناس اللفظى واما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو

على البيت انه له أولى اويرجح ما نظمه بشار الرويه على ما امليته على لسان النفس فله يد السبق او يكون غيرها فاعفاه عن هذه المقاومة و يتنحى لنا عن أرض المماثلة ويخلى بنا الطريق ان يثنى المناربه فقال أبو بكر ما الذى يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ماتريد انشاده الآن فقلت اقترح لكل بيت قافية لا اسوقه الا اليها ولا أقف به الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر فاقول بيتا آخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا الى حيث يتضح الحق ويفتضح الزرق وتستقر الحجة وتستقل الشبهة وتنطرد فيعرف الحالى من العاطل و يفرق بين الحق والباطل فابى ابو بكر ان يشاركنا فى هذا العنان ومال الى السيد ابى الحسن يسأله بيتا العجز فتبعنا رأيه فيما رآه ولم نرض الارضاه وأعمل كل منا لسانه وفمه وأخذ

الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر فى الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هرون خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارقأ وما الطف ما أشار الصاحب بن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لابى العباس بن الحرث فى يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش ما يقول الشيخ فى قلبه يعنى الخيش ومروحة الخيش احدثها بنو العباس وذكرها الحريرى فى المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش وانشد لغزا فى مروحة الخيش

وجارية فى سيرها مشمعلة * ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

وكان السبب فى حدوث هذه المروحة ان هرون الرشيد دخل يوما على اخته علية بنت المهدى فى يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابا من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وأمر أن يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشى فى شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشد بها حبل وتبل بالماء وترش بالماورد فاذا أراد الرجل فى القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجىء فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه * رجع الى الجناس المقلوب * فمنه قول بعضهم

حكانى بهار الروض حين ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب
فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين اقلب راهب

وما احلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرنى باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا تخرص * قلب بهرام مارهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية فى هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وسلم وهو قوله

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما احلى قول القائل

والفيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله

ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى ان أطيقا

دواته وقلمه فاجزنا البيت الذى قاله وكلما اجزناه اجازة جارى القلم فيها الطبع وبارى اللسان بها السمع وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان اذ قلنا

هذا الاديب على تعسف فتكه * وبروكه عند القريض ببركه *
متسرع فى كل مايعتاده * من نظمه متباطئ عن تركه
والشعر أبعد مذهبا ومصاعدا * من أن يكون مطيعه فى فكه
والنظم بحر والخواطر معبر * فانظر الى بحر القريض وفلكه
فبى توانى فى القريض مقصر * عرضت اذن الامتحان بعركه
هذا الشريف على تقدم بيته * فى المكرمات ورفعه فى سمكه
قد رام منى أن أقارن مثله * وانا القرين السوء ان لم أنكه
واذا انتظمت قصمت ظهر مناظرى * وحطمت جارحة القرين بدكه

فبحق عليك يا من سقانى * أرحيقا سقيتنى أم حريقا

ومن الغايات فى هذا الباب قول القائل

ابق اقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانضمامها الى أختها تجانسها فى القلب وأعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد

ليل اضاء هلاله * أنى يضيء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريرى ساكب كاس وهذا النوع يأتى الكلام عليه فى موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى ايضا زجل فى هذا النوع سارت به الركبان انشده المصنف فى حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفى الدين والشيخ جمال الدين بن نباتة فوقع فى المجلس شئ اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبى يحب تياه * ليس يعشق الاباه * فازمن وقف وحياه * يرصد على محياه
بدر السما لو يطبع * من رام وصالو يعطب

صغير بحير فى امرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى وغمرو * فاعجب اصغر عمرو
ريم ابن عنبر واربع * اردى الاسود وارعب

اذ كر نهار تبعتو * وروحى كنت بعتو * وخيب مافيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولالى تتبع * اخشى عليك لا تتعب

كم قدامو وخلفو * مشيت مطيع لحلفو * ورمت الثم كفو * قال دع منالو كفو
فان لثم اصبع * من الثريا اصعب

مازلت لو نداری * حتى حصل فى دارى * ناديت ودمعى جارى * ايش كان يصيب ياجارى
لوكنت من فيك اشبع * قال ايش يكن لك اشعب

من حاز حسن خدو * لحظو لقتلى حدو * وورد خدو ندو * مافى الرياض شى ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب

من فى الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دوعو يبلع * وهو بعقلو يلعب

كم خصم فى المقاتل * صابو ابن مقاتل * وكم ذا فى المحافل * قد انشا لو جحافل
من كل بيت مربع * ملحون بألف معرب

والشئ اللطيف الذى وقع فى المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين بن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بألف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباتة ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل ويشير الى الشيخ صفى الدين الحلى ويقول ملحون بألف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اهـ واذا نظر المتأمل الى بعض هذه الاحرف فى رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظى والمقلوب وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيهما

ودبغت منه أديمه وتركته
نهج الاديم بدبغه وبدلكه
اصغوا الى الشعر الذى نظمته
* كالدر رصع فى مجرة ملكه
فتى عجزت عن القرين بديهة
فدمى الحرام له اراقة سفكه
وقال أبو بكر ابياتا جهدنا
به أن يخرجها عن الغلاف
ويبرزها من اللفاف فلم
يفعل دون أن طواها
وجعل يعركها ويفركها
فقلت ان البيت اقائله كالولد
انا جدله فما لك تعق ابنك
أو تضيعه أبرزها للعيون
وخلصها من الظنون فكره
أبو بكر أيده الله ان تكون
الهرة أعقل منه لانها
تحدث فتغطى فلم يستجرئ
أن يظهر ثم مسح جبينه
وبسط يمينه للبديهة نفسا
دون ان يكتب فقلنا أنت
وذاك واقترح علينا أن
نقول على وزن قول أبى

بكل قدّ نضير لانظير له * لاينقضى أملى منه ولا ألمى

وبيت الشيخ عز الدين

الفظى حض على حفظ بما ثمه * مقلوب معنى ملا الاحشاء من ألم

وبيتى

قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذول ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

(ذكر الجناس المعنوى)

*(أبا معاذ اخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى تهتدونى بجورهم)*

اما الجناس المعنوى فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير نوع الاضمار وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة ولابد أن انوع هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوى طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره ابن رشيق فى العمدة ولا زكى الدين بن أبى الاصبع فى التحرير ولا ابن منقذ فى كتابه والعميان ذكروه فى شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل فى صناعة الترسل منه نوع الاشارة لانوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين الحلى وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وكان شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما اعلم لبيت أبى بكر بن عبدون فى اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفى الدين الحلى ولولم يفتح ابن عبدون هذا الباب فى بيته ما حصل للشيخ صفى الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتى بعد تعريف النوع فالمعنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف اتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا

الافى سبيل اللهو كاس مدامة * اتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وهما فى صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن * فى فتكه بالمعنى أو أبى هرم

فابن ذى يزن اسمه سيف وابو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول شيخنا قاضى القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفى

(الجناس المعنوى)

الطيب المتنبى حيث يقول

أرق على ارق ومثلى يأرق

وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وابتدر أبو بكر ايده الله الى الاجازة ولم يزل الى الغايات سباقا فقال

واذا ابتدهت بديهة ياسيدى * فأراك عند بديهتى تتقلق

واذا اقرضت الشعر فى ميدانه * لاشك أنك يا أخى تتشقق

انى اذا قلت البديهة قلتها * عجلا وطبعك عند طبعى يرفق

مالى أراك ولست مثلى عندها * متموها بالترهات تمخرق

انى أجيز على البديهة مثل ما * تريانه واذا نطقت أصدق

لو كنت من صخر أصم لهاله * من البديهة واغتدى يتفلق

لو كنت لينا فى البديهة خادرا * لرؤيت يا مسكين منى تفرق

وبديهة قد قلتها متنفسا * فعل الذى قد قلت يا ذا الاخرق

ثم وقف يعتذر ويقول ان

الدين غير ابن عبدون وكنت أود أن يكون شيخنا رحمه الله حيا ويرانى قد عززتهما بثالث وهو

أباه معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهذونى بجورهم

أبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر له من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران فى صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل فى الركن الواحد بحسن قولى فهذونى بجورهم وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر سطور الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة فى حلبته ولم يتعلق أحد منهم الا بأذيال الضرب الثانى وهو جناس الاشارة ويأتى الكلام عليه * ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوى قال هذا النوع عندى باطل ولم يتيسر له منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافته على الجناس وانواعه والذى يظهر لى انه عجز عن نظمه فانه قال فى غضون ذلك وقد استخرجت من شعر أبى الطيب المتنبى من الجناس المعنوى قوله

حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على أنه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوى الذى يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلى ونثرت نظم الترتيب الذى تقدم الا لتنحيه عن نظم الجناس المعنوى المضمر الركنين وميله الى جناس الاشارة لسهولة مأخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لتحوله عن النوع الذى عارض فيه الشيخ صفى الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثانى من المعنوى وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الاول وسبب وروده هذا النوع فى النظم أن الشاعر يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق فى الكلام المنثور والذى يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بنى ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشد الاباعر

ارادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذى يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل فى امرأته سلمى

انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذل الشاهق الرامى

فالكناية اللطيفة فى سميك لانها أشعرت ان الركن المضمر فى سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ومثله قول الآخر

هذا كما يجىء لا كما يجب
وقلت قبل الله عذرك لكنى
أرانك بين قواف مكروهة
وقافات خشنة كل قاف
كجبل قاف منها تتقاق
وتتشقق وتتدلق وتحرق
وتحرق وتطاق وتعلق
وتبرق وتشرق وأحق
واخرق الى أشياء لا أكثر
بها العدد فخذ الآن جزاء
عن قرضك وأداء القرضك
وقلت
مهلا أبا بكر فزندك اضيق * فاخرس فان أخاك حى يرزق
دعنى أعرك اذا سكت ملامة * فالقول يحمد فى ذويك ويعرق
واذا انك فشكات سوفيكم * تدع السرور وراءها لا تخرق
وانظر لا تشنع ما أقول وأدعى * أله الى اعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك خزية * جربت نار معرق هل تحرق
فلما أصابه حر الكلام
ومسه لفح هذا النظام

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولاشك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر يهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو غاية فى هذا النوع

وبدت لنا ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

اراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو الذى أوجب تأخيره عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر بضمر الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى اضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منها جناس الاشارة بين كافر وكافر غير أن الوزن ماعصى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو أراد ان يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر يضمر الاحسان فى عذل * ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين بن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدنى بعد أيام فى مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات مليكنا * فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كأبى الامين برأيه وبجده * أنى توجه وابن يحيى فى الندى

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيدة فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو للورى * تحريفه ويروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتورية التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما جناس الاشارة محررا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى ان يرى قراره من أعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها اهلا بعيش اخضر يتجدد وروى عاصيها بعد نار شوقه الكامل عن المبرد وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد ومطلع القصيد

خل النعامل فى حمى يبرين * فهوى حماة هو الذى يبرينى

قطع علينا فقال يا أحمق الا يجوز فان أحمق لا ينصرف فقلنا يا هذا الا انقطع فان عرك ان لم يكن عيبة عيب فابس بظرف ظرف ولو شئنا لقطعنا عليك ولوجد الطعن سبيلا اليك واما احمق فلا يزال ينصرفك انصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه أن للشاعر أن يرد مالا ينصرف الى الصرف كان له رأيه فى القصر والحذف وانشدناه حاضر الوقت من اشعار العرب فقال يجوز للعرب مالا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه المواقفة وكيف يسلم من هذه المصارفة لكنا قلنا أخبرنا عن بيتك الاول امدحت ام قدحت وزكيت أم جرحت ففيه شيئان متفاوتان ومعنيان

وأطع ولا تذكر مع العاذل حجى * مافى وراء النهر ما يرضينى
انا سائل والنهر فيها لذلى * ومع افتقارى نظرة تغنينى
والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين
والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين
والله ما انا آيس من قربها * بالله صدقنى وخذ بيمينى
فالطرف قد أبقى بقايا ادمع * وهناك اجريها برجع انينى
فاحذر ملامى عند فيض مدامعى * فالدمع دمعى والعيون عيونى
قالوا اسلى عن ثمار شطوطها * فاجبت لا والتين والزيتون
بالاثمرين على شريعتها الكم * فى ذاك دينكم ولى أنا دينى
فلنا على الاعراف من ريحانها * قصص أتت بتناسخ البشنين
وبسط شرعا بالنبا كم شرعت * اعوادها وتثقفت باللين
لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد * ألقته مضطربا شبيه طعين
وخيال ضوء الشمس فى تدويره * يحكى فم الطعنات فى التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها * ما للنبات مثل شرح عيونى
تلك المعالم والمعاهد بغيتى * بحماة لا الجيران من جيرون
كم قال دمع الصب اينهم على * تلك الرسوم بفضلهم يجرونى
يا نازلين حمى حماة نعمتم * فيها صباحا نوره يهدينى
قد كنت أنساها بقربكم وقد * صرتم بها فالصبر غير معينى
غبتم وهذا محضرى لى شاهد * بالعسر من صبرى وبالمضمون
وحللتم دار السعادة بالحمى * فبعدكم بالبعد لا تشقونى
ذنبى عظيم لانقطاعى عنكم * فلاجله فى مصر لا تبقونى
وتكونت نار اشتياقى فى الحشا * لفساد تكوينى فدع تكوينى
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا * فترفقوا بفؤادى المرهون
فعسى يزول ظلام بعدى عنكم * وارى ضياء القرب من شمين
ولرقة فيكم أظن بانكم * حنيتم طربا بالرجع حنينى
هذى غراميات صب ماله * أرب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح * فى البارزى فكل فوق دونى
ما القصد نخرى انما أنا عبده * فالشك أدفعه بحسن يقينى
الغصن نسقيه وغصن يراعه * يسقى الورى لكن أنا ينشينى
فالطرس وهو مطوق بيمينه * ينسى الواجع معرب التلحين
هو كامل فى فضله وعلومه * والله اعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وايام له * فهدى الزمان بطرة وجبين
يا صاحب البيت الذى عن وصفه * قد اعجمت شعراء هذا الحين

متباينان منها انك بدات
تخاطبت يا سيدى والثانية
أنك عطفت فقلت تنفاق
وهذه الاركان فى حلبة
ولا يخطان فى خطة ثم قلت
لهم حدوزنا من الشعر حتى
اسكت عليك فتستوفى من
القول حظك واسكت علينا
حتى نستوفى حظنا ثم انى
احفظ عليك انفاسك
واوافقك عليها او احفظ على
أنفاسى ووافقنى عليها فان
عجزت عن اختلافها حفظتها
لك فسألنى عنها بعد ذلك
وأخذنا بيت أبى الطيب
المتنبى
آها لا بدار سبالك اغيدها
أبعد ما بان عنك خردها
فقلت
يا نعمة لا تزال تجددها
ومنة لا تزال تكندها
فأخذ بخنق البيت قبل
تمامه ومضيق الشعر قبل

ان جاء نظمي قاصراً عن وصفه * عذراً فهذي نشطة الخمسين
ولم كبرت وبان عجزي انما * كانت مسرات اللقا تصبيني
وحجبتموني عن حماة وغبتموا * عني فهذا من فنون جنوني
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا * في مصر جارعويس والمتبني
برهان شوقي قد أقمت دليله * بسنا نجوت مع ضياء الدين
لازلتم بكمالكم في نعمة * مقرونة بالنصر والتمكين انتهى

(ذكر الاستطراد)

*(واستطردوا خيل صبري عنهم فكبت * وقصرت كليالينا بوصلهم)*

الاستطراد في اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه في الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفي الاصطلاح ان تكون في غرض من اغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام ٣ فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعد ما بالغ في الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثاني فقوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمي في حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحتري وذكر غيره ان البحتري نقلها عن أبي تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط او الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا او هجوا او وصفا وغالب وقوعه في الهجاء فمنه قوله تعالى في كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان أول شاهد ورد في هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموأل

وانا لقوم لانرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل في الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحرث هو أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحتري من قصيدة في

(الاستطراد)
نظامه فقال ما معنى تكندها فقلت يا هذا كند النعمة كفرها فرفع يديه ورأسه وقال معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد وانما الكنود القليل الخير فأقبلت الجماعة عليه يوسعونه برياً وفرياً ويتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقالت له أليس الشرط أملك والعهد بيننا ان تسكت ونسكت حتى تتم ونتم ثم نبحث ونفحص فنبذ الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينفض فيه جده

٣ قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

وصف فرس

كالهيكل المبنىّ الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملأ العيون فان بدا أعطيته * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ماان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومنه قول أحمد بن يحيى البلاذرى يرثى أبا تمام

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدار عنه بكيد
لم يحمه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقوة أيد
قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن أخاف قرابة ابن حميد

ما أحسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول أبى محمد بن مكدم وهو غاية فى هذا الباب

وابل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى اولق فيه اعوجاج كانه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الابل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش * ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما ابلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * واصيتى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجل * ابرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين حميد
علت بماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمر اطبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما ابقت الأنواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بألطف كناية والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو أم الفرزدق

لها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله

وكأنى اقرا بحرف ابي عمرو على القوم سورة الانعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

جهده وأفضى الى السنه يغرف علينا غرفا ويشتق من جرفه جرفا فقلت إن هذا ان الادب غير سوء الادب والمناظرة حضرنا الا المنافرة فان نفضت عن هذا السخف يدك وثنيت عن هذا السفه قصدك والا تركت مكانك ولو كان كان فى باب الاستخفاف شئ أعظم من الاحتقار وانكارا بلغ من ترك الانكار لبلغته منك فاخذ يمشى على غلوائه ويمعن فى هرائه وهذائه فاستندت الى المسند ووضعت اليد على اليد وقلت أستغفر الله من مقالتك ونفضتها قائمة معه وسكت حتى عرف

ولقد اردت ان استطرد هنا الى ذكر ما وقع لى وللمتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم اجد أبدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه اعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كأن آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد ٢ بتقديم اداة التشبيه فى اول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح أن يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وما خرج أحد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

لنا روضة بالدار صبغ لزهرها * فلا ندمن حلى الندى وشنوف

* يمر بنا فيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى اول البيت ما يتوصل به الى آخره اه ومثل هذا الايراد قول ابن جانك الحلبى وهو أظرف ما رأيت فى هذا الباب حكى أنه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز وأستحى أن اقول انه رطلان فتوجه ابن جانك يوما الى بستان بناض فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت ابوابها

والبان تحسبها سنانير رأت * قاضى القضاة فنفشت اذنابها

فاستطراده من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وما شك احد من اهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع وانا بالاشواق الى رؤيتها ٣ ومن استطرادات ابى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وام اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا اشعار الاريب الفريد ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانها امة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها لم يخط خاطر احد بمثلها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا انتهى قول الشيخ جمال الدين واستطراده الموعود بذكره

قوله

نفديك امى وابى * وابنى وان كان صبى

يا من الى سحيقا * وجدته منقلبى

يا من مديح غيره * عندى عزيز المطلب

لحية من يشنأنى * حال رضا او غضب

من عين من بطابها * بالليل فى استى تختبى

الناس وايقن الجلاس انى املك من نفسى ما لا يملكه وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ثم عطفت عليه وقلت يا ابا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى اضعاف ما عجبوا من علمى وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن ان يعلموا ان هذا السكوت ليس عن عى وأن تكلفى للسفه اشد استمرارا من طبعك وغربى فى السخف امتن عودا من نبعك وستقرع باب السخف معك ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم

٢ قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

٣ قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتدأه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ السلم من هذا

وامه ام الشكو * لذي استها والريب
ذات حر أوسع من * شارع باب اللعب
وشعرة غليظة * ذات نبات اشيب
قدشاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تنفت منها طاقة * بشدة او تعب
فاذ كان انها * لحية بن الحلبي

ومنها في الاسطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن اخيه ويشكر ذلك ويعقد الأيمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شرا * ع المضرب المطنب
صعدت من عليها * بالليل فوق مرقب
حتى رأيت ابن اخي * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة

حتى متى أفديك ياستي * بذف قطن استك دقاستي
متى ارى مرمك منهدما * وخصيتي تهزمن تحتي
قالت بهذا الاير واسخفرت * وكان قد نام على بختي
قلت نعم هذا على مابه * قد ضرط البخت فما انت *
هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا نمت
فلو رأيته على بيضه * مثل ابي منصور في الدست
خريت بالطول على عارضي * صاحب ديواني او بلت
* يا أيها الاستاذ يامن به * يمي كما أملته وقتي
خذ بيدي اني في محنة * زلقت فيها في خرا تحتي

وأما قول القاضي الفاضل في هذا الباب على طريقته الفاضلة فانه عجيب وهو

لي عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادي المرهون
فكاني الف ولام في اهوى * وكان موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

مربت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر خالد

وغاية الغايات في هذا الباب قول عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

انظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخم الحماسة وبديع الافتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفي الدين الحلي وبيت العميان

قد افصح الضب تصديقا لبعثته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

الآن فقال لي انا قد كتبت بهذا العقل ديه أهل همذان مع قلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته فقلت أما قولك دية أهل همذان فما اولاني أن لا أجيب عنه لكن هذا الذي تمدح به وتبجح وتتشرف وتتصلف من انك شحذت فاخذت وسألت فصلت واجتديت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله ولأن يقال للرجل يا فاعل يا صانع احب اليه من ان يقال يا شحاذ ويا مكدي وقد صدقت انت في هذه الحلبة اسبق وفي هذه الحرفة اعرق ولعمرك انك اشحذ وانك في الكدية انفذ وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمد اليد في هذه الرقعة فأما مالك فعندنا يهودي يماثلك في مذهبه ويزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفني الا بعين الرهبة ولا يمد الى الأيد الرغبة ولو كان حظا لأخطأه مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما ادركت بهذا السعي ولكن عرفني هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من اسنانك الا هاربا بذمائك مضرجا بدمائك مرتهنا بقولك بين وجنة

وهذا البيت على طريق الشيخ صفي الدين الحلي فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثاني وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل السحب فضل العرب للعجم

الذي اقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله أحرز قصبات السبق بما استطرده هنا على الشيخ صفي الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة ونظم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتي

واستطردوا خيل شوقي عنهم فكبت * وقصرت كلما ابنا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تأهيل غريبه انتهى

(ذكر الاستعارة)

(وكان غرس التمني يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم افضل من المجاز وهي اخص منه اذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز وموقعها في الاذواق السليمة ابلغ وليس في انواع البديع اعجب منها اذا وقعت في مواقعها وللناس فيها اختلاف كثير وأما اصحاب المعاني والبيان فانهم اطلقوا فيها اعنة اقلامهم وجالوا بها في ميادين البحوث وليس الغرض هنا الا نفس الاستطراد الى ما وقع فيها من المحاسن نظما ونثرا بعد تقريبها الى الاذهان بحدود يزول بها الالتباس * حد الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال تفسير هذه الجملة قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع في اصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولابد ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها ولا يخفى على اهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ابلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولابد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى * ومنهم من قال هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جني ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهي حقيقة وكلام ابن جني حسن في موضعه فان الشيء اذا اعطي وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها كقول النبي صلى الله عليه وسلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعاره صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هي استعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول قال فخر الدين الرازي هي جعلك الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه وقال ابن ابي الاصبع في تحرير التحبير هي نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة في التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيد اسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لكن الاسد راجح في الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت في تشبيه زيد بالاسد واحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة

موشومه وجوارح موشومه ودار مهدومه وخدود ملطومه ومتى صفت مشارعك او اخصبت مرابعك الا في هذه الايام القذرة وستعرف غدك من بعد وتنكر أمسك وتعلم قدرك في غدوتعرف نفسك وما أضيع وقتا انطقته بذكرك واسانا دنسته باسمك وملت الى القوال فقلت أسمعنا خيرا فدفع القوال وغنى ابياتا منها

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال ابو بكر احسن ما في الامر اني احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها فقلت يا عافاك الله اعرفها وان انشدتكها ساءك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال انشد فقلت انشد ولكن روايتي تخالف هذه الرواية وأنشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا الوشم في الوجه الصفيق

الا اذا كان التشبيه مقررا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما احسن قول ذي الرمة هنا

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى * وكف الثريا في ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة واخرج لفظه مخرج التشبيه وكان ابو عمرو بن العلاء لا يرى ان لاحد مثل هذه الاستعارة واحسن الاستعارات ماقرب منها دون مابعد واعظمها في هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من اشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريرى فى مقاماته بقوله الى أن عطس انف الصباح وقد تقدم ان بعد الاستعارة يعد من القلوب عند أهل الذوق كقول ابى نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فاى شئ ابعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح ويبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل اسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدى

قال ابن رشيق فى العمدة ما اقبح رجل البين واهجن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من انقد النقاد

* كل يوم يبول زب السحاب *

واين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم فى قوله

حتى اذا نهر الاباطح والثرى * نظرت اليه باعين النوار

فنظر اعين النوار من اشبه الاستعارات وأليقها وأقربها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن عربه كانه ناظر اليه ويعجبنى هنا قول القائل ولم يلحق فيما قاله

مجرة جدول وسماء آس * وانجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كاس * وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات فى هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذى اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هى المقدمة فى هذا الباب وليس فوق رتبتها فى البديع رتبة واعلاها واغلاها قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهى لفظ الشراء رشحت الثانية وهى لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح امن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التى هى لفظ الجناح رشحت الثانية وهو لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الامن والخوف والصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما احلى قول بعض العرب فيما اجعلنا رماحنا ارشية الموت فاستقينا بها ارواح العدا ومثله قول الشاعر

سلامة بن نجاح * يجدث الراح

فاتته السكنة واضجرته المكنة وانطفأت تلك الوقدة وانحلت تلك العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولاشتمنك وان شتمت ولتعلمن نبأه بعد حين ولتعلمن ابنا الضارب وابنا المضروب وقلت يا ابا بكر مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تخططها من عمرك وثلاثة احوال لم تتعدها فى امرك وانت فى جميع الثلاثة ظالم فى وعيدك متعد فى تهديدك لانك كهل وانت شاعر وكنت شابا وأنت مقامر وكنت صبيا وانت مؤاجر فنطاق القدرة فى الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد لكانه فعلك الآن وتضربنا فيما بعد فقد قيل اليوم قصف وغدا خسف وقيل اليوم خمر وغدا امر فقال ابو بكر والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة اصفعت فقلت والله لوان فقالك

اذا تغنى زمرنا * عليه بالاقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا و بين قوله فى الكافات

قبل ما اعددت للبر * دفقه دجا بشده

قات دراعة عرى * تحتها جبة رعده

والذى يتشاهنا قول القائل

والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما الطف قول ابى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما *

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة * باعطافها نورا لمنى يتفتح

تضاحك فى مر المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح

وتورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى ببدائع البداية اجتمعت انا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز * طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال وجاء مبلول الجناح بالمطر * وما ابدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * باضعف من طرف المريب وافترا

وصفرة مسوالك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس احمرا

وممن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال

لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة ابو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس اضحى * بعد ماسال يجفف *

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كيف السبيل لان اقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

غدا فى درج فى خرج فى برج لاخذ ذلك من النعال ما قدم وما حدث وشملك من الصفع ما طاب وخبث وانشدت قول ابن الربيعى

ان كان شيخا سفيها
يفوق كل سفيه
فقد اصاب شبيها
له وفوق الشبيه

ثم لما آبت نفس العقل وزال سكر الغيظ تمثلت بقول القائل

وانزلنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت امرأ لااشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ودفع القوال فبدأ بأبيات ولحن باصوات وجعل النعاس يثنى الرؤس ويمنع الجلوس فقمنا عن الليل وهو بحر مائل الذقن الى ما وطأ من مضجع ومهد من مهجع ولم يكن النوم مل الجفون ولا شغل العيون حتى اقبل وفد الصباح وجعل المؤذن

لما ادعى المنثور أن الوردلا * يزقى وأن بصلى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لوأنها * كانت تعض أصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان فضله لايدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيي الدين بن قرناص الحموى

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الأغصان

وقال البدر الذهبي واجاد

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومثله قول ابن عمار

ياليلة بتنا بها * فى ظل اكناف النعيم
من فوق اكمام الريا * ض وتحت اذيال النسيم

واما مطلع قصيد ابن النبيه فى هذا الباب فانه ابهى من مطالع الاقمار * وديباجة الاستعارة من حلبه تستعار * وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسى

* وطرة ظل فوق وجه غدير *

ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر فى قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلى فى هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما احلى قول القاضى السعيد بن سنا الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فبها تغطى ضوء وجه نهارهم

واحلى منه قوله

سرى طيفه لابل سرى لى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
اتت مع نقس الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد أتانى كتابه

وقال من غيرها بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما احلى تكميله بقوله * ولابد دون الشهد من ابر النحل ومثله قوله

الق حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبى بأشراك من الشعر

واحلى منه قوله

خصر اديرعليه معصم قبلة * فكأن تقبلى له تعنيق

وغاية

بالفلاح وندب الى النهوض
بالفروض فاجبنا فلما قضينا
الفرض فارقنا الارض
وأوى الى ام مثواه واويت
الى الحجرة وظنى ان هذا
الفاضل ياكل يده ندما ويبكى
على ماجرى دمعا ودما فانه
اذا سمع بحديث هذان
قال الهاء هم والميم موت
والذال ذل والالف آفة
والنون ندامة وانه اذا نام
هاله مناطيف واذا انتبه
راعه مناسيف واخذ
الناس يترامزون بماجرى
ويتغامزون وراب هذا
الفاضل غمزاتهم مثل ماراب
المريض تغامز العواد
فجعل يحلف للناس بالعتق
وتحرير الرق والمكتوب فى
الرق انه اخذ قصب السبق
وانه ينطق عن الحق والناس
اكياس لايقنعهم عن المدعى
يمين دون شاهدين وسعوا
بيننا بالصلح يحكمون قواعده
ومعاقده وعرفناه فضل
السن فقصدناه معتذرين

وغاية الغايات قوله

بعثت لى على فم الطيف قبله * فأتانى بعض المسرة جله

ومن الاستعارات الحسنة فى هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

حيا الثنايا تربة الهادى الرسول حيا * ينطق الرعد بادمن فم السحب

وظريف هذا قول ابن قلاقس

هدتنا للسرور نجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم

وكف الصبح تلقط ما تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف فى هذا الباب قول ابى الحسن العقيلى

لنا اخ يحسن ان يحسنا * رضاه للجانين عذب الجنى

قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى

اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

ويعجبنى فى الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلى من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه اتى فيها فى بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق واياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا اراضيها

ومن اغرب الاستعارات وأبدعها واحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لى ان انثر فى حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور واورد منه ما يزهو بورده على روضات الزهور كقول القائل وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور ونجوم نار فى غلائل نور الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق فى فحمة الظلماء ومثله قول على بن ظافر الحداد فى دوح انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور ازهاره وذر كافور رمانه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار انامل غصونه وقال آخر وأجاد وقد عرق بالندا جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق ولقد حاز القاضى الفاضل قصبات السبق فى هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عمشت مقلة السراج وشابت لمة الدواة وخرس لسان القلم وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق وما احلى قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها وقال جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق وقدود الاغصان قد راسلت اهواء القلوب بالاوراق وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق والورد قد احرخده الوسيم وفك ازراره من اجياد القضب انامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه لاخذ البيعة على

اليه فاومأ ايماءة مهيضة واهتز اهتزازة مغيضة واشار اشارة مريضة بكف سحبها على الهواء سحبا وبسطها فى الجو بسطا وعلمنا أن للمقمور ان يستخف ويستهين وللقامر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكدر صفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك فى خلق فى العشرة نستأنفها وطرق فى الخلطة نسلكها فان ثمرة الخلاف ما قد بلوتها فقال ظهر الوفاق انطا كما ذكرت والجميل اجمل كما علمت وسنشترك هذا العنان وعرض علينا الاقامة عنده صحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر والح فقلت انت وذاك فطعمنا عنده واخذنا دندان مزده وخرجنا والنية على الجميل موفورة وبقعة الود معمورة وصرنا لا نتعارف الا بعده ولا ننتقل الا بذكره ولا نعتقد الا ودّه لا بل

الازهار بالتقديم ومما كتبته فى البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة مامن الله به من الفتح الذى صار له فى الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولى عند حصار قلعة طرسوس وفتحها ورأوا ألسن السهام فى افواه تلك المرامى فقالوا رأينا المصائب ناطقة وماروا على سماء برج نجوم ستائر الامعت فيها من بوارق نقوطها بارقة وحكم عليهم القضاء بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع هذا بعد ماصفق مقابلهم جماد وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وقولى فى الاستعارة المرشحة أيضا عند حصار قلعة درندة وفتحها وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وقرعناسن حجرها ابنيابات المدافع وكسرنا منه الثنية وامست حلق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستوية ومثله قولى عند حصار قلعة كختار وفتحها على لسان حال القلعة فى سموها وافراط علوها فانا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وودت نار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سموفرعها تمسكت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم واميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم وغاية الغايات فى هذا الباب قولى عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكرادكركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست انوف مراميها باصوات مدافعنا وكان بها زكام ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولى فلا بكر قلعة الا افتضينا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب انتهى ولم احبس عنان القلم عن الاستطراد الى ماوقع لى من محاسن الاستعارة نظما الا للتخفيف عن بيت البديعية وقلت تكفيه المزاحمة فى مناظرة الشيخ صفى الدين الحلى ومبارزة الشيخ عزالدين الموصلى رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله فى بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان

يقول صحبى وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفى الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عزالدين صالح للتجريد وهو

دع العاصى فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من ازواجها العقم

اقول ولو بلغت ماعسى ان يكون ان فى قوله من ازواجها العقم مايرعب السامع وبيت بديعيتى

وكان غرس التمنى بانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت بيانع واما قولى بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما اعده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع

ملأنا البلاد شكرا والاسماع نشرا وبتنا نحن من الحال فى اعذبها شرعة ومن النعمة فى اطيبها جرعة ومن الظنون فى املحها فرعة ومن المودة فى اعزها بقعة واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان متحملان لمقالته مؤديان لرسالته ذاكران ان ابابكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت الآثار فى أنك قهرت وانى قهرت ولا أشك ان ذلك التواتر عنك صدرت اوائله والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل ولابد ان نجتمع فى مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بشهد الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتى او تقر بعجزك وقصورك عن بلوغ امدى وما أبدى فعجبت كل العجب مما سمعت واجبته فقلت اماقولك قد تواتر الخبر بانك قهرت وان ذلك عن جهتى صدر

الذى هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشى على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع مورى به من جنس الغزل انتهى

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين منى وهى جارية * وقد سمحت بها أيام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة واما فى الاصطلاح فقد اختلفت العبارات فى ذلك على طريقين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد باحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفى الدين الحلى والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى فى المصباح وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتى بلفظين يفهم من احدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام مايؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله فى مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم فى أحد مفهوميه فى الظاهر مع لمح الآخر فى الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن ان يأتى المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير وأعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى اجل ويمحو فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثناياك

فان لفظة نباتى يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتى بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتى بذكر النظم والدر والعقد وليس فى جانب من المفهومين من اشكال وأما شاهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو

(الاستخدام)

ومن لسانى سمع فبالله ما امتدح بقهرك ولا أتبجح بقصرك وان لنفسك عندك شأنا ان ظننتنى أقف هذا الموقف أمان شاء الله تعالى أبعد مرتقى همة وصعد نفس أسأل الله ستراتبتد ووجها لا يبرد فاما التواتر من الناس والتظاهر على انى قهرتك فلو وردت على الناس لطت افواههم ولقبضت شفاههم فالحيلة وهل الى ذلك سبيل فاتوسل أم ذريعة فاتوصل ثم هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر مع ذلك التساتر فان كان قد ساءك فاحرى ان يسوءك عند مجتمع الناس ومحتفل أولى الفضل ولان يترك الامر مختلفا فيه خير لك من ان يتفق عليه وان احببت ان نطير هذا الواقع ونحج هذا الساكن فرأيك موفقا فاما هذا الوعيد فقد عرضته

النبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا به عن قول البحترى وهو

فسقى الغضى والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل احدمعنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفى الدين رحمه الله لم يستطرد فى شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رأيته فى شرحه قد أورد على بيت البحترى نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا فى اشتراك لفظة الغضى فانه ليس باصلى لان أحد المعنيين منقول من الآخر والغضى فى الحقيقة الشجر وسموا الوادى غضى لكثرة نبته فيه وقالوا جمر الغضى لقوة ناره فكل منقول من أصل واحد ولم يرد فى كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول أبى العلاء

قصد الدهر من ابى حمزة الاواب مولى حجى وخدن اقتصاد

وفقيها افكاره شدن للنعـ * ـمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا اباحنيفة رضى الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشرى صنف كتابا فى مناقب أبى حنيفة سماه شقائق النعمان فى حقائق النعمان وأما أبو العلاء فانه أراد بلفظ النعمان اباحنيفة وأراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هنا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم أبا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير فى الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحترى فى شبوه فهذا الضمير عائد على الغضى وهذا جعل الضمير فى يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التى هى النعمان فصار طيب الذكر الذى يشده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهم الا ان يكون التقدير مالم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما أحلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلى وهو

وللغزالة شئ من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع أعنى الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشر وطه لصعوبة مسلكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما أوردناه من النقد على بيتى البحترى وأبى العلاء وهو أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا فى الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام الذى تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامى المرام

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من نحو البلاغة نحوه فى الخطاب ويجرى

على جوانحى اجمع وجوارحى كلها فلم تنشد الامثال القائل وعيد تخرج الآرام منه وتكرمه بة الغنم الذئاب فكم تسكوكب تلامذتك وتعسكرون ويجيش أصحابك ويتجرفون والت ارالة الابين تنتين احداهما (تروح الى اتى وتغدو الى طفل) والاخرى تجيب دعوة المضطر اذا دعاك بملفات فان كان الله قضى أن القتل بأخس السلاح فلا مفر من القدر المتاح رزقنا الله عقلا به نعيش ونعوذ بالله من رأى بنا يطيش وقال من بعدان رسالتك هذه وردت موردا لم نحتسبه ووصلت موقفا لم نرتقبه فلذلك خرج الجواب عن البصل نوما وعن البخل لوما فلما ورد الجواب عليه وسع من الغيظ فوق طاقته وحمل من الحقد فوق عبئه وقال قد بلغ السيل الزبا وعلت

ربحها بأمره رخاء حيث أصاب على ان المتقدمين ماقصدوه جملة كافيه ولا
شعروا به لما شعروا انه دخل معهم فى بيت تحت قفل قافيه وأما المولدون من
الشعراء كالفرزدق وجرير ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد أحد
منهم ورد هذا الغدير وأما الذين تفقهوا من بعدهم فى الادب وتنبهوا لتخال طرقه
بالطلب فربما قصدوا بعض أنواع البديع فجادت اذ جاءت وفاتت مرة أخرى وأخرى
فاتت وقد قصد ابو تمام كثيرا من الجناس وفتح أبوابه وشرع طرقه للناس وأما التورية
والاستخدام فما تنبه لمحاسنهما وتيقظ وتحرى وتحرر وتحفظ الا من تأخر من
الشعراء والكتاب وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب واظن ان القاضى الفاضل رحمه
الله تعالى هو الذى ذلل منهما الصعاب وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب حتى
ارتشف هذه السلافة أهل عصره وأصحابه الذين نزلوا بربوع مصره وخفقت رياحهم
بالاخلاص فى نصره كالقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك ومن انخرط معه فى هذا
السلك ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج فى ذلك الأوان ومن جاء بعدهم من
التابعين باحسان الى ان جاء بعدهم حلبة اخرى وزمرة تترى فكلهم يرمون فى هذا
الاحسان عن قوس واحده وينفقون من مادة هى فى الجود معن بن زائده ويصلون
المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائده وغالب شعرهم على هذا النمط وا كثره
دررا سماع متى تلتقى تلتقط كابى الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامى والحكيم
شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فهؤلاء هم الفحول الذين جدوا
بعد القاضى الفاضل الى هذه الغايه ورفعوا راية هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك
الرايه تسابقوا جيادا والديار المصرية لهم حلبه وتلاحقوا أفرادا وهم فى شرف هذا
الفن من هذه النسبه وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم ولان
فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم كل ناظم تود الشعرى
لو كانت له شعرا ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا منهم شرف الدين
عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ
الذهبى ومحيى الدين بن قرناص وشمس الدين بن محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان
الشيخ صلاح الدين قال فى آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرنى ذكرهم عند
شعرهم ويعز على ان لم ارهم على تكاثرهم اذوات عصرهم وكانى بقائل يقول لقد أفرطت
فى التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطن باطل وعدوان
وحمية لاوطانك وماجاورها من البلدان فالجواب ان الكلام فى التورية والاستخدام
لاغير ومن هنا تقطع المادة فى السير ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان فالمقياس بيننا
والشقراء والميدان وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق وقال
انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق فانهم قوم جبلت طباعهم على
اللطافه وطبعت جبلاتهم على الكيس والظرافه انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى
قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباتة فاينع فرعه النباتى بغضه

الوهاد الربانى أمرك وسترى
فى يومك وتعرف فى قومك
ثم مضت على ذلك أيام ونحن
منتظرون لفاصل ينشط
لهذا الفصل وينظر بيننا
بالعدل فاتفقت الآراء
على أن يعقد هذا المجلس فى
دار الشيخ أبى القاسم الوزير
واستدعيت فسرحت
الطرف من ذلك السيد فى
عالم افرغ فى عالم وملك فى
درع ملك ورجل نظم الى
التنبل تبذلا والى الترفع
تواضعا ونطق فودت
الاعضاء لو انها اسماع
مصغيه واستمع فتمنت
الجوارح لو أنها السن
ناطقه فقلت الحمد لله أن
عقد هذا المجلس فى دار من
يفرق بين من يحق
ومن يزرق وكنت أول من
حضر وانتظرت مليا حضور
من ينظر وقدوم من يناظر
وطلع الامام أبو الطيب
وأخذ من المجلس موضعه

ووريقه واستعبد التوريه والاستخدام فى سوق رقيقه فمن استخدامانه ما أرانا من استخدام البحترى عيب الوليد وقلنا بعده فى استخدام أبى العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الخمس فى ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه اخضر

نظر أيها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثانى وسيلان الرقة لذا القطر النباتى والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه والغزل الذى يليق ان تصدر به المدائح النبويه ولعمرى انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا ولو دعى الى عروس الافراح زاده افراحا وهذه القصيدة التى ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها اغرر فى جباه القصائد ولانواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد منها

سقى الله اكناف الغضى سائل الحيا * وان كنت اسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا أسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتادقلبى حسرة حين أحسر
وينكرنى ليلى وما خلت انه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومنها

وغيداء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن فى لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
خليلى كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ومنها فى وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمى على البيد يجسر
طوت بذراعى وخدها شقة الفلا * وكف الثريا فى دجى الليل يشبر
ومد جناحى ظلها الف الضحى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترمى الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * لوشك السرى حرف لدى الندمضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباتة جماعة نسجوا على منواله فى عصره لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاسة قطره وهذا الشرح هو جامعهم الكبير واذا ذكرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس له فيهم نظير نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد ابيات البديعيات فيه فبيت صفى الدين قوله

والامام أبو الطيب نفسه أمة ووحده عالم ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والامامة وعامر ارض الوحى والمحتبى بفناء النبوة والضارب فى الادب بعرقه وفى النطق بصدقه وفى الانصاف بحسن خلقه فجثم الى المجلس قدم سبقه وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لامر كان قدموه عليه وحديث كان شبه لديه وفطنت لذلك فقلت أيها السيد أنا اذا سار غيرى فى التشيع برجلين طرت بجناحين واذا مت سواى فى موالاة أهل البيت بلمعة دالة توسلت بغرة لائحة فان كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ثم ان لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد تطمت حاشيتى البر والبحر وركبت الافواه ووردت

من كل ابلج وارى الزند يوم قرى * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

وبيت العميان

ان الغضى لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم

أقول لو عاش البحترى ماصبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم أخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمعوا * واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمعوا فى غاية الحسن فانه أتى بالاستخدام وعود الضمير فى شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه فى العين الناظرة وعين المال وأما قوله فى الشطر الثانى واستخدموها من الاعدا فلم تنم ما اعلم ما المراد به فان الاستخدام فى العين التى هى الجارحة قد تقدم والذى يظهر لى ان اضطراره الى تسمية النوع الجأه الى ذلك وبيت بديعيتى

واستخدموا العين منى فهى جارية * وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية فى جارية بعد استخدموها لم يوجد فى سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن لقافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على أهل الذوق السليم فان قافية مصطلم فى بيت صفى الدين تمجه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام

(ذكر الهزل الذى يراد به الجد)

*(والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبردانت بالديم)*

قال صاحب التلخيص ومنه يعنى فن البديع الهزل الذى يراد به الجد كقوله

اذا ما تميمى أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذى يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وابى دلامة وأبى العيناء ومزيد ومن سلك مسلكهم كما حكى عن اشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى فيحوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدى فقال فى اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدى بعد ان ذبح وشوى اطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذى يراد به الجد ما أنشده ابن المعتز من قول أبى العتاهية

ارقيك ارقيك بسم الله أرقيكا * من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ماسلم كفك الامن يناولها * ولا عدوك الامن يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس وقوله ابلغ ما سمع فيه والطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بان الفتى يهذى وليس بفعال

قال زكى الدين بن أبى الاصبع ما رأيت احسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع أعنى الهزل الذى يراد به الجد ما سبكه فى قوالبه الامن لطفت ذاته وكان له ملكة فى هذا الفن وحسن تصرف ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب انه حصل لى

(الهزل الذى يراد به الجد)

المياه وسارت فى البلاد ولم تسر بزاد وطارت فى الآفاق ولم تسر على ساق ولكنى أتسوق بها لديكم ولا أتنفق بها عليكم وللآخرة قلتها لا للحاضرة والدين ادخرتها لا للدنيا فقال أنشدنى بعضها فقلت بالمة ضرب الزما

ن على معرسها خيامه

لله در لك من خزا

مى روضه عادت ثغامه

لرزية قامت بها

للدين اشراط القيامه

لمضرج بدم النبو

ة ضارب بيد الامامه

متقسم بظبا السيو

ف مجرع منها حمامه

منع الورود وماؤه

منه على طرف الثمامه

نصب ابن هند رأسه

فوق الورى نصب العلامه

بالديار المصرية بحرب أشرفت منه على التلف فوصف لى الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود فى تلك الايام فبلغنى انه أهدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاى عاقبنى الزمان بحربة * وقد انقطعت بجسمى المسلوخ
وعميت من حزنى على ماتم لى * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت فى أحسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولى

جاء الشتاء فرأسى * والجسم صار اشماته
بطيلسان ابن حرب * وفروة ابن نباته

ففى طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع مافيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذى تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها الشارة الى قوله

زرقة جسمى وبياض ثلجها * سنجابى الابلق فى فصل الشتا

ومثله قولى

وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشا
يضحك سنى للغدا عنده * ٢ لكننى اقلع ضرسى للعشا

نبه على الهزل الذى يراد به الجد زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب على ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذى يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

اشبعت نفسك من ذمى فهاضك ما * تلقى وا كثر موت الناس بالتخم

فقوله وا كثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط فى أ كل شئ ويخص به نفسه وبيت العميان

قل للصباح اذا مالاح نورهم * ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر فى بيت العميان هزلا يراد به الجد والله اعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

هزل اريد به جد عتابك لى * كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعنى الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتى

والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبرد انت بالديم

انظر ايها المتأمل هنا بنور الله تعالى فان الهزل الذى يراد به الجد انا ما التزم تسميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف افرغت هذا النوع الغريب فى أحسن القوالب واغرب المعانى فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطنى بذلك مهازلا ويقول لى تبرد أنت بهذه الديم

(ذكر المقابلة)

*(قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فيا حربى لغيظهم)*

ومقبل كان النبى * بلثمه يشفى غرامه
قرع ابن هند بالقضيب * عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه * وصب بالفضلات جامه
والدين ابلج ساطع * والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولى الكتا * ب قفاه والدنيا امامه
ليضرسن يد الندا * مة حين لا تغنى الندامه
وليدركن على الغرا * مة سوء عاقبة الغرامه
وحمى اباح بنو أمية * عن طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بد * ر واستبدوا بالزعامه
لعنوا أمير المؤمنين * بمثل اعلان الاقامه

٢ قوله لكننى الخ كذا بالاصل وفيه ان هذا رجز والشعر سريع اه

(المقابلة)

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة أعم من المطابقة وهى التنظير
بين شيئين فاكثر و بين ما يخالف وما يوافق فبقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة
فان التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن ابى الاصبع فانه قال
صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ما ينبغى فاذا أتى باشياء فى صدر
كلامه أتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثانى بالثانى
لا يخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد
تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما ان
المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة اضداد
ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة
فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد والمقابلة
بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا ومن معجزات هذا
الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله فانظر الى مجئ الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز
الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فالتزم
الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء
الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة
وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس
واضافة الظرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب
ويتقى أسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ
الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية
عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة
عنها الى الفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه
سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث
قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من انواع البديع المقابلة
والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق
فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا اعناق بعضه باعناق بعض ثم أخبرنا بالخبر الصادق ان جميع
ما عدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف
بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر
كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة انتهى ومن أمثلة صحة
المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شئ الا زانه ولا
كان الخرق فى شئ الا شانه فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين باحسن ترتيب
وأتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر

لم لا تخزى باسما
ولم ترمى باغمامه
لم لا تزولى يا جبا
ل ولم تشولى يا نعامه
يا امة صارت على
اعناقهم طوق الحمامه
ان العمامة لم تكن
لائيم ما تحت الغمامه
من سبط هند وابنها
دون البتول ولا كرامه
يا عين جودى للبقيـ
ـع وذرعى بدم رغامه
جودى بذخور الدمو
ع وراسلى بدرا نتظامه
جودى بمشهد كربلا
فوفرى حق ذمامه
جودى بمكنون الدمو
ع اجدعا جادا بن مامه
فلما أنشدت ما انشدت
وسردت ما سردت وكشف
له الحال فيما اعتقدت
انحلت له العقدة وصار سلما
يوسعنا حلما وحضر بعد
ذلك الشيخ أبو عمر البسطامى
وناهيك من حاكم يفصل
وناظر بعدل يسمع فيفهم
ويقول فيعلم ثم حضر بعد

ومنه وهو ظريف فى مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا أمير المؤمنين لا أجمد فى حق ولا أذم فى باطل ومنه فى النظم قول النابغة

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الحلى

ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

واخبرنى مولانا قاضى القضاة الشافعى نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودى يطوف بالحناء والصابون على رأسه ويقول معى حناء اخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل ابادلامة عن أشعر بيت فى المقابلة فانشده

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح وبين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن أبى الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة أربعة باربعة قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله واستغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة أربعة باربعة قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى وصيته عند الموت هذا ما اوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها واول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل أولا بآخر والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت ابلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لعثمان بن عفان رضى الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت واوردوا لابى الطيب فى مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بى ولى فيه نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبى دلامة المتقدم على بيت ابى الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذى ذكره مختص بالرجل وبغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكى الدين بن أبى الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية افاد بها معنى زائدا بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت ابى دلامة افضل من بيت المتنبى لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبى بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل وهو مذهب السكاكى فانه قال المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين فاكثر ثم اذا شرطت هناك شيأ شرطت هنا ضده انتهى وبيت المتنبى افضل بالكثرة عند غير السكاكى وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد واسلم من بيت ابى الطيب فى التركيب ما اورده الصاحب

ذلك القاضى أبو نصر والادب ادنى فضائله وأيسر فواضله والعدل شيمة من شيمه والصدق مقتضى همه وحضر بعده الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك أيده الله وهو الرجل الذى يحميه لا لاؤه ولوذعيته من ان يدال بين أو من الرجل وهو الفاضل الذى يخطب فى حبل الكتابة ماشاء ويركض فى حلبة العلم ما اراد وحضر بعده أبو القاسم بن حبيب وله فى الادب عينه وفراره وفى العلم شعلته وناره وحضر بعده الفقيه أبو الهيثم ورائد الفضل يقدمه وقائد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ أبو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام أبى

قوله مختص بالرجل الخ صوابه غير مختص بالرجل

شرف الدين مستوفى اربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

و بيت صفى الدين الحلى

كان الرضا بدنوى من خواطرهم * فصار سخطى لبعدى عن جوارهم

فقابل الرضا بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذاقلنا ان من ضدّ عن سلم له أربعة بأربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى ان المقابلة تجوز بالاضداد و بغيرها و بيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان أمكن من بيت صفى الدين فى المقابلة لانهم قابلوا واطئا بطائر لان الواطئ هو الماشى على الارض والطائر السائر فى الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم وانظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهى القافية التى لا يمكن أمكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم فى بيت صفى الدين وما بينهما من المباينة غير ان ثقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق و بيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمى

قابل بين ليل وصبح وشباب ومشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهى مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمى فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يوهلها المقابلة ضدّ ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب و بيت بديعيتى

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فواحربى لغيظهم

قد تقرران الشيخ عز الدين لم يأت بلفظة قابله فى بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف أتيت بلفظة قابلتهم فى أول البيت وقابلتها فى الشطر الآخر بلفظة ولوا ومقابلة بقية الاضداد من الرضا والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكين القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهى جارية فى عدد المقابلات كانت من اعلى رتب هذا النوع كما تقدم فى بيت المتنبى و بيت أبى دلامة وقافية العميان منتظمة فى هذا العقد بخلاف بيت صفى الدين و بيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

*(وما أرونى التفاتا عند نفرتهم * وانت بالظبى أدرى بالتفاتهم)*

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم آخذا فى معنى فيعترضه اما شك فيه اوظن ان رادا يرده عليه أوسائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلى الشك أو يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة * ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله فى الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد

الطيب الاستاذ *وما منهم الا اغر نجيب* وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ الفاضل أبى الحسن الماسرجسى وكل اذا عد الرجال مقدم وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ أبى عمر البسطامى وهم فى الفضل كاسنان المشط ومنه بأعلى مناط العقد وحضر بعدهم الشيخ أبو سعيد الهمذانى وله فى الفضل قدحه المعلى وفى الادب حظه الاعلى وحضر بعد الجماعة أصحاب الاسبلة المسبلة والاسوكة المرسلة رجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى قلب المجلس وصدره حتى ردّ كيدهم فى نحرهم واقيموا

(الالتفات)

النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة

كيف المزار وقد تربع أهلنا * بعنيزتين وأهلها بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ نذهبكم ونأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر وفي هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرؤ القيس الالتفاتات الثلاث في ثلاثة أبيات متواليات وهو قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار في البيت الثاني وانصرف عن الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب وما أحلى قول مهيار بن مرزويه في قصيدته التي سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين في يوم نوروز سنة ثمان وعشرين وأربعمائة والمطلع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة في بيت واحد ومثله في اللطف قول القاضي الارجاني

وهل هي الا مهجة يطلبونها * فان ارضت الاحباب فهي لهم فدى
اذا رمتم قتلي وانتم أحبتي * فماذا الذي اخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول أبي الطيب

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى ارواحنا سبلا
بما بجفنيك من سحر صلي دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول ابي العلا

يودان ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نباته

من مهر عينيك الامان الامان * قتلت رب السيف والطيلسان
امسى كالرمح له مقلة * لولم تكن كحلاء كانت سنان

بالنعال الى صف النعال فقلت لمن حضر من هؤلاء فقالوا أصحاب الخوارزمي فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضروا نظر أبو بكر فتأخر اقترحوا على قوافي أبنيتها واقتراحات كانوا بيتوها فاظنك بالاملاء أذنيت لها النار من لفظ الى المعنى نسقته وبيت الى القافية سقته على ريق لم أبلعه ونفس لم أقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما أوردت وتعجب مما أنشدت وقال أحدهم بل أوحدهم وهو الامام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي ونعين المعاني وننص على بحر فان قلت حينئذ على الروي الذي أسومه وذكرت المعنى الذي أرومه فانت حي القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع

فقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها لولم تكن كحلاء كانت سنان بديع وغريب ومن اغرب ما وقع لى فى هذا النوع اللطيف انى صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولى من قصيد

والله ان لم افهم من بعد ذا ✱ فعلى زمانى لم ازل متعتبا

وقد التفت اليك يا دهرى بطو ✱ ل تعتبى ويحق لى ان اعتبا

قررت لى طول الشتات وظيفة ✱ وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا

واتفق لى أيضا نظير ذلك فى رسالة كتبت بها الى العلامة بدر الدين ابن قاضى اذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا ورام هلال الافق ان يباهى سموه بطلعته فقلنا ما أنت من براعة هذا الاستهلال ولا وتطاول الرامح الى الطعن فى محله الذى يجل قدرا عن مناظر ومباهى فقلنا له اقصر مكتفيا والا فعند التناهى ولقد شوقتنى ظباء المعالى فى هذا المسرح الى الالتفات فقلت متلفتا الى تلك الليالى المقمرة بنوره وقطوف الفوا كه البدرية دانيات

أيا بدرا سما افق المعالى ✱ واوقع طائرا من كل نسر

ذكرت لياليا لك قد تقضت ✱ فيا شوقى الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة اعنى البديعية فانه البيت الذى حظيت من بابه بالفتح وناداه الغير من وراء حجراته وتغايرت ظباء الصريم وهو فى سرب بديعه على حسن التفاته وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها فى بيت ولكن راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت ولقد انصف الحريرى فى المقامة الحلوانية عند ايراد البيت الجامع لمشتبهات النغر بقوله يا رواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك وبيد الحق تصدع رداء الشك وها أنا قد عرضت خبيئتى للاختبار وعرضت حقيبتى على الاعتبار وقلت وانا ماش فى عرض بيت بديعيتى على هذا السنن وارجو ان يكون بحسن التفاته فى مرآة الذوق مثل الغزال نظرة والقمة وسابرزه بين اقرانه واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه فبيت الشيخ صفى الدين

وعاذل رام بالتعنيف يرشدنى ✱ عدمت رشدك هل أسمعت ذا صمم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع جج فى شغف ✱ ما أنت للركن من وجدى بملتزم

وبيت بديعيتى

وما أرونى التفانا عند نفرتهم ✱ وانت يا ظبى أدرى بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت فى أحسن قوالبها ومراعاة النظير فى الملاءمة بين الالتفات والظبى والنفرة والانسجام الذى أخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذى ما تمكنت قافية باستقرارها فى بيت كتمكين قافيته والسهولة التى عدها التيفاشى فى باب الظرافة وناهيك بظرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذى يكون معنى اول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذى هو المقصود دون غيره من الانواع فقد

الطبع كما وجدناك ونشهد انك قد أحسنت وان لا فتى الا أنت فاخرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتعجبوا اذ أرتهم الايام مالم ترهم الاحلام وجاءهم العيان بما يخل به السماع والجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلتفت وماشعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع فى شملته وهب بجملته بأوداج ما بينها الزران وعينين فى رأسه تزران ومشى الى فوق أعناق الناس وجعل يدس نفسه بين الصدور يريد الصدر وقد أخذ المجلس أهله فقلت يا أبا بكر تزحزح عن الصدر قليلا

اشتمل هذا البيت على ثمانية أنواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى أعلم

(ذكر الافتنان)

*(تغزلى وافتنانى فى شمائلهم * اضحى رثا الاصطبارى بعد بعدهم)*

الافتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد فاكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فاما ما افتن به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغدفى دونى القناع فاننى * طب باخذ الفارس المستلئم

فاول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبى دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك ياظلوم وأنت منى * مكان الروح من جسد الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود مما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية ان رزقه الله تعالى ولدا ذكرا فى يوم وماتت له بنت قوله ولاعتب على الدهر فيما اقترف ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب مما سلب فعفا الله عما سلف ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن اباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك اصفاكا

لارزء اصبح فى الاسلام نعلمه * كما رزئت ولاعقبى كعقباكا

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبى نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعز اباالعباس عن خير هالك * باكرم حى كان أوهو كائن

حوادث ايام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن

وفى الحى بالميت الذى غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

ولعمرى ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال فى تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعد أبيه ماهو أحسن من قول أبى نواس الذى استحسنه ابن أبى الاصبع وقول من تقدمه وان تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب فى قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأتى بمعان منها اسلامة الاختراع والذى يؤدى اليه اجتهاد ذوقى ان هذه القصيدة من العجائب فى هذا النوع واوردت مطلعها فى براعة الاستهلال لكن تعين ايراده هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأيد ما أشرت اليه من غرابة اسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما

(الافتنان)

(قوله ثم ننجى الآية) الذى فيها انما هو تبشير وانذار

الى مقابلة الخصم فقال لست برب الدار فتأمر على الزوار فقلت ياعافاك الله حضرت لتناظرنى والمناظرة اشتقت اما من النظر أو من النظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حسن النظر ان يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق فقضت الجماعة بما قضيت وغص هذا الفاضل من تلك الحكمة وانحط عن تلك العظمة وقابلنى بوجهه فقلت أراك أيها الفاضل حريصا على اللقاء سريعا الى الهيجاء (ولو زبنتك الحرب لم تترمرم) ففى أى علم تريد أن تناظر

نزد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذى * عهدنا سجاياه أعز وأكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذى * تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان هذا قد هوى لضريحه * برغمى وهذا للأسرة قد سما
وروضة أصل شاذوى تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا لاعناق البرية مالكا * ومعنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما
كأن عماد الدين غير مقوض * وقد دققت يا ازكى الانام وأحزما
فان يك من أيوب نجم قد انقضى * فقد أطلعت أوصافك الغر أنجما
وان تك أيام المؤيد قد مضت * فقد جددت عليائك وقتا وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وأبقاك بحرا بالمواهب مفعما

وكانت وفاة الملك المؤيد فى شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهانى وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية فى نوع الافتنان أصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن أظرف ما رأيت فى هذا النوع ان ابن حجاج جمع فى الافتنان بين التعزية والمدح المؤدى الى التهكم بقوله فى تعزية بعض الرؤساء بابيه فى بيت واحد وهو

أبوك قد جمل أهل الثرى * فجمل الله به المقبره

وأما الغزل المخمس فكثير فى نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمى فى بيت واحد

وأتعب من حاولت يا قلب وصله * حبيب سنان السمهرى رقيبه

وممن اتحف الاذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضى الارجانى رحمه الله تعالى فى قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء * فغدا لقاؤهم بلا لقاء

وما احلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء
فتحدثا سرا لحول قبابها * سمر الرماح بان للاصغاء
من كل باكية دما من دونها * يوم الطعان بمقلة زرقاء
يادمية من دون رفع سجوفها * خوض القنا بالخيل بحر دماء
لوساعد الاحباب قلت تجلدا * أهون على بملتقى الاعداء

ومثله قول أبى الطيب فى بيت وكل من النصفين كامل فى معناه

عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

وممن تفنن فى هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصارى الساحلى المنبوز بطويجن جرى ذكره فى التاج بما نصه جوّاب الآفاق ومحالف الرفاق رفع له ببلده راية للادب لا تحجم واصبح نسيج وحده فيما يسدى وألحم فان نسب صار

فاوما الى النحو فقلت يا هذا ان اليوم قد متع والنهار قد ارتفع والظهر قد أزف ولئن قرعنا باب النحو أضعنا اليوم فيه فبماذا يخرج الناس فعلا هتاف الناس ايهما رد الجواب هنالك ما يدرى المجيب فان شئت أن اناظرك فى النحو فسلم الآن لى ما كنت تدعيه من سرعة فى البديهة وجودة فى الروية وقدرة على الحفظ ونفاذ فى الترسل ثم أنا اجاريك فى هذا فقال لا أسلم ذلك ولا أناظر فى غير هذا وارتفعت الضجة واستمرت الملاحة حتى أبلغ الاستاذ الفاضل أبو عمر اليه وقال ايها الاستاذ انت أديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التى قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق

للنسب شرف ونسب وان مدح قدح من أنوار فطنته ماقدح كم حرك الجامد ونظم الجمان في سلوك المحامد فمن قوله في الافتنان الذي جمع فيه بين الحماسة والنسيب

خطرت كمياد القنا المتأطر * ورنت بالحاظ الغزال الاعفر
وأتتك بين تطاعن وتداعب * في نقك قسورة وعاطفة جوذر

وماأبدع قوله منها

وبملعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفي كل مرمى لحظ محترس * وحول كل كناس كف مفترس

وماأحلى ماقال بعده

مهما تلا خدها الزاهي الضحى نطقت * سيوف آماقها عن آية الحرس

ويعجبني قول أبي الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم * هز الكماة عوالي المران
وتدرعوا زردا نخلت أراقما * خلعت ملابسها على الغزلان

وممن افتن في قصيدة كاملة وتفنن وخلص من تفخيم الحماسة والفخر الى رقة الغزال وأحسن القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين وتلاعب في ميدان البلاغة بالفنين وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبو الجواد من لحواها ويثنى من لطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها وهي

سواي يخاف الدهر او يرهب الردى * وغيري يهوى ان يكون مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر ان سطا * ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للأنام فانني * أرى كل عار من حلا سودد سدى
وأظمأ أن أبدي الى الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا * وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وانك عبدي يازمان وانني * على الكره مني أن أرى لك سيدا
وماأنا راض أنني واطئ الثرى * ولي همة لا ترتضي الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي * لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
وبذل نوالي زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنملي ان هززته * فما ضرني أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفي له صدا

وتساقلت عن مجاراته فيها مماشيهم ويوهم واضطره الى منازلة اونزول عنها ومقارنة فيها أواقرار بها فقال سلت الحفظ فانشدت قول القائل

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله
أقمت بعضب ذي شقاشق ميله
فجعت به في ملتقى الحي خيله
تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت ياابا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا في الحفظ قد كفيتنا مؤنة الامتحان ولم نضع وقتا من الزمان فلو تفضلت وسلمت البديهة ابضاعة الترسل حتى نفرغ للنحو الذي أنت عليه أكبر واللغة التي أنت بها أعرف والعروض الذي أنت عليه أجرأ والامثال التي لك

والتخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شيء قد صحوت سوى هوى * أقام عذولي بالملام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لم يك مسعدى * فليت عذولي كان بالصمت مسعدا
يحب حبيبي من يكون مفندا * فياليتني كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده * فقلت وانى ماوجدت بها هدى
وكم لي الى دار الحبيب التفاتة * تذكرني عهدا قديما ومعهدا
ولم أدم ذاك الخد باللحظ انما * حملت خلوقا حين ابصرت مسجدا
تراقب طرفي أن يلوح هلالها * فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا حسرتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفي ما بقلبي صبابة * فلم ير تلك الدار الا تنهدا
وكم لجوادى وقفة في عراصها * تعود منها جيده ما تعودا
تعود ذاك الجيد مني أنني * أصيره من در عيني مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
ولم اجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفي اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عفافي كاسيا متجردا
وقربني حتى طربت الى النوى * وأوردني حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه * وما كنت لولم أختبره لأشهدا
وأن السلاف البابلية لحظه * والا سلوا انسانه كيف عربدا

ومن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ماسلكها احد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا ما معناها أنه انتخبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تستجلي منه عرائس البيان ويظهر به الافتنان وهي

دعوتك لما أن بدت لي حاجة * وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذى أنت ربه * تغار فلا ترضى بأن تتبذلا
اذا لم يكن الا تحمل منة * فمنك وأما من سواك فلا ولا
حملت زمانا عنكم كل كلفة * وخففت حتى آن لي أن أثقلا
ومن مذهبي المشهور مذ كنت أنني * لغير حبيب قط لن أتذللا
وقد عشت دهرا ما شكوت لحادث * بلى كنت أشكو الاغيد المتدللا
وما همت الا بالصبابة والهوى * ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأخلاقي تذوب حلاوة * وأغدو وأعطافي تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضىء المتأمل فى ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفي الدين

ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط أرى * سيفا أراق دمى الا على قدم

فيها السبق والقدم والاشعار التي انت فيها تقدم فقال ما كنت لاسلم الترسل ولا اسلم الحفظ فقال الراجع في شيئه كالراجع في قيئه لكانقل لك عن ذلك السماح فهذه انشدتنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلي عشرين مرة فعلم أن دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكتها اليد فسلمه ثانيا كما سلمه باديا وصرنا الى البديهة فقال احد الحاضرين هاتوا على شعر أبي الشيص في قوله

ابقى الزمان به ندوب عضاض * ورمى سواد قرونه ببياض

فاخذ ابو بكر يخضد ويحصد مقدرا أنا نغفل عن انفاسه

كان المطلوب من الشيخ صفى الدين فى هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

كان افتنانى بثغر راق مبسمه * صار افتنانى بثغر فيه سفك دمى

وبيت بديعيتى

تغزلى وافتنانى فى شمائلهم * أضحى رثا الاصطبارى بعد بعدهم

والجمع فى افتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه هو جمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل أضحى رثاء له من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولى بعد بعدهم ذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التمريج لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتمريج بخالف ذلك وهو الجمع بين الفنون والمعانى والله تعالى أعلم

(ذكر الاستدراك)

*(قالوا ترى لك لما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم)*

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

قال ابن أبى الاصبع لم اسمع فى هذا الباب أحسن من قول ابن دويدة المغربى يخاطب رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضى ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى

أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

وممن تلطف فى هذا الباب وأجاد للغاية القاضى الارجانى بقوله

غالطتنى اذ كست جسمى ضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

واقد احسن القائل فى شكوى الزمان بقوله

ولى فرس من نسل اعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم

وأقسم ما قصرت فيما يزيدنى * علوا ولكن عند من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثانى وهو الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد مثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن فى الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لم تدخل فى أنواع البديع والا فلا يعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما فى بيت زهير من الزيادة على معنى

(الاستدراك)

اونوليه جانب ومواسه
ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلم
ثم نواقفه عليها فقال
يا قاضيا ما مثله من قاض
انا بالذى تقضى علينا راض
فلقد لبست ضفية ملومة
من نسج ذاك البارق الفضفاض
لا تغضبن اذا نظمت تنفسا
ان الغضا فى مثل ذاك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر
ولقد بليت بناب ذئب غاض
ولقد قرضت الشعر فاسمع
واستمع
لنشيد شعر طائعا وتراض
فلا غلبن بديهه بديهتى
ولأرمين سوداء ببياض
فقلت يا أبا بكر ما معنى قولك
ضفية ملومة وما الذى
اردت بالبارق الفضفاض
فانكر أن يكون قاله قافية
فواقفه على ذلك

الاستدراك بقوله ولكنه قديم لك المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على ان ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك مازيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجاني متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله

ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لاتخفى الاعلى من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما اخبرت به من قولها انت عندى فى الهوى مثل عينى ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذى يتطفل النسيم على رقته ولولاه ماسكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته واصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا وأداروا كؤس السلافة على أهل الاذواق ومازجوها بالطف مزاجهم فامتزجوا والذى أقوله ان الشيخ صفى الدين حلا فى هذا المنهل الصافى مورده وعلا فى هذا السلك البديعى منظمه ومنضده وبيته

رجوت أن يرجعوا يوما وقد رجعوا * عند العتاب ولكن عن وفاذممى

فانه قرر ما اخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا وفى قوله عند العتاب تكميل بديعى وأما العميان فانهم مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم جنيت بالاستدراك ذا أسف * لكن عن المشتهى والبرء من سقمى

وأما هذا البيت فانه عامر بقلق البنا مع عقادة التركيب وبيت بديعيتى

قالوا ترى لك جارا بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم

وفى انصاف اهل العلم والذوق السليم مايغنى عن التطويل فى محاسن هذا البيت

(ذكر الطى والنشر)

(والطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطى والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتى بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى مايليق به لا أنك تحتاج أن تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد لتخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثانى للثانى وهذا هو الاكثر فى اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذى لايشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شئ الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لايتبين فيه ترتيب ولايمكن عكس مثاله ان يقول لى منه ثلاثة بدر وغصن وظبى فحصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة اقسام واذا كان المفصل المرتب فى اللف والنشر هو المقدم نبدأ بشواهده فنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر

ألست انت الذى من وردنعمته * وورد راحته أجنى واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

أهل المجاس وقالوا قد قلت ثم قلت فما معنى قولك ذئب غاض فقال هو الذى يأكل الغضا فقلت استنوق الجمل ياأبابكر وانقلبت القوس ركوة وصار الذئب جملا يأكل الغضا فما معنى قولك ان الغضا فى مثل ذلك تغاض فان الغضا لا أعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم أقل الغضا فقلت ماقلت فانكر البيت جملة فقلت ياويحك ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه

الطى والنشر

وهو يلحق بك فقال لى مامعنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر ولكن هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كاسقته فقال هذه طريقة لم تسلكها العرب فلا أسلكها ثم دخل الرئيس

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * اصبحت لافوقى ولاتحتى

ومن غراميات البهاء زهير

ولى فيك قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا
ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * اعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله

ياردفه ياخصره * من لى بنجد أوتهامه

ومثله قول ابن نباتة

له قلب ولى دمع عليه * فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * ياكثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى فتاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى
وأبصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومثله قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حمدة الاندلسية وهو

ولما أبى الواشون الافراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعى * وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الاندلسى نزيل حلب وقد اورد هذين البيتين فى شرحه على بديعية صاحبه ابى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ان حمدة كانت من ذوى الالباب وفحول اهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الابعد ديارها وخلو هذه البلاد من أخبارها وقد تلبس بعضهم بشعارها وادعى هذا من أشعارها وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
نظل غصونه تحنو علينا * حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغوانى * فتلمس جانب العقد النظيم

قوله عبدى فى نسخة ثوبى بدل عبدى وهو اللائق

أبو جعفر والقاضى أبو بكر الحربى والشيخ أبو زكريا الحيرى وطبقة من الافاضل مع عدة من الاراذل فيهم ابو رشيدة فقلت ما أحوج هذه الجماعة الى واحد يصرف عنهم عين الكمال وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست وله فى الفضل قدم وقدم وفى الادب هم وهم وفى العلم قديم وحديث فتم المجلس وظهر الحق بنظره وقال قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعونى من البديهة على النذر وا كتبوا ما ننوزن وقولوا على هذا فقلت

برز الربيع لنا برونق مائه * فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر * من نوره بل مائه ورواته

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة دعائهم وهى ابيات لم يحكها غير لسانها ولا رقم برد ها غير حسانها وقد رأيت بعض المؤرخين من اهل بلادنا اثبتوها لها قبل ان يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور * ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه امين

عرج على حرم المحبوب منتصبا * اقبلة الحسن واعذرنى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين اربعة وأربعة

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح ٣

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

راى جسدى والدمع والقلب والحشا * فاضنى وافنى واستمال وتيما

ومثله قولى من قصيدة

من محياه والدلال ومسك الخال والثغر باشيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين ابى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يحمى بخمسة من خمسة * كفى الحسود بها افات لمابه
من وجهه ووقاره وجواره * وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا اوهلالا اودجى * اوزهر غصن فى الكثيب الاملد
فالحظ ها ولوجهها ولشعرها * ولخدها وللقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانها زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لاصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابر ان اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لانظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى انور من قول صاحبه فى بيته املد واقصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما أجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المنفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا وأتوا به فى بيتين ولم تسفر لهم

والماء بين مصندل ومكفر * فى حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح * مثل المغنى شاديا بغنائه
والورد ليس بممسك رياه اذ * يهدى انما نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر * وجلوت للرائين خير جلائه
فكانه هذا الرئيس اذا بدا * فى خلقه وصفاته وعطائه
يحمى أعز مجير وندى أغز * محجل فى خلقه ووفائه
يعث واليه المختوى والمجتدى * والمجتوى هو هارب بذمائه
ما البحر فى تزخاره والغيث فى * أمطاره والجو فى أنوائه
بأجل منه مواهبا ورغائبا * لازال هذا الجد اف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم * متمدحون بمدحه وثنائه
فقال ابو بكر تسعة ابيات قد غابت عن حفظنا لكنه

٣ قوله والبلح فى نسخ والوهج وحرر الروى

وجوه المعانى المسفرة عن بهجة ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك ازمة الزجل وقد تقدم ذكره فيما أوردته له من ازجاله على الجناس المقلوب واللفظى الجمع فى اللف والنشر بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خدود واصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس * وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت فى هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا * آس اقاح شقيق نرجس در

و جل القصد هنا ان يكون اللف والنشر فى بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب * وأما القسم الذى هو العكس أعنى غير المرتب فكقول الشاعر

كيف أسلوا وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر فى البيت * واما القسم المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة فى بيت الكافات الشتائية

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندى من حوائجه * سبع اذا الصفع فى ميدانه وقفا
نطع وطرق وزربول وغاشية * وركوة وجراب ناعم وقفا

ففى قوله بعد ما ذكره من آلات الصفع وقفا غاية فى اللطف وقوة فى تمكين القافية انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره * واما أصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع فى هذا الباب ولم يأتوا به الا فى بيت واحد بحيث يكون مثالا شاهدا على هذا النوع وماشيا على سنن الابيات المفردة المشتملة على أنواع البديع وبيت صفى الدين غاية فى هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو وهو قوله

وجدى حنينى انينى فكرتى ولهى * منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا فى بيتين مع عقادة التركيب واقد حبست عنان القلم عن الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهما

حيث الذى ان بدا فى قومه وحبى * عفاته ورمى الاعداء بالنقم
فالبدر فى شبه والغيث جاد لذى * محل وليث الشرى قد جال فى الغنم

وبيت عز الدين الموصلى

نشر ويسر وبشر من شذا وندى * وأوجه فتعرف طى نشرهم

قوله فتعرف طى نشرهم ليس له نص فى اللف لانه نص فيه على ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف

جمع فيها بين اقواء واكفاء واخطاء وايطاء فرددنا عليه بعد ذلك عشرين ردا ونقدنا عليه فيها كذا نقدا ثم قالت ان حضرمن وزير ورئيس وفقيه وأديب أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعر قط ثم انشد هذه الابيات فقد هل كنتم تطلقون امرأته عليه فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق ثم قالت انقد على فيما نظمت واحكم عليه كما حكمت فأخذ الابيات وقال لا يقال نظرت لكذا وانما يقال نظرت اليه فكفتنى الجماعة اجابته ثم قال شبهت الطير بالمحصنات وأى شبه بينهما فقالت يا رقيع اذا جاء الربيع كانت شوادى الاطيار تحت ورق الاشجار فيكن كانهن المخدرات تحت الاستار ثم قال لى لم قلت مثل المحصنات مثل المغنى فقالت هن فى الخدر كالمحصنات وكالمغنى فى ترجيع الاصوات ثم قال لم قلت زمن الربيع جلبت ازكى متجر وهلا قلت اربح متجر فقالت ليس الربيع

والنشر فى نص اللف وعلى كل تقدير فلابد له من تسمية النوع وسماه ولكن أتى به فضلة ولو التزم الشيخ صفى الدين أن يسمى هذا النوع البديعى فى بيته لتجافت عليه تلك الرقة ويتى

فالطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم

فالطى والنشر فى نص اللف قبالة الظهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم هذا مع زيادة العدة على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة السهولة والانسجام وصلت الى أكثر من هذه العدة

(ذكر الطباق)

(بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم)

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة فى اللغة ان يضع البعير رجله فى موضع يده فاذا فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعى المطابقة اصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الاربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة فى الاصطلاح الجمع بين الضدين فى كلام او بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس فى الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما اعنى البياض والسواد فقد قال الرمانى وغيره البياض والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا ألحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم أوردوا فى المطابقة من التدبيج قول ابن حيوس على جهة الكناية

فانخر بعم عم جود يمينه * واب لا فعال الدنية آبى

ببياض عرض واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنه أجد قوما يختلفون فيه فطائفة وهم الاكثر انها الشئ وضده وطائفة يزعمون أنها اشتراك المعنيين فى لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب وأوردوا فى ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثانى العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقد خالف الخليل والاصمعى فقيل أوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من أعلم منهما بطيبه وخبيثه وما احسن ما أتى الاخفش فى الجواب بالمطابقة (ومنهم) من ادخل المقابلة فيها وليس بمليح اذ لم يبق للفرق بينهما محل فان السكاكى قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فاكثر وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شيأ شرطت هناك ضده والمطابقة هى الاتيان بلفظتين الواحدة ضد الاخرى وكأن المتكلم طابق الضد بالضد * ولقد شفى زكى الدين بن ابى الاصبع القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتى بالفاظ الحقيقة وضرب يأتى بالفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا (فمثال التكافؤ)

بتابغو بجلب البضائع المربحة ثم قال ما معنى قولك الغيث فى أمطاره والغيث هو المطر

الطباق

نفسه فكيف يكون له مطر فقلت لا سقى الله الغيث أديبا لا يعرف الغيث وقلت له ان الغيث هو المطر وهو السحاب كما ان السماء هو المطر وهو السحاب وقال الجماعة قد علمنا أى الرجلين أشعر وأى الخصمين أقدر وأى البديهتين أسرع واى الرويتين أصنع فقال أبو بكر فاسقونى على الظفر فقالوا كذلك ما سقاك ثم ملنا الى الترسل فقلت اقترح على غاية ما فى طوقك ونهاية ما فى وسعك واخترما تبلغه بذرعك حتى أقترح عليك أربعمائة صنف فى الترسل فان سرت فيها برجلين ولم أطر بجناحين بل ان أحسنت القيام بواحد من هذه الاصناف ولم تخالف كل الاخلاف فلك يد السبق وقصبه ومثال ذلك ان أقول لك اكتب كتابا يقرا منه

وهو من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمي الذمار صبيحة الارهاق

فقوله حلو ومر يجري مجرى الاستعارة اذ ليس في الانسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة السكاكي قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالي في سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شيء عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة في الفضاء

وما أحلى قول القائل في هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبي الاصبع * واما المطابقة الحقيقية التي لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فأعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار رضي الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة * ومن الشواهد الشعرية قول الحماسي

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

ائن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ولآخر في وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش في يميني اذا ما * كان يوما عنانه بشمالي

والمعجز الذي لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة وما فيها من الوجازة * ومن ذلك في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فو الذي نفسي بيده ما بعد الحياة من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ما قررته في المطابقة اصطلاحا وما أوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأي ابن ابي الاصبع (وأهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهي المطابقة التي لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحتري

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى * ويسري الي الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا اعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جوابه هل يمكنك ان تكتب أو أقول لك اكتب كتابا على المعنى الذي أقترح لك وانظم شعرا في المعنى الذي أقترح وافرغ منهما فراغا واحدا بل كنت عدله ساعدا أو أقول لك اكتب كتابا في المعنى الذي أقول وأنص عليه وتنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا كتبت ذلك قرئ من آخره الى أوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من أسفله بل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا وتصيب نجعا أو قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ من أوله الى آخره كان كتابا فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا بل كنت في هذا العمل واري الزند قاصد القصد أو قلت لك اكتب كتابا في المعنى الذي يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة أو دال تنفصل عن الكلمة بديهة ولا يجم فيها قلمك بل كنت تفعل أو قلت لك اكتب

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا * وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن في ذلك قول بعضهم

خلقوا وما خلقوا لمكرمة * فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد * فكأنهم رزقوا وما رزقوا

ومثله قول بشر بن هرون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له أتفرح بالموت فقال ليس قدومي على خالق أرجوه كمقامي عند مخلوق لا أرجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (وأهم ايهام المطابقة) كما أهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدي وشاحا أبيضا من سيبه * والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه أنه ضده ومثله قول دعبل

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (وأهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسي

لهم جل مالي ان تتابع لي غنى * وان قل مالي لا اكلفهم رفدا

ففي قوله تتابع لي غنى معنى الكثرة واما قول ابي الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

فمتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان الجرم ليس بضد للمحب بوجه ما وليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا في آخر الباب (طباق الترديد) وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على أوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الأعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

وجل القصد في هذا الباب المطابقة في الحقيقة التي قررها ابن ابي الاصبع وتقدم ذلك في أول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضي جلال الدين القزويني في ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضي الارجاني

ولقد نزلت من الملوك بماجد * فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذي اقوله ان المطابقة التي يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه في البهجة والرونق كقوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ففي العطف بقوله تعالى وترزق

كتابا خاليا من الالف واللام نصب معانيه على قالب الفاظه ولا تخرجه عن جهة أغراضه بل كنت تقف من ذلك موقفا محمودا أو يبعثك ربك مقاما محمودا أو قلت لك اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل بل كنت تحظى منه بطائل أو تبطل اهانك بباطل أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم على المعنى الذي يقترح بل كنت تغلو في قوسه غلوة أو تخطو في أرضه خطوة أو أقول لك اكتب كتابا اذا قرئ معوجا وسرد معوجا كان شعرا بل كنت تقطع في ذلك شعرا بلى والله تصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من ذقنك او أقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا بل كنت تخرج عن هذه العهدة أو قلت لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون أن تلحظه بل كنت تنق من

من تشاء بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذى لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة فى الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زادها تكميلا فى غاية الكمال فان المراد بها قرب الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ولم يكن قد ضرب لانواع البديع فى بيوت العرب وتد ولا امتد له سبب وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبى حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

لعمرى لقد رفع أبو الطيب قدر المطابقة وازال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعى الذى عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب بن عباد فى رثاء الوزير كثير بن احمد

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل

فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الانام قليل

وابو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وما احلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى * فلا أربى فى الحب اقضى ولا نحبى

فشد أزر المطابقة ببديع اللف والنشر واداها بغريب هذا المعنى بعد ما سال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة

فلا تعجب أنى عشت بعدهم * فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها

وحرف تجوب القاع والوهد والربا * كحرف مديم الجر والرفع والنصب

نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

ومن المطابقة باللف والنشر ايضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى * لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل

نفسك به الى مالا أطاولك بعده بل است البائن اعلم فقال أبو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها وأكاثرك بمخزونها وأشرفها قلت وأشرفها انك وفك فقال الكتابة التى يتعاطاها اهل الزمان المتعارفة بين الناس فقلت اليس لا تحسن من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم المتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل وأناضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظى بالفاظك ويعارض انشائى بانشائك واقترح كتاب يكتب فى النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والاسعار وغلائها فكتب أبو بكر بما نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

آرالك بخيلا بمونى فهبنى * سكونك عنى اذالم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عينى وأضحكت سنى

ومثله قوله

ياوجوها زانت سناها فروع * حالكات أغنتكم عن حلاكم
لى من حسنكم نهار وليل * أنم الله صبحكم ومساكم

ومثله قوله من قصيد

توغل حرقى أجرى دموعى * فقل ماشئت فى دخل وخرج

ومنه قول أبى حفص المطوعى فى الباب

اوماترى نور الخلاف كأنه * لماندا للاعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبنى قوله بعد هذا البيت

كأكف سنور ولكن نشره * يسعى بفأرالمسك فى الآفاق

وأما سحر البلاغة هنا فقول القاضى الفاضل

دام صاحى وداده عمر الدهـ * ـر جنينا السكرى النشوان

انظر أيها المتأمل ما أبدع ما أبرز المطابقة فى حلل هاتين الاستعارتين الغريبتين وما الطف ما أبدعى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور اوقع فيما * زعم الجدمن بنات الدنان

فالفاضل أبرز هذه المطابقة فى حلل الاستعارة ولكن من أين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الامواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء برأيهم فى هذا الفن فانهم ما أبرزوها الافى شعار التورية فمن ذلك قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المطابقة بالتورية فى قوله

أرج النسيم سرى من الزوراء * سحرا فأحيا ميت الاحياء

ومثله قول الوداعى فى قصيد وهو فى غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه * ويقه البارد ياحار

وما الطف قول الشيخ شمس الدين الواسطى فى دوبيت

ان ضرّمنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواى لاعقل له * ما ابلد عاذلى وأذكى نارى

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قمن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

الدرهم والدينار عن الدنيا والآخرة بهما يتوصل الى جناب النعيم ويخلد فى نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقد باغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار لما نراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد ونعرفنا فى ذلك ما يربح للناس فى الزرع والضرع ويعود اليه أمر الضر والنفع الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع اسجاع قد نبتت فى المهد ولم تزل فى اليد وقد كتبت وكتبت ولا أطالبك بمثل ما أنشأت فاقرأ ولك اليد وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة وبهت وبهتت

ومثله قول أبى الحسين الجزار

أمولاى مامن طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فاخرجنى الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما ابست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت واقف مدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يامولاى يامن * يغير البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس انى * أتيت لحاجة لم تقضها لى
وأصبح بينهم مثلا لانى * أتانى النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ الحبيب وكاسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * واشكو من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى أن مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حزنى من مهفهف القد رام * أسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصل رمانى من سحر عينيه بغلق

ومثله قوله

ان أساء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
يالها وجنة أقابل منها * حسنات تمحى بها سيا آت

ومثله قوله

قام غلام الامير يحسب فى * يوم طهور والبنين طاوسا
فانزل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تنجيسا

وما ألطف قوله من هذا النوع

ياغائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكاس فى كفى ليا ليكم * فالكاس فى راحة والقلب فى تعب

ومثله قوله فى براعة قصيد

* يوم صحو فاجعله لى يوم سكر *

وما احلى ماقال بعده فى الشطر الثانى

* فأدرلى كاسى رضاب وخمر *

الكافة وقالوالى اقرأ خفعات اقرؤه منكوسا وأسرده معكوسا والعيون تزرق وتحار وكانت نسخة ماأنشأناه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الله شاء ان المحاضر صدور بها وتملأ المنابر ظهورها وتفرع الدفاتر وجوه بها وتشق المحابر بطونها ترشق آثارا كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه فى تأييده الله أدام الامير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين أهل عن الكل هذا بحط أن فى اليه تضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة والنقود صيارفة أجمع الناس صار فقد كريما نظر اليه نظار شمه مصاب واتجعنا كرمه بارقة وشمنا همه على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا وجوه له وكشفنا آمالنا وفود اليه بعثنا فقد نظره بجميل

منها ولم يخرج عما نحن فيه

جفن عينيه فاتر منحنى * انما خذه المشعشع بحرى

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو فتان التثنى * فيا لله من فرد تثنى

وله فى روضة من قصيدة

مطابقة الأوصاف أما نسيمها * فصح وأما ماؤها فتكسرا

انظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا فى قوله مطابقة الاوصاف * ومثله قول الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى من قصيد

بأبى غنى ملاحة اشكوله * فقرى فيصبح بالغنى يتطرب

ومنها فى هذا النوع

وغدا ينادمنى وكأس حديثه * اشهى الى من العتيق واطيب

ومثله قوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح أسبق لى من العذل

وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردى

تجادلنا أماء الزهر ازكى * أم الخلاف أم وردا لقطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو فى غاية الظرف

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرنى من حيث بى يعتنى

ألبسنى من شيبتى حلة * فانت له والله عريتنى

ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدى وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة تخفيفة

أيا فاضلا تدنو الافاضل نحوه * وتشكر فى جمع المناقب تصريفه

اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلى * فلا عجب أن كنت تقبل تخفيفه

ومنه قول الشيخ صفى الدين الحلى من قصيدة

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق فى زى مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

ومنه قول المعمار

أصاب قلبى خطائى * بلحظه اشجانى

فرحت من فرط وجدى * أشكو الى الحكماء

قالوا اصبت بعين * فقلت من عظم دائى

ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطاء (الخطائى)

وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا

بتداركها أن ونعماءه تأييده وأدام بقاءه الله أطال الجليل الامير رأى ان وصلى الله على محمد وآله الاخيار فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر احد الخصمين وقال الناس قد عرفنا الترسل أيضا فلنا الى اللغة فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التى هذدتنا بها وحدثتنا عنها وهذى كتبها وتلك مؤلفاتها نخذ غريب المصنف ان شئت واصلاح المنطق ان أردت وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ومجمل اللغة ان اخترت فهو ألف ورقة وأدب الكاتب ان أردت واقترح على أى باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده عليك سردا فقال اقرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه فاندفعت فى الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه وأتيت

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا

ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى

بروحى افدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال (الخالى)

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى

سموا منى مهجتى سعيدا * ولى شقاء به يزيد

اذا اجتمعنا يقول ضدى * هذا شقى وذا سعيد

وظريف قول جمال الدين عبد الله السوسى

ورب أقطع يشدو * ساروا وما ودعونى

ما أنصفوا اهل ودى * واصلتهم قاطعونى

وألطف منه قول الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا

يا معشر الاصحاب قد عن لى * رأى يزيل الحمق فاستظرفوه

لا تحضروا الا بأخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه

ومثله قوله

تصفحت ديوان الصفى فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامى

فقلت لقلبى دونك ابن نباتة * ولا تتبع الحلى فهو حرامى

وظريف هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكى وان لم يكن فيه تورية فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه السمر الرشاق

فقلت وهل أنا الا أديب * فكيف يفوتنى هذا الطباق

ومن المطابقة بالتورية قول القاضى بدر الدين بن الدمامينى رحمه الله

بدر اذا سمت فوق الخد عارضه * يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا

وظن ان صوابا هجر عاشقه * لما رأى منه شيبا باديا وخطا

ومن العجيب فى هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين ابن حجر فسح الله فى اجله

خليلى ولى العمر منا ولم نتب * وننوى فعال الصالحين ولكنا

فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * وأعمارنا منا تهد وما تبنى (تبنى)

وما أحلى قوله فيه

أتى من أحبائى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

نأى رقيبى وحبيبى دنا * وحسنه للطرف قد أدهشا

آنسنى المحبوب يوم اللقا * لكن رقيبى فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

اشكو

على الباب الذى يليه ثم قلت اقترح غيره فقالوا كنى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام ولا أطالبك بسواه ولا أسئلك عما عداه فوقف حماره وخمدت ناره وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره فقلت يا أبا بكر هات العروض فهو أحد ابواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت هات الآن فاسرده كما سردته فلما برد ضجر الناس وقاموا عن المجلس يفدوننى بالامهات والاب ويشيعونه باللعن والسب وقام أبو بكر فغشى عليه وقت اليه فقلت

يعز على فى الميدان أنى * قتلت مناسبى جلدا وقهرا

ولكن رمت شيأ لم يرمه * سواك فلم أطق يا ليث صبرا

وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت أشهد أن الغلبة

اشكو الى الله مابى * وماحوته ضلوعى
قدطابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبى اكتم الهوى * خوف لاح وواشيه
كيف استطيع كتمه * وسقامى علانيه

وأنشدنى من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد أوقفته فى الشرح على هذا النوع فقال

ياسادتى والعشق لم يبق لى * من بعدكم روحا ولا حسا
صبحنى الهم لهجرانكم * والضر لما بنتم مسا (مسى)

وله

انغرك طعم ونشر بالذ * ونسق به يا أخا البدر عشقا
فدعنا نمت ونعش فى الهوى * غراما وتتم ذوقا ونشقا (ونشقى)

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما * أهل ظلم متوالى
كانونى بيع خيلى * برخيص وبغال

ونقلت من ديوان والده المقر الفخرى

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر
يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم انس معشوقة زارت بجنح دجى * فبت فى مسك انفاس وطيب سمر
حتى الصباح وعيناها تظن بأن * هاروت حل عشاء فيه ماوسحر

ونقلت منه ما امتدح به أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

وقوله

عاقتها معشوقة خالها * ان عمها ابا الحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى ويا هجرها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت فى هذا المعنى من قصيدة

وكيف أكتم حبانى هواه ولى * من أحمر الدمع فوق الخد تشهير
ونار خديه قلبى أرخصت وغلت * لما غدت ولها فى القلب تسعير

وقال أغمدت سيف اللحظ اذ فكيف الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالى بالجفاء بنا * فما طباقك الا رقة وجفا

له فيه لا يا أبا بكر جئتنا من باب الخلاطة وفى باب العشرة وتفرق الناس وحبسنا للطعام مع أفاضل ذلك المقام ولما حلقنا على الخوان كرعت فى الجفان وأسرعت الى الرغفان وأمعنت فى الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الاظفار ولا يأكل الاقضما ولا ينال الاشما وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرا ويقبض عن نفس ملأى فقلت يا أبا بكر بقيت لك منة وفيك مسكة (ياقوم انى ارى الاموات قد نشروا * والارض تلفظ موتاكم اذا قبروا) فأخبرنى يا أبا بكر لم غنى عليك فقال لحى الطبع وجى الفرو فقلت أين أنت عن السجع هلا قلت حى الطبع وجى الصفع وقال السيد أبو القاسم أيها الاستاذ أنت مع الجد والهزل تغلبه

وقلت من قصيدة

شرقونا بدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قبلونا

وقلت بعده

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح أمين الدين من غزل هذه القصيدة ولم اخرج عما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولى

والشأم نحن عهود وفاكم * واسألوا من غدا عليها أمينا

ومن غريب ما وقع لى فى هذا النوع قولى من قصيدة

بدر منير قسا برؤيته * لكن يرى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لى فى حماكم أهيف من عامر * وخراب بيت تصبرى بالعامرى

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى فى باطنى بالظاهر (بالظاهرى)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتى * يفديك محلول العرا من ظافر

وحيت برد الثغر اذ طابقته * فى ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما أحلى قولى فى ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

برهجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلالك

وكتبت الى بعض المخادم بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منثورا أبيض فما طالى مدة والمنثور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من نداكم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت

هويت غصنا لاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا سود لى * بيض الطباق انتم أعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن ويتأيد قولى ان الذين اقتديت برأيهم ومشيت على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم ينظموها الا فى سلك التورية وقد أوردت لهم هنا من ذلك ما شنف الاسماع ورقص عند السماع والكمال لله فان الشيخ صفى الدين لم يات بالمطابقة الا مجردة وبيته

قد طال ليلى وأجفانى به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

وبيت العميان مثله لكنه عامر بالركة والعقادة وهو

واسهر اذا نام سار وامض حيث ونى * واسمع اذا شح نفسا واسر ان يقم

وبيت عز الدين

ابكى فيضحك عن در مطابقة * حتى تشابه منثور بمنتظم

فقلت لا تظلموه ولا تطعموه طعاما بصير فى بطنه مغصا وفى عينه رمصا وفى جلده برصا وفى حلقه غصصا فقال أبو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كما أقوله بصير فى عينك قذى وفى حلقك أذى وفى صدرك شجى فقلت يا أبا بكر على الالف تريد خذ الآن بنعليك البرا وعلى هامتك الثرى ولأطعمك الخرا الامن ورا كاتوى فقال أيها الاستاذ السكوت أولى بك ومالوا الى وقالوا ملكت فأسجع فأبى أبو بكر ان يبقى لنفسه حجة لم ينقضها أو يدخر علينا كلمة لم يعرضها فقال والله لا تركنك بين المهمات فقلت ما معنى المهمات فقال بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم فقلت وأتركك بين المهمات أيضا بين الهيام والصدام

لعمري ان بيت صفي الدين و بيت العميان يتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل و بين غرابة المعنى وحسن الانسجام و رقة النسيب و بديع اللف والنشر ولم يأت كل منهما الا بمجرد المطابقة وأما قول العميان في آخر بيتهم واسران يقم فهذا اللفظ من بقية ماسقط من حجارة البيت وبيت بديعيتي

بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعي اجتمعت هنا في قافية هذا البيت الذي علا بطباقه وتفيأ أهل البديع بظل رواقه

(ذكر النزاهة)

(نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذمم)

النزاهة ماانظمها أحد فى بديعيته الا صفى الدين الحلى وقد تقدم القول انه ذكر عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم فى حلبة ميدانه وتغرد سواجع الحشمة على بديع أفنانه لانه هجو فى الاصل ولكنه عبارة عن الاتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذى اذا سمعته العذراء فى خدرها لا تنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن أحسن الهجو وقد وقع من النزاهة فى الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها فى كلام الآية أتت منزهة عما يقع فى غير هذا القسم من الفحش فى الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية فى النظم قول أبى تمام

بنى فعلة ما بالى و بالكم * وفى البلاد مناديح ومضطرب
لجاجة لى فيكم ليس يشبهها * الا لجاجتكم فى انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول معبد بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * فى ربة العود لا فى رنة العود
لا تأسفن على الشاة التى عقرت * فأنت غادرتها فى مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعانى ونزاهة ألفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ما وقع فى هذا الباب قوله أيضا

لو ان تغلب جمعت انسابها * يوم التفاخر لم تزن مثقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكى كيف بالغ فى تنزيه ألفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذى يراد به الجد وهو غاية فى هذا النوع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

حسبى بذكرك لى ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا نقص ولا تذم

والجذام والجام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام و بين السبنات وقد علمنا طريقة بين منحوس منحوس منكوس معكوس متعوس محسوس معروس

النزاهة

و بين الخاآت فقد فتحت علينا بابا بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ وبين الباآت فقد علمنى الطعن وكنت ناسيا بين مغلوب ومسلوب ومرعوب ومصلوب ومركوب ومنكوب ومنهوب ومغصوب وان شئنا كلمنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع وكاثرناك بهذه الانواع ثم خرجت واحتجر فقد كان اجتمع الناس وغلت الكروش ولما خرجت لم يلقونى الا بالشفاه تقبيلا وبالافواه تبجيلا وانتظروا خروجه الى ان

وقال انها بالذال المعجمة فان جل قصده الذم هنا والذى أقوله ان هذا البيت شموس ابضاحه آفله فى غيوم العقادة وليته استضاء بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه فى بديعيته لاجل معارضة الصفى وقال فى بيته يخاطب العاذل

اقد تفيهقت بالتشديق فى عذلى * كيف النزاهة عن ذا الأشدق الخصم

قد تقرر ان النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بألفاظ لا تنفر منها العذراء فى خدرها والذى أقوله وأنا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين فى بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذراء وحاصل القضية انه نزه ألفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتى

نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذمم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع ما فيها من عدم التكليف فى الميل عن التعسف والذى أقوله ان بيتى فى هذا الباب جر أذيال البلاغة مع جرير وشاركه فى العذوبة والتبارى ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير

(ذكر التخيير)

(تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله سبب ماله أحد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وادل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ما ذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة ما فى العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر عليم حكيم ولا بد من التصديق أولا بالصانع حتى يصح أن يكون ما فى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ليعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع

غابت الشمس ولم يظهر أبو بكر حتى حضره الليل بجنوده وشاع الظلام عليه فرونه فهذا ما اقتفاه عن المجالس وأدناه والسيد أطال الله بقاءه يقف عليه ان شاء الله

(تم ما أملاه أبو الفضل فى مناظرة أبى بكر الخوارزمى وكتب اليه بعض من عزل عن ولاية حسنه يستمد وداده ويستميل فؤاده فأجابه بما نسخته)

وردت رقعتك فأعرتها طرف التعزز ومددت

التخيير

اليها يد التقزز وجمت عنها ذيل التحرز فلم تند على كبدى ولم تحظ بناظرى ويدى وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفؤا وطلبت من عشرتى مالم أرك لها أرضا وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه وشال بشعرات أنفه وتاه بحسن قده وزها بورد خده ولم يسقنا من نونه ولم نسر بضونه والآن اذ نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائد غصنه وفثأ غرب عجبه وكف زهو زهره وانتصر

العالم الكلي بعد قيام البرهان على ان للعالم الكلي صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة لآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل في الجميع الا ان ذكره هنا امتن بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغي ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر لا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهي عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتأديبه وانما نهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده ردا جميلا ويعجبني قول ديك الجن

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى انام فتنطفي * نار تأجج في العظام

في الفؤاد في الضلوع في الكبود في البدن

جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام

من قتاد من دموع من وقود من حزن

أما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد من رجوع من وجود من ثمن

فهذه القوافي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها او الاولى اولى وارجح وبيت صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى

عدمت صحة جسمي اذ وثقت بهم * فما حصلت على شيء سوى الندم

فلذكر عدمت في صدر البيت يليق ان تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت في غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تخير قلبي هوى السادات صح به * عهدي واني لحزني ثابت الالم

أما تخيير هذا البيت فاني تركته لاهل الذوق السليم بل تخير البيت بكماله ولم تنظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وبيتي

تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبي وزادوا نحولي مت من سقمي

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بها السقم وتقديم السقم هنا اقرب به من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

(وزاد ابهام عذلي عاذلي ودجا * ليلي فهل من بهيم يشتفي ألمي)

الابهام بباء موحدة وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما من الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام

انا منه بشعرات كسفت هلاله وا كسفت باله ومسخت جماله وغيرت حاله وكدرت شرعته جاء يستقي من جرفنا جرفا ويغرف من طيبنا غرفا فهلا يا أبا الفضل مهلا ارغبت فينا اذ علا * ك الشعر في خد تحل وخرجت عن حد الظبا * وصرت في حد الابل الآن تطاب عشرتي * عند للعداوة بالخجل وتناسيت أيامك اذ تكلمنا نزرا وتلحظنا شزرا وتجالس من حضر وتسترق البك النظر وتمس الكلام لك ونهش السلامك (ومن لك بالعين التي كان مدة * اليك بها في سالف الدهر تنظر) أيام كنت تتمايل والاعضاء تتزايل وتتفاجج والاجساد تتفالج وتتافت والاكباد تتفتت وتخطر وتترفل والوجد يعلو بنا ويسفل

(الابهام)

مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأه فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من في الرفعة أو في الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا تدري اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لاعملن فيك بيتا لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لي زيد قباء * ليت عينيه سواء

فاعلم احد ان الصحيحة تساوي السقيمة او بالعكس فاستحسن الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لي عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكي الدين بن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل في هذا الابهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبي ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون
فاذا اتاه مناظر في جمعه * خبره عني انه مجنون

وكذلك الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلي لاجل المناظرة ويأتي الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال وابرزت بدوره المحجبة في افق الكمال فاني كتبت فيه تقريظا مالم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا ولا سبقني اليه اديب ولا ولدمنه على هذا الطريق شكلا وماذاك الا انه ورد الى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدي خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعي في شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطي الادب في مبادي عمره فسألني أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل علي بمن لا تمكن مخالفته فحسنت له كتابة شيخنا القاضي بدر الدين بن الدماميني أولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب له الا اذا كتبت له فلزمني الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذي صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع وأوضحت طريقه فضاع نشره الذي كان من غير توريه ضائع (وهو)

وتدبر وتقبل فتمنى وتخيل وتصد وتعرض فتضنى وتمرض (وتبسم عن المى كان منورا * تخال حر الرمل غض له ندى) فاقصر الآن فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة عرضت وأيام انقضت وعهد نفاق مضى وخطب كساد نزل وخد كان لم يكن وحظ كان لم يزل ويوم صار أمس وحسرة بقيت في النفس وثغر غاض ماؤه فلا يرشف وريق خدع فلا ينشف وتمايل لا يعجب وتثن لا يطرب ومقلة لا تجرح ألحاظها وشفة لا تفتن ألفاظها فنام تدل والام ولم تحتمل وعلام وآن أن تذعن الآن وقد بلغني الآن ما أنت متعاطيه من تمويه يجوز بعد العشاء في الغسق وتشبيه يفتضح عند ذوي البصر وافنائك الملك الشعرات حفا وحصا وأسماعك لها نتفا وقصا وسكفينا الدهر مؤنة الانكار عليك بمايزف

قوله ظاهر فيهما النظر ما وجهه في العروضة

وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضة فوجدت مطرب لحنها قد اعرب عن التنكيت لاهل النكت الادبية ونويت معها سلوك الادب لاحتشائها بالصفات المؤيدية فانها ما قوبلت بأدب الا تقوت بسلطانها ولا جارتها سيرة مطولة الا كانت قاصرة عن الجرى فى ميدانها ولا ذكرت التواريخ المتقدمة معها الا تأخرت وكبت خلفها ولا ناظرها ذو قصص الا ثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها ولا بالغ اهل التقاريض فى تقاريضهم الا وكانت دونها واستحق لها هذا الوصف فى ذمة أهل الادب فاستوفت منه ديونها فلو نظر الصفدى الى هذا التاريخ وراجع النظر لجاده او تصفحه الكتبى لعدد على تاريخه وما عده او كاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده او عاصره ابن خلكان لقال لم امازج شراب القاضى بحلى فان عنده حمضة وبرده اولحه الذهبى ومؤ بتاريخه لقيل له هذا ما ينطلى معه وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فهضم من جانبه ووضعه ولو ادركه البديع لرمى بديعه وعلم انه بدعة اولحقه الوهرانى لرآه فى المنام ان حصل له بعد مطالعته هجعة نسب هذا التاليف الى الدولة المؤيدية فصار له على كل اهل الارض صولة فلو ناظره مؤلف بمجلد لقلنا هذا جراب الدولة تحمس فى شعره وتغالى فالقى لنا فى سوق الكلام رخصه ولو زايده ابو تمام لتحقق عجزه واراانا بنفسه نقصه نعم هذه الاشعار التى ما زاحمها شاعر بديوانه الا نات عليه بعد الزلزلة الواقعه وتقوم القيامة وهى الى الخنصر مرمية على القارعه ولقد اقام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطى بفضله ونقص عنها الراجح الحلى لان فيها زيادة على مثله فيا له من شعر قصر عن بحره الطويل كل معارض وكيف لا وناظمه ذو همة علية وناهض وابن ناهض وقد وقف ابن حجة وقوف معترف ان عنده فى نظمه وقنه وسيكتب المقر البدرى على اعترافه انه قاضى الادب وامامه الذى صلت البلغاء خلفه وقصرت لعلماء الادب هذا الباب وارجو ان يكون فيما بيننا فان رضونى براعة بحسن الختام واذا حصل العال من هذا النهر ورينا نعم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف ما يهمل وامتثلت مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذى يذوقه من له فيه اعذب منهل والله يجمعنا على هذا الشرب لنحلو موارده بالموارده ولا يحجبنا عن الكلام الذى يحسن السكوت عليه وتتم به الفائده (وكتب بعد ذلك سيدنا القاضى بدر الدين المشار اليه) وقفت انا ولا كادانبت نظرى لشدة الخجل وسألت المهلة فى وصف هذه الالفاظ فاذا هى قد جاءت على عجل فقلت أما المقام الشريف المدوح عز نصره ولا زالت تفخر بدولته القاهرة مصره فلك مد على الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته السنة السيوف والاقلام وسار على اقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه وطلع فى سماء الكواكب كالبدر فقل ما شئت فى الطلعة القمريه ودعا الى نسك طاعته فلبته فى ذلك الموقف النفوس ونادى على اعدائه منادى الحتف فارانا كيف يكون الترخيم بحذف الرؤس ناهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت ونافست النجوم جواهر الالفاظ فى مدحها فغارت وشملت البرايا بالمن والمنح وقابلت المسىء بالعفو والصفح حماها الله

اليك من بنات الشعر وامهاته فاما ما استأذنت رأيى فيه من الاختلاف الى مجلسى فما أقل نشاطى لك واضيق باطى عنك واشبع قلبى منك واشد استغنائى عن حضورك فان حضرت فأنت كغاش نروض عليه الحلم وتعلم به الصبر وتكلف فيه الاحتمال ونغضى منه الجفن على قذى ونطوى منه الصدر على أذى ونحمله للعيون تأديبا وللقلوب تأنيبا مالك يا أبا الفضل تعتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ومن ذلك التدلل علينا تذللا لنا ومن ذلك التعالى تقصصا ومن ذلك التغالى ترخصا وما بال الدهر ابدلك من التزايد تنقصا ومن التعصب على الاخوان تقمصا ولئن اعتضت عن ذلك الذهاب رجوعا لقد اعتضنا عن هذا النزاع نزوعا فانا برحلك وجانبك ملق حبلك على غاربك لا أوثر قربك ولا اندسر بك ولو أحببت ان أوجدك لقلت

تعالى من الغير وجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير وأما منشئ السيرة فماذا اقول وقد رأيت الخطب جليلا وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا هو كبير اناس مزمل من البلاغة بانواع وأجناس يأتم به الهداة كانه علم وتروم الادباء المقابسة به فيقاسون وامكن من شدة الالم له في الادب صريعه ونهامه وفراهة تجري به الى المقامات الرائقة فلانه تريه سآمه ماهم بتركيب معنى الا وشرح الصدور بذلك الهم ولاشن فارس فكره غارة الا وتم منها على بيوت الشعراء ماتم طالما ظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله وصعبت الآداب على غيره لكنها اصبحت عليه سهله وعقل غرائب نكته عما سواه فلله ما ابدع عقله كدر عيش الحلي بما ابتدعه من العجائب ولا ينكر انه له تكدير الصفي واكنني في ميدان البراعة بجواد فكره الذي جال وهو مكر مفر وهكذا يكون المكتفي الى في تاريخه بالفاظ لو رآها ابن الاثير اثار وابن سعيد لتعثر وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى او الحجازي لرمي منها بالداهية التي هدمت ما بناه وثقلت عليه حملا وكتب خطا الوحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره أو ابن البواب لهتك ستره وجاء بادب لو وازن أحد به الراجح الحلي لما اقام له وزنا ولا رجحه ولو تامل المليحي ملاحة لفظه الذي ما مر مثله بالذوق الا قال لسان التعجب ما أملحه ولو قيس به ابن الرومي المتعاظم لانشد الناظم

ولواني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما القى ولكن * تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ولو تشبه به مادح كافور لعاد من برده بكبد حرا ولو كاف مجاراته صاحب القطر النباتي لقال ربنا أفرغ علينا صبرا ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لما زادته الا خبالا ولرأى سطورا تتوالد منها المعاني العجيبة والليالي كاعات حبالى ولو أصبح ابن قادوس نخارا بمثل أدبه اقلماله حسبه ان يدور في الدولاب ولو سرح الزغاري الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب ولو تلمح المعمار عليم العلم انه ينحت من الجبال بيوتا ولو رآه ابو نواس لقال هذا الذي نقل الادب خبرا وعلم من اين يوتى ولو عورض به ابن مماتي اطال على قريحته الميتة النحب اوذكر الصابي لقال الذوق السليم ليس لعصرنا من صاب سوى هذا الاديب ولو أدرك آدابه الحكيم ابن دانيال لعلم انه ما تخيل نظيرها في الوهم ولا نهو ر مثلها في الخيال واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصاري

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

فما اوفر عقل هذا الشاعر وأوفاه وما أقدره على تخيل المعاني الغريبة واقواه وما احق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التي تعاطاها بسواه كم تصور معنى في الذهن فابرزه في الخارج اغرب الاشياء اسلوبا وكم ركب جناسا اذا ذكر البستي عنده قال الادب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا ولقد كنت ارتجي بابا ادخل منه للتقريض ففتح لي المقر التقوي بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا ابقاه الله لابهام يوضحه وفساد عاجز يصلحه والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة

ما يفعل الله باليهود
ولا بعاد ولا بعود
ولا بفرعون اذ عصاه
ما يفعل الشعر بالحدود

(وله أيضا الى الشيخ أبي جعفر الميكالي)

الامير الفاضل الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال الخدمة فسيح مجال الفضل رحيب مخترق الجود طيب مجمع العود

ولو نظمت الثريا
والشعر بين قريضا
وكاهل الارض ضربا
وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضدا
أو للهواء نقيضا
بل لو بلوت عليه
سود الذوائب بيضا
او ادعيت الثريا
لا خمصيه حضيضا
والصبر عبد لهباء
عند العطاء مغيضا

لما كنت الا في ذمة القصور وجانب التقصير فكيف وأنا قاعد الحالة في المدح قاصر الآلة عن الشرح ولكني اقول الثناء منهج الى سلك والسخي جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة

قريحته التى هى لعجائب الادب حائزه ويجعله ممن يسرح فى رياض الصدقات الشريفة باسوقه اليه من وفور الجائزه والح المصنف بعد ذلك على المقر الجدى فضل الله ابن مكانس فكتب بالطف نظرت هذه السيرة التى يعرض عنها المعارض وينزه موائدها فى رياض الادب على بكر من سوام المعانى وفارض فوجدته قد نهض بعبء ثقيل من الكلام وقام واوقف البلغاء فى مقام العجز وبعد ذر العاجز اذ شرع بابذكر مولانا السلطان فى هذا المقام خلد الله ملكه الشريف وعم بعدله المبسوط مدائن فضل ذات ظل وريف وجعل ايامه الزاهرة تواريخ السعود ومغانم الوفود ومواسم الكرم والجود وثبت قواعد سلطانه على النجوم ورفع جنابه المعظم على الافلاك حتى تسير لخدمته ممنطقات بمناطق النجوم واعز دولته عزا يذل له الدبر والاملس وتلبس اثوابه فى الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس هنالك ينحنى الهلال لتقبيل اقدامه ويمد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه ويتضاءل كل منهما فيصير هذا نعل فرسه وهذا حلية لجامه وملكه رقاب العباد وامضى احكام سيوفه فى رقاب اهل العناد حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا وسعى فى مراضى الله فزلزل ديار الكفار سماء وارضا ضاعف الله ثواب عمله المقبول وانشد بشكره لسان العالم حتى ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العليا وارضاها
وشيد الدين والدنيا ببيض ظبا * ان لم تضاه به فى الحرب امضاها

ثم كررت النظر فيها واستنهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشيها فنكس القلم من الخجل راسه وصعد من صريره انفاسه وقال است ممن يجيد فى هذا التقريض عباره ولا ينهض فى وصف ما جاء به هذا الرجل من متين كلمه الذى الخم الفحول فكانما القمهم حجاره فلقد ترفع قلمه فى ارض قرطاسه وسما واتى من الرقيق بشئ يحسبه الظمآن ما وقذف الرعب فى القلوب بذكر الوقائع فورمت خوفا وشكت مما قذف بها ورما فلو وازنه القيراطى لثقل فى الحقيقة عليه او حام على حمى ابن ابى حجلة لفر طائرا من بين يديه او حلا على ابن نباتة سلاف نظمه لم يقل الحى بكاسك الاشهى الحى او اورى زنده مع الشواء لاحرق قلبه ولم يستحسن منه شى او عاصر ابن الساعاتى لم يلتذ بطيب المنام او جارى النصير الحمامى لالقى شعره فى سرب الحمام او تقدم لزمان ابى تمام وناظره اعلم الناس انه غير لبيب وقال له علماء البديع هذا ضد ذلك يا حبيب او ابن حجاج لاظهر فادعة له السخيف ورمى بجميع ما قاله فى الكنيف فهو اولى منهم بما جره الفضل وجذب واحق وان اشتهرت فضائلهم ان يشتهر بالادب فانه لو كلف الغريب من القول لاتى به على كنهه او اقام الاعتذار عن قبيح اقام العذر عما جاء به وذهب على وجهه ولو تصدى لتهجين حسن لزان بما يلا الطروس من ذلك وشحن او حاج بالباطل من يعرب عن الحق لانهض بحجته واسفر بلحن فسبحان من اقدره على ما تقصر عن ادراكه الافهام وتعجز عن تصوره عقول الانام ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فضائحه وسالطى هذه الصحيفة

فلمعة دالة وان لم يكن صدر فناء اولم تكن خمر نخل اولم يصب وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وبعض الحمية آخر المجهود وماش خير من لاش ووجود ماقل خير من عدم ما جل وقليل فى الجيب خير من كثير فى الغيب وجهد المقل احسن من عذر المخل وحمار هو خير من فرس ليس وكوخ فى العيان خير من قصر فى الوهم وزيت خير من ليت وما كان اجود من لو كان وقد قيل عصفور فى الكف خير من كركى فى الجولان تقطف خير من ان تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم والامير لا تنظر من قوافى صنعه الى ركة الفاظها وبعد اغراضها ولكن الى وفور جذرها ونقل مهرها وقلة كنفها فانى منذ فارقت قصبة جرجان ووطئت عتبة خراسان مازففتها الا الى اذى ولا زوجتها سوى هذى على تمرغى فى اعطان المحن وضرورتى الى ابناء الزمن وان كان

خوفا من نشر قبائحه فابى الا اظهار المكتوم وفض المختوم فيا خجلتاه لما كتب ويا فضيحتاه اذ الام الفاضل على ماجابه وعتب ولكنه جرى خلف الجوادين السابقين واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انهما لانت الخافقين ابقاهما الله مدى الازمان واسبغ عليهما غطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان وامتع بجناب منشئها الاحباب واقر به أعين الاخوان وبسط به أنفس الاصحاب والهمنا أجمعين تجنب ما خفى علينا من عوراتنا وكشف حجب قلوبنا بمنه وكرمه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

ليت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام ومازاده حسنا الا تقويته بابيات التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد الخياط فان الشيخ صفى الدين لما قال لعاذله *ليت المنية حالت دون نصحك لى* حسن ابهامه بقوله * فيستريح كلانا من اذى التهم* وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

ابهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى اجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين السهولة والانسجام والتصوير والتورية البارزة فى أحسن القوالب بتسمية نوع الابهام الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى الملى

فان الابهام هنا بين بهيم الليل وبين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل التمييز لاحدهما عن الآخر كما وقع الشرط بين الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد المورى عنه بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

(وكم تمثلت اذ ارخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم)

ارسال المثل نوع اطبق فى البديع ولم ينظمه فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين وهو عبارة عن ان يأتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وقوله صلى الله

الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ويفسح لكل شعر فناء طبعه فهاك من الشعر مايقرى ومن النظم ماترى

اذهب الكأس فعرف الـ
ـفجر قد كاد يلوح
وهو للناس صباح
ولذى الرأى صبوح
والذى يرح بى فى
حلبة اللهو جموح
واسقنيها والامانى
لها عرف يفوح
ان فى الايام اسرا
رابها سوف تبوح
لا يغرنك جسم
صادق الحس وروح
انما نحن الى الآ
جال نغدو ونروح
ويك هذا العمر تفريـ
ـح وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الـ
ـجسم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلـ
ـقطه الديك الذبيح
قبل ان يضرب فى العمـ
ـر الى القدح السفيح
ها كم الدنيا فسحوا
ووقعنا لا نصيح

ارسال المثل

عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب ابي أحمد العسكرى على كثير من هذا الباب ومن أمثلته في الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول النابغة

واست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

ومثله قول بشار

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

وما احلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال ابي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من امثال أبي تمام وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهي أمثال الاشعار السنية والحماسة وامثال أبي نواس بعد أن ألحق امثال القرآن بامثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بامثال العامة في كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أعلل النفس بالآمال ارقبها * ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وعادة النصل ان يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدى بطل

ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني * حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل

وان علاني من دوني فلا عجب * لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل

يا واردا سؤر عيش كله كدر * انفقت صفوك في أيامك الاول

انما الدهر عدو
ولان امسى نصيح
واسان الدهر بالوعـ
ـظ لواعيه فصيح
سيمج الدهر والايام منا تستميح
نحن لاهون وآجا
ل المنى لا تستريح
ضاع ما نحميه من أنـ
ـفسنا وهو يبيح
يا غلام الكأس فاليأ
س من الناس مريح
وقنوعا فمقام الذل بالحر قبيح
آنا بادهر بأبنا
ئك شق وسطيح
وبابكار القوافي
لا على كف شحيح
يا بني ميكال والجو
د لعلاني صريح
شرفا ان مجال الـ
ـفضل فيكم لفسيح
وعلى قدرسنا المد
ـدوح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار
فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا
هر والوجه الصبيح
مرتق مجد بحار الطر
ف فيه وبطيح
مالكم فيه مغيض الـ
ـماء والعرض صحيح

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

ومن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها ابو الطيب المتنبي في قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر اقتل لي مما أراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفحلين الى الغاية التي تنقلا بها في الشمس وزحل وتاخر سوابق الافهام عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لي أن أجمع هنا ما حلا بذوقي من أمثال أبي الطيب المتنبي وان كان فيها ما ولده من شعر ابي تمام كما ذكره ابن ابي الاصبع فان القصد ان تصير عمدة لاهل الانشاء اذا أوردوها في الوقائع التي تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من اختها بدل

وقوله من قصيدة

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
غير اعتمادنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

آيها ذا الكرم الما
ئل والخلق السجيح
كان هذا الجد مينا
عاده منك المسيح

هذه اطال الله بقاء الامير الشهم هدية الوقت وعفو الساعة وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع ومجاوبة الجنان للبنان والشعراء لم تتقدمه نية ولم تنضجه روية لم يفتح له السمع حجابه واذا لبس الامير هذه على علاتها رجوت ان يكون ما بعدها متين واحسن وارصن ورأيه في الوقوف عليه موفق ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

و يعجبني قوله في الهجو وهو مما نحن فيه

فلو كنت امرأ يهجى هجونا * ولكن ضاق فتر عن مسير

وقوله

فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

قد هون الصبر عندي كل نازلة * ولين العزم حد المركب الخشن

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من ابيات قوله

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا * فلما دهتني لم تزدني بها علما

وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني * ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقوله ايضا

وانا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

انى ولد فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل

للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل

جمح الزمان فلا لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل

واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني فاضل

وقال من قصيدة وهي أبلغ ما يكون في المدح

اعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الأقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع مني كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما عمر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

واني رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبني من المديح منها

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وقال من قصيدة

وما ليل بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادي مشوبا

ولا موت بانقص من حياة * ارى لهم معي فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ في الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا

الامير الطال الله بقاءه الى آخر الدعاء في حالي بره وجفائه متفضل وفي نومي ادنائه واد ما ده محسن وهنيأله من حمانا ما يحله ومن عرانا ما يحله ومن اعراضنا ما يستحله بالغي انه ادام الله عزه استزاد صدره فيكنت الظني مجنيا عليه مساء اليه فاذا انا في قرارة الذنب ومثارة العتب وليت شعري اى محظور في العشرة حضرته او مفروض من الخدمة رفضته أو واجب في الزيارة اهملته وهل كنت الا ضيفا هداه نزع شاسع واداه امل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا في آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكره ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ولا زادت

فسافالاسد تفزع من يديه * ورق فنحن نفزع ان يذوبا

وقال من قصيدة وهي التي ذكروا انه ادعى فيها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوّا له ما من صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعي على بصري * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

اذا قدمت على الأهوال شيعني * قلب اذا شئت أن يسلا كم خانا

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس عزيز حيثما كانا

لا اشرئب الى ما لم يفت طمعا * ولا ابيت على ما فات حسرانا

ولا اسر بما غيري الحميد به * ولو حملت الى الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

فمالي وللدنيا طلابي نجومها * ومسعاي منها في شدوق الاراقم

من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روّى سيفه غير راحم

ولولا احتقاري الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

وكاد سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب اني لو هويت فراقكم * لفارقته والدهر أخبث صاحب

فياليت ما بيني وبين احبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب

يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب

كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

* بأي بلاد لم أجرّ ذوائبي * واي مكان لم تطأه ركائبي *

وتخلص الى مديح طاهر ولكنه اتى في تخلصه بالعجائب فقال

كأن رحيلي كان من كف طاهر * فأثبت كوري في ظهور المواهب

ما يقول اثبت كوره في ظهور المواهب الا المتنبي ومن أبياته التي سارت امثالا قوله

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في امر حقير * كطعم الموت في امر عظيم

وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحليم

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الاسماع منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

حرمة الا انقصت صيانة ولا تضاعفت منة الا تراجعت منزلة ولم تزل الصفة بنا حتى صاروا بل الاعظام قطرة وعاد قميص القيام صدرة ودخلت مجالسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا وذلك السلام اختصارا والاهتزاز ايماء والعبارة اشارة وحين عاتبته آمل اعتابه وكاتبته انتظر جوابه وسألته ارجو ايجابه اجاب بالسكوت فما ازددت الا ولاء وعليه ثناء لا جرم اني اليوم ابيض وجه العهد واضح حجة الود طويل لسان القول رفيع حكم العذر وقد حملت الانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه والامير الرئيس اطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لا يورده موفقا ان شاء الله عز وجل

(وله اليه أيضا)

لا تخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدو ترحم

وما اعظم ما قال بعده

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر في الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

ويعجبني قوله من ابيات يتمثل بها في كثرة الاحسان المفرط

ولم تملل تفقدك الموالى * ولم تذمم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار أحب ما يهدى اليه * لغيرقلى وداعك والسلاما

وقال

والغنى في يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم في الاملاق

وقال من قصيدة

وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويستصحب الانسان من لا يلائمه
بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا علمتنى غير ما أنا عالمه

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وقال من قصيدة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما تمر به الوحول

وقوله

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقوله

هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ما قلت من جهل

أنا في خدمة الامير مرجح بين ان اشربها رنقة لا اسيغها والجلح مضغة لا اجيزها وبين ان اطويها على غرها ولا ارتضع اخلاف درها

فلا نفسى تطاوعنى لرفض ولا همى توطئنى لخفض

وبقى أن أقرصه بانامل العتب وأجشمه بالحاظ العذل واعرفه انى ما اطوى مسافة فرارا الا امتحشما ولا اطأ عتبة دارا الا متبرما واست كمن يبسط يده مستجديا او ينقل قدمه مستغذيا فان كان الامير الرئيس اطال الله بقاءه يسرح طرفه في طامح او طامع فليعد للفراسة نظرا فالفقر من ارض العشيرة ساقنا *

اليك والكنا بقرب النجح واجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن اطير اليها بجناحين عجلا وارجع بعرجاوين خجلا

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال

اذا ما الناس جربهم لبيب * فاني قد اكلتهم وذاقا

وقوله

فاترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود

وقوله

ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا يسجو فكيف اذا يموج

وقال

ابى الجمال لأنف صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا

وانا اذا ما الموت صرح في الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله

اهم بشيء والليالي كأنها * تطاردني عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها

بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد

فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله

وما كل وجه ابيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب

كان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب

ولولا ايادي الدهر في الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب

وفي تعب من يجحد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتي لها بضريب

وقوله

* ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ومن تكن الاسد الضواري جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

ولست ابالي بعد ادراكي العلا * أكان تراثا ما تناولت ام كسبا

ويعجبني من هذه القصيدة قوله في مديح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا

ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتب نوع من انواع الخدمة اصنت مجلسه عن قلمي كما اصونه عن قدمي وملت الى ارض الدعاء فهو انفع والى جانب الثناء فهو اوقع وما أفعل ذلك تخففا ولا تثقل وطأتي

اذا ما عتبت فلم تعتب
وهنت عليك فلم تعن بي
سلوت فلو كان ماء الحياة
لعفت الورود ولم اشرب

وكتب الى القاسم الكرجي انا اطال الله بقاء الشيخ سيدي ومولاي وان لم الق تطاول الاخوان الا بالتطول وتحامل الاحرار الا بالتحمل أحسب الشيخ ايده الله على اخلاقه ضنا بما عقدت يدي عليه من الظن به والتقدير في مذهبه ولولا ذلك اقامت في الارض مجال ان ضاقت ظلالك وفي الناس واصل ان رثت

كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته رعبا
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
تخب الجبان النفس أورده البقا * وحب الشجاع الحرب اورده الحربا

وما احلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

ومن أنصاف مطالعه التي يتمثل بها الناس

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثاني لاجل تمام شخص المطلع

* ومن بجسمي وحالي عنده سقم *

ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا في معاملتي * فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

ومما سار من امثالها قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم
يامن يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده

شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من ابيات

وان كان ذنبي كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة

وما كمد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا
وقوله لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

حبالك وأو أخذه بافعاله فان أعارني أذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذي يقرعه ونزولا عن الصعود الذي يشرعه فرشت لمودته خوان صدري وعقدت عليه جوامع خصري ومجامع عمري وان ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التغالي في غير مذهبه أقطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و

لم أرد الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره

فاني وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر وضربت ابطي العسر واليسر وبلوت طعمي الحلو والمر ورضعت ضرعي العرف

وما أحلى ما قال من غزلها

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

منها

أين فضلي اذا قنعت من الدهـر بعيش معجل التنكيد
عش عزيزا أو مت وانت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة

تحقر عندي همتي كل مطلب * ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده

ومازلت طودا لا تزول مناكبي * الى ان بدت للضيم في زلازل

وله من قصيدة

ليس التعلل بالآمال من أربي * ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بنات الدهر تتركني * حتى تسد عليها طرقها همـمي

وما أطف ما قال منها

أرى أناسا ومحصولي على غنم * وذكر جود ومحصولي على الكلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن اقحم حتى لات مقتحم

وقال

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله

اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقال من قصيدة

فوتي في الوغى عيشي لأني * رأيت العيش من ارب النفوس

وقال من أخرى

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب * ترمي امرأ غير رعديد ولا نكس

وقال

خير الطيور على القصور وشرها * يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقال أيضا

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال ايضا

وهبني قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال أيضا

وشغل النفس عن طلب المعالي * ببيع الشعر في سوق الكساد

والفكر فما تكاد الايام تريني من انواعها غريبا وتسمعني من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت احدا الاملأت حافتي سمعه وبصره وشغلت حيزي فكره ونظره واثقلت كفته في الحزن وكفته في الوزن وودلو بادر القرن صحيفتي اولفي صفحتي فالى صغرت هذا الصغر في عينه وما الذي ازرى بي عنده حتى احتجب وقد قصدته ولزم ارضه وقد حضرته انا احاشيه ان يجهل قدر الفضل أو يجحد فضل العلم او يتطى ظهر التيه على اهليه واسأله ان يحتمي من بينهم بفضل اعظام ان زلت بي مرة قدم في قصده وكأني به وقد غضب لهذه الخاطبة المجحفة والرتبة المتعسفة وهو في جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته

ومنها

وماماضى الشباب بمسترد * ولا يوم يمر بمستعاد *
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وجدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت لجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم انى رجل * اكرم مال ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده

يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ماليس يجنى عليهم العدم

وقال ايضا

خليلك انت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وما أحلى قوله منها

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام

ومما سار من امثالها

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فما تدرى أشيخ ام غلام

وقال من قصيدة

اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستمطرا امطرت على مصائبا

وقال منها

خذ من ثناى عليك ما اسطيعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها

ومن ابيه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقوله

انا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * واذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * ان لا ترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وقال من قصيدة

لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

ونزع عن شيمته فى الجفاء فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزه وتاييده

(وله أيضا اليه)

بعز على اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة وعلى ان اسعى وليس على ادراك النجاح وقد حضرت داره وقبلت جداره ومابى حب الحيطان ولكن شغفا بالقطان ولا عشق الجدران ولكن شوقا الى السكان وحين عدت العوادى عنه املبت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول

ان يكن تركى لقصدك ذنبا
فكفى ان لا اراك عقابا

وما أحلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطقة * فانى على تركها اقدر
أصرف نفسى كما اشتهى * واملكها والقنا احمر

ويطربنى من مديحها قوله منها ايضا

كفتك المروءة ما تتقى * وآمنك الود ما تحذر

وقال

فلا تطمعن من حاسد فى مودة * وان كنت تبديها اليه وتنيل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول

وقوله

وما الخصل فى بر به تمنة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وما أحلى ما قال بعده

* اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا *
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ويعجبنى منها فى افتخاره

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا *

ومن أمثالها

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى * انا الصائح المحكى والآخر الصدى
وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد فى مديحها بقوله

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة

* لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة

وما التيه طبى فيهم غير اننى * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله

وكيف يتم باسك فى اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

وله أيضا رسالة كتبها بسكند وقد قطع عليه العرب الى سعيد الاسمعيلى

كتابى اطال الله بقاء الشيخ الفاضل بل رقعتى وقد بكرت على مغيرة الاعراب ككهمس وربيعة بن مكدم وعتبة بن الحرث بن شهاب وانا احمد الله الى الشيخ واذم الدهر فما ترك لى فضة لافضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره ولا ضيعة الا اضاعها ولا مالا الا مال اليه ولا حلا الا حل عليه ولا فرسا الا افترسه ولا سبدا الا استبد به ولا لبدا الا لبد فيه ولا بزة الا ابتزها ولا عارية الا ارتجعها ولا وديعة الا انتزعها ولا خلعة الا اخلعها ولا ناد اخل نيسابور ولا حلية الا الجلدة ولا بردة الا القشرة

وماجهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب يولده دلال * وكم بعد يولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعجبنى من مديحها

اذا كان ماتنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت ومافى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة

وماتنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرائم

وقال من غيرها

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال من قصيدة

ومافى سطوة الارباب عيب * ولا فى زلة العبدان عار

وقال من قصيدة

واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

وما احلى ماقال بعده

ابدا تسترد ماتهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد

رب امر أتاك لاتحمد الفعال فيـــــه وتحمد الافعالا
واذا ماخلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها

هكذا هكذا والا فلالا

وقال من قصيدة مطلعها

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران
واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

قوله جارمه فى نسخة جانيه

والله تعالى ولى الخلاف بجلاله والفرج بيسره وهو حسبى ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب)

أنا أطال الله بقاء الشيخ الامام بصير بابناء الذنوب وأولاد الدروب أعرفهم بشامة وأثبتهم بعلامة والعلامة بينى وبينهم ان يفسدوا الصنيع على صانعه ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويرموا فى الحكاية سهم الشكاية ويجيلوا فى الشكاية قدح النكاية ثم لايرون النكاية الا السعاية وان أعوزهم الصدق مالوا الى الكذب وان حلم الجد عوضوا باللعب ومن علاماتهم قبح مقاماتهم وايرادظلاماتهم موارد النصيحة لكبرائهم

وكثير من السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذي عنده تدار المنايا * كالذي عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة

ومن تفكر في الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التي سارت أمثالا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وقوله منها

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أ كان سخاء ما أتى أم تساخيا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقال أيضا

فارم بي ما اردت مني فاني * أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وان كا * ن لساني يرى من الشعراء

وقال من قصيد

فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ويعجبني من مديحها

كأن كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في اجفان يعقوب
اذا اعترته أعاديه بمسئلة * فقد غزته بجيش غير مغلوب

وقال أيضا

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده

وفي الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ماله * مدى ينتهي بي في مراد أحده

وقال

اذا حلت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ما قبله تيها

وقوله

وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم ابجل عنده واكرم

منها

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

ومن آياتهم كثرة جناياتهم على الفضلاء وشدة حنقهم على من لم يخطرهم بباله ولا يحطهم في حباله فاذا انضاف الى ضيق اكنافهم سعة آنافهم والى قبح مقاماتهم قصر قاماتهم والى خبث محضرهم خبث منظرهم والى خدودهم غلظ جلودهم والى سوء بالهم خشونة سبالهم والى مرض فؤادهم صفرة أجسادهم والى لين قفاهم غلظ الواههم فذلك من أعلى القوم طبقة في السفال وابعدهم غاية في النكال والذي فاوضني القاضي في معناه جلي في بابه ما حكاه يجمع هذه الخصال وقيادة وينتظم هذه الاوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله ان يكذب الطهارة أصله ام نجابة نسله ام

وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلى واعلم انه * متى أجزه حلما من الجهل يندم
وما كل ناو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

منها

رضيت بما ترضى به لى محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم

وقوله

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

منها وأجاد الى الغاية

واظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقال من قصيدة

لا تلق دهرك الا غير مكترث * مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن

وقال من قصيدة

ومراد النفوس أهون من ان * تتعادى فيه وان تتفانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

وله من قصيدة

ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

وقال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام

حصانة أهله أم رجاحة عقله أم ملاحة شكله أم غزارة فضله ولم يجوز على ما حكاه اليمينى طريدا وبانى حصيدا ويؤنسنى وحيدا ويصطنعنى مبديا ومعيدا وكان يقدرنى انه اذا رآنى افعل شنيعا أو سمع انى الفظ نكرا لم يأل فى تحسين أمرى فعل الوالد بولده من جهته ونظر المولى لصنيعه أقرب والآن اذ عاد الامر الى العتاب فهلم الى الحساب ان كنت أخللت بطرف من طاعتى من جهة فقد نقصنى ما عودنى من وجوه وذلك انه كان لا يتجاسر أحد على ان يفرينى عنده فقد صار يفرينى عنده ويبرى جلده وكان يقوم قناتى فقد صار يحبط حسناتى وكان يثمر مالى فقد صار يبطل آمالى

وما أحلى ماقال بعده

ولم أرفى عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وملنى الفراش وكان جنبى * يمل لقاءه فى كل عام

ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل

وزائرتى كأن بها حياء * فليس تزور الافى الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت فى عظامى

يضيق الجلد عن نفسى وعنها * فتوسعه بأنواع السقام

اذا ما فارقتنى غسلتنى * كأنا عاكفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعها باربعة سجام

اراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك فى الكرب العظام

فان أمرض فما مرض اصطبارى * وان احمم فما حم اعتزامى

وان اسلم فما ابقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقوله

وللسر منى موضع لاينا له * نديم ولا يفضى اليه شراب

وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

اعز مكان فى الدنا ظهر سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

منها فى المديح قوله فى كافور

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ماينثنى عليه يعاب

اذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

وما احلى ماقال بعده

وما كنت لولا انت الامهاجرا * له كل يوم بلدة وصحاب

وقوله

من اقتضى بسوى الهندى حاجته * اجاب كل سؤال عن هل بلم

منها

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

لاتشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

سبحان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الالم

ومن امثاله التى سارت فى هجو كافور قوله

العبد ليس لحر صالح باخ * لو انه فى ثياب الحر مولود

وكان يحشد لامرى احتشاده لامره فقد نبذت وراء ظهره وقد كان يحمل فقد صار يتحامل وكان لايضايقنى فى الالوف من الدراهم والدنانير فقد ضايقنى فى الشعير فى حمل بعير وللعبودية ذل اليهودية وذل المرودية والادلال مع الاذلال والطاعة مع الافضال فليستأنف الشيخ حال المولى ليستأنف حال العبد والله من وراء التسديد ونعم الوكيل

(وله ايضا اليه)

كتبتها أطال الله بقاء الشيخ الامام شمس الاسلام والحمد لله الذى أعادها الاشراق وآنس بها الآفاق بعدما كادت الظلمة وأمكنت راميها الثلمة واسلمت ساحبها العقدة وحرقت ثوبها البدعة

لاتشترى العبد الا والعصى معه * ان العبيد لانجاس مناكيد
ما كنت أحسبنى ابقى الى زمن * يسى بى فيه كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصى مكرمة * اقومه البيض أم آباؤه السود

ومن امثاله

ومن جهلت نفسه قدره * راى غيره منه مالايرى

ومن انصافه التى سارت أمثالا

ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقال من قصيد

قد كنت احذر بينهم من مثل ذا * لو كان ينفع خائفا ان يحذرا
اعطى الزمان فماقبلت عطاءه * واراد بى فاردت ان اتخيرا

وقال من قصيدة

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وقوله

نحن بنو الموتى فمابالنا * نعاف مالابد من شربه
تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه
لوفكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه * كغاية المفرط فى حربه
فلاقضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد

اذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رايت هنا فى هذا القدر الذى اوردته من شعر ابى الطيب من ارسال المثل ماتطيب به الاذواق وتجول به فرسان الانشاء بالحرمن جياد الاقلام فى ميادين الاوراق وعلى كل تقدير فالابى الطيب فى حكمه وأمثاله نظير * وهنا نكتة لطيفة وهى ان صلاح الدين الصفدى كان مذهبه تقديم ابى الطيب المتنبى على ابى تمام وهو مذهب ابى العلاء المعرى فانه سمى ديوانه بعد ماشرحه معجز احمد فاتفق ان صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية وذاكره فى ابى الطيب وابى تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ اثير الدين ابى حيان وذاكراه فى ذلك فقدم أباتمام فلاماه على ذلك فقال انالا اسمع لوما فى حبيب انتهى ومذهبى فى ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ اثير الدين ماسمع فى حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند فمن المستحيل رجوع ابى بكر من حب احمد وقد عن لى أن اورد هنا ماسارت فى الخافقين حكمه وامثاله وانقاد اهل الذوق السليم لطاعته لماورد عليهم مثاله وهو تأليفى الذى وسمته بتغريد الصادح وماذاك الان سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نورالله ضريحه وجعل من

وهنت الجماعة والجمعة
ومرض الاسلام والسنة
وبعد ماأطلع الشيطان قرنه
وأملح وفقرفه وأولع
ومديده الى الدين ليقلع
وشفاه الى العلم ليبلع
وكبر الاسلام الصخرة حيث
ملك البحرة ثم ابدل الله
الهدى على الضلال وأهل
السليط بالذبال وتصدق
بالشيخ الامام على الانام
وابقى جماله للاسلام والله
يقرن هذا النعمة بالقمام
ثم يربط تمامها بالدوام
من هراة عن سلامة بسلامة
امام نجيب وبنضارة أيامه
تطيب والله عليم محمود
وصلى الله على النبى محمد وآله
ونفتح للامام من الصدور
مالبس فى الفؤاد ومن
القلوب مالبس للاولاد

الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه كان يقول اوداًن انتزع من الصادح والباغم أرجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط ان يكون البيت منسجما مع الذى قبله والذى بعده ولم يتيسر لى ذلك اصعوبة المسلك انتهى ولما قدر الله تعالى ماقدره من الاختفاء بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند حلول الملك الناصر بها وانا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظر فيه يوما وذكر قول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت له هذه الارجوزة التى سارت غرر أمثالها ولم يسمح الزمان اوائل بمثالها ومن سافر فيها انظره وكان الذوق السليم رفيقه علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة وسميتها بتغريد الصادح وصدرتها من نظمى بابيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يامدعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها امثال * ليس لها فى عصرنا امثال
ألفها ابن حجة للنجبا * لأن فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذه * تجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أول وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من انكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أول مايرغب فى استملاله * من نظمه المحكم فى مقاله

وهذا أول الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتى هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه

فكانما اشتق من جميع الاكباد وكانما ولد لجميع البلاد سواء الما كف فيه والباد فلقد رأيتها كلها لشكاته منقسمة ثم رأيت الوجوه كلها لنجاته متبسمة ولا اعتد عليه فانى منه واليه على أنى نذرت بسلامته النذور وسالت الله ان يصرف عنه المحذور وان يأخذ أحد نامكانه وليكن من كانه وان أشفق الناس من فدائه فى وحدى وولدى بعدى والخط له بعدى هذا ماله عندى تناله يدى ويبلغه جهدى هذا هو الولاء الذى الباطن والظاهر فيه سواء كيف يرى الشيخ الامام سماحة الضمير لما يلى وودائع الصدر فيما يغلى

من انكر القضا انه هو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بامر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا
ان العظيم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علمت واللبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغترر بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لا بد له من الكدر

انظر أيها المتأمل كيف انبعث قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رايت الاتفاق العجيب منها

وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كى على الفؤاد
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا اخاه * وهو اذا ما عد من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر رعا الا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز أن تهلكا

وما اشبه فى ذلك صدرى الابتر ممنع طريقه فابتلع ريقه ولم يشتق بالسكر فنهر النهر وغمر البحر وغرق الحجر وقلع الشجر كذلك مولاى الشيخ الامام سكرت عنه زمانا ثم عند الشدائد تذهب الاحقاد وترق الاكباد فرفعت سكره فخرف اليه طريقى ومنادى وروحى وجسدى ووالدى وولدى ولم أخل فى خلال الوحشة من شكر لاياديه وصفح من يعاديه وتجهيز السلام الى ناديه والغمام لواديه وكل افعال الشيخ الامام غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام الان ما أوجب لفلان روض انانسيمه وشجر انا ثمرته وعود جره لسانى وجود شكره ضمانى وستسفر الايام والليالى عن وجوه تلك

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم نظر الغالب يوما فترك * عنه التوقي واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لا خير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ما غلب الايام الا الصابر
لا تياسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لحظة الطرف بكاء وضحك * وناجذ باد ودمع ينسفك
تنال بالرفق و بالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ما أحسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه
اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فثم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فأصبر الآن لهذى المحن
فالموت لا يكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فأجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ما غلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيأ صغيرا محتقر * فربما اسالت الدم الابر
لا تحرج الخصم ففى احراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة بانت مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * وما نظرت حسن السرائر

الا لى فيعلم انه لم يزرع فى
سبخة والله على ذلك معين
وددت لو يسمع الشيخ فى
مجلسى والفقه أبو سعيد
حاضرى فيرى تسالب الثناء
بينى وبينه وتناهب الدعاء
منى ومنه ولو كان ذلك
لسمعت أذناه ما تقر به عيناه
وللشيخ الامام فى الوقوف
على ما كتب به الرأى الموفق
ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ
قليل فى الولاء ان احتذى
من العين واتخذ نعلين أن
يسوقنى هذا المساق الا
الشوق الهائج والوجد
اللاعج وانا فى هذه الحرقة
كثير الشوق ولكنى وردت
لغير ما أردت انما ضربت
فى جنب ما نسبوا الى من
الذنب وطعنت فى عين ما
قذفت به من المين وفرجت

ليس يضر البدر فى سناه * ان الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * ناطقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه الا النفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
ايؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذا الذى يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
ان أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولا تخل بسر الذى مثل اليمنى
وللرجال فاعلن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لا يخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء ما يريد
وهو برىء مبتسم فى الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنىء نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذا الذى يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم افاضل أحرار * ما ظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أطيعا
ما طاب فرع أصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لا يبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمايلت أطرافه * فى طيها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يه طبك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يه طبك للمصانعه * أو حاجة له اليك واقعه

على مقام يومين وسارد فارحض المهمه وامحض الخدمه ان شاء الله واجدد عهدا بين ذلك وآخذ موثقا من أولئك لئلا يتهمنى كل ما كذب كاذب أو اشتمل كاذب أو شرع حاسد بكفران نعمته قل لى أيستحل ان يسمع فى المحال ولم يكشف فيه الحال وما هذا التصديق لرجل ليس فى المروءة راسا ولا فى الدين ذنبا والله يكفى شاهدا وان كان واحدا فاما غير الله فلا أقل من شاهدين ولا كل شاهدين حتى يكونا عدلين وما أرى الشيخ فى دخوله بينى وبين أبى الحسين بن مهران الا داخلا بين العصا ولحائها انه جلدة بين العين والانف وخدة بين الذفرى والشنف ا

لاتشرها الى حطام عاجل * كم آكلة اودت بنفس الآكل
واحذر أخى بافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى أوكرمه * افساد شخص كامل لقرمه
فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء
والبغى فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وسالك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لا تعطيا شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا ابنيه عبيد
فرحمة الله فى الآخرة * خاتمة مع الهبات الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جاء خاتما

انتهى ماأوردته من امثال أبى الطيب المتنبى وامثال الصادح والباغم ولم أقصد بذلك الاأخذ مايحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على أنواعه خصوصا أهل الانشاء فانه حلبة جولانهم وعدة فرسانهم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقوله استسمنت ذا ورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عزالدين فى بديعيته

أنوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح اشهر من نار على علم

فقوله أشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبيتى

وكم عثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم

فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لايخفى على الحذاق من أهل الادب

على ان أبا الحسين لو أوحشنى مااستوحشت ولو استوحشت لاوحشت ولو اوحشت لاخذت فى وطنى لعقرب! وجبهته ومن قرص الحية لسعته واذا قالت الحية دعنى فلا تلعنى فقد نصحتك وما سألتك شططا كيف القاه بخرطوم فيل ولم ألقى بانف طويل ولم ابتاعه بثمن نزر ولم يلحظنى بنظر شزر وهل كان يعززنى ان كانت له حرمة الخلافة فلى حرمة الضيافة وان توسل بماضى فلى الوسيلة بما بقى وهذا خطب لا يرفعه قلم رطب ولكن هذا عنوانه حتى يأتيك عيانه وكنت أردمن الشيخ على شرعة من البر تروى الظماء العشر وأخاف ان تكون هذه التساعير

(التهكم)

(ذكر التهكم)

*(ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم)*

التهكم نوع عزيز فى أنواع البديع اعلوّ مناره وصعوبة مسلكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينها بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه

والتهكم المحتقر قال أبو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون التهكم لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة أولشدة الكبرأ ولتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله في الاستعمال وفي المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة في موضع الانذار قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال الزمخشري ان في تأويل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من امره في الحقيقة اذا جاء والله أعلم ومنه قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أووارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروى في ابن أبي حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات * وهي أنكى من الظبا والعوالي
واذا ماعلا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال
وارى الانحناء في مخلب البا * زي ولم يعد مخلب الرئبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة بحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما أحلى ما ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورني في الخيال

وقول ابن الرومي

فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف مانظم في التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا أخا الحامر ويا ابن القتب
ومن نشا والده * بين الربا والكتب
ياعربي ياعربي * ياعربي ياعربي

وهذا النوع اعني التهكم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته ولم يره في كتب من تقدمه من ائمة البديع والعميان لم ينظموه في بديعيتهم وقنع الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من اشعار معاليه بالشميم فانه ذكر بعض شواهده ولم يأت له بحد تمشي الافهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبي الاصبع ازال بكارة اشكاله وكان ابا عذرته وأرضع الاذواق ابان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزل

بنميم لا بل بكذب بهيم
لا بل ببهتان عظيم لا بل
بكذب ان عقيم قد كدر
على تلك الشرعة وانا
أنشده الله فيها وسأردفان
وحدث الحال كانزات فدار
الشمل جامعة وان تغيرت
عما عهدت فارض الله
واسعة
ان لم تمن باسالك بمعروف *
فامنن على بتسريح باحسان
وفي الجملة ان ابن الهمذاني
اذا رضي بان يخدم ولا
يخدم فان العبودية لا تعدم

(وله اليه أيضا)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ
والناس تذاكروا البشرى
يعرفون قدرها وفي الوزارة
يعظمون صدرها وتحت
الرغوة صريح لو عاوه
والشيخ أولى بان يعظموه
فوالله لقد زف منه اليها
أعظم مما زف منها اليه
وسيدرها على القطب
ويضع الهناء مواضع النقب

الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة فى الآخر يخالف معناها معنى الالتزام فى الكلام الاول وهو فى هذا دون الاول والشيخ صفى الدين نظم التهكم فى بديعيته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيانه ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه وبيته

محضتنى النصح احسانا على بلا * غش وقلدتنى الانعام فاحتكم

لم يظهر لى من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة فى موضع الانذار ولا على الوعد فى موضع الوعيد ولم يشر فى بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم ينظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت فيما قد مضى لك من * قولى بأنك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر فى بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتى

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل فى موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

*(قال اصطبر قلت صبرى ما براجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم)*

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الى حكم فى البديع ما نظمتها فى اسلاك أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء فى معرض المدح والاشتراك والالغاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع أعنى المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما فى بيت واحد أو فى أبيات كقول عمر بن أبى ربيعة

بينما ينعتننى أبصرننى * مثل قيد الرمح يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن أبى الاصبع لما أورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام فى مواضعه وما ذاك الا أن قوافى الابيات لو اطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته فى الابيات فانه جعل التى عرفته وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها به هى الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال انما مالت الصغرى اليه دون اختيها الضعف عقلها او قلة تجريبها فانى أقول

(المراجعة)

ومن صحب كفاية الشيخ احتاج اليه الملك طوعا والامن المفرط ورضا والامن السخط ومن وجد الرشاء استقى متى شاء ومن ساد لم يعدم الرشاد وأقسم لو نطق ذلك الدست لقال بأبى أنت ما خلعت حدادى منذ فارقت مسندى ووسادى فالآن ردت الدولة الى نصابها وجرت الامور على اذلالها وأتى الامر من وجهه واستنزل النصر من بابه وطلب المراد من مطلبه وأعطى القوس باريها وعلى الآن ضمان الدرك ثم عونك اللهم تأخرت كتبى عن الشيخ وما أخرتها اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن لتلك الحضرة رسوم وابتناء بهما لوم ولا سيما فى المخاطبات

انه تخلص من هذا المدخل بكونه أخبران الكبرى التي هي أعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك وقنعت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه واظهرت تجاهل العارف الذي موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح واما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى في الثبات واما الصغرى فنزلتها في الثبات دون الاختين لانها أظهرت في معرفة وصفه ما دل على شدة شغفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فالفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن ابي الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول أبي نواس

قال لي يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفني وعليا * أيّنا أبقى وانفع
قلت اني ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لي قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي * قال صفني قلت تمنع

ومثله قول البحتري

بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسي * قال ابيك قلت ابيك ألفا
ها كها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من أبيات

قالت آلا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فاني طالب غرة * منه وسيفي صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فاني سابح ماهر
قالت فان القصر عالي البنا * قلت فاني فوقه طائر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعييتنا حيلة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد اشمت بي حسدى * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت انا قالت والاثنى * قلت أنا قالت والا أنا

وهي أبيات طويلة جميعها على هذا المنوال منسوج ولكني اكتفيت بالتمثيل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

قالوا اصطبر قلت صبري غير متسع * قالوا اسلهم قلت ودي غير منصرم

ولم ينظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

راجعت في القول اذ أطلقت سلونهم * قال اسلهم قلت سمعي عنك في صمم

وضيقها والجواد لا يجزع من الاكاف جزعي من مخاطبة الكاف فان جاز ان امتاز عن جملة الناس بهذا المزيد ومن الشيخ المكاتبة فان لم يره الصواب فالجواب ان لا جواب والسلام

(وله اليه أيضا)

كتبت ولبست التجربة خمسة أجربة ولاسبعين ذراعا انما التجربة دفعة والتقدمة لفظة ثم العاقل بفطنته يكيس ويقيس والجاهل بغفلته يخس ويخيس ياأبا الفضل ليس هذا بزمانك وليست هذه بدارك ولا السوق سوق متاعك بئست الكتب وما وسقت والاقلام وما نسقت والمحابر وما سقت والاسجاع اذا اتسقت واللوم ولا هذه العلوم

والمراجعة ان لم تتكرر لم يبق لها فى القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماه وقد تقدم قول الشاعر وتكراره فى قوله

قلت أنا قالت والأنثى * قلت أنا قالت والأنا

وعز الدين لم يكرر مراجعته ولم يأت بها الا فى مكان واحد والذى أقوله انه ما صده عن ذلك الا اشتغاله بتسمية النوع ولكن لينه لو دخل الى سوق الرقيق وبيت بديعيتي

قال اصطبر قلت صبرى ما راجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

(ذكر التوشيح)

*(توشيحهم بعلا تلك الشعور اذا * لفوه طيا تعرفنا بنشرهم)*

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو ان يكون فى أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه وأورد ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير من اعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان فى معنى اصطفاء المذكورين ما يعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف ورأى فى صدر البيت ذكر الزنة تحقق ان تكون القافية رزينا ليس الا ومن عجائب أمثلة هذا النوع ما حكى عن عمر بن أبى ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

* تشط غدا دار جيراننا *

فقال له عبد الله

* وللدار بعد غد أبعد *

فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها *

حتى انتهى الى قوله

* تزجى اغن كأن ابرة روقه *

ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال

جرير

(التوشيح)

وأمت لنا مكان الملك عمرو
وغوثا حول قبتنا ندور
ولو استقبلت من أمرى ما
استدبرت لو اجرت وقامرت
لكنى اصبت وجه الرأى
والعود يابس واللحية بيضاء
ولقد صدق الشاعر اذ قال
لا يصبر الغلام جلدا ذكيا *
ناقدا فى الامور حتى وحتى
وعلى الشاعر ان يقول وعلى
السامع القبول ولعمرى
لقد سمعت هذا البيت كما
سمعه فلان ولكنه وفق
لاعتقاده مثله واتخاذه
قبلة واعتماده حرفة
لاجرم انه اجتنى ثمراتها
وولانى حسراتها فهو
يصل اذا حجبت ويعطى
اذا حرمت وعند الله
احتسبت عمرا اضعناه فى
الادب واتلفناه فى العلوم

جريرا راه يتلب بهامثلا فقال الفرزدق انه سيقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن أبى الاصبع الذى أقوله ان بين ابن العباس و بين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل وفضل ابن عباس رضى الله عنه ما معلوم وانا اذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها وعلم انها دالية مردفة بالف وهى من وزن قد عرف ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها وقد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح ان فيها مايدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء و بيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اى ضرب هى من القوافى ولا روية من اى الحروف ولا حركة رويه من أى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما امد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن ابى الاصبع و بين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح ولم يحصل الالتباس الا لكون كل منهما يدل صدره على عجزه والفرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين ايضا ان التوشيح قد تقدم انه لابد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا نوع التوشيح فى بديعيتهم و بيت صفى الدين

هم ارضعونى ثدى الوصل حافلة * فكيف يحسن منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم انها ميمية وقدم على السامع منها عدة ابيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والثدى فما يخفى ان تكون القافية منفطما الا على كل اجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه و بيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلا حلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء غطانى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها و بيتى

توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لقوه طابا يعرفنا بنشرهم

هذا النوع اعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة والبسطة فى علم الادب وحسن التصرف لا سيما اذا التزم بتسمية النوع وابراز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظة الملا هو الذى رشح جانب التوشيح الجائل على العاتق والكشح واما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور الذى هو الغرام لم يفهم منها شئ يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكر الشئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا للشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان

وتسأله خاتمة خير

(وله اليه أيضا)

كأنى أطال الله بقاء الشيخ عن سلامة لاهم الامرة سوداء حببت الى الوحدة وزينت لى العزلة فوليت الناس جانبى الوحشى فلا عشرة ولا انبساط ولا انقة ولا ابتسام واظن الشيخ لو رآنى اقلان وقال تحرك ايها الثقلان ومالانس لا انس الحديث أسمعنيه وما اقض لا اقض العجب منه وفيه وجح البيت بعض الخبائث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يحجون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حوالها الطيور و بيننا كيتى ولكن سل عن البخت لا عن البيت وابناع بعض الهنود هذا الشائم المشوى

حـــسن التشبيه قدغازل بعيون كماله غزلها والتصريح فى البيت بلفظ اللف والنشر والطى يعرفه من له أدنى ذوق مع انى ماا كتفيت بذلك حتى قلت بعـد اللف والطى تعرّفنا وتعرفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية مميـة مايتصور فى ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع فى هذا البيت من أنواع البديع التورية وحـسن الاسـتعارة والترشيح والمطابقة والبسـط والانسجام والتمكين والسـهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله أعلم بالصواب

(ذكر تشابه الاطراف)

*(شابهت اطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل وادفى صفاتهم)*

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو أيضا مثل المراجعة التى تقـدمت ليس فى كل منهما كبير أمر وتالله ماخطر لى يوما ولاحسن فى الفـكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية فى أول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن أبى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها وأحسن ماوقع فى هذا النوع قول أبى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

ولما كان هـذا النوع لاياتى الافى بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجـل التورية بالتسمية فى بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية فى الشـطر الثانى فجاءبه فى غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين أورد قبله بيت الاكتفاء ويأتى الكلام عليه فى موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر ان الحب غايتـه * سلب الخواطر والالباب قلت لم
لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد فى الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم فى آخر البيت الاول واول الثانى وبيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت بضيق الكلام فيه وبيت بديعيتى

شابهت اطراف أقوالى فان اهم * اهم الى كل وادمن صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ويالبتنى كنت معهم

(ذكر التغاير)

*(اغاير الناس فى حب الرقيب فقد * اراه ابسط آمالى بقربهم)*

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصـله الى مدح ما كان قد ذمه هو او غيره فاما مدح الانسان ماذمه غـيره فان الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهـه اتى فيـه بما يمتزج صافى مشربه بالارواح وينقلنا بديع بلاغتـه من الابهام الى الايضاح فمن ذلك خطبتـه التى مـدح فيها الدنـيا مغايرا لامثاله فى ذمها حيث قال أيها الذام للدنيا المغتر

(تشابه الاطراف)

فازن بذا انى ارطالا ثم وجد الـكمثرى تباع فقال ما أغلاهنا وأرخصه مشويا نويت ان اعـتزل النـاس حتى يعرفوا الكمثرى من الشلغم ان لم يعرفوا الدينار من الدرهم وآوى اليوم حـتى يصف المظـلوم والعاقـل أيد الله الشيخ يسـكن المكان النظيف ولا يالف الكنيف ما أرى ذلك الالما يعاف من خبث الخـرء ويشم من كريه الريح فللطرف من اللحظ ماللانف وللسمـع من النغم ماللشم وما أظن معترض العين لهذه الوجوه

(التغاير)

بغرورها بم تذمها أأنت المتجرئ عليها ام هي المتجرئة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علات وليدك وكم مرضت والديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع أحدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحي الله ومتجر اوليائه اكتسبوا منها الرحمة وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن أبي الاصبع معاني هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فاني * بطريق الانصاف اثني عليها
وعظتنا بكل شئ وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح منها * حين أبدت لأهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذا وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلى الذي كم * عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة منها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت لبرى كل لبيب عقباه في حالتيها
واذا انصفت تعين ان يثني عليها ذو البر من والديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومي فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحتري يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع أعني المغايرة اورده الحريري في المقامة الدينارية وبالغ في مدح الدينار وذمه فقال في مدحه

أكرم به أصفر راقت صفرته * جوّاب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرّته
وقارنت نجح المساعي خطرته * وحببت الى الانام غرّته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرّته

الا معرضها للمكروه ولا صان الاذن عن هذه الانفاس الاصائتها عن الوسواس سكن أبو موسى الاشعري المقابر فقال أجاور قوما لا يغدرون كلا أبا موسى لا يغدرون لانهم لا يقدرون ولكنها الاطلال الخالية والرسوم البالية والانهار الصافية والاشجار الوافية والظلال الضافية والغاشية الماشية والزاوية وفيها العافية وسترى ان لا استنزل عن عزمي شفاعة ولا اتلبث عن الشيخ سمعا ولا طاعة والسلام

(وله اليه يعزيه)

وتالله ما يضرب الكلب كما يضرب هذا القلب ولا يقطر السمع كما يقطر هذا الدمع والنار ارفق بالزناد من هذه المصيبة بالاكباد وما للسم سلطان هذا الغم ولا للغمر طغيان هذا الامر ونفسي الى القبر

وان تفانت أوتوانت عترته * ياحبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناه ونصرته * كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أزانه بدرته * ومستشط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى اقلت جلت قدرته

وقال فى ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق * ولابدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولاشكا المطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر مافيه من الخلائق
أن ليس يغنى عنك فى المضائق * الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لارأى فى وصلك لى ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
كذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبى ذلك وقال

حتى رجعت واقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا مليحة لكن المعنى مأخوذ من قول أبى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب والمعنى فى قول أبى تمام أبلغ فان ابن أبى الاصبع قال لم يرض أبو تمام أن يقول السيف أصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التى لاتكتب الا بالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبى انتهى كلام ابن أبى الاصبع وقد عن لى هنا ان أرفع للمتأخرين فى التقديم رايه ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية فان الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بمالم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقى من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم ومايسطرون ما

اعجل منها الى الصبر واذناى بالموت آنس منها بهذا الصوت أولم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ألم أكن من أبى القاسم مثل الظهر فما هذه العلاوة على الحمل ولم هذه الزيادة على الثقل من هراة وانا بين القول والعمل احمل فى السفا واقول وا اسفا والحمد لله الذى كدر وصفا وصلواته على نبيه المصطفى وآله المجتبى ولولا ان يتطير الشيخ عن مقدمى فيقول لا يأتينى الا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعى ووزمت اجدائه بضلوعى ولكنه ألقى فى روعى ان خدمتى هذه طيرة وان تأخرى عنها خيرة فكلما استخفنى اليه الجزع أقعدنى عنه الفزع ولو كان أحد من البرية فوق ان يذكر بالله لكانه الشيخ ادام الله عزه لما أوتى من تمام

أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم
وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين
وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور ما نقلت صحف البحار
غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى حكمة باريها اما بعد فان القلم منار
الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا
ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام
اموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطاق ارزاق عفاته المتواتره وأنملة الهدى
المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه
ما جرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للناشدين وبعين الله فى ايالى
النفس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت
اسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو جلالها وان تشعبت فنون
الحكم فانما هو أمانها ومآلها واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمتها وعمالها وان
اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو
المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد اوفى بجاب النفع وان أوعد أخاف كانما
يستمد من النقع هذا وهو اسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب
والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه
والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب
والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان والمسود الناصر فكانما هو اعين
الدهر انسان طالما ذب عن حرمها فشد الله ازره ورفع ذكره وقام فى المحاماة عن دينها
أشعث أغبر لو اقسم على الله لابره وقاتل على البعد والصوارم فى القرب واوتى من
معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث جحافل السطور فالقسى دالات والرماح
الفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها
المحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم وساحب ذيلى الفخار
فى الحرب والسلم لا يعاديه الامن سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال
من غربه وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع فى نقسه قيل انا
أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولى هذا
واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما احكم وأسأله
التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من أدواته وجلس على كرسى دواته متمثلا
بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم

النفس وكمال الفضل
والمعرفة باحوال الدهر
والعض على ناجذ الحلم
ولكن انفذ الكريم لوعة
ولفجأة المصيبة روعة ليس
لها الا التدبر والتذكير
والتذكر فانا أذكر الله عز
وجل الذى أنفذ فى مشارق
الارض أمره وأجرى
بين اللحوم والجلود حكمه
وجعل اكثر هذا العالم
دونه وصان مع ذلك من
الشوائب دينه وأبقى له
من صالح الاولاد من يقر
عينه ومن طيب النسل
ما يقوى ظهره ويغيظ
عدوه ولن ينسى الكثير
من آلائه القليل من بلائه
والله يجعل هذه المصيبة
خاتمة المصائب ولا يريه فى
الاعزة سوأ أبدا

(وله اليه ايضا)

وفيما يقول الناس فى
حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا
من جمله ففقده فلما طلع

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى
عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان
فاعصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص
وعقد مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى
الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا ببريق بريق الصوارم
سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم امابعد فان
السيف زند الحق الورى وزنده القوى وحده الفارق بين الرشد والغوى والنجم الهادى
الى الامن وسبيله والثغر الباسم عن تباشير قبوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاه وجلى
شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاه واجرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل
فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأوضحت
به للحق منهاجا وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بصباحه
حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز
التى زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كأنه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد
من بين الصلب والترائب لا تجحد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبت فى الدجى والنقع ناره
يجمع بين الحالتين البأس والكرم ويصاغ فى طوق الحاملين فهو اما طوق فى نحور الاعداء
واما خلخال فى عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضله ويحذف بهمته الجازمة
حروف العلة واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الأهلة فهو القوى
الاستطاعة الطويل العمر اذا قصف سواه فى ساعة فأولى بطول الاحسان وما أجل
ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكأنه زناد
يستضاء به الان دفع الدماء شرره الملتمع كم قد أدرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر
من أثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول فقام نصره المنتظر وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر
وغدت ايامها به ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الظهور وحدت علائقه فى الامور
واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجردته على صروف الاقدار
فى شانها وندب فما أعيت عليه المصالح وباشر اللمم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال
فرق واضح واغاث فى كل فصل فهو اما لغمده سعد الاخبية واما لحامله سعد السعود
واما لضده سعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا وينشرح أنباء الشجاعة فاذا للقلم
ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب
الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومن آيات شريف قمنها طلوع الشمس من
غربه ومنها ان الله أنشا برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبره
وللاذهان السابحة غمرة بعد غمره أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح
ورأى الى الخصام يجنح ولسان يحوجه اللدد الى أن يخرج فيجرح وأتوكل عليه فى صد
الباطل وصرفه واسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختفى فى بعض الخمائل

وغفل

القمر وجده فرفع الى الله
يده فقال اشهد لقد أعليته
وجعلت السماء بيته ثم نظر
الى القمر فقال ان الله
صورك ونورك وعلى البروج
دورك فاذا شاء قدرك واذا
شاء كورك فلا اعلم مزيدا
أسألكه ولئن أهديت الى
قلبى سروره لقد أهدى
الله اليك نوره فالشيخ ذلك
القمر المضىء وانا ذلك
الاعرابى لقد أعلى الله
قدره وأنفذ بين الجلود
واللحم أمره ونظار اليه
والى الذين يحدونه فجعله
فوقهم وجعلهم دونه فلا
اعلم مزيدا الا الدوام فالله
يديم له ظلال النعمة ومجال
القدرة ومساق الدولة
ومراد البغية انه على
ما يشاء قدير والمرء ادام
الله عز الشيخ جزوع ولكنه
حول ولا انسان فى النوائب
شموس ثم ذلول وقد عشت
بعد فراق الشيخ ولكن

وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف افصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشطته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى انه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطبعه المغتر بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمرنى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض بسبى وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه ألست المسود الاحق بقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وانا للوصل وأنت للقطع وأنا للاعطاء وأنت للمنع وانا للصلح وأنت للضراب وأنا للعمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجود ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت ما لم تبلغ به جهدك هيهات انا المنتصب لصالح الدول وانت فى الغمد طريح والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقد مهد لك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فأى الحالتين أرفع والساعى فى تدبير حال القوم والمغنى لنفعهم العمر اذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاورة الفصيح والله يعلم المفسد من المصلح على انه لا ينكر لمثلك التصدى ولا يستغرب منه على مثلى التعدى ما أنا أول من اطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه أولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وجلبت القسوة فكم هيجت سبة حمراء وأثرت دهماء وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حلمى وجهلك من علمى وجسمك من جسمى

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق

أين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة ورؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب واين نذير الاعداء من رسول الاحباب هذا وكم أكلت الاكباد غيظا وحميت الاضغان قيظا وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار واخذت عليك

عيشة الحوت فى البر وبقيت ولكن بقاء الثلج فى الحر (وأخبرنى الخطيب) انه سعد بلقائك ولى النعمة فلم تره يتوجع بشكاية العارضة فسجدت لله شكرا وقدمت صدقة ونذرا وكانت فى نفسى حاجات اعتمدت بها أيام التشييع فلما تلقانى الامر العالى بالرجوع بقيت حاجاتى فى نفسى ولم يعطس بها رأسى وهو يعلم ما لى الراس فى احتباس العطاس ختما صدرى على سرى ولو كنت كلى صدرا ما وسعت الا نزرا فلا اسأله حاجة ولكنى اصف له حال عبده وابن عبده والمتوسل بعبده فلان فربما يسعد من ولى النعمة بكريم نظر فان قحط تلك الديار وغلاء الاسعار والتردد فى الاسفار استنطف ماله واستنزف ماءه فورد هراة فقمش من ههنا مقدارا واعطاه فلان

الايام حتى اشتعل بأبعاضك الجمار ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت ولولا اساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتامل وصفى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال أيها المتطاول على قصره والماشى على طريق غرره والمتعرض منى الى الدمار والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه فش ويحترس بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات وانعبت نفسك فيما لا تدرك الى أن أذهبها التعب حسرات أولست الذى طالما أرعش السيف للهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفالك وشق أنفك ورفعك فى مهمات خاملة وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت وأنت السوقة وانا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من نقسه وأنا سارى الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود واقسم بمن صيرفى قبضتى أنواع اليمن المسخرة وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة وعن برى كفى لاخيب طلبة فانى لا انكر قول بعض أربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه
يا قلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ما أعرف المسكين الا كاتبا ذا متربه

ان عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب أو نخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف أو جمعت عملا فانما جمعك للتكسير أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت فى الدول الاخيال تكتنفى الهم بطيفه أواصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قل ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكفى الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمه وكم خرجت من دواتك انسطير سيئة نخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمة وهب أنك كما قلت مفتوق اللسان جرىء الجنان مداحل بجحلبك بين ذوى الاقتناص معدود من شياطين الدول وانت فى الطرس والنقس بين بناء وغواص فلو جربت خلقى الى ان تحفى وصحت بصريرك الى ان تخفت

خمسين دينارا معونة للطريق وليتبلغ الى الماء بالريق فاذا عرف ولى النعمة هذه الحال عنى به فيما اراه هذه واحدة والاخرى حاجتى التى عرضتها مرارا وكررتها ليلا ونهارا واوردتها سرا وجهارا ثم شغل الرحيل الميمون والنهوض المسعود عن استنجازها فبقيت فى اكمامها وحال القدر دون تمامها وفضل الله به زعيم وكرم الشيخ فيها كفيل وهى الحكومة التى طلبتها للفقيه الذى كان يخلف القاضى اباعمرو على عمله بنيسابور ثم اللهم اياك اسأل ومنك اطلب وعليك اتوكل ان ناصية الشيخ بيدك وان التوفيق من عندك وللشيخ فى تشريف العبد بالجواب وما يقيم له من الايجاب العين العالية والرأى السديد ان شاء الله تعالى

وتحقق فما كنت منى الا بمنزلة المدرة من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بعجزى فانك ممن يبين ولا تحلف لها ان تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك ان تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر استوجب حقا وتسلم من نار حر تلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا ان توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصره ولا جمع عقارب ابل نقسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول ابى تمام

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى اخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى انه هو البادى بهذه المناقشة والبادى اظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم ان الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه احق بقول القائل

لحنها معرب واعجب من ذا * ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال ايها المتلهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة فى السباب والتطفيف فى كيل الجواب واين علم الشيوخ عند جهل الشباب اما كان الاحسن بك ان تترك هذا الرفث وتلم اخاك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتزكو على الغيظ كما تزكو على النار الجيد اما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك اما انا وانت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين وما زال الدهر يعيبنى فى الاكثر الا بنحول جسدى الذى ليس خلقه علىّ وضعفه الذى ليس امره الىّ على ان اشهى الخصور انحفها واقوى الجفون اضعفها وازكى النسمات اعلاها وادناها وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولو انك تقول بالفصاحة وتقف فى هذه الساحة لاسمعتك فى ذلك من اشعارهم واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم وكذلك عيبك سواد خلقى التى

اكسبها الحب حلية صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فبالله وبالحبر الاسود من هذه الجبة الباهره والكرة الخاسره وعلى هذه النسبة ما عيبتنى به من فقر الانبياء وذل الحكماء على ان اطلاقات معروفى معروفة وسطوات امرى فى وجوه الاعداء المكروفة مكشوفة فاستغفر الله مما افرط فى مقالك والتقويض من عوائد احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين فى الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك انى قسيمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض وان ابيت الا ان تتهدد وتجرد الشغب وتتحدد فاذكر ما خلنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية ايد الله نعمها وجازى بالاحسان شيمها وايقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من انسها ولا اخلى فرائض الباس والكرم من قيام خمسها فاقسم من باسه

(وله اليه مع الوفد طلبا للنظر لاهل هراة)

كتب اطال الله بقاء الشيخ والجليل عنوان نعم الله والشيبة فى الاسلام ضمان من امان الله فاذا احسن معها الخلق أضاء بنورها الافق وما يكاد منلى بفعل وان حسنت اخلاقه انما الخطر العظيم ان تحسن اخلاق من بيده الآفاق وعن امره الارزاق وباذنه الحبس والاطلاق وبرأيه الغنى والاملاق والبه تنقطع الاعناق وله لواء خراسان والعراق وترعد الشاش والابلاق فاذا كانت هذه حاله حسنت اخلاقه وعظم عند الله خلاقه والمرء لا تكرم خصاله حتى يكرم حصاله وفصاله ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره ولا ينفس عن مؤمن كربه الا من طاب ماؤه وتربه

باللبل وماوسق ومن بشرطلعته بالقمر اذا اتسق لو تجاورا الاسد والظباء بتلك اليد لوردا بالامن فى منهل ورتعا فى روض لا يجهل ولو لجأ اليها النهار لما داءه بمشيئة الله الليل بزجر أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك الانامل غير سلوك الادب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولا عوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتى اليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين الغى حجابا مستورا ويغسلك ما تقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم فان الامر ما جدع قصير انفه وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ فى ليل المداد نجما وكم فى النجوم غرار لقد تطاولت من أمر أنت البادى بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه وقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونعم ما ذكرت وأحسن بما أشرت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ورددتك الى أمك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن وسالت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لو أثر التقبيل فى يد منعم * لمحا براجم كفها التقبيل
والراحة التى تسمى القلوب اغوثها واغنيها * فيجيبه التأمين والتأميل

والانامل التى علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبتى العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العفاة بعدان ولاولم ولولا ان هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الفضل ومجده الذى اذا جر ذيله وذا الفضل لو تمكن منه بالفضل لاطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح وأفصحت فى مدحها ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد والمجادلة التى عزأمرها على الحديد اقررت أنت انا اللملك كاليدين ولم تقر اينا اليمين وفى آفاقه كالقمرين ولم تذكر اينا الواضحة الجبين وما يشفى ضناى ويروى صداى الان يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر اينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت ان يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشئ غمامنا ومصرف كلامنا وحاصل اعباتنا الذى ما هوى للهوى وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فتقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط فنشط القلم فرحا ومشى فى ارض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخرا كعا واناب وقال سمعا وطاعة وشكرا لله على هذه الساعة

* يا برد ذاك الذى قالت على كبدى *

الآن ظهر ما تبغيان وقضى الامر الذى فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأى المنير ونبأنا

ولو علم الناس ما بين ايديهم لتركوا ما خلفهم ولو ذكروا ما اعد الله امامهم لنسوا ما وراءهم انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ولا ازيد الشيخ علما بمرآة واهلها انه قد شاهد احوالهم ونقض اموالهم وابرز ادخالهم وعرف ما عليهم ومالهم وما يغيب عن ثاقب فطنته الا القليل ولكنى اخبره بما عرض لها ولهم بعد فصول اصلها عنا فيهم فشت الامراض الحادة تخبطت عشواء وافنت رجالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فمن الناس من لم يطعم اسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالميتة الى يومنا هذا وهو

بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها واتقبه المملوك من سنة فكره وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة في سمره والله تعالى يديم ايام مولانا السلطان التي هي نظام المفاخر ومقام المآثر وغوث الشاكي وغيث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذي لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر ما هو كاسر ان شاء الله تعالى تمت رسالة الشيخ جمال الدين التي كشف بها عن قناع المغايرة وانى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووسمها بصاحب حماة فاطاعه عاصي الادب ووهب الله له على الكبر اسمعيل * نرجع الى أبيات البديعيات فبيت الشيخ صفي الدين

فالله يكلؤ عذالي ويلهمهم * عذلي فقد فرجوا كربي بذكرهم

الشيخ صفي الدين غاير الناس في الدعاء لعذاله وماذاك الأن العذول ما برح ممتزجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * اصبحت منتظرا ايام وصلهم

أما الشرح في نوع المغايرة فقد طال * والكلام في بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أرانا من عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتي

اغاير الناس في حب الرقيب فذ * أراه أبسط آمالي بقربهم

الناس قد اجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم في مدحه لمعنى وماذاك الأنني لما أراه أتحقق أنه ما تجرد للمراقبة الاوقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

(ذكر التذييل)

(والله ما طال تذييل اللقا بهم * ياعاذلي وكفى بالله في القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هي التذييل الذي خرج كلامه مخرج المثل السائر ومثله قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور فالجملة الاخيرة هي تذييل خرج في الكلام مخرج الامثال التي ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله ففي هذه الاية الشريفة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والآخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك في السنة الشريفة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت

ينتظر نحبه ليلحق صحبه ومنهم من لا يجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون احياء كانهم اموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق وان هول السلطان أعظم واطم وأمر المطالبات اكبر وأهم فنظر الله لعبد من عباده بخواهم نظرا واحسن من امورهم محضرا وجعل الشيخ ذلك العبد ووفقه لمصالح القول والعمل ولما اهم الناس ما اهمهم من هذا الامر خلصوا نجيا ثم افكروا مليا ثم اتفق رأيهم على ان يبعثوا وفدا ثم عملوا الخطيب اياعلى لذلك المجلس فوجدوه الى اجابتهم مريدا ليدرك حظا من سعادة نفسه بحضرة موسم الخيرات ومقسم الموت والحياة ومطلع البركات حضرة الشيخ أدام

(التذييل)

عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الا هالك هو التذييل الذى تعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد باخراجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

واستَ بمستبقٍ اخالا تلمه * على شعث أىّ الرجال المهذب

اتفق اهل البديع على آن قوله أىّ الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع فى شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه أذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو فى غاية الكمال واقد أحسن بعضهم فى هذا الباب حيث قال

صدقتكم الود ابغى الوصال * وليس المكاذب كالصادق
لجازيتمونى بطول البعاد * وكم اخجل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

تزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز نعت حسن فى قوله يعطى ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن أبى الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول ابى الشيص

وأهنتنى فاهنت نفسى عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل فى ضمنه مطابقة لذكره الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فانه استوفى ما أراده من المدح فى الشطر الاول ثم احتاج الى تقسيم البيت وأراد اتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا وأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتنى اصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير فى الارض قال ابن ابى الاصبع هذا البيت ان نظر فيه الى قول أبى الطيب المتنبى

تمسى الامانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لى

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبى لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعله فى حيز من يتمنى شيأ وجعل فى قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وان كان فى بيت

الله نصارتها مهاجرا اليها متوكلا على الله مستعينا بالله متوجها الى الله وخالصا لله متحجزا من الشيخ جميل وعده فى التماس النظر وسابق قوله فى تصوير هذه الحال والخطب يستظهر بصلاح ابويه ويرجو ان يعطف الله بقلب الشيخ عليه وعلى هذا النظر يديه وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرا ولم يصادف هؤلاء الوفد نظرا فبطن الارض للخطاب خير من ظهرها والله ولى الآمال والكفيل بصلاح الحال

(وكتب الى أبى بكر الخوارزمى)

انا اقرب دار الاستاذ اطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح الى لقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج

المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه واستعارة في اللفظ بقوله تمسي الاماني صرعى في بيت ابن نباتة أن كل ماجعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة في المدح بكونه اخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر واسير وأبقى واذا تامل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الاماني وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كانه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ما جعله المتنبي للممدوح وهذا غاية في حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن أبي الاصبع في النقد الحسن الذي قرره على بيت ابي الطيب و بيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهي باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لا يكون الا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق به وهو أيضا ما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية في مكانها الا انها لا تزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها متمكنة في قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا يكونان الا في المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على النكتة المتقدمة أما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالا ويستوعب غالبا عجز البيت و بيت صفي الدين في التذييل

> لله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لي وغير الله لم يدم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلي

> تذييل عيشي ورزقي قسمة حصلت * في اول الخلق والارزاق بالقسم

و بيت بديعيتي

> والله ما طال تذييل اللقا بهم * ياعاذلي وكفي بالله في القسم

فقولي وكفي بالله في القسم هي الجملة التي جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته في القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذي ما يجاري في شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التي هي تسمية لهذا النوع المقصود ففات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فاني لولم أذكر الطول ما ترشحت تورية التذييل ولا وقع لها في القلوب مواقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقاء في البيت من ألطف الاستعارات وقولي ياعاذلي هو التكميل الذي يأتي في الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

(ذكر التفويف)

بجزاره (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ اصدبق طوى اليه ما بين قصبتى العراق وخراسان بل ما بين عتبتى نيسابور وروجرجان وكيف اهتزازه لضيف في بردة جمال وجلدة جمال رث الشمائل منهج الاثواب * بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو ايده الله ولي انعامه بانفاذ غلامه الى مستقرى لافضي اليه بسرى ان شاء الله تعالى

(وله الى شمس المعالي)

لم تزل الآمال تعدني هذا اليوم والايام تمطلني بالسنة صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقني ومر استحقني وشر صار الى وخير ما صرت اليه وانا في خلال هذه الاحوال اتتبع الآفاق فاكون طورا مغربا للمغرب

(التفويف)

خشن أَلن احزن افرح امنع اعط أنل * فوف أجد وش رقق شد حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يقد غير ارشاد ناظمه الى طرق العقادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعانى الغريبة ويجفوه حسان الالفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تمكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يسعنى غير تسريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوف الذى فيه خطوط بيض والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

بعيشى الم اخبر كانه فتى * على لفظه برد الكلام المفوف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجملة فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة وأحسنها وابلغها واصعبها مسلكا القصار فمثال ما جاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما واكبر سيدا * وأفضل مشفوعا واكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول ابى الوليد بن زيدون

ته أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء بالجملة القصيرة قول أبى الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل أسل أعد * زد هش بش تفضل آدن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احمل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلو اسل من السلو أعد اى اعدنى الى موضعى من الجوائز زداى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر من بش البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن أى قربنى اليك وقوله سر من التسرى وهو ان يعطيه جارية يتسرى بها صل من الصلة ولم اقصد بحل هذه الالفاظ الا ايناسا تزول به وحشة العقادة عن المتأمل فان هذه الجملة ما استوت عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل امر ولم يأت فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذر سل خل اعن * خن هن عن ترفق كف لج لم

وهذا النوع ما نظمه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت ما نحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن أَلن احزن افرح امنع اعط انل * فوف اجد وش رقق شد حب لم

قد تقدم قولى للعاذل (والله ما طال تذييل اللقا بهم * يا عاذلى وكفى بالله فى القسم) ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد

الاقصى وطورا مشرقا للمشرق ولا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المربعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت اطال الله بقاء الامير بين انياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت اكتاف المكاره ورضعت اخلاف العوائق ومسحت اطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أوكدت وبلغت الامنية أوزدت وللامير فى الاصغاء الى الجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس يلقاه بيده والبساط ينقشه بفمه الرأى العالى ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

لو كان للكرم عن جناب الشيخ الامام منصرف لانصرفت أو للامل منحرف

ذ قشه ويوشيه ويرقق فيه او نشد معناه ان الكل بالنسبة الى صدق المحبة سهل ولكن النكتة في قولى له اعنى للعاذل حب لم يعنى اذا حب لم يعد ذلك كانى اقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(ذكر المواربة)

(يا عاذلى أنت محبوب لدى فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى)

المواربة براء مهملة وباء موحدة وهى مشتقة من الارب وهى الحاجة لكن ذكر ابن أبى الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كأن المتكلم افسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه وحقيقة المواربة ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التى يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة امابتحريف كلمة اوتصحيفها أو بزيادة أو نقص أوغير ذلك فاما شاهد ما وقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروز

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين ماقلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها وهذا الطف موار بة وقعت فى هذا الباب وشاهد الحذف قول أبى نواس فى خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيد هاجيا لها

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع حلى على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك انكر عليه وتهدده بسببه فقال لم اقل الا

لقد ضاء شعرى على بابكم * كما ضاء حلى على خالصه

فاستحسن الرشيد موار بته وقال بعض من حضره هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وشاهد التصحيف فى المواربة يأتى فى ابيات البديعيات ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى فى المواربة من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضى فتح الدين بن الشهيد وكان القاضى فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عز الدين ابغض كان فى خاطره لاالاستحقاق

دمشق قالت انا مقالا * معناه فى ذا الزمان بين

اندمل الجرح واستراحت * ذاتى من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

لأنت عندى اخص الناس منزلة * اذ كنت اقدرهم عندى على السلم

المواربة فى اخص يريد بها أخس بالسين المهملة وأقدرهم يريد بها اقذرهم بالذال المعجمة

(المواربة)
الى سواه لانحرفت او لفتح باب غيره لولجت أو للفضل خاطب لزوجت ولكن أبى الله ولا يزال كذا تبسم الجد بسمته ويجذب العلا بهمته ويسعد الحر بنظره والدنيا بجماله وغلامه انا والواستمار الدهر لسانا واتخذ الريح ترجمانا ليشيع انعامه حق الاشاعة اقصرت به يد الاستطاعة فليس الآن يلبس مكارمه ضافية بالغة ويرد مشارعه صافية سائغة ويحيل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجاتى اذا لم يعر من قلائد الجد نحرها ولم يعطل من حلى الجد صدرها كثر مهرها وثقل صدرها وعز كفؤها ولم ارض لها الا واحدا أخضر الجلدة فى بيت العرب أوماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب وهذه حاجة انا ازفها الى الشيخ

(قوله والراء) صوابه وكسر الراء
(قوله الحروز) فى نسخة الحرورى
(قوله ذاتى) فى نسخة نفسى

والمواربة فى اقدرهم بالتصحيف وهذا النوع لم ينظمه العميان فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

لانت افتح ذهنا فى مواربة * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بافتح أفجح وبالتعقل التغفل وقال فى شرحه انه اراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك المواربة بالتحريف أيضا سلمنا له ذلك ولكن لم أرفى بيته قبل المواربة معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتى انا مستمر فيه على ما تقدم من خطاب العاذل

ياعاذلى أنت محبوب لدى فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى

قولى للعاذل أنت محبوب لدى من له أدنى ذوق يفهم منه أن مرادى المواربة بمجنون والمراد بلفظة توارب توازن والمعنى قبل المواربة مستقيم وهو فى غاية الكمال واذا حصلت المواربة صار البيت

ياعاذلى أنت مجنون لدى فلا * توازن العقل منى واستفد حكمى

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتى الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها او وعظها أو بحالة تقتضى اجراء المثل كقول زهير بن أبى سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول ابى نواس

اذا كان غير الله فى عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبى

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه واجراء مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الريم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو أن يأتى الناظم ببيت جملته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت وبين الشطر الثانى مناسبة ولا يناس ملاءمة ولم ار لجريان المثل دخولا فى باب هذا البيت وبيت بديعيتى

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند اهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما جريت منها على هذا النمط الاديم المتيقظ أن فيه اشارة لطيفة الى بيت عز الدين فانى قررت ان ليس فى كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجرى مجرى الامثال

فوجوده

الامام فأسوقها منظومة الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وانا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركى أو الديك الهندى فى هذا الادحى يمر بى اولو الحلى والحلل ويجتازذووا الخيل والخول وارباب النعم والدول وما انا والنظر الى ما يلينى والسؤال عما لا يعنينى واليوم لما اقتضضنا غدوة الصباح ملأت اجفانى من منظر ما احوجه الى عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فأخذوا يحركون الرؤس استظرافا لحالى ويتغامزون تعجبا من سؤالى وقالوا هو الشيخ الفاضل ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد فقلت حرس الله مهجته وادام غبطته فكيف الوصول

(الكلام الجامع)

قوله مطلبه فى نسخة راحته

فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(ذكر المناقضة)

(انى اناقضهم ان ازمعوا وناوا * وجز نمل ثبيرا اثر عيسهم)

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تناهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده أن يقول انك لا تحكم أبدا والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط وبيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

انى أناقض عهد الناز حين اذا * ما شاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكال فانهم قالوا الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم ار فى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيه ما نظر وبيت بديعيتى

انى اناقضهم ان أزمعوا وناوا * وجز نمل ثبيرا اثر عيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت أوضح من الكلام عليه والله اعلم بالصواب

(ذكر التصدير وهورد العجز على الصدر)

(ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهد ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو رد الاعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع والبق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة اقسام الاول ما وافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلقى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

والثانى ما وافق آخر كلمة فى البيت اول كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله

تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ما تمنت

(المناقضة)

الى خدمته وابن أبى معرفته فقالوا ان الشيخ الامام يضرب فى مودته بالمعلى ويأخذ بالحظ الاوفى فان رأى الشيخ الامام اطال الله بقاءه ان يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل ان شاء الله تعالى

(وله الى ابى نصر المرزبان) الشيخ الفاضل اطال الله بقاءه وادام تأييده يجل قدمه أن يتصدى خدمه ويذهب بنفسه عن مباسطة الاوساط فكيف عن مخالطة السقاط وقد رضينا منه ان يألف صدر بيته ويعمر بطن دسته ونحن على قدم الصغر نأتيه فلم يهرب بل كم يحجب وقد ترددت الى زيارته حتى استحييت من جيرانه وما كنت لاحرص على من يشره الى لولا ما اسمع من شريف أخلاقه وبلغنى

(التصدير)

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا يقال فيما بعد

قوله فتعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

قوله يلطم وجهه فى نسخة يشتم عرضه

ومثله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهد الجناس فى هذا الباب للسرى الرفاء

يسار من سجيته المنايا * ويمنى من عطيته اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التى فى العجز عين الكلمة التى فى الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشتراكا زاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فى البيت بعض كلام فى أى موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

كذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن أبى الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال فى أى موضع كان والكلمة اذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا الا ان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلابد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من صدره قال ابن ابى الاصبع أيضا الذى يحسن أن يسمى به القسم الاول تصدير التقفية الثانى تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاول فى الكتاب العزيز قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثانى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبى الاصبع وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتى فيما الكلام فيه منفى واعتراض فيه اضراب عن أوله كقول الشاعر

فان تك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كما ذكرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك قال ابن أبى الاصبع لم أقف لهذا النوع على شاهد شعرى نقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

أصحاب البديعيات نظموا القسم الثانى الذى قرره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة فيه وهو الذى وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

فمى تحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فمى

هذا النوع اعنى التصدير ما برحت السهولة نازلة باكناف اذياله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوى ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية يزدان بها بهجة فان الشيخ صفى الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه فى قالب التورية من جنس الغزل لم يأت به الاساذجا وبيت العميان فى بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهد حبهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمرى ان بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع اعمر من بيت الصفى ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية حلى نوع التصدير بمكررها فى طرفى بيته وهو

ان خزائنه تشتمل من كتب الادب على ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فان كان فى جملتها ما يستغنى عنه سحابة اسبوع عقد به منة لدى واعارنيه وله فى الفضل رأيه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا ازال اطال الله بقا مولاى الشيخ لسوء الا تنقاد وحسن الاعتقاد ابسط بين الخجل وامسح جبين الخجل واضعف الحاسة فى الفراسة احسب الورم شحما والسراب شرابا حتى اذا تجشمت موارده لاشرب بارده لم اجده شيأ وما حسبت الشيخ ممن تجمعه هذه الجملة وتشمله هذه الجلة حتى عرضت على النار عوده وسبرت بالسؤال جوده وكانته استمطر حلية كمال سحابة يوم أوشطره بل مسافة ميل أو قدره

(قوله باكناف اذياله) فى نسخة باكناف ابياته

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باحث فهم

وبيت بديعيتي

ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم اهدد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لاتخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير مجردا لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال اثقلهم * تسل قلت بثاري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له اسلوب الحكيم والناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها لغير من أثبتها المتكلم وقال ابن ابي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه مايوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا انتفائه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثري للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثري ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا مالايخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق بمن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذى تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذ اتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت اوليت طولا * قال ابرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع اخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن احسن ماوقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القول بالموجب

فغاص في الفطنة غوصا عميقا ونظر في الكيس نظرا دقيقا وقال هذا مشحوذ المديه في أبواب المكديه قد جعل الاستعارة طريق افتراسها وسببا الى احتباسها وتدمي ضرسه وحدث بالحال نفسه ولا اضيفه في هذا الباب أحسن من التغافل عن الجواب فضلا عن الصواب وكلا فاني أبواب الرد افتح مما قرع وفي شرائع الجدل اظهر مما شرع ثم العذر من جهتي مبسوط ان بسطه الفضل ومقبول ان قبله المجد وانما كاتبته لاعيد الحال القديمة واشترط له على نفسي ان اريحه من سوم الحاجات من بعد فمن لايستحي من أعطى لم يستح له من اغضى وعلى حسب

وأورد الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل الى صناعة الترسل بيت الارجانى فى الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

غالطتنى اذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قد تقرر ان لفظة لكن خصص بها اهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيتى الارجانى قال الشهاب محمود فى البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلى

قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم * سلوت عن صحتى والبرء من سقمى

فقوله سلوت عن صحتى هو حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان اوردوه بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن فى عداتهم

رأيت ترك الكلام على هذا البيت اليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلى

قالوا مدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابى من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابى من يد الهرم علمنا انها الكلمة التى أشار اليها ابن أبى الاصبع وقال ان المخاطب يعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا احسن من سلوت فى بيت الحلى فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا دعاء السلو فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقله باشتراك التورية الى الوجه الذى أراده ولم يخرج عن موضوعها فى معنى السل الذى لم يخرج عن الوجهين غير ان قول الموصلى مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتى

قولى له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بنارى يوم فقدهم

فلفظة تسل هى الكلمة المعتمد عليها فى عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو فى لفظة تسل وهى فعل امر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلى بالنيران فانه لما قال له تسل قال بنارى يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لا تخفى على اهل الذوق السليم والله أعلم

جوابه أجرى المودة من بعد فان رأى ان يجيب فعل ان شاء الله

(وله كتبها الى سهل بن محمد ابن سلمان)

انا اذا طويت اليوم عن خدمة الشيخ والآن لم ارفع له بصرى ولم اعده من عمرى فكأنى بالشيخ اذا اخللت بفروض خدمته من قصد حضرته والمثول فى جملة حاشيته وحملة غاشيته يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع واكتسى وتشفع وتجمل وتبرقع وتربع وترفع فما يطوف بهذا الجناب ولا يطير بهذا الباب وانا الرجل الذى آواه من فقر واغناه من فقر وآمنه من خوف اذا لاحر بوادى عوف حتى اذا وردت عليه رقعتى هذه وأعارها طرف كرمه وظرف

(ذكر الهجو فى معرض المدح)

الهجو فى معرض المدح

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن ابى الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتى بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسى

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري

يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدى به الفكر
ما فيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سنا الملك في قواد

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقة الفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع لقد تشبثت باذيال القاضي السعيد بن سنا الملك في هذا النوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

والفرق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم ان التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو والفاظ المدح في معرض الذم لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

من معشر رخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسي (يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة) والمراد بما أبطنه الذل وعدم المنعة والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

في معرض المدح تهجى من قبيلته * أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فاني لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح ولا اقترن به ما يصرفه الى صيغة الهجو بل اقول وأنا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه ما دب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتي

وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * رقالت سد تم بحمل الضيم والتهم

فحمل الضيم ينظر الى قول الحماسي اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى في ظاهره وباطنه والله اعلم

(ذكر الاستثناء)

(عنت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذي سلم)

الاستثناء استثناآن لغوي وصناعي فاللغوي اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك في كتبهم فروعا كثيرة والصناعي هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير

وشيمه ونظر من عنوانها الى اسمى قال بعد ا وحققا وتباوحتا ونحتا وطعنا والعنا فما اكذب سراب اخلاقه واكثر اسراب نفاقه فالآن انحل عن عقدته وانتبه من رقدته وكاتبني بمتعددني كلا لا أزوجه الرضا ولا اقلامه ولا امضه ولا كرامة وادعه يركب راسه فسيأتيني به الليالي والكيس الخالي ثم أريه ميزان قدره وأذيقه وبال أمره واذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال مأربة لا حفاوة ووطر ساقه لانزاع شاقه فهذا بذا ولا ابعد من تلك الهمم العاليه والاخلاق الساميه أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها واهلا بالخاطبة وصاحبها وقضاء الحاجة بالخاتم وابرازها وهي الرقعة التي سالت الى من التمسته كما اقترحته بما طالبته فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

الاستثناء

معنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة ويميزه بما يستحق به الاثبات فى ابواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك اعظم الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملا الاعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم أمر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والايجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اخصر واوجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فالله تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث اثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج أهل الشقاء من النار ولما علم ان أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ما ينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن امثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول النميرى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخالك الا أن تصد ترانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود لخلتنى متمكنا من رؤيتى ليس لك مانع عنه لك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصد فانت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

البك والا ماتحث الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لولا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لا يمتنع ان يقال ورهطه لولا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال

(وله أيضا)

الشيخ السيد اطال الله بقاء اذا وصل بين يديه لم المس الجوزاء الاقاعدا وقد ناطها منة فى عنق الدهر وصاغها اكليلا لجبين الشكر وما اقصر يدى عن المقابلة ولسانى عن الثناء وهذا الجاهل قد عرف نفسه وقاع ضرسه ورأى ميزان قدره وذاق وبال أمره وجهز الى كتيبة عجائز عاجزات فاطلقن العويل والاليل وبعثنى شفيعا الى واستعن بى على وتوسلن بكلمة الاستسلام ولحمة الاسلام فى معنى هذا الغلام فان احب الشيخ ان يجمع فى الطول رأيه الحوض الى العقر وينظم فى القعل بين الروض والماء شفع فى اطلاقه مكارمه وشرف بذلك خادمه وانجز نا بالافراج عنه موفقا ان شاء الله تعالى

الاستثناء الاول الذى هو العمدة فى هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فكل ماسرّ قلبى واستراح به * الا الدموع عصانى بعد بعدهم

فبيت صفى الدين هنا غير خال من الفقادة ومراده فيه أن كل شئ كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها اطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لايخفى على اهل الذوق والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين

الناس كل ولا استثناء لى عذروا * الا العذول عصانى فى ولائهم

مراد عز الدين فى زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع و بيت بديعيتى

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف اغصان بذى سلم

قال الله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون * هذا البيت ما أعلم انى اذا اطنبت فى وصفه يكون الاطناب لشدة فرحى به لكونه نظمى أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة اسلوبه وشرف نسبه وحسن انسجامه وسهولة الفاظه ومراعاة نظيره لاتخفى على المنصف من اهل الادب وأما ترشيح تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التى حركت القدود والمعاطف والتكميل بذى سلم لكون القصيدة نبوية فى غاية الكمال والذى أقوله انه مايدخل نظر المتأمل الى بيت اعمر منه فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع)

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور رانا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم)

هذا النوع اعنى التشريع سماه ابن أبى الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزأ أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ماأضحكت فى يومها * ابكت غدا تبالها من دار

وهى قصيدة كاملة معروفة فى مقاماته من ثانى الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

دار متى ماأضحكت * فى يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة و وقع قبل كلام الحريرى من كلام العرب فى هذا الباب

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نقرى الغبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزو المرفل من الكامل وهو

واذا الرياح مع العشىّ تناوحت هوج الرمال

التشريع

(وله ايضا)

خلقت أطال الله بقاء السيد مروح عنان الصبر جموح جنان الحلم فسيح رقعة الصبر حولا لو تعمد نى الردى لصرت اليه مشرق الوجه راضيا

خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

و والله لاحيلن استمالة السيد على الايام واحيلنه ولا كان احالة رأيه فىّ الى الليالى وليكانه ولادعنه يبرى القدح فوالله ليريشنه ولا ازال اصفيه الولاء واسنيه الثناء وأفرش له من صدرى الدهناء واعيره أذناصماء حتى يعلم أىّ علق باع وأىّ فتى اضاع وليقفن السيد منى موقف اعتذار واعتذار:

بنصح الى الواشى بمجبول

الفينا نقرى الغيث * ط لضيفنا قبل القتال

فاذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصارا كل بيت من هذين البيتين قافيتان ولاشك أن هذا النوع لا يأتي الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع في الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون في النثر فانه ما يقع فيه الا ترصيعا ولا يظهر حسنه الا في النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن في النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن وأوسع البحور في هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قواف فاذا أسقطت ما بعد القافية الاولى بقي البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقي البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقي مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابي عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسي ناظم البديعية في غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا أنتهي عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفي الضنا لا صبر لي عن قربه
لو كان يوما زائري زال العنا * يحلو لنا في الحب أن نسمى به
انزلته في ناظري لما دنا * قد سرنا اذ لم يحل عن صبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهي من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا أنتهي عن حبه ومن الثاني لا صبر لي عن قربه ومن الثالث في الحب أن نسمى به ومن الرابع اذ لم يحل عن صبه صارت من الرجز المجزو وان أسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثاني يشفي الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان اسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثاني حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صار من الرجز المنهوك ولكن القوة في ذلك والمكنة في ملكة الاديب أن يأتي بالتشريع في بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لو جاء بالتسمية والنوع في بيتين بطل حكم التورية وخرج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفي الدين

فلو رأيت مصابي عند ما رحلوا * رثيت لي من عذابي يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابي * رثيت لي من عذابي

وهو مجزو المجتث وبيته عند العروضيين

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه ابو عبد الله الضرير في البيتين لاجل المعارضة وهما

واف كريم رحيم قد وفى ووقى * فمن نفعا فكم ضرا شفى فكم
فقم بنا فالكم نقرا كفى كرما * وجود تلك الايادي قد صفا فقم

اقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان أجمل

وانت أقول يا حالف حلا
ولكن يا فاقدا ذكر حلا ولست
ممن يشكو الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم
اذى رهطه لو يتناقى الى
الكفر من يدي سبطه
ولكني اقول
هنيئا مريئا غير داء مخامر *
لعزة من أعراضنا ما استحلت
وانا أعلم ان السيد لا يخرج
عن تلك الحلية بهذه الرقيمة
وان جوابه يكون اخشن
من القائه فان نشط للاجابة
فليكن المخاطبة قرأت
رقعتك فهو أخف مؤنة
واقل تبعة والسلام
(وله أيضا)
مرحبا بسلام الشيخ ولا
كالسرور بطلعته قد وصلت
تحيته فشكرتها وتسلمته
الجملة بالحضور غدا
فانتظرتها ودعوت الله
ان يطوي ساعات النهار
ويزج الشمس في المغار
ويقرب مسافة الفلك
ويرفع البركة عن سيره
ويجهز الحركة الى دوره
ويسرع في وفد الظلام وقد
نزل ثم لا يلبث الاريثما رحل

بهم فانهم اسقطوا من انواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما على البيتين أنك اذا اسقطت من البيت الكامل الموازنة افعلن من آخر كل نصف وهما قوله ووقى وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزوّ لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار

واف كريم رحيم قدوفى * وعم نفعا فكم ضر اشفى

نقم بنا فلكم فقرا كفى * وجود ذلك الايادى قد صفا

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منهما الاول وهو مخبون مثلها وبيت الشيخ عز الدين

وفى الهوى ضل تشريع العذول انا * وكم هوى فى مقال ذل من حكم

اخبران تشريع العذول فى حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع فى تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية أخرى من منهوك الرجز فنصفه فى الشطر الاول وفى الهوى وفى الشطر الثانى وكم هوى وهذه عبارته فى شرحه بنصها فصار ياتى البيت بدون الجزأين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين فى ذلك على متقدميه فان الشيخ صفى الدين لم يتحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ ابى عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين فى شرحه ان هذا النمط ما وقع للمتقدمين وهو مجاز ليس لاديب عليه قدرة وبسط العبارة فى الدعوى بسببه فاردت ان لا انسج فى الشرح على غير منواله فقلت

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

فيخرج من بيتى

* طاب اللقا * على النقا *

وهو بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولى * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفى الهوى * وكم هوى * فان بيته لا تتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقى بيتى بدون الجزأين الاولين

لذ تشريع الشعور لنا * فنعمنا فى ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهى التى رتب عز الدين عليها ما بقى من بيته

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

ولكن الفرق فى تشريع الشعور ظاهر والتورية فى قوله فنعمنا فى ظلالهم عند ذكر الشعور كلاهما سائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صعوبة مسلك هذا النوع اجتمع فيه من انواع البديع السهولة والانسجام والتورية فى موضعين والتمكين فى القافية والجناس المطلق

وبعثت بما طلب سمعا وطاعة والنسخة اسقم من اجفان الغضبان والشيخ سيدى اعزه الله يركض قلمه فى اصلاحها اتم معروفه وحبذا فى غده وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع

يا مرحبا بغد ويا أهلا به * ان كان المام الاحبة فى غد

حاجتى أطال الله بقاء الشيخ الى امثال اقلل شديدة وحرصى على رد هذا الكتاب أشد لكن مولاى ألد لا يعير حتى يرد فان رأى أن ردهما جمعا جمع فى الطول بين الروض والمطر والا فرده به اولى

(وله الى أبى سعيد بن بور حين دخل عليه فقام له فلما خرج من عنده ترك القيام ولم يتمم فكتب)

كان يجتبى من الشيخ اطال الله بقاءه بعد ان عرف حق خدمتى له وهجرتى اليه ومدحتى فيه ان لا يصير مع الخطوب خطبا ويجمع الخصوم حزبا ومع الزمان البا وما كنت لاعتب

بين التشريع وشعور والتذييل البديعي فاني اتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذي هو المقصود هنا والله أعلم

(ذكر التتميم)

(بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم في الظلم)

التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان في النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب في المعاني وضرب في الالفاظ فالذي في المعاني هو تتميم المعنى والذي في الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجيء للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجيء في المقاطع والحشو واكثر مجيئه في الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان في غاية البلاغة التي ذكرها تتم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبي صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة من غير الفرائض الا بنى الله له بيتا في الجنة فوقع التتميم في هذا الحديث في أربعة مواضع منها قوله مسلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن انشد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه في غاية الحسن فانه شاهد على ما جاء منه للاحتياط ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغة وغاية الغايات في التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التي تعجز عنها قدرة المخلوقين وأما التتميم الذي جاء في الالفاظ فهو الذي يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أيضا كلمة لا يفيد مجيئها الا اقامة الوزن وأخرى تفيد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانية من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتي لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس وتأتي شواهد التكميل في مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وأيضا ان التمام يكون متمما لمعاني النقص لا لاغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها وبيت

التتميم

عليه لولا ثقة كانت به منوطة وآمال كانت اليه مبسوطة ثم اختلفت بكل الاختلاف واختلفت كل الاختلاف وكأني بالشيخ يسألني عن جرم هذا اليوم وموجب هذا اللوم وأنا اكفيه مؤنة هذا السؤال وانقض اليه جملة الحال ولا أحاسبه على الصغائر ولا اناقشه من دقاق الجرائر ولم اشربه غير سائغ الأصل لا يباهي الفرع وامر قديم لا يضاهي الحديث فاقل ما اعتب عليه قعوده في المجلس عما بذله في أوله وتثاقله في عجز الامر عما احرص عليه في صدره من توفير سلام وايفاء قيام على اني دخلت عليه وانا أحمد الهمداني وخرجت من عنده وأنا أحمد الهمداني فان كان قيامه قدسر فقعوده ماضر وبلغني ان كاتبه ابا الفضل بن نصرويه حكم للخوارزمي

الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

وكم بذلت طريفي والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فالتتميم في قوله طوعا فانه أراد به انه لم يبذل ذلك كرها فتمم بهذا المعنى والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

والبدر مذ لاح في التتميم دان له * والشمس مذعنة طوعا لمحتكم

قوله في التتميم هو التتميم بعينه مع زيادة التورية في التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفي الدين بقوله طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم وبيت بديعيتي متعلق ببيت التشريع الذي قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا في ظلالهم

بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم في الظلم

فقولي بليل الشعر هو التتميم الذي يستعار من استعارته المحاسن فاني لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعنى ولكن زدت البدر الارضي بقولي بليل الشعر تتميما وحسنا وقولي على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التي فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولي في الظلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

(ذكر تجاهل العارف)

(وافترعجبا بتجاهل المعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكي بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة المبالغة في التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة في المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد المبالغة في وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه ام بدر ففهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشئ الذي يعرفه المتكلم خاليا من التشبيه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى فان السؤال هنا ما وقع لاجل المبالغة في التشبيه المشار اليه في تجاهل العارف بل هو لفائدة أخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذي لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتي لنكتة من نحو مبالغة في مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله في الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة في الغزل قول الشاعر

اجفون كحيلة ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة في الشوق وطول الليل

(تجاهل العارف)

على بالفصل فقات ولم أملك سوابق عبرتي * متى كان حكم الله في كرب النخل واما ذلك الوقح الوتح ولا أعرف اسمه وأحسب ان كنيته أبو الغضنفر وأبو المطهر وما كان فهو اسم مفخم ومعنى مرخم فما أحوجه الى شونيز عقل وسعتر فطانة حتى تحل مكالمته وما كان أحسن حال السادة عند القاضي حتى يكون حاله نعم استثنت الفصال حتى القرعى وفي غد ان شاء الله نجتمع عند الشيخ القاسم فان رأى ان يأسو ما جرح بان يغشى ذلك المطرح فينفذ وحاشية النية وطرف الجمة عن العصبية فالحق أولى ما يغضب له والعدل خير ما حكم به فعل ان شاء الله

(وله أيضا الى أبي نصر ابن المرزبان)

كتبت أطال الله بقاء سيدي ومولاي في

وشوق ما أقاسي أم حريق * وأبل ما أكابد أم زمان

وللمبالغة في الذحول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفي أني الفقيد
وشككت في عذالي فقالوا * لرسم الدار أيكما العميد

ومنه للمبالغة في الغزل

في الخيف من ظبيانه سمراء * أقوامها أم صعدة سمراء

ومثله

أثغرك يا هند أبدى ابتساما * أم البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلي

من أطلع البدر في ديجور طرته * وأودع السحر في تكسير مقلته
ومن أدار يواقيت الشفاه على * كاس من الدر يحمي خمر ريقته

ويعجبني من هذا القصيد قوله وإن كان من غير ما نحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر ألين منه عند قسوته

ومثله في اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

في مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هصره
وفي ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر أسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة في تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربي

أبني العوالي السمهرية والمواضي المشرفية والعديد الأكبر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع في حمير

قيل إنه لما تجاهل في هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح إذ هو مالكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تشدو بلاغتها * وهي أحب من قفا نبك في الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما أحلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الأخضر

أقول إن هذه الاستعارات المرشحة رشح ندى البلاغة من بين أوراقها * وتعثر فحول الشعراء في حلبة سباقها * ومنها

في فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الأحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن في أبحر
حي من الأعراب إلا أنهم * يردون ماء الأمن غير مكدر
لي منهم سيف إذا جردته * يوما ضربت به رقاب الأعصر

قديم الزمان أتمنى الخير وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق ويمد لهم أكناف العيش ويوطئهم أعراف المجد ويؤتيهم أصناف الفضل ويركبهم أكناف العز وصار رأي أن أرغب إلى الله تعالى في أن لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يمدلهم في حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسرع ما ينظرون من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم أيام اللدونة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة وللكتاب مزية في هذا الباب فبيناهم في العطلة إخوان كما انتظم السمط وفي العزلة أعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة جفاء بمنشور عمالة أو صك

صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متنمر للحادثات المتنمر
واذا عفا لم تلق غير مهلل * واذا سطا لم تلق غير معفر
فغمامه من رحمة وعراصه * من جنة ويمينه من كوثر

ولم استطرد الى هذا القدر من نظم ابن هانئ الا لعلمى انه عزيز الوجود وغريب فى هذه البلاد * ومن تجاهل العارف للمبالغة فى المدح قول امام هذه الصناعة * ومالك ازمة البلاغة والبراعة القاضى الفاضل * من مديح العادل

اهذى كفه ام غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بشره ام لمع برق * ومن للبرق فينا بالاقامه
وهذا الجيش ام صرف الليالى * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهذا الدهر ام عبد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهذا نعل غمدام هلال * اذا أمسى كنون ام قلامه
وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المانح هذا الاديب الذى لم ينسج الاوائل على منواله * ولا تتعلق الافاضل من المتأخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب

وهذا الدر منثور ولكن * ارونى غير اقلامى نظامه
وهذى روضة تندى وسطرى * بها غصن وقافيتى حمامه
وهذا الكاس روق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

وقوله أيضا من تجاهل العارف للمبالغة فى المديح

أهذه سير فى المجد ام سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

(ومما جاء فى تجاهل العارف) للمبالغة فى التعظيم قول سيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الكيلانى قدس الله ضريحه وأعاد علينا من بركاته فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر * اذا ضاع فى البيدا عقال بعير

ومثله

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة فى الذم قول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

ومما جاء للتحقير قول الشاعر وتظارف الى الغاية

لما ادعى غصن الرياض بأنه * فى لينه مع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشبه قدها * ما أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد

جهالة فهو داعر وقدهم خرابا وينقلب شرابا عهدهم سرابا فما غاضت أمورهم حتى أسبلت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا انتقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تحلت أعناقهم الا قطعت أخلاقهم ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أفعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صابت حدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت أيديهم الا قصرت أياديهم وقصارى أحدهم من الجدان ينصب تخته تحته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة غريبة أثبتها بكمالها ابن خلكان في تاريخه والخابور نهر أصله من رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات (ومن أظرف ماوقع في تجاهل العارف) على سبيل التوبيخ قول سراج الدين الوراق فانه صرح بذكر التوبيخ في بيتيه وهما

واخجلتي وصحائفي مسودة * وصحائف الابرار في اشراق

وموبخ في الحشر وهو يقول لي * أكذا تكون صحائف الوراق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجا * وعلمت غصن البان أن يتميلا

ومما وقع منه قول العرجي للتدله في الحب

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع أعني تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فاني أوردت هنا ما استطرفته في هذا الباب ولم أحتج فيه الى التنبيه وأظرف ما سمعته في هذا الباب قول عبد المحسن الصوري

بالذي ألهم تعذيـ * ـبي ثناياك العذابا

والذي صير حظي * منك هجرا واجتنابا

والذي ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا

ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فأجابا

ومثله

دعو ونجدا انها شان نفسه * ولو أن نجدا تلعة ما تعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وقول الفاضل

فاذا قلت أين داري وقالوا * هي هذي أقول أين زماني

وقال ابن الفارض

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم في ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبني قول الشيخ علاء الدين الوداعي

ترى ياجيرة الرمل * بعود بقربكم شملي

وهل تقتص أيدينا * من الهجران للوصل

وهل ينسخ اقبالكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد في الاستطراد عما نحن فيه قوله

أمامه ونائبه من الكرم داريهم رج أرضها ويزيح بعضها ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها وكذا من الفضل ان يعمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية أمامه وناهيه من الشرف ألفاظ قد تاعبة وثياب متقاعية يلبسها ملوما ويحشوها لوما ولوما وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحمل الود أيام خشكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله والبغه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه يمينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصندوقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة خاتمه الايوم ماتمه فهو يجمع

بروحي ليلة مرت * لنا معكم بذي الأثل
وساقينا وما يملا * وشادينا وما يملي
وظبي من بني الأترا * ك حلو التيه والدل
له قد كغصن البا * ن مال الى العذل
وطرف ضيق وبلا * ء من طعناته النجل
أقول لعاذلي فيه * رويدك يا أبا جهل
فقلبي من بني تيم * وعقلي من بني ذهل
وما يدري هوى المشتا * ق الا ذلك المغلي

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما علا الندماء ومائلي * لقد صان ذاك الحسن سمعي عن العذل
من المغل أشكو نحوه ألم الهوى * وطب الهوى عندي كما قيل بالمغلي

ومن الذي أعجبني في هذا النوع أعني تجاهل العارف قول بعضهم

أقول له علام تميل عجبا * على ضعفي وقدك مستقيم
فقال تقول عني في تميل * فقلت له كذا نقل النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدي

فوالله ما أدري أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

وأورد صاحب الصناعتين في هذا الباب ما كتبه اليه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزني الفرح قبل رؤيته * وهز عطفي المرح امام مشاهدته * فما أدري أسمعت بورود كتاب * أم رجوع شباب * ولم أدر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أو كلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب

باليت شعري اسحرا كان حبكم * أزال عقلي أم ضرب من اللمم

وبيت العميان في بديعيتهم

اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يا بدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشيء من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

وعارف مذ بدا بدري تجاهل لي * وقال حبك أم ذا البدر في الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية في تسمية النوع الذي استوعب كلمتين من البيت بيته أرق من بيت العميان وأعمر بالمحاسن وبيت بديعيتي

وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هذا البيت شاهد في تجاهل العارف على المبالغة في التشبيه وهو القسم الذي تقرر في أول الكلام على النوع وقلنا انه المقدم على بقية الاقسام من تجاهل العارف فان فيه سوق المعلوم في مقام غيره لنكتة المبالغة في التشبيه كما قرره السكاكي وقولي تجاهلنا بمعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الاكتفاء)

لحادث حياته أو وارث مماته يسلك في الغدر كل طريق ويبيع بالدرهم ألف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبي سعيد أيده الله انه اذا أخصب آوانا كنفا من ظله وحبانا من فضله فخيل لنا الآن بعد له انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب الخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان في صدر الايوان اقتض عذرة السياسة ببعض المختلفة الى وجعل يعرضه للهلاك ويدب عليه عيال الاتراك ويشحن داره بالرجالة ويكده بالفرسان والرجالة وجعلت اكاتبه مرة وأقصده أخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالي ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة

(الاكتفاء)

(لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى)

الاكتفاء هو ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح

لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

فمن المعلوم ان باقى الكلام ولا اذا مت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه فى البيت الثانى كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه فى الاذهان ومنه قول شيخ شيوخ حماة

أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا
لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما نحن فيه

راموا انطامى عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى طوقى يد * ى وقلت خلونى والا

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير

ياحسن بعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى
لم تبق غير حشاشة * فى مهجتى وأخاف أن لا

وما أظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت فضل قناعه * فبدى عن قمر تجلى
ولثمته فى خده * تسعين أو تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد وأجاد الى الغاية

يالائمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا
ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

ولى ودعى تفارك عن محب * يذكرك آنس والليل ساكن
ولا تستقبحى شيبا برأسى * فما ان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سنا الملك من قصيد

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع يغرو تكحيل الجفون لما
فاكتف ملامك عنى حين ألثمه * فاشتكت بانى قد لثمت فما

فى الصدر فلا ومايجمعنى والشيخ ان زاده قولى الا غلوا فى تمكنه وعلوا فى تمكنه وجعل عينى الجور فى ظلمه ويبرأ الىّ من عله وأقول اذ رأيت ذلة السؤال وعزمة الرد منه قل لى متى فرزت سمر عنه ما أرى يا بيدق وما أضيع وقتا بذكره وقطعته هلم الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف أكاد أصف شوقا لا يقرع الدهر فروة حاله ولا ينقض عروة انحلاله فيا أولانى ان أذكره مجملا واتركه مفصلا

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وأنا متألم والحمد لله رب العالمين كيف تقلب الشيخ فى درعه العافية وأحواله بتلك الناحية فانى بفراقه منغص ثمر بعة العيش مقصوص أجنحة الانس

لو كان يعلم مع علي بقوته * تألم القلب من وخز الملام لما

وله من قصيدة

يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتم وفيه ولكني أنا

ويعجبني قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فاخجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا

وتقدموا للعاشقين فكلهم * طالب الامان لقلبه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك في مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته في الثغر تسعين أو احدى

ومثله في اللطف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولقد كملت فيا بقال القد * حزت الجمال جميعه الا

ولبعضهم وأجاد

فان المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما

ومما يرشف الذوق حلاوته في هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي * ان غاب عن انسان عيني فهو في

ومثله في اللطف مع الترشيح بالاكتفاء ثان قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أفدي التي تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف

أذكر ثغرا لها فاسكر من * وورد خدلها فارتع في

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

رأى رضابا عن تسليه أولو العشق سلوا

ماذا قه وشاقه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير في هذا النوع قوله من أبيات

فما كان أحسن من مجلسي * فحدث بما شئت عن ليلتي

بشمس الضحى وبدر الدجى * على عنقي وعلى يسرتي

وبت وعن خبري لا تسل * بذاك الذي وبتلك التي

ومن لطائفه أيضا انه كتب الى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبيانا أولها

سلمت من كل ألم * ودمت موفور النعم

في صحة لا ينتهي * شبابها الى الهرم

يحيى بك الجود كما * يموت يا يحيى العدم

وبعد ذا قل لي ما * كان من الامر وكم

وأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ما وقع لشهاب الدين التلعفري مع شمس الدين الشيرجي بين يدي الملك الناصر وما ذاك الا انهما حضرا بين يديه في ليلة انس فاتفق ان شمس الدين الشيرجي ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن

ورد كتابه المشتمل من خبر
سلامته على ما رغبت الى
الله في ادامته وسكنت
اليه بعد انزعاجي لتأخره
وقد كان رسم ان أعرفه
سبب خروجي من جرجان
ووقوعي الى خراسان وقد
كانت القصة انى لما وردت
من ذلك السلطان حضرته
التي هي كعبة المحتاج
لا كعبة الحجاج ومشعر
الكرام لا مشعر الحرام
ومنى الضيف لا منى
الخيف وقبلة الصلات
لا قبلة الصلاة وجدت
فيه اندماء من نبات العام
اجتمعوا وقبضة كاب على
تافه خطب أزعجني من
ذلك الفناء وأشرف بي
على شرف الفناء لولا ما
تداركني الله بجميل صنعه
وحسن دفعه ولا أعلم
كيف احتالوا وما الذي
قالوا لكن الجملة ان غيروا

بصفع الناعفرى وكان شمس الدين رجلا أحلى فلما صفع الناعفرى نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجى وأنشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعنا فى ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف صفاع * ياربيع الندى والاخريفى

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء فى البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفى فقلت لهانعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم أكثر من هذا النوع الالانه قليل فى أيدى الناس

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخرى بن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما أنشدنيه مرارا وكان عند عوده من اذربيجان صحبة المقر المرحومى سيفى تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالماء دونهم * فقلت ياليت قومى يعلمون بما

ومثله قولى وفيه أيضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت فى تصبرى * وماشفى بقربه سقاما
اصبر عسى تشفى بما ريقه * قلت لهم ياحسرتى على ما

وأنشدنى من لفظه لنفسه القاضى عماد الدين بن القضامى أخو شيخى قاضى القضاة علاء الدين الحنفى سقى الله من غيث الرحمة ثراه موشحا امتدح به المقر المرحومى الاوحدى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح مانسج ابن سنا الملك فى دار الطراز على منواله منه فى نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

أرخت ذوائبها الثانى الاربع * لنضل فاستغنت بها عن برقع
وغدوت أسهر فى ليالى شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطمعى
وتبسمت فعلاها * نور فزاد سناها
فلثمت فاها آخذا مستغنما * ورشفته رشف النزيف لبرد ما

السلطان وأشار على اخوانى بمفارقة مكانى وبقيت لا أعلم أعتمة أضرب أم شآمة وتجدا أقصد أم تهامة
ولو كنت من سلمى اجاو شعابها لكان لحجاج على دليل
قد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والتسخط عرجه كاليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كماليس بين الحياة والموت معه مجاز فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهى ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان بينهم وتشتتي * وشماتة الاعداء أكبر محنتي

واسيد الرؤساء رمت تخلصا * من محنتي فشددت رحل مطيتي

فغدت تمد خطاها * وأقول عند عياها

الأوحدي الا وحدي انتعما * يا ناقتي فزمامك بيدي وما

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردي

ماذا تقولون في محب * عن غير أبوابكم تخلى

وجاءكم زائراً فقيرا * عن مالكم هل يجوز أم لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين

مولاي انك محسن * قسما وانك ثم انك

فلاشكرنك ما حييت * وان أمت فلتشكرنك

ويعجبني قول الشيخ برهان الدين القيراطي هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات الخدمه * قد أطالت حسراتي

كلما ساء نعالا * قلت ان الحسنات

ومن سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه على حماة المحروسة سنة سبع وثمانمائة وهو اذذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها في تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم في خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت في تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضي القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخبره الى أن عرف اين كنت مختفيا فكتب الي

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نر عهدا ولا

وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب

أمولاي والله حال الجريض دون القريض الذي قد تولى

وارجو وقد عفت هذي البلاد * خلاصي بالصدر منها والا

فقدر الله بالسلامة وتوجهت في خدمته متنكرا الى دمشق المحروسة ومن نظمي في هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطالبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلي حجة ان تقبلا

فقلت له بالوصل عدني الى غد * فبدلك مات الصبر قال ثم الى

وقولي أيضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما

وهي اجفان حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فخرجه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدي من التأديب الا لازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم لا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ولا يحلم عن الهفوة كوزن

وإذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لأعلم ما تقول وانما

القسم الثانى الاكتفاء بالبعض وقد تقدم انه عزيز الوقوع جدا ولم يوجد فى كتب البديع فمن ذلك قول ابن سناء الملك من قصيد

اهوى الغزالة والغزال وانما * نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا * حتى اذا أعييت أطلقت العنا

ومنه قول شيخ شيوخ حماة

اليكم هجرتى وقصدى * وانتم الموت والحياة
آمنت ان توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

لله ظبى زارنى فى الدجى * مستوطنا ممتطيا بالخفر
فلم يقم الابمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر

ومنه قول العلامة بدر الدين بن الدمامينى

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * ظبى يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا ووشى بما * أخفى فيالله من قاض وشا

ومثله قوله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم بنا كر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

ومثله قوله

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتى فيها مناى فحبذا * نهار نقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامنى * واملأ فى الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهى وطيب الملاذ * فها أنا منهمك فى الملا

وانشدنى المقر الجمدى بن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسرورى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

ومنه قول ابن حجر

دع يا عذولى رقى الملام فقد سرى * عنى الحبيب فتبت دام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بارقا

وانشدنى من لفظه لنفسه قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى وانا بين يديه بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية فى القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن فى البيتين اذا قصد شق التورية الثانى وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه فى هذا القالب من غير تمويه يطلى على الحاذق فى صناعة الكلام هذا مع الاتفاق

الهبوة ولا يغضى عن السقطة بجرم النقطة ثم ان النعم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا يلقاء الولى الابفمه ولا العدو الابدمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما الاجسام بين حله ووثاقه ونظرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود بيأسى واما أن أجود برأيى وبين ركوبين اما المفازة واما الجنازة وبين طريقين اما الغربة واما التربة وبين فراقين اما ان فارق أرضى أو أفارق عرضى وبين راحلتين اما ظهور الجمال أو أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ورسم الشيخ ان أعلمه موجب غضبه ليتلافى الامر بموجبه وهذا داء

البديعى وحسن المطابقة ولم اذكر الاتفاق الا ان الذى كتب اليه القاضى صدر الدين الميتين مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يا منتمى بالسقم كن منجدى * ولا تطل رفضى فانى على
أنت خليلى فبحق الهوى * كن لشجونى راحما يا خلى

ونقاضانى عند الانشاد أن أنظم له شيأ على هذا الطريق فانشدته فى المجلس قولى

بقولون صف انفاسه وجبينه * عسى للقايصبو فقلت لهم صبا
وغالطت اذقالوا أباح وصاله * والا أبى قسرا فقلت لهم أبا

ونظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذا جمع بين طرفى الاكتفاء كما قلناه حيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطر يا غاية المنا
بحقك قل لى جا صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنا

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى لنور الدين ابن حجر والد قاضى القضاة شهاب الدين

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما أوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفى الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

بيت صفى الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية ان تكون له سكنا لشدة برده * وعجبت للشيخ صفى الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه فى سلك ابيات بديعيته مع ما فيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية والعميان لم ينظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع البديعى واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما اكتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى يخجل الاغصان حين تمى

فشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بد لما تقدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين تمى فدل حرف الكلمة انها تميل اوتميس وبيت بديعيتى شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التى تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن فى طرف الاكتفاء على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهى محصول الحاصل اذلا بد منها وبيتى

لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا فى الظاهر انه لدمى وورّوا بالاكتفاء وقصدوا فى الباطن انه دميم حسداله وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة للحقارة ومن تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة فى تركيب توريته حيلة دقيقة مع ما فيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا

لا أعرف نتاجه فكيف أطلب علاجه وأمر لم الابس باطنه فكيف أمارس ظاهره وخطب لم أفسد أوله فكيف أصلح آخره وشئ لا أعرف سببه فكيف أتلافى ذنبه وحال لم أضع صدرها فكيف أتدارك عجزها اللهم لا كفران والعن الله الشيطان كان ذنبى الى ذلك السلطان موالاة ادمتها وخدمة أقمتها وشيبة أرقتها وحياة أنفقتها وحرم أسلفتها وأموال أتلفتها وقصائد نظمتها ومواثد خدمتها وآلة عرضتها وخمسة نفضتها فهل أتيت الامن حيث أتيت وهل أخطأت الامن حيث حسبت أنى أصبت وهل بعدت الامن حيث قربت وهل خبثت الامن حيث طبت وهل قبلنى هذا السلطان الايمانا فانى ذلك وهل رفعنى ههنا الاما وضعنى

النمط الغريب لايجرى فى مضماره من فحول الادب الا كل ضامر مهزول

(ذكر مراعاة النظير)

(ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع أعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل أنحلها السير

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى * ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قوله بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير وأتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد مجمل

وسطور خيلك انما الفاتها * سمر تنقط بالدما وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز وبين الفرش والمجمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول ابى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

فابو العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد * وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كانى فى عين الردى أبدا كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا له شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى اكل

كأن ينابيع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على أرجوحة فى مسيرنا * لغور بنا نهوى ونجد بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كأنى

(مراعاة النظير)

هنالك لئلا يشغل الشيخ قلبه بهذا الامير فانه احضره يرجح فيهما ابن الجان ويكون أشكل فى الميزان بحر تعلو جيفه ويسفل صدفه وهذا امر قد غطى أوله الجفاء فليغط آخره العفاء لازال محمد الى الشيخ أبى عبد الله فيما يوليه من رفق بأسبابه واعتناء بأكرته وأصحابه وما يفعل ذلك الامابو خبه فضله وبأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الاما هو اهله وحقا أقول قد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلته فاحسنت وصاله وأحمدت خصاله وسألته فاغزرت جوده وجمشته فأصلبت عوده ومابقيت فى الامتحان عرفا الا حبسته ولا نظرا الا تفرسته فما أتتنى خصلة من خصاله الا وهى أكرم من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه

ـأبى فى قوس انى لهيد * مديحى له فرع به أملى نبل
كأن دوانى مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشى لها نسل
كأن يدى فى الطرس غواص لجة * له كلى در به قيمتى تغلو

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذى مادخل الى بيت الا وأسكن فيه ما يلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التى تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذى صلى الحريرى خلفه وأشار اليه بقوله فى مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذى سبق الحريرى الى نظم المقامات وسبك العلوم فى تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريرى واستعمل بعض أسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحرث بن همام وعارض طرح الاسكندرى بما سجعه أبو زيد السروجى وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة فى مراعاة النظير فمن المستحسن فى هذا النوع قول بعضهم فى مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذ الوجه لمصابيح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر لملاءمة فى أسماء الخدام فلو ذكر شيأ من غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على أبى نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبر ورة لا تكذب
برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا أجنبى من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله فى عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حوراء منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبنى من ملاءمة التناسب فى مراعاة النظير قول العلامة أبى بكر بن اللبانة فى موشح

بعضى يخاصمنى فى بعض * جسمى مقيم وقلبى يمضى
وكيف اسلو وبدرى الارضى * يدير فى الاقحوان الغض
وردية سرقت انفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة فى جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الأذواق فى المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التى نستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى فى الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

فكان فى الغربة اكثر فى الجد جهدا وأطيب فى الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمرى ان ود الحضرة اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خمر على الكرم كريم كالم يرج على اللؤم لئيم وان يبطل العرف فى الناس ولا يذهب الخير بين الله والناس أعانى الله على تاديته حقه وفرضه وقضاء الواجب او بعضه وقد أطلنا ولا احسبنى أطلت وفى النفس أضعاف ما كتبت والشيخ أيده الله لا يعرض كلامى على من يعرف عوار كلامه واختلال نظامه فان ما يكتب عن صوب البديهة بفيض القلم من دون روية تعمل لا يكاد يطيب وأنا أخدمه والجماعة بالسلام

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومن شدة اعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم الى مفاتيح بيته طائعا وهو

ولما خلعنا العذار * فككنا طوق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

لولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين ومافيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب

في خده فتح اعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ويعجبني في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ماناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد التورية الى طاعته وحسن تصرفه فاني أنا محقق ان الامير مجير الدين بن تميم من فرسان هذا الميدان وممن أجاد في هذا الباب وبالغ في الاحسان الى غريب المناسبة وراعى جانب مراعاة النظير حسن الزغاري بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب ونجمها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه أتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة في مراعاة النظير مع حلاوة الانسجام ولطف الاستعارة وانشدني لنفسه الشيخ عز الدين في هذا النوع قوله

بخد الحب ريحان نضير * لاحرفه سطور ليس تقرا
فراعيت النظير وقلت بدرى * عذارك أخضر والنفس خضرا

الذي يظهر لي أن خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومما نظمته في هذا النوع قولي

أبرزت معصما نهار وداعي * شف بلوره فؤاد حريق
راح دمعي يرعى النظير ويبدي * عندلثمي سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعي والنسيب المطرب الغزلي في معنى توريته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

تجار الفظ الى سوق القبول بها * من لجة الفكر تهدي جوهر الكلم

المناسبة في بيت الشيخ صفي الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت عامر بمحاسن هذا النوع وبيت العميان في بديعيتهم

يروي حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له وجها يظهر به مراعاة النظير ولا بينه وبين المناسبة البديعية نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ أبا جعفر شارح هذه البديعة أعني بديعة العميان قال ان

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

وباعزان واش وشى بي عندكم
فلا تمهليه ان تقولي له مهلا
كما لو وشى واش بعزة عندنا
لقلنا تزحزح لاقريبا ولا أهلا

باغني أطال الله بقاء الشيخ ان قبضة كلب واتته باحاديث لم يعرها الحق نوره ولا الصدق ظهوره وانه أدام الله عزه اذن لها على مجال اذنه وفسح لها فناء ظنه ومعاذ الله ان أقولها واستجيز معتقولها بل قد كان بيني وبين الشيخ الفاضل عتاب لا ينزل كنفه ولا يجدف وحديث لايتعدى النفس وضميرها ولا يعرف الشفة وسميرها وعربدة كعربدة أهل الفضل

العنعنة فى البيت بعن تناسب الرواية فى الحديث والندا والبشر فيهما مناسبة للكرم ولعمرى ان الشيخ رحمه الله استسمن من وجه هذا البيت ذا ورم ونفخ من نفسه فى غير ضرم وهذا لعمرى جهد من لاجهد له وبيت عز الدين الموصلى

وارع النظير من القوم الاولى سافوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة فى بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام وبيت بديعتى

ذكرت نظم اللآلى والحباب له * وراعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند أهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعية وفى نور هذا المثال ما يمحو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل فى تسمية النوع البديعى وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهجة فى هذا المعرك الضيق قد ذابت لئلا يقال كثر فار تابت

(ذكر التمثيل)

(وقلت ردذك موج كى أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم فى غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الا لامرين احدهما الاختصار لبلاغة الايجاز والثانى كون الهلاك والنجاة كانا بامر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع زوجى كليل تهامه لا حر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة فانها أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل لكا والسكن محل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجى كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه لقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يبينه لفظ التمثيل لكونه لا يجىء الا مقدرا بمثل غالبا وقال ابن رشيق فى العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنها بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشئ فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

(التمثيل)

لا تتجاوز الدلال والادلال ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة كعتاب لحظة فسبحان من ربى هذا الامر حتى صار امرا ونابط شرا وأوجب عذرا وأوحش حرا سبحان من جعلنى فى جنب العدو أشيم بارقته واستجلى صاعقته وأنا المساء اليه والجنى عليه لكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ورمى من الحسد بما رميت ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت واجتمع عليه من المكاره ما وصفت اعتذر مظلوما وضحك مشئوما ولو علم الشيخ عددا أولاد الجدد وانباء العدد بهذا البلد ممن ليس لهم الا فى سعاية أو شكاية او حكاية أو نكاية لضن بعشرة غريب اذا بدر وبعيد اذا حضر واصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى اليه ذهبنى قد قلت

وماذرفت عيناك الالتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه باعشار الجزور ومعناه مابكيت الالتقدحي في قلبي كما يقدح القادح في الاعشار فجمعت له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحق ان هذا الباب أعني التمثيل مايخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ماسمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول أبي تمام

اخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تلتظى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففي عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخراجه كرها عن سجيته يخاطب أحبابه وقد أثروا به تلك الحالة والنار قد تلتظى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وأنتم أحباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تلتظى من ناضر السلم وقال في عجز البيت الثاني عندما اوطؤه على جمر العقوق ان الليث لولم يحرج ماخرج من الاجم * وهذا التمثيل والذى قبله في البيت الاول غايتان في هذا الباب وقد أخرج كلا منهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفي الدين

ياغائبين لقد أضنى الهوى جسدى * والغصن يذوى لفقد الوابل الردم

الشيخ صفي الدين أجاد في نظم هذا النوع وأتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما اضنى الهوى جسده لغيبة أحبابه بالغصن لما يذوى لفقد المطر وأخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لوحط موضع الهوى الجفا لكان اقرب الى المراد ولو كانت القافية غير الردم لكانت أخف على القلوب والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أوالى صورة التمثيل في تركيبه فلم أجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت في شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم في كلامه وأقواله فلذلك مثل الزمان به من استهتاره السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفي ذلك تهجين له ورب ما استجب فيه الدعاء ثم قال في آخر الشرح وقد أرسلت النصف الثاني من البيت مثلا فما ازدادت مرآة ذوقي بذلك الاصدأ والله أعلم وبيت بديعيتي

وقلت ردفك موج كي امثله * بالموج قال قد استسمنت ذاورم

انظر أيها المتأمل الى التمثيل الذى مثلت فيه شيأ بشئ فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق في العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر ان لفظ التمثيل لايكون الامقدرا بمثل غالبا وأخرجت آخر كلامي مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وأتيت بتسمية النوع البديعي مورى به مسبوكا في أحسن القوالب والله أعلم بالصواب

ماحكى البس الشاتم من أسمع والجاني من بلغ فلقد بلغ من كيد هؤلاء القوم انهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لاتستفز وجبلا لايهز وشوا الى خدمه بما أرسوا نارهم ورد على ماقالوه فما البنت ان قلت وان نلت حرب بين قومي وقومها * فاني لها في كل نائبة سلم * وليعلم الاستاذان في كبد الاعداء مني جمرة وان في اولاد الزنا عندنا كثرة وقصاراهم ناريشونها وعقرب يدبونها ومكيدة يطلبونها ولولا ان العذر اقرار بما قيل وأكره ان استقبل لبسطت في الاعتذار شاذروانا ودخلت في الاستقالة ميدانا لكنه أمر لم أضع أوله فلم اتدارك آخره وقد أبي الشيخ أبو محمد أيده الله الاان يوصل هذا النثر الفاتر

ذكر

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى سنذرمنه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر توجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفى الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أوغيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التى استشهدوا بها على التوجيه الابهام أحق بها لطلوع أهلتها زهراة فى افقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر فى الحسن بن سهل عندما زوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن

ياامام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما اراد بقوله ببنت من فى الرفعة أوفى الحقارة وقد تقدم قولى فى شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على مانقل ابن ابى الاصبع أن الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق أنه فصل قباء عند خياط اعور واسمه زيد كذا نقله ابن أبى الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لاتدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لايعلم من سمعه ادعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فان قيل انه قصد التساوى فى عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوى فى الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لاتخفى على أهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن ابى الاصبع فانه هو الذى تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال فى ديباجته وربما ابقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لايدل على معناه * وقد اجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحبير التحرير أصح كتاب الف فى هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غيروا بعض القواعد * وبدلوا أكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها فى غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين اسباب الخطاء وانواعه من التداخل والتبديل * والسكاكى ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبى الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التى هى أليق به من التوجيه ولم أسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم فى الخياط والبيتين المنظومين فى الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه لان المراد من الناظم ان يبهم المعنيين بحيث لايكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ماوقع فى هذا الباب وقد أوردته فى باب الابهام ان القاضى زين الدين بن القرناص الحلبى غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لى بعد وقوفى عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

التوجيه

الصواب أن يقول التوجيه مصدر وجهته الى ناحية كذا أرسلته اليها اه

ينظم مثله فيها كه بلعن بعضه بعضا

مولاى ان عدت ولم ترض بى
ان أشرب البارد لم أشرب
امتطخدى واتمل ناظرى
وصد بكفى حمة العقرب
بالله ما أنطق عن كاذب
فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى
كالصحو عقب المطر الصيب
ان اجتنى الغائظة من سيد
فالشوك عند الثمر الطيب
أو ينفد الزور على ناقد
فالجمر قد يعصب بالشيب
واهل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضل هو والسلام

(وله الى الشيخ العميد)

أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور فى صنعة لا فيها أعان ولاعنها أصان وشيمة ليست بى تناط ولاعنى تماط وحرفة

فاذا أتاه مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

ومن اغرب ما نقل من شواهد الابهام التى ما تليق بغيره أن ابا مسلم الخراسانى قال يوما لسليمان بن كثير بلغنى أنك كنت فى مجلس وقد جرى ذكرى فقلت اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقنى من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابو مسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ما كنا فيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التى تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقى بخلاف التورية * وهذا هو مذهب الشيخ صفى الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم أن بديعيته نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتى لاجل المعارضة وقد أدخل جماعة نوع التوجيه فى التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين احدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثانى أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعى

من ام بابك لم تبرح جوارحه * تروى احاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

أقول لو بلغت ما عسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سبحان المانح لقد أظهر الشيخ علاء الدين الوداعى من محاسن الأدب فى التوجيه وجوها تخجل الاقمار * وتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * أما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسى وهو ثقة يروى عن الحسن وابن سيرين وابن تابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة وأما جابر فهو جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفى لان جابرا الجعفى ضعيف وهو تابعى واغماضه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلثمائة رجل فلله در الوداعى لقد أودع فى بيته نفائس الذخائر * وقال فلم يترك مقالا لشاعر * وكان من المتقدمين عصرا وعلما فى اقتناص شوارد النكت الادبية * والانواع البديعية * وابراز التورية فى القوالب التى لم يسبق اليها وعلى موائده معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مواضع كثيرة وقد عن لى وان طال الشرح أن اذكر نبذة من ذلك ليتأيد قولى ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

اثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بها ذا فقلت بى سوداء

لانعم أدال ولا عفو زال وهى الكدية التى على تبعتها وليست لى منفعتها فهل للشيخ ان يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار وسمة التكسب والافتقار ليخف على القلوب ظله ويرتفع عن الاحرار كله ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من اشغاله ليعلق باذياله ويستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله والادب عن اذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتريه بماله وللشيخ العميد فيما يجب به صنيعته من وعد يعتمده ووفاء يتلو ما بعده على رأيه ان شاء الله تعالى

(وله الى القاضى أبى القاسم على بن أحمد بشكو أبا بكر الحيرى)

الطلامة أطال الله بقاء القاضى اذا أتت

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة يا عاذلي

فاعلم يقينا أنني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

أفدي الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل

فابي بصدغيها الى طاعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع جماعة من أصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي

تجمعنا كأنا ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ جمال الدين

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيالله من حسن جلي

كأنكم الثلاثة ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فالريح ريح المسك منه ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين

لا ينكرن الكاس من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

قال الشيخ جمال الدين

لوذقت برد رضاب من مقبله * يا حار ملت اعضاي التي ثاث

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر

قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج تكن من المحصنينا

قلت ما يقطع الاله بحر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

قال ابن نباتة

قال لي خلي تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغني يقينا

قلت دع نصحك واعلم انني * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعي

ياعاذلي في النكار يش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن

من مجالس القضاء لم ترق الا الى سيد القضاة وما كنت لاقصر سيادته على الحكام دون جميع الانام لولا اتصالهم بسببه واتسامهم بلقبه وهم القضاة اتسموا بسمته متطفلين على قسمته اليهم أديم في الصحة كاديمه أوقديم في الشرف كقديمه أو حديث في الكرم كطر يقه فهنيأ لهم الاسماء وله المعاني ولا زالت لهم الظواهر وله الجواهر ولاغروان سموا قضاة فما كل مانع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل سيرة عدل العمرين ولا كل قاض قاضي الحرمين وبالنارات القضاء ما أرخص ما يبع وأسرع ما أضيع وألبسه الانذال قبل خلو الديار وموت الخيار الا يغارون لحلي الحسناء على السوداء ومركب

فالمردان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القام بنصري معشر خشن

قال ابن نباتة

لو آذتني عذالي بحربهم * اذاً لكار بش قد أصبحت حيرانا
اذا القام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحظه * أو ما تراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين

معسل بنعاس في لواحظه * اما تراها الى كل القلوب حلت

قال الوداعي من القصيدة المذكورة

الحاظه وهي السيوف كليلة * و يكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباتة

بليت به ساجي اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعي من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآن

قال ابن نباتة

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده في بيت الوداعي فان الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلاجل ذا وشتان قال الوداعي

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

قال ابن نباتة

مخجل بشبه ريم الفلا * ياطول شجوي من بخيل كريم

قال الوداعي في مليح أعمى

بروحي غزال الاراح في الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى فاتدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباتة

أفديه أعمى مفعد الحظه * لبرتقي في خده الوردي
تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

قال ابن نباتة

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الوداعي

ومايبرى هوى المشتا * ق الاذلال المقلي

أولي السياسة تحت الساسة ومنزل الانبياء من تصدر الاغبياء وحمى البزاة من صيد البغاث وصريع الذكور من تسلط الاناث وباللرجال وأين الرجال ولي القضاء من لايملك من الآلة غير السبال ولا يعرف من أدواته غير الاختزال ولا يتوجه من أحكامه الا الى الاستحلال ولا يرى التفرقة الا في العيال ولا يحسن من الفقه غير جمع المال ولم يتقن من الفرائض الا قلة الاحتفال وكثرة الانفعال ولم يدرس من أبواب الجدل الا قبح الفعال وزور المقال ذاك أبو فلان الفلاني أضاعه الله كما أضاع أمانته وخان خزانته ولا حاطه من فاض في صولة جندي وبلة كردي فما أشبهه في قضاياه وتحيره بين خطاياه الا بالصبي

قال ابن نباتة

من المغل أشكو نضوه الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل فى المغلى

قال الوداعى

يا نديمى والذى عاهـدنى * أنه عن شربها لن يقصرا
اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخثرا

قال ابن نباتة

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حثا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعى

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تجد عندها سماعا لشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباتة

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

وقد آن أن اختصر لئلا يطول الشرح وأكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كنا فيه من الاستشهاد بنيتى الشيخ علاء الدين الوداعى على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته فى هذا الفن وتوجيهه يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث فى هذا الفن حيث قال

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

والمعنى الآخر فى حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر الحلبى يصف فيها نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ومثله قول ابن الوردى

هويت أعرابية ريقها * عذب ولى فيه اعذاب مذاب
رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

واما التوجيه فى قواعد العلوم كالنحو فأحسن ما رايت فيه قول امين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى

يسلم الى عدليه ويلف وجهه فى منديله ويجمع عليه ازرابه فيجيء قذاله كل رفعة بصفعة ويسئل عن ضاربها فان غاظ فى صاحبها أعيد على وجهه اللف وعلى قذاله الكف وكذا من شغل أيام صباه بما شغل وفعل أيام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا وسع كل شئ جهلا وبعد فان القضاء من القضية والحية لا تلد غير الحية فمن اعتزى الى أب كأبيه واقترن باخ كأخيه لم يلم على جهله فهو الشئ من أهله والفرع فى أصله والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما نعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى فى المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب للئام وزرع لا يزكو

اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لقلبى وجدى فيك تنكير

يا نصب عينى غرامى كيف أجزمه * والقدم ترتفع والشعر مجرور

ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب أنه كان بالعراق عاملان احدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن عمله واستقر أحمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمرو استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن

فانك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن أبى الاصبع

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

ونظير هذا قول بعضهم

عرج بنا نحت طلول الحمى * فلم تزل آهلة الاربع

حتى نظل اليوم وقفا على السـ * ـا كن أو عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى

لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائف البهاء زهير

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

أنظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى

انا كالذى أحتاج ما تحتاجه * فاغنم دعاى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة * وظريف هذا قول بعض الموالبا

رأيتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحت قلبى المعنى محن

يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجرودع يدخل على اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

الجيج الى الزهر لتحظى به * وارم جمارا لهم مستنفرا

من لم يطف بالزهر فى وقفة * من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

فى كل أرض حتى يصادف
من الحرص ثرى طيبا
ومن التوفيق مطرا صيبا
ومن الطبع جوا صافيا
ومن الجهد روحا دائما
ومن الصبر سعيا نافعا
والعلم علق لا يباع ممن زاد
وصيد لا يألف الا وغاد
وشئ لا يدرك الا بنزع
الروح وغرض لا يصاب
الا بافتراش المدر واستناد
الحجر ورد الضجر وركوب
الخطر وادمان السهر
واصطحاب السفر وكثرة
النظر واعمال الفكر ثم
هو معتاص على من زكا
روعه وخلا ذرعه وكرم
أصله وفرعه ووعى بصره
وسمعه وصفا ذهنه وطبعه
فكيف ينال من أنفق صباه
على الفحشاء وشبابه على
الاحشاء ونهاره على الجمع
وليله على الجماع وشغل
سلوته بالغنى وخلوته بالغنا
وأفرغ جده على الكيس

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسي ناظم البديعية من التوجيه في الحديث

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت انى بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عيني ومرسله * على مدبج ذاك الخد موقوف

ومن التوجيه في علم العروض قول ابن نصر الله المصري

وبقلبي من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولي وهو مطلع قصيد

في عروض الجفا بحور دموعي * ما افادت قلبي سوى التقطيع

ومن التوجيه في الكتابة قول ابن الساعاتي

لله يوم في دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسراني

بوجه معذبي آيات حسن * فقل ما شئت عنه ولا تحاشي
فنسخة حسنه قرئت وصحت * وها خط الكمال على الحواشي

وقول ابن الوردي

رايت فقيرا في المرقعة التي * على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشي محقق * الى الثلث والنضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشي الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى في بيته ثلاث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر في حاله في رقعة أولها * يقبل الارض وينهى ان له ثلاث سنة محقق مختف في حواشي البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر النضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف مايحمل عود ريحان ومن التوجيه في علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتني * لعلي أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

ومن التوجيه في علم النجوم قول بعضهم في كان وكان

لوسنبله خاف ظهره * ناظر اليها المشتري
ولو ذنب ما يقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه في علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن بها اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبي بن لؤلؤ في توجيه علم الموسيقى

وبمهجتي المتملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

وهزله على الكأس والعلم ثمر لا يصلح الا للغرس ولا يغرس الا في النفس وصيد لا يقع الا في البذر ثم لا ينشب الا في الصدر وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ ثم لا يعلقه الا شرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطى الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد المجد أيكفي أن يصبح المرء بين الزق والعود ويمسي بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب أترابه ثم يلبس دنيته ليخادع دينه ويسوي طيلسانه ليحرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدي شفاشقه ليغطي مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفي طمعه ويغشى

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
بحىّ العراق على النوى واحل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى اسماء منتزهات دمشق

يا حبذا يوما بوادى جلق * وتنزهى مع ذا الغزال الحالى
من أوّل الجبهة قد قبلته * مترشفا لآخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردى * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه لشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حىّ عالم عصرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقول بعض المواليا

للخد يا حى عالم يا كميت الطرد * عليه لو نفس صبارة وحر وبرد
ناداه والعارض النمام حولو فرد * مافاتك الحسن ساعة ياشقيق الورد

وقد تقدم قولى ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد فى شرحه المسمى برقم البردة بشئ من أزجال أهل عصره على بعض انواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى عند ما أوردت له ما اوردت فى أنواع الجناس وقد ذكرت له هنا فى باب التوجيه زجلا موجها فى خياط أخبرنى من أدرك الحاج علاء المذكور من أعيان أهل حماة أن هذا الرجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين ابن مقاتل فى هذا الفن مشهورة شرقا وغربا محتج فيها الى الاطناب فى وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جملو
بالمفصل وآية الكرسى * نرقى شكلو الحلو
خاط لى ثوب سقام قصر نحو * طال بحكم القدر
حتى أن البدن اضنى ضاع * فى عيون الابر
راح عذولى بشكلوشكلو * وبقص الخبر
وجا مذبوح القلب متمزق * ونسى ايش قلت لو
ولا فرج لو كرب عن قلبو * ولا عن مرسلو
ذا الحبيب بقية العشاق * كم قد أخلا جيوب
وبزور من العيون كم لو * تخرجه فى القلوب
قلت بصه غلالك الجيب زور * ولا نزج كروب
خلا سرى المكتوم مشهر فيه * والذى يسألو
جيبو مقلوب وراب على غير * الاستوا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وصلى * واوصل الانقطاع

حتى

عراية ليلا جرايه ويكثر دعاءه ابتشوا وعاءه ثم يخدم بالنهار أمعاءه ويعالج بالليل وجعاءه ويرجوان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد حاكما هذا الذا الجد كالوه بقفزان كلا حتى ينسى الشهوات ويجوب الفلوات ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر ويفتح الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليلة باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجنى على العين وينفق من العيش ويخزن فى القلب ولا يستريح من النظر الا الى التصديق ولا من التحقيق الا الى التعليق وحامل هذه الكلف ان اخطأه رائد التوفيق فقد ضل

حتى خلى بيني وبين الموت * اما باع اوذراع
وترى ظاهرى صحيح لكن * باطنى فى النزاع
وان هو طوّل شقة بعادى والانقطاع اوصلو
جهزوا القطن والكفن والما * واغسلوا وفصلوا
جا الفقيه فى حبيبى بعذلنى * ويرقع كلام
قلت دعنى فقيه فى تزبيق * بس تلفيق سلام
قال حبك لو ظلم سلارى * تترى والسلام
وسلب اسلامى لما حذرنى * عند باب منزلو
وقطع عاتق وضربنى * وايش معو يعملو
ذا الخليع الجديد ثم ارقد قال لى * انظر عقلى قمر
صف جبينى وشعرى من تفصيل * نظمك المبتكر
قلت خيط الصباح يستفتح * ذيل الدجى فى السحر
قال لى قصرت بل هو ستر الله * حين على اسبلو
حابك الزرقا فاتق الخضرا * بالهلال كللو
قال فصفنى فى خدى والعارض * فى أحسن صفات
قلت حله وردى من اطلس * فيها جمع الشتات
وعليها دار الطراز تنبيت * رقم ما احلاه نبات
قال ماهو الاشرب والحمره * دم من تقتلو
فيه خيالات خيوط زرق لاحت * من جفون تغزلو
قلت كف العتاب فى ذى الصفه * ما انا فى ذا القياس
وانظر فى دايره تمنطقها * بدر من غير قياس
واكسنى ثوب وقار ولبسنى * بالفتوه لباس
وان جا تخليصى غرض من يديك * بالوصال طولو
وان قصر باعى عن صفات مدحك * بالوفا ذيلو
جار فى بستان مشهر القصان * من بكر صابحو
مثل كف المنثور فى مكنونه * حين وقف صافحو
وقميص الشقيق من اكامو * بالخجل فاتحو
وقضيب الخلاف وقف عراه * فرق حين فصلو
واوثق ازراره الورد فى كمو * وعليه فضلو
دى الكلام بتخلع ويتفرد * ويفصل مليح
ويفرج ويندرج اصلو * ويفتح صحيح
ويبطن من بعد تضريبو * بالسجاف يستريح
ويعرى من حبكه التخريم * ويزررو

سواء الطريق وهذا الحبرى رجل سفله طلب الرياسة بغير تحصيل آلاتها واعجله حصول الامنية عن تحصيل أدواتها
والكلاب أحسن حالة
. وهو النهاية فى الخساسه ممن تصدر للرياسة قبل ابان الرياسه
فولى المظالم وهو لا يعلم اسرارها وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها
والامانة عند الفاسق خفيفة الحمل على العاتق تشفق منها الجبال ويحملها الجهال وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله تعالى وحديث رسوله يروى و بين البينة والدعوى فقصمه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنده من الله والجام يدلى بهما الى الحكام
ولا منزكى اصدق لديه من الصفر ترقص على الظفر ولا وثيقة احب اليه من

انو بطوى والنشر فيه موزون * آخر وفى اوا ـــــ و

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل فاسيون على الاعدا * جد ما فيه خف
وعلى ارباب المعرفة من ربش * النعامات اخف
للصغير والكبير فقل عنى * واحذرا حذر تخف
كم زيادة على على وان كان * يشتهوا يعملوا
هذا الابلق والشقرا والميدان * اركبوا وادخلوا

كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هذا الزجل فانكره لبعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن وبعذر فى ذلك لانه ليس له المام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينتذ له مرسوم فانه يؤديه الى خطا وزنه واعراب لحنه * ومصنفه ابو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير قال فى خطبته * وقد جردته من الاعراب * تجريد السيف من القراب * ولم يطاب من الزجل غير عذوبة الفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة فى الطب ما اتفق ان بعض الملوك خرج لقتال اعدائه * فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده فى ذلك الوقت فطلب طبيبه وامره بالكتابة بسرعة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها فى صناعته * اما بعد فانا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الا على قيفال * ولم يكن الا كجس نبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلك باعتدال المزاج وكان ابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع فى غالب نظمهم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضعه من باب التورية وأما توجيه اسماء انواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وما ذاك الا أنه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن ابن الخراط الشافعى احد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وانا منشئ ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالانواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسن الادب فمن ذلك قولى فى فصل التعدية وبعد فهل انعامنا الشريف قد حلينا لاهل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باسمه لاهلها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فتتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الافتنان فى نظمه ونثره * ويصير افقه المذهب الكلامى فى ايامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة * ويبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التصحيف والمراد به عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القاضى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسن بيانه ايضاح وللسر عنده

غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أوقع بوفاقه من خبيئة الذيل وحبال الليل ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الغسق والفلق ولا حكومة أبغض اليه من حكومة المجلس ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ثم الويل للفقير اذا ظلم فما يغنيه موقف الحكم الا بالقتل من الظلم ولا يجيره مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء واقسم لوان اليتيم وقع فى انياب الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى واقاربه وماظن القاضى بقوم يحملون الامانة على متونهم ويأكلون النار فى بطونهم حتى تفاط قصراتهم من مال اليتامى وتسمن اكفالهم من مال

حسن ابداع * ولا ْدب اليه التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل الذى اذا نظم ازال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشاء فلا فرق بين عبد الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطالعة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء فيما يعد من القصص اذا علا فى تفسيرها امره * فلذلك رسم بالامر الشريف لازالت براعة لمطالب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولابرحت أبوابه الشريفة فى نصر بيع ونشر ربيع لوفود اهل الادب فى ايامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التحبير ويحصل به الاكتفاء والتتميم * ويجمع من نظمه ونثره بين التجنيس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك ويجعل الاستعانة بالله اياً من التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشاء بعد النقص تسهيم وتكميل * ويظهر ابرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لاتخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل الذوق فى جمع الفرائد وتظهر براعة التخلص فى عنوان كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغر المديفة شنف التورية بحسن نظامه * أو جاور بحرا فهو اديب والبحور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر بحسن ادبه فى بلاغة وانسجام * وكما احسن له الابتداء يعضده بديع السموات والارض بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى هذا النوع

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم ما أوردناه من هذا القسم وبيت بديعيتى

وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه ان يوجه المتكلم كلامه الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد * والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتامل ما يتخيل فى أول وهلة غير سواد الخال ومحل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود اخو النعمان بن المنذر وهو احد ملوك العرب والتورية ههنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع البديعى لم ينتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أقمر فيه الشيخ علاء الدين الوداعى والقاضى محى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن اوردنا على هذا النوع نظمه * وأوصلنا الى الغرض لما اطاق فيه سهمه * وما أخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين ونفرت نظم الترتيب هنا الا لانهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

الايامى وماظنك بدار عمارتها خراب الدور وعطلة القدور وخلاء البيوت من الكسوة والقوت وما قولك فى رجل يعادى الله فى الناس ويبيع الدين بالثمن البخس وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت وباطن أصحاب السبت فعله الظلم البحت وأكله الحرام السحت وما رأيك فى سوس لايقع الا فى صوف الايتام وجراد لايسقط الا على الزرع الحرام ولص لاينقب الا خزانة الاوقاف وكردى لايغير الا على الضعاف وذئب لايفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لاينهب مال الله الا بين العهود والشهود وما زالت أبغض حال القضاة طبعا وجبلة حتى ابغضتهم دينا وملة والعنهم دربة حتى العنتهم قربة بما شاهدت من هذا الحبرى

(هنا بحث لطيف) وهو ان العميان نظموا التوجيه بين التسمية التي تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر ان المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح احدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذي نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر في الخياط وقد تقدم ليت عينيه سواء فالشاعر ابهم المعنيين بحيث يحير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح احدهما ولم أر في بيت العميان غير التورية بين الغني والفقير فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصيروا بالغني وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا توقدت جمرة الصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت في بيتهم له قرينة صالحة تدل عليه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

نزهت طرفي وسمعي في محاسنه * وعذلك ان تقصد التوجيه في الكلم

أصحاب الطريق الذي مشى عليها الشيخ عز الدين في نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحي أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التي اقتضت اشتراك المعنيين قوله نزهت فانه قال انه نزه طرفه في محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعذلك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله أعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

(يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تنقطع آمال وصلهم)

هذا النوع اعني عتاب المرء نفسه لم اجد العتب مرتبا الاعلى من أدخله في البديع وعده من انواعه وليس بينهما مناسبة والذوق السليم اعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية امره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكران الاسدي انشدهما عن الجاحظ وهما

عصاني قومي في الرشاد الذي به * امرت ومن يعص المجرب يندم

فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع وقوله صحيح لم أر في هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا ان هذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير اهلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح ان يكون شاهدا على هذا النوع الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن ابي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هذا الشاعر بذكر النفس

والاوم

وقاسيت وعاينت من خبطه وخطبه ما عاينت وساسوف حدثني معه انه اصلحه الله قد فتش اعطاف نيسابور فما وجد الارأس دبة والالحيتي مذبة تجبى لي على خمسة آلاف درهم ارقت في كسبها ماء العمر واخرجتها من انياب الخطوب الحمر وخمسة أشهر من عمري كل يوم منها خير من عمر شريح القاضي في أمر الباغ المعروف بباغ اسعد قدلي اجارة ثلاث سنين واحتملت دخله اياما قلائل ثم لم يكن منه لي معه الامثل البخاري الذي ضاع حماره وخرج في طلبه حتى عبر جيحون بسببه يطلبه في كل منزلة ويشده في كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وانتهى الى طبرستان وأتى

عتاب المرء نفسه

واللوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيه

انا المفرط أطلعت العدو على * سرى وأودعت نفسى كف مجترم

الشيخ صفى الدين حكى أنه فرط فى اطلاع عدوه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير واين هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ

* لك الويل ماهذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

عتبت نفسى اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبل بلا هاد ولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا انه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذى اتعبها وكانها اهل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره وما مقدار هذا النوع حتى ان الشاعر لم يات به على صيغته لاسيما ونظام البديعيات قد التزموا أن ياتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعيتى

يانفس ذوقى عذابى قد دنا أجلى * منى ولم نقطعى آمال وصلهم

أقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة فى علو طباقه وان كان من الفحول التى لها فضيلة السبق فقد زاحمه فى حلبة سباقه مع ان عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس ويقول من كوم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس واين هذا النشر الواضح والرقة التى ود النسيم لو انتظم معها وانسجم من عقادة بيت الشيخ عز الدين وقد امسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

(ذكر القسم)

برئت من أدبى والعزم شيمى * ان لم أبر بنأى عنهم قسمى

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن نقرر أن الشروع فى المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شئ فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعى فى معاوية بن هند

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافى بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما عن ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبى على البصير يعرض بعلى بن الجهم

أكذبت أحسن ما يظن مؤملى * وهدمت ماشادته لى أسلافى

وعدمت عاداتى التى عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف

وغضضت من نارى ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافى

ان لم اشن على على خلة * تمسى قذى فى أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لى امل سواك اعده * فكفرت نعمتك التى لا تكفر

واحسن ما سمع فى القسم على المدح قول الشاعر

العراق وطاف الاسواق فلما لم يجده وايس عاد وقد طالت اسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل فى بلده بين اهله وولده أحب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وثفره وحزامه قائما على المعلف ينشش وانا أيضا مازال يرددنى فى هذا الباغ بامل يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ بارضه ومائه وزرعه وبنائه فى يد الهمذانى ليس اطال الله بقاء القاضى يعامل مثلى بمثلها الاسخى أو سخيف اما السخى فالذى يحمل حرمه طعمة ويصيره فى فى لقمة واما السخيف فالذى لا يبالى بما يؤل اليه عقباه ولا يوجعه الصفع

القسم

حلفت بمن سوّى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * فاثبت فى ادراك كل عيان
لما خافقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل افواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

والمقدم فى هذا الباب وهو الذى انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة وا كمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والارض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث اخبر سبحانه وتعالى ان الرزق فى السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذى يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ما جاء من القسم فى النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت اذنى

ومما جاء من القسم فى الغزل قول ابن المعتز

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتى دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الذى وقع عليه الاتفاق ان هذا أحسن ما وقع من القسم فى الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل فى باب الغزل ولكن قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ان الذى وقع لجميل بن معمر العذرى فى هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبى وأكبر اخوتى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تلجج

ثم قال اعنى ابن أبى الاصبع رحم الله جميلا لقد تظرف فى هذين البيتين ما شاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذى يراد به الجد وأغرب فى القسم فيهما وادمج فى القسم حسن ائتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بما لا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبى الاصبع قلت واذا وصلنا فى القسم الى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى فائد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وما ذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبه ينابيع الفضل التى هى مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد وعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عندقدومه بغداد هديه مع مملوكه تتر بل معشوقه الذى اشتهر به فى الخافقين غرامه * وأبدع فى أوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فادخله فى الهدية وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة أولها

قوله قالت البيتين بعدهما
فلثمت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف لبرد ماء الحشرج

على قفاه والله المستعان والقاضى الفاضل المستجار وامن الله الحيرى وورقا قطعته بذكره وقرطاسا دنسته باسمه والحمد لله

(وله الى بعض أهل همذان)

كتابى اطال الله بقاءك غرة شهر رمضان عرفنا الله بركة مقدمه ويمن تجشمه وخصك بتقصير ايامه واتمام صيامه وقيامه فهو وان عظمت بركته ثقيل حركته وان جل قدره بعيد قعره وان عمت رأفته طويل مسافته وان حسنت قربته شديد صحبته وان كبرت حرمته كبير حشمته وان سرنا مبتداه فلن يسوءنا منتهاه وان حسن وجهه فان يقبح قفاه وما احسنه فى القذال واشبه ادباره

عذبت قلبى بالتبر * وأطرت نومى بالفكر

ومنها

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به وابى واعتمر
ان الشريف الموسوى ابن الشريف أبى مضر
ابدى الجحود ولم يرد الى مملوكى تتر
والت آل امية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * ورجعت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على * آل النبى ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ * ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ * ـحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ * ـر بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما وأز * جر من لحانى أو زجر
وأقول ام المؤمنيـ * ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ * ـلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ * ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل * حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف * وعف عنهم اذ قدر
واقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
واقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته بقا * تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من ثمر النوا * صب ما تمر واختمر
واقول ذنب الخارجيـ * ـن على على يغتفر
لا ثأر لقتلاهم * فى النهروان ولا أثر
والاشعرى بما يؤ * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فانا البرىء من الخطر

بالاقبال جعل الله قدومه سبب ترحاله وبدره فداء هلاله وامر فلكه تحريكا لتنقضى مدته وشيكا واظهر هلاله نحيفا ليزف الى اللذات زفيفا وعفا الله عن مزح يكرهه ومجون يسخطه ورد كتابك فاى سرور لم يرد بوروده وأى حبور لم أجد بوجوده وسرنى تزايد بيانك كما ساءنى البعد عن عيانك واعجبنى كتابك كما ازعجنى عتابك ولست املك مقابلتك على ما توليه من جميل فى حفظ تلك المعايش وصيانتها أكثر من تقلد المنة واحسن من اذاعة الشكر والسلام

(وله جواب كتاب رئيس هراة عدنان بن محمد)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من نيسابور وقد غصت على برحابها وضاقت على برحبها شوقا اليه عن سلامة ووردتها بحضرته

فعلا وقال خلعت ما * حبكم وأوجزوا اختصر
واقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
وجيشه بالكف عن * ابناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام ايام أخر
والبست فيه اجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وأمين اجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر أقول ما صح الخبر
والبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم * بالفاشريا قد فشر
مصطبحتى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
نفريرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم بجبالهم * طبعت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا * رله البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلنى * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـ * ـف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن انني * بحر والفاظى درر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر

اسبع بقين من شهر رمضان اراني الله قفاه فما احسنه واسمنه والحمد لله وقد ورد كتاب الرئيس فاذنت وروود النعم تترى الى ومثلت لدى وبين يدى ووجدت الشيخ قد اخذ مكارم نفسه فجعلها قلادة غرسه وتتبع المحاسن من عنده فحلى بها نحر عبده وما اشبه رائع حليه فى نحر وليه بالغرة اللائحة على الدهمة الكالحة لا وآخذ الله الشيخ بوصف نزعه عن عرضه وزرعه فى غير أرضه ونعت سلخه من خلقه وخلقه فاهداه الى غير مستحقه وفضل استفاده من فرعه واصله واوصله الى غير اهله ذكر حديث الشوق ولو كان الامر بالزيارة حتما أو الاذن أطلق جزما لكان آخر نظرى فى الكتاب أول نظرى الى الركاب ولاستعنت على كلف السير باجنحة الطير لكنه ادام الله عزه صرفنى بين يد بسريعة النبذ ورجل وشيكة للاخذ واراني

والى الشريف بعثتها * لما قراها فانبهر
رد الغلام وما استمر على الجحود ولا اصر
واثابني وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

أقول انه يغتفر لى طول الشرح لغرابة اسلوب هذه القصيدة فانى لم آخرج بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأما هزلها الذى يراد به الجد فانه غاية لا تدرك وطريق ما رأينا لغيره فيها سالك وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع أعنى القسم نسجه على المنوال الاول الذى هو مبنى على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لا اقتنى المعالى بابن بجدتها * يوم الفخار ولا بر التقى قسمى

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور لكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يأت ناظمه بجواب القسم الا فى بيت الاستعارة التى ترتب بعده وهو

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم الجدعن أمم

وأصحاب البديعيات شرطوا أن يكون كل بيت شاهدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لا يصلح ان يكون شاهدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفى الدين كيف فتر عزمه وقصرت همته عن هذا القدر الذى يتطاول الى ادراكه كل قاصر واين هو من قول القائل فى طريقته الغرامية التى حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضا ان كنت خنتك فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما اتى بالقسمين وجوابيهما فى بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التى كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

برئت من سلفى والشم من هممى * ان لم أدن بتى مبرورة القسم

بيت الشيخ عز الدين مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتى

برئت من أدبى والعزم من شيمى * ان لم ابر بنأى عنهم قسمى

وهذا البيت مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمة * وفى قولى والعزم من شيمى غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الادب فى القسم برئت من ادبى مع التورية التى ترفل فى حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية بما لا تخفى على أهل الذوق من اهل الادب والله أعلم

(ذكر حسن التخلص)

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كانهما أفرغا فى قالب واحد ولا يشترط أن يتقدم المتخلص منه بل يجرى ذلك فى أى معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال أو معنى

زهدا فى ابتغاء كسوفى ارتقاء ونزاعا فى نزوع كذهاب فى رجوع ورغبة فى كرغبة عنى وكلاما فى الغلاف كالضرب تحت اللحاف فلم أصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ولم أعان بالزيارة وقد أسر بالنداء ولم يدعنى بلسان المحاجاة ولم يجاهرنى بفم المناجاة ولو فعل لكنت اليه أسرع من الكرم الى طرفيه وفكرت فى مراد الرئيس فوجدته لا يتعدى الكرم بسبب تارة والفضل تارة فاذا كان الامر كذلك فما أولاه بترفيه مولاه عن زفرة صاعدة بسفرة باعدة ونكباء جاهدة فى شتوة باردة فليستفتح كل منا الى صاحبه بما عنده فابعث بما عندى وهو المدحة ليبعث بما عنده وهو المنحة وها هو قد أوردت سلعتى فاصدر خلعته وقد أنفذت

(حسن التخلص)

من المعاني يؤدي الى مدح أو هجو أو وصف في حرب أو غير ذلك ولكن الاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما يتخلص اليه وهذا النوع أعني حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن يجري مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا الزهير في هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان واـ * ـكن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربي القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف * ولا يرتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب

ومثله قول أبي نواس

تقول التي من بيتها خف محملي * يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في اثرهن عبير
دعيني اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله في الحسن قوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

أقول ان هذه الطريق التي مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه في هذا الباب وهي حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثاني فاتت فحولا من الشعراء كالبحتري وأبي تمام في غالب القصائد على أنهما المقدمان في هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان في بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثاني وثمة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه في هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمي اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استأنف كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحتري في قصيد وقد جرى في ميادين غزلها الى أن قال من غير ارتباط

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

واذا أتقذا خذت ويا سبحان الله ما اكثر الكدابة في هذا الفضل وقد صدر مصدر الهزل فلا يشغل الشيخ قلبه بشيء منه فاني صنيعته وصل أم قطع وغلامه أعطى او منع وأبو فلان قد أجبت عن كتبه فلم يقذعنا بعتبه وازلجت العلة في جوابه فلم يحرقنا بنابه أنا استعفيه من سخطه كما استجرته من شطاطه واسأله الدوام على معهود وصاله كما أمنعه الخروج عن محمود خصاله واشكره على ما آتى كما اشكره على ما بقي وقد زاد في امر المخاطبة وما أحسن الاعتدال وقد كفانا نية الاستاذ واسأله أن لا يزيد وقد بدأ ويجب ان لا يعيد فلا تنفع كثرة العقد مع قلة المعدود والزيادة في الحد نقصان من المحدود ورب ربح آدى الى خسران وزيادة أفضت

وهذه النبذة التى ابرزتها هنا من نظام المتقدمين فى حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ماتيسرت الا بعد بذل الجهد فى جمعها وهذا النوع البديع مااعتنى به غير حذاق المتأخرين وماسبجوه جميعه الا على المنوال المذكور ولعمرى انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم فى البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لى أن انبه على قبح التخالص التى لا تعد من انواع البديع لينفتح ذهن المبتدئ فى هذا الفن فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي وان كانت له التخالص الفائقة

غدا بك كل خلو مستهاما * واصبح كل مستور خليعا
احبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

انظر ما أبرد هذا التخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرا وأن يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلا منهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة ايضا قوله

على الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وسبب قبح هذا التخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته فى الوصال ولا خفاء فى دنو هذه المرتبة وقد سبقه ابو نواس الى ذلك ولكنه اقل شناعة مع أن الكل قبيح حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها فى كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق فسعى فى طلاقها من زوجها واعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن افضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن ابى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبى * أغصتنى حرارتها بريقى

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس يا حبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعه احد الا ظننى قوادا ومن التخالص التى استحسنوها للبحترى قوله

رباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن التخالص المستحسنة لابى تمام قوله من قصيد

مازلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم
لا والذى هو عالم أن النوى * مر وأن ابا الحسين كريم

هذا التخلص مقدم على تخالص البحترى من وجوه احدها التخلص من النسيب الى المدح

الى نقصان ورأى الشيخ فى نشر بقه بجوابه موفق ان شاء الله

(وله ايضا)

وردنا يا سيدى فلان وهو عين بلدتنا وانسانها وقلبها ولسانها فاظهر آيات فضله لاجرم انه وصل الى الصميم من الايجاب الكريم وهو الآن مقيم بين روح وريحان وجنة نعيم تحيته فيها اسلام وآخر دعواه ذكرك يا سيدى وشكرك وأحسن الثناء عليك بما أنت اهله وانا اصدق دعواه وافتخر بمجلسك افتخار الهدى بتباع مولاه وقد عرفت فلانا وانه وكيف يجرى فى الخطابة رسنه فما ظنك به وقد ملكته المحاسن ولحظته العيون وسل صارما من فيه بعيد شكرك ويسد به وينشر ذكرك وبطويه والجماعة تمدح بمدحه وتجرح بجرحه

والثانى حسن الانسجام والثالث وهو جل القصد الوثبة فى بيت التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى باسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثله قوله من قصيد

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبى الطيب الفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران بن ماهويه مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * دانى الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع فى غاية الحسن والغرابة فانه يقول هذا سرب حيل بينى و بين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل فى غرابة هذا الاسلوب الى أن قال متخلصا

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كاننى لم آتها
أقبلتها غرر الجياد كانما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال والشرب الذى أمست المشارب الصافية عنده كالآل ومثله فى الغرابة التى هى من معجزات المتنبى قوله من قصيد يمدح بها على بن عامر ويعرض بذكر أبيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر
وما احلى ما قال بعده

واعجب من ذا كل يوم سلامتى * وما ثبتت الا وفى نفسها أمر

ولم يزل ينفث بصدق عزائمه فى هذا السحر الذى سحر به العقول وخاب القلوب الى أن قال

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر
وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدة دالية يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد * وان ضجيع الخود منى لماجد
وما ألطف ما قال بعده

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر فى هذه الاسلاك البديعة قال

خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص ابى العلاء أحمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولو ان المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

فرأيت فى حفظ اخلافك التى اغرت هذا الشكر وانتجت هذه المآثر الغر موفقا ان شاء الله

(وله ايضا كتبها الى الرئيس ابى جعفر الميكالى)

الشيخ تملك من قلبى مكانا فارغا فنزله غير منزل قلعه ومن مودتى ثوبا سابغا فلبسه غير لابسة خلعه ومن نصب تلك الشمائل شبكا وارسل تلك الاخلاق شركا قنص الاحرار واستعبدهم وصاد الاخوان واسترقهم وبالله ما يغبن الامن اشترى عبدا وهو يجد حرا بارخص من العبد ثمنا واقل من البيع غبنا ثم لا ينتهز فرصة امتلاكه ولا يهتبل جدة حوزه وانا أتم للشيخ على مكرمة يتيمة وسعى ذى شامة وشيمة فليعتزل من الرأى ما كان بهيما وليطلق من النشاط ما كان عقيما وليحلل حبوة التقصير وليجتنب جانب

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انتقالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا التخلص أيضا من العجائب فان الشيخ ابا العلاء سبكه فى قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير فى فاله سعيدا والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن و يتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من التخالص قوله

الا يا ماء دجلة لست تدرى * بانى حاسد لك طول عمرى

ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى

فقال الماء قل لى كل هذا * بم استوجبته يا ليت شعرى

فقلت له لأنك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

قال صاحب المثل السائر حين أورد هذه الابيات ما علمت معنى فى هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ ويكفى ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمرى ان التخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير فى الوصف ولكن قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع اعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها قبلا لها لى * بشورة استها اولها قذالى

كما لابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميع مالى

ومن التخالص الفائقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة بن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب

كأنما قولنا للبابلى ادر * سلافة قولنا للمزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ ابا طالب بن ايوب

يا من ثناياه التى * غولطت عنها بالاقاحى

غلط المقايس بابن أيوب السحابة فى السماح

ويعجبنى من تخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور

ام الايام خافتنى لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى ايضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

التاخير ولينقض عذرتها وليقض حجها وعمرتها برأى يجذب الجد باعه ويعمر النشاط رباعه وتلك حاجة سيدى ابى فلان فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسر وعد وهو منتجزه ولا بعد أمر وهو منتهزه ولا ضاعت نعمة انا بريد ذكرها وضامن شكرها وغريم نشرها وولى أمرها وهذا الفاضل قرارة بنائها ومثابة أدائها فقد شاهدت من ظرفه ما أعجز عن وصفه وعرفت من باطنه ما لم يزر بظاهره ورأيت من أوله ما نم على آخره ثم له البيت المرموق والنسب المحقوق والاوابة القديمة والشيم الكريمة وقد جمعنا فى الود خلقه ونظمنا فى السفر رفقه وعرفنى ما نهض له وفيه تضمنت عن الشيخ كرما لا يغلق بابه وغيثا لا يخلف

ولم يزل يطلق العنان فى هذه الحلبة الى أن سبق الى غاية قال فيها

ان شاء بعدهم الحياة فلينسكب * أو شاء ظل غمامه فليقلع

فقليل جسمى فى ذبول ربوعهم * كاف وشربى من فواضل أدمعى

كرمت جفونى فى الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وارتعى

فكأن دمعى مد من أيدى بنى * عبد الرحيم ومائها المستنبع

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكأن ليلى من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالأدرع

ولم أكثر من محاسن مهيار هنا الا لعلى بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التى تصلح أن تكون واسطة فى هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضى أبو بكر أحمد الارجانى من قصيدة يمدح بها ولى الدين الكاتب مطلعها

وعدت باستراقة للقاء * وبأهداء زورة فى خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يماشيها الظل فسارت فى ليلة ظلماء

ثم خافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء

فاستنابت طيفا يلم ومن يملك عينا تنم بالاغفاء

هكذا ليلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء

يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناه الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا فى هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتنى معانيا لمغان * واعادت أعاديا أصدقائى

رنقت مشربى وقد كان عين الشمس والماء دونه فى الصفاء

بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا * تنثنى كالبانة الغناء

وامورى كأنها ألفات * خطهن الولى فى الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة فى هذا السلك قوله من قصيدة رائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانبارى مترسل الخلافة وكاتب انشائها مطلعها

سل رسوما أقامت بعد ما ساروا * أعندها من اهيل الحى اخبار

ورو حا عاقنى من حلها ممننا * للسحب فيها وللاجفان استار

ولم يزل مبدرا فى هذا الافق النير الى أن قال

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادى على ماشمت صبار

الا لانك منى اليوم نازلة * فى القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التى مازجها سلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين احمد بن أسعد الطغرائى مطلعها

اذا لم يخن صب ففيم عتاب * وان لم يكن ذنب ففيم متاب

وما ألطف ما قال بعده

صابه وبقى ان يخرجنى الشيخ عن عهدة الثقة زاده الله نا كدا فان راى ان اسال الشيخ فى معناه عرفنى كيف المانى له وانما اطلب ليعلم صدق اهتمامى وفرط تقاضى اليه

(وله الى الشيخ أبى اسحق ابراهيم بن حمزة)

لو كانت الدنيا اطال الله بقاء الشيخ على مرادى لاخترت ان اضرب على هذه الحضرة اطناب عمرى وانفق على هذه الخدمة ايام دهرى لكن فى اولاد الزنا كثرة ولعين الزمان نظارة وقد كنت خطبت من خدمة الشيخ شرعة قد نغصها على بعض الوشاة وذكر انى أقت بطوس بعد استئذانى الى مرو وفى هذا ما يعلمه الشيخ فان رأى أن يحسن

أجل مالنا الاهواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائرا في سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل في الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجاني أيضا نظمه غريب في هذه البلاد فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله اعلم * وقد آن لي أن أقدم مقدمات النتائج من اشعار المتأخرين في هذا النوع فانهم رياحين حدائقه * واقمار مشارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذي ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلف امامته الجماعة * فمن مخاصه الفاضلية قوله من قصيد يمدح بها خليفة الفاطميين في ذلك العصر مطلعها

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * جرت فضحكت دمعي دموع الغمائم

(ومما حلى ما قال بعده)

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

تاخرت في حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الا حديثا اناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعد كم قد فطمته * عن الشعرا لامدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملي المبدد

ولم يزل يدير على خصوره هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعية الى أن قال

اكبى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقا حل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

انا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملني بما يحلى سلوى * ولكن ليس في جوفي مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى ان قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح في تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كانشأ اللهيب من الشراره

وبفتك طرفها فيقول قلبي * أشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبي وذل الاسد

تجهيزي في هذه الرقعة بكتاب يطرزبه مقدمي فعل ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

خادم الشيخ قد اتبع في الخدمة قلمه وأتلى لسانه في الحاجة بنانه وقد كان استأذنه في توفيره هذا اليوم على مجلس السيد فاذن على عادته الكريمة وشيمته اليتيمة ومن وجد كلا رتع ومن صادف غيثا انتجع ومن احتاج الى الحاجات سأل وبقى ان يشفع الشيخ بازاء الحوش عذره وينظم الى روض الاحسان مطره ويطرز أنسنا بالشيخ ابي فلان فقد وصفت حتى حببت شوقا اليه ووجدا به وشغفا له وغلوا فيه ورأيه في الاصغاء الى الكرم عال ان شاء الله تعالى (وله جواب عما كتب اليه تهنئة عن مرض ابي بكر الخوارزمي

كنت فى ترك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسناه لولا بخلها * خانها بعض خلال الانجد

ومن المخالص التى نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيدة يمدح بها ابا المنصور نور الدين محمود اعين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما نقضاها المراء بدا

ردالركاب لامرء عن فى خلدى * ومعه فى بديع الحب ترديدا

وقف ابنك مالان الحديد له * فان صدقت فقل هل أبت داودا

حاث عرا النوم عن أجفان ساهرة * ردالهوى هدبها بالنجم معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضر بها * فاذ كرتنى موسى والجلاميدا

وما احلى ما قال بعده كناية عن طول الليل

ياذهاب الصبح يا سرحان اوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى ان قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول انى وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله مانظرت * عيناى بعد ابى المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنة بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى مطلعها

اروها الجلنار من الخدود * واخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم فى المخانق والبرود

وماغرسوا نخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد

سقى مصرا وسا كنها ماث * طليل البرق صخاب الرعود

مواردى لهاظما شديد * ولكن لاسبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبنى من مخالص القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل التى فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة اسلوبها

ضنت بطرف ظل بعدى سقمه * أرايتم من ضن حتى بالضنى

ياعاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكنى انا

انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا

وسالت من اى المعادن ثغرها * فوجدته من عبد الرحيم المعدنا

وما احلى ما قال بعد المخلص

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

الحر اطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتى ووصف احواله صفتى اذا نظر علم ان نعم الدهر مادامت معدومة فهى أمانى فان وجدت فهى عوارى وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تصب فكان قد فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ولا يعدمها فى جنسه والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت وما اقبح الشماتة بمن أمن الاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار فهل يشمت المرء بانياب آكله ام يسر العاقل بسلاح قاتله وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلا فقد باطنه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدى فى طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر او وسادا لمعصم

وما ابدع ما قال منها

سعدت بيدر خده برج عقرب * فكذب عندى قول كل منجم

وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * باوضح منى حجة عند لوّمى

ولاسيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر فى فؤاد متيم

وما بان لى الا بعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضى السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعانى ولقد خلب القلوب وجلا ظلمة الافهام بقوله

وما بان لى الا بعود أراكة * تعلق فى اطرافه ضوء مبسم

واظنه من المخترعات والله اعلم * وما احلى ما قال بعده

وقفت به اعتاض عن لثم مبسم * شهى لقابى لثم آثار منسم

ولم يرطرفى قط شملا مبددا * بقابله الا بدمع منظم

ولم يسل قلبى أوفى عن غزالة * وعن غزل الا بمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول صاحب بهاء الدين زهير من قصيدة يمدح بها الامير نصير الدين اللمطى * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها

وما ألطف ما قال بعده

اعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك اسيرها

ولم يزل هائما فى طريقه الغرامية الى ان قال

وها انا ذا كالطيف فيها صبابة * اعلى اذا نامت بليل آزورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه فى اغرب القوالب البديعة وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها

تقاضى غريم الشوق منى حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها

وان الذى ابقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته ومثله فى الحسن قوله من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده

وأرى الرسول ولم أجد فى وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

فلا تصور حالى الا بصورتها من التوجع اعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقانى سماع السوء فيه بحوله ولطفه

(وله رقعة كتبها الى الشيخ ابى على)

سوء الادب من سكر الذنب وسكر الغضب من الكبائر التى تنالها المغفرة وتسعها المعذرة وقد جرى بحضرة الشيخ ماجرى وقد أفنيت يدى عضا واسنانى رضا وان لم أوف ماجرى فالعذر امتد حظا فان كان بساطا وطوى وحديثا لا يروى فاولى من عذر اللاعب وأحرى من غفر الصاحب وان كان ميتا ينشر وسببا يذكر فليكن العقاب ماكان اذا لم يكن الهجران على انى قد أخذت قسطى من العقاب واستفدت من ردا الجواب ما كفى واوجع القفا

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية الى أن قال

آها اقلب ماخلا من لوعة * ابدا يحن الى زمان قد خلا

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لاشعلا

ولقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين ان اتذللا

وما أحلى ما قال بعد المخلص

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * واردت قبل الفرض ان اتنفلا

و يعجبني ايضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوح اهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره

ثم قال بعده

والليل تجرى الدرارى في مجرته * كالروض تطفو على نهر ازاهره

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ولم يزل يتلاعب بهذه المعاني المخترعة الى ان قال

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكاس تستحلى اوائله * لكنه ربما مجت اواخره

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

و يعجبني من مخالصه الموسويات قوله من قصيدة مطلعها

يانار اشواقي لا تخمدي * لعل ضيف الطيف ان يهتدي

ولم يزل راتعا في رياض غزلها الى ان قال

غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندى

وقام يلوى صدغه قائلا * لا تغتر بي فكذا موعدى

فقلت بالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ بيدي

وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات في بيت المخلص الذي يستغنى بتمكنه وقوته عن ذكر ماقبله

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل ياابا الفتح ياموسى وقد فتحت

ومن مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف

حتى بدا فلق الصباح بجحفل * وراياته رنك الملك الاشرف

و يعجبني من مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

يذود شبا القناء عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجنى

اذا مارمت اقطفه بعيني * يقول حذار من هرعى وبي

وكان من موجب ادب الخدمة ابقاء الحشمة لولى النعمة باحتمال الشتم والاغضاء عن الخصم لكنى احتفت بي ثلاثة أحوال لا يصلح صاحبها منها اللعب وسكره والخصم وهجره والادلال والثقة وهن اللواتي حملتني على ماء الوجه أهرقته وحجاب الحشمة خرقته وقد منعني الآن فرط الحياء من وشك اللقاء ويهدى بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حملني على جهله واوقح من الدهر الذي احوجني الى اهله لكن النعم اذا توالت على وجه رققت قشرته والانت بشرته وانا منتظر من الجواب ماير يش جناحي الى خدمته فان رأى ان يكتب فعل ان شاء الله

(وله أخرى)

ما احوجني من الشيخ الى تفضل يطابق عن وثاقي وان

اسان السيف من ادنى وشاتى * ومن رقباء طرف السمهرى
كان لحظها فى كل قلب * فعال المشرفى الاشرفى

ويعجبنى من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضى فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فى غزلها وتغزل فى تحمسها الى المخلص مطلعها

ارح يمينك مما انت معتقل * امضى الاسنة ما اولاده الكحل

وما احلى ما قال بعده

يامن يرينى المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضى وأسمها مقل
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كتب من دونها حرس * من دونهم اقضب من دونها اسل
ومعشر لم تزل فى الحرب تبصرهم * حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى اعطافهم طربا * كان ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيها من غبار النقع متصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وطالعت تقاطيف الجزار فاعجبنى منه مخلص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسى بن يغمور * مطلعها

نقلت اقلبى مايجفنيك من كسر * وعات جسمى بالضنى رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الى أن قال

وهيفاء تحكى الظبى جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر
جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

وما أحلى ما قال بعد تخلصه بموسى

فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فى بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباته التى هى أوقع فى القلوب من خالص الوداد * وتوريتها انفس من خلاصة العقود فى الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضى القضاة تاج الدين السبكى مطلعها

واحيرتى بظلام الطرة الداجى * وشقوتى بنعيم الملمس العاجى

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الى أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد على الا كباد وهاج
وألجم العزل فاركض فى محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذر القلائد واهد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضى جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

آذنته بفراقى وماذاك رضا منى ولكن استزادة من نيل ابورقه أطارت نومى وأطالت يومى فليتفضل الشيخ بكتاب الى الامير ان لم يتسع وقته لغيره وليجعله نقدا لا يضرب له وعدا فقد انتهت نهمة المقام فقد احال الشيخ الامر عليه ومتى أخره احتجت الى الخروج من غير استصحابه ثم أرى ذلك من كتبت له واما الرشأ الذى ذكره فقد شغل هذا المهم عنه وانا انتظر تفضله فى هذه الساعة فليس يحتمل الوقت المطل

(وله الى الشيخ العميد)

اين تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلة الى سواه ايقصر فى النعمة لانى قصرت فى الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت فى اذيال السهو ولم تنعش يد العفو ام تقول ان الدهر

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدرى * أبهدب تصول ام بنبال

صنفت شجونا بغزال جفن * فقرأنا مصنف الغزالى

وهو ينا حلو القوام فنادت * لا عجيب حلاوة العسال

من معيني على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال

لو رأى عاذلى حقيقة أمرى * لرثانى ولا اقول رثى لى

فى جمال الحبيب مت شجونا * وبروحى افدى تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيدة يمدح بها الامير سيف الدين الكريمى مطلعها

غرامى فيك يا قمرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى نديمى

وقال بعده

ومالى الجسيم وصدعنى * ومالى غير دمعى من حميم

وكم سأل العواذل عن حديثى * فقلت لهم على العهد القديم

وعم تساءلون ولى دموع * تخبرهم عن النبا العظيم

ولم يزل القيراطى يحرر ابريز هذه المعانى الى أن قال

فوعده وناظره وجسمى * سقيم من سقيم فى سقيم

كريم مال بخلا عن ودادى * فات لنحو مخدوم كريم

الخالص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسالكها مقفل لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل ومن مخالصى التى مابرحت التورية فى ابواب بيوتها خادمة وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمة قولى من قصيد امتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير فى دمشق بابن مسعود وكان من اعز الاصحاب وممن رشف معنا فى ذلك العصر سلافة الآداب مطلعها

سهام جفنيك فى الحشا رشقه * رفقا فما مهجة الشجى درقه

وبكر هذه القافية انا ابو عذرتها واول من حصل له الفتح فى تحريك نكتتها وقلت بعد المطلع منها

انفقت عمرى وصحتى شغفا * عليك والصبر آخر النفقه

غصن خلاف عيس من خفر * قلوبنا فى هواه متفقه

قوامه فى اعتدا له الف * سبحان من مده ومن مشقه

عيناى بالثغر مع ذوائبه * فى اول الاصطباح مغتبقة

امير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه

عامريت الوصال خربه * وقال ما أنت هذه الطبقه

بدر منير قسا برؤيته * لكن نرى عند خده شفقه

يتناخدع وفيما بعده متسع فقد أزف رحيلى ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء الخط ام ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمعته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال أعطى ولا كل الرداء فنى أم يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وأرضا للمنة يزرعها فلا أقل من تجربة دفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر ام يتوقع صاعقة تملكنى اوداهية تهلكنى فهذا امل موفر لان شيخ السوء باق معه رام يقدر انى اشكره اذا اصطنع واعذره اذا امتنع وبالله لو كنت بينبوع المعاذير ما حظى منى بجرعة

قالوا البدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه
وحل الصبح من محاسنه * أنقال نور لكنه فلقه
وماس في الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه
وانظر الى الظبي كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه
فقيل والظبي ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه
قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجحبه رشقه
خفت من القتل رحت أملقه * سابقني مدمعي جرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى التخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغي فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغي صدقه

قولي حتى تخلصت لا يخفى ما فيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولي من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضي القضاة شمس الدين النويري مطلعها

طريفي من لييلات الهجير * مقريح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلي وجويرقلبي * دميمي في وجيناتي جويرى
بديوي تربكي الحيا * غويب عن عويشقه الحضيرى
عبيسي اللحيظ له وجيه * ضوى نوره ابقى بديرى
حياه مقيلتيه سباعقيلي * ولكن الخديد غدا جميرى
رويض وجينتيه له عنيدى * نسيب في النظيم الى زهير
مسيبل الشعير على كفيل * يذكرنا مويجات البحير
بدير في ا لظهير له نوير * مثيل شكله مافي العصير
حويجبه القويس له سهيم * مويض في ا لقليب بلا وتير
شنينته قفيل من عقيق * مقيفل على درا الثغير
عذيره النويزل دار حتى * تشوق للنزيل وللسدوير
لثمت خديده فجرى دميعي * فما أحلى الزهير على النهير
دنينير الوجيه له بقلبي * نقيد ليس يصرف عن صديرى
اتاه سويئلا يوما دميعي * فقال انا جعيدي الشعير
شهير وصله عندي يويم * ويوم هجيره مثل الشهير
تبسم لي سحيرا عن رويض * فقلت ولي دميع كالمطير
نثرت دميعتي بنظيم ثغير * فما أحلى النظيم مع النثير
افيظك والمقيلة مع نظيمي * سحير في سحير في سحير
شعيرك مذ أضل عويشقيه * هدينا في الظليمة بالنوير

ولم استطرد الى غالب ابيات هذه القصيدة الالغرابة أسلوبها فانى لم أزل اجذب القلوب

فليرجني بشرعة أم يرجوانى امهله حتى اعود من هراة والشيطان أعقل من ان يوسوس اليه بهذا أو يقول لدى ذلك وأنا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صددت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ماقدرت فليحبني من الفعل تذكرة أو من القول معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهراه يشرفني بها ان شاء الله (وله في رجل ولى الاشراف) فهمت رقعتك وسررت بسلامتك وفهمت ماذكرته من امر فلان اعني الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافا على الهلاك بعد الاتراك فلا يحزنك فالحبل لا يبرم الا للفتل ولا تعجبنك خلعته فالثور لا يزين الا للقتل ولا يرعك نفاقه فارخص ما يكون النفط اذا غلى واسفل مايكون الارنب اذا علا

الى تحبيب نصفيرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى ان ابدر بدر مخلصها فى أفق توريته *
ومثله قولى من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يانزولا جنى الفراديس بالشا * م واعلامهم على قاسيونا
بالنسيم العليل منكم اذا هب على الغور و الربا عللونا
وارحموا سائل الدموع وبالله عليكم لا تنهروا السائلينا
واذا ما نهر تم الدمع نهرا * لا تخوضوا فيه مع الخائضينا
حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا
والخيال تحن عهودوفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولى من قصيدة كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضى القضاة تقى الدين ابن الخيمى الحنفى بحماة المحروسة نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه

فيا ساكنى مغنى حماة نعمتم * صباحا ولو ألغيتم فى الورى ذكرى
فودى ودى مثل ما تعهدونه * ولكن صبرى عنكم عاد كالصبر
وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر
وان جلت فى ميدان نظمى تشوقا * تسابقنى حمر المدامع بالنثر
وشيمى همى كلما رام بعدكم * يحار بنى ناديت يالابى بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس ولم أبرز بدور رهاهنا كاملة الا لنزول عن الطالب ظلمة الالتباس وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر المقر الجدى فضل الله بن مكانس فسح الله فى اجله مخلصا من غزل الى مديح نبوى وهو

كم حدا السامعون وصفى * لغادة قينة وأغيد
فعدت عنه نقى وعودى * لمدح خير الانام احمد

هذا المخلص حلاه المقر الجدى بشعار التورية وخفر المديح النبوى ومخلص الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفى الدين تخلص فى بيت واحد ووثب من شطره الاول الى شطره الثانى على الشرط المعروف وهذا المنوال قد تقرر أنه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفى الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح للتجريد وقد تقدم القول على بيت القسم من قصيدته انه غير صالح للتجريد أيضا فانه لم يأت بجواب قسمه الافى بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم و بيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الادب و يصير بينه و بين الاذواق السليمة مباينة وقد تعين ان أورد بيت القسم و بيت الاستعارة هنا ليصيرا لمخلصه الضعيف

وكأنك به وقد شن عليه جران العود شن المطر الجود وقيد له مركب الفجار من مربط النجار وانما جرله الحبل ليصفع كما صفع من قبل وستعود تلك الحالة احالة وتنقلب تلك الحبل حبالة فلا تحسد الذئب على الالية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب بذر للعصفور نعمة وهبه ولى امارة ما بين البحرين اليس مرجعه ذلك العقل ومصيره ذلك الفضل ومنصبه ذلك الاصل وعصارته ذلك النسل وقعدته تلك الاهل وقوله ذلك القول وفعله ذلك الفعل وكان ماذا ألبس ما سلب أكثر مما أعطى وما حرم افضل مما أولى وما عدم اوفر مما غنم مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه اكان يعجبك ان تكون قعدته فى بيتك وبغلته من تحتك

تعـ ـاتين

تكأتين وهما

لااقتنى المعالى باين بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التّقى قسمى

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافى توءم المجد عن أمم

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

واين الشيخ صفى الدين الحلى من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل ياأبا الفتح ياموسى وقد فتحت

هذا التخلص لحسن تجريده يستغنى به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وتخلص العميان مثل تخلص الشيخ صفى الدين الحلى أيضا فانه غير صالح للتجريد وماتتم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات مايصلح أن يكون شاهدا وهو

يمّ بنا البحران الركب فى ظما * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولى ان العميان أتوا فى براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمّم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح فى المطلع الذى هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لامن المديح الى المديح وأيضا فان النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يكن له فى التخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبىّ صلى الله عليه وسلم وتخلص الشيخ عز الدين فى بديعيته

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص فى اوّل البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به فى الشطر الثانى مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى أخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاما آخر وقد تقدم القول فى أوّل الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمى اقتضابا ولم يكن له حظ فى حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل تخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح اكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاما آخر وليس بين بيت التخلص و بين ماقبله علاقة ولا أدنى مناسبة * وبيت بديعيتى

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

هذا البيت مايشك متادب انه اعمر بيوت البديعيات وهو فى غنية عن الاطناب فى وصفه

(ذكر الاطراد)

(محمد بن الذبيحين الأمين ابو البتول خير نبى فى اطرادهم)

الاطراد فى اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفى الاصطلاح أن يذكر

ام كان يسرك أن تكون الخلاقه فى اهابك و بوابه على بابك ام كنت وَدّ أن تكون وجماؤه فى زارك وغلمانه فى دارك ام كنت ترضى ان تكون فى مربطك افراسه وعليك لباسه ورأسك راسه جملت فداك ماعندك خير مما عنده فاشكر الله وحده على ما آتاك

ان الغنى هو الراضى بقسمته
لامن يظل على مافات مكتئبا

(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب سهل بن محمد من سرخس)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من سرخس وانا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ يعدنى عن هذه الحضرة عدات اشم لها الانف لاذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استحالة من هذا الزمان ان يجود بها الحين اشرفت على الحضرة ماجت على امواج الشرف منها وخاص الى نسيم

الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه فى بيت واحد على الترتيب ولا تخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف فى بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم فى سهولة جريانه واطراده كجريان الماء فى اطراده فنى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفى الدين مانظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا فى هذا الفن يجتنى من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته فى شرح بديعيته قد اورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيأ والشيخ صفى الدين نقل فى شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط ان يكون ذلك فى بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بالفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمى الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو القدر الذى قرره الشيخ صفى الدين فى الحد الذى أورده فى شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتأخرين فى زكى الدين بن ابى الاصبع

عبد العظيم الزكى ابن أبى الاصبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل أيضا على اسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بأبيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع ولكن جراءة ظرفها ركبت صهوة القلم واطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم انى بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب
أكذبنى والطلاق يلزمنى * ماملت فيه يوما الى الكذب
نكت ابنه واخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبى
ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا فى سالف الحقب
نالك أبى امه وجدته * وعمته لله ذر أبى
ونحن فى بيته على دعة * النيك ماييننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم أبيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فمنها قول الشاعر

من يكن رام حاجة بعدت عنـ * ـه وأعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بـ * ـن معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع لقد أربى هذا الشاعر فى هذا النوع على من تقدمه ولو سلم بيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لاتدرك وعقيلة لاتملك انتهى كلام

الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ وحنيى شرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتائب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز مستقبلا بملك الشرق نخذب بضبعى عن ارض الخدمة الى جوار ولى النعمة فاهتز اهتزاز افات سمة الكرام وتجاوز اسم الاعظام الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الآفاق ولحقت منه بقاب العقاب نخاطب فى مخاطبات نشدت بها ضالة الآمال وهلم جرا الى ماينبه بها من جميل الانزال ومنى الانزال نظرات من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد

الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع * و بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

محمد المصطفى الهادى النبى أجـل المرسلين ابن عبد الله ذى الكرم

الشيخ صفى الدين أتى فى هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللائقة به واسم أبيه و بيت العميان فى بديعيتهم

قد أورث المجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

الذى أقوله أن بيت العميان فى غاية التكلف والتعسف * وامرى ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع فى المشى على طريق السهولة والانسجام وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الممدوح فى هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر فى هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع ما فيه من المعاظلة * و بيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

محمد ابن عبد الله شيبة جده ابن عمرو كرام فى اطرادهم

أقول ان بيت العميان فى غاية السهولة عند هذا البيت وهذا القدر الذى من اطلاق لسان القلم فى الكلام عليه * و بيت بديعيتى

محمد بن الذبيحين الامين أبو البتول خير نبى فى اطرادهم

هذا البيت أيضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر أبيه وهو أحد الذبيحين لان أباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد اولاده اذا صار واعشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله ففداه بمائة من الابل وهو أول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفى البيت اشارة الى جده اسمعيل عليه السلام وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من أسمائه الشريفة والصفة اللائقة بمقامه العالى واسم النوع البديعى فى القافية وورى به من جنس المديح * والذى يظهر لى أنه أرق من بيت العميان و بيت الشيخ عز الدين وأكثر معانى من بيت الشيخ صفى الدين والله أعلم

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى)

العكس فى اللغة رد آخر الشئ على أوله ويقال له التبديل وفى الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ويقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم فى هذا الباب قوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى العكس هنا ميزه لوطباقه وبشرف القدرة الالهية التى لا تصدر الا عن عظمة الخالق جلت قدرته وبلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع الغالية وان لم يصوب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه فى سلك أنواع البديع فهو مستمر على عكسه * كقول القائل

زعموا أنى خون فى الهوى * فى الهوى أنى خون زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو اراد الشاعر ان يرتجل مثله ما شاء فى مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبى تمام وقد قال

كالنكر وسلطان يعلم حلم السيف مغمدا ويغضب غضبه مجردا فهو عند الكريم ابن كصفحته وعند السياسة خشن كقشرته وملك يأتى الكرم نشيمة والخير سجية و يفعل الشر كافة أو خطية فهو ضرور بالانه نتوع بذاته عطارد قلمه ودوانه مريخ سيفه وقناته حسب لا عيب فيه فمصرف عين الكمال عن معاليه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وجبلا قد سمى انسانا وحسنا قد ملئ احسانا واسدا قد لقب سلطانا و بحرا أمسك عنانا وحططت رحلى بفناء الامير الفاضل أبى جعفر فوجدت حكمى فى ماله أنفذ من حكمه وقسمى من غناه أكبر من قسمه واسمى فى ذات يده مقدما على اسمه ويدى الى خزانته أسرع من يده وان

العكس

له بعض حساده لم لا يقول ما يفهم فقال له على الفور لم لا تفهم ما يقال * واين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما أبلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير * ويروى لأمير المؤمنين هرون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وبديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج و راقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ومثله

الست ترى اطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين * وتلك عيون ما لهن خدود

ويعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

ومن حكم أبى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق فى العجز والصدر ومن الذى يستظرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة

أفنيت عمرى فى دهر مكاسبه * نطمع أهواءنا فيها وتعصينا
تسعا وعشرين مدا الهم تفقها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله هنا

قصدت ان اقرر ذلك مدحا وأعبر الجملة شرحا أطلت فهلم الى ما افتتحت الكتاب لاجله ورد للخوارزمى كتاب ينقلب فيه على جنب الحر ويتقلى على جمر الضجر ويتأوه عن غمار الخجل ويتعثر فى أذيال الكلال ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لانا كان فقلت است الباحث اعلم والخوارزمى أعرف والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الطاهرة أصدق وحلبة السباق أحكم وما مضى بيننا أشهدوا العودان انشط أحمد ومتى استزاد زدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندى اذا شاء كل ما ساءه وناه وان يعدم اذا أراد نقدا يابر فراخه وتنقا يديهم صماخه وما كنت أظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتى بعد ماسقيته كاس الحنظل واطعمته

مثله الدهر رغدت * بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ماجدت * لولا جداها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مثله الدهر في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني أيضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي عودني الوصال * وعوايد وقطع
وامتنع لما حلا * وحلا لما امتنع

وانشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيما عدل عملك
قال بجور ترتضي * والا عدل عدلك

وزاد الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع هذا النوع أعني عكس الالفاظ ضربا معنويا وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره

قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السائر * ما في السويدا رجال فعكست هذا المعنى على أصحابه وقلت

في سويداء قلبه الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا
لا تقولوا ما في السويدا رجال * فأنا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر ونلطف ما شاء

ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباته

وصديق قوي يدي بنوال * وأراه من بعد حاول وهني
كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام يأخذ مني

انتهى ما اوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجائب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

الخمرا بالخردل فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استعواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حافرة وهو مني على ميعاد واناله بمرصاد وكأنما جرر ذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملاه من صحيفة خوازيه فاترك لنفسه عرضا لئيما ولا عارا بهيما الا نحلكريما واستباح منه حريما ولا تصفح كتابه الا عن حريم مباح وهو حريمه واديم مجتاح وهو أديمه وكذا من أغمد نفسه سيف الريبة انسل منه لسان الغيبة ومن طعن بجنانه طعن لسانه ومن وارى سوأة أخيه صغيرا اشتغل بعرض الكرام كبيرا ومن لم تملكه في لسانه الغيرة لم يحاب بذكر الحرمة غيره والبغي والبغاء يتنزلان في رتبة والفم والفقحة يركضان في حلبة فالبغاء باسته لا يصبر عن القياس والبغي بفمه

فاتبع رجال السرى في البيد واسر له * سرى الرجال ذوى الالباب والهمم

بيت العميان لم يخلص من العكس هذا الذليس فيه نكتة تلم لمع البديع شملا وليس فيه غير رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خير المقال مقال الخير فاصغ ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم

الشيخ عز الدين أتى فى هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعى وتسميته على الشرط المقرر ولكنه أجنبى من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وليس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله وهو

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبى صلى الله عليه وسلم

له الجميل من الرب الجليل على الـ * ـوجه الجميل بترديد من النعم

وغالب مديحه النبوى فى هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا فى مواضع قليلة والظاهر ان ثقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أثقل كاهله فر الى جهة يستند الى ركنها وبيت العميان كاد أن يكون أجنبيا من المديح ولكن اتكلوا على عود الضمير على الممدوح وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى

أقول انه فى سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر بالمحاسن والله أعلم

(ذكر الترديد)

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)

الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة فى بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا النوع من النظم بقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما فى بديعيتى ولكن ذكر زكى الدين بن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو أن اللفظة التى تكرر فى البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يرددها الناظم فى بيته تفيد معنى غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية تميزها على التكرار ويتحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع أعنى الترديد فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الأمم

لفظة السلام متعلقة فى كل موضع بغير الآخر لاشتراكها والعميان لم ينظموا هذا النوع

لا يصبر عن غيبة الناس ومن سقى اسفل ماء الرجال أعز اعلاه مثل الجبال والناس عند الاعمى عميان والكرم عند أهل اللؤم كالماء فى فم المحموم وسم البرسم فى السمر والشمس تقبح للعيون الرمد والبغاء يرمى الناس بدائه وكيف يبقى على اعدائه من يتنفل باودائه وكيف يضن بعرض اصدقائه من لا يغار على نسائه وكيف ينطح عن نسائه من يسمح بوجهائه وكيف يبقى على حرمة جاره من يبيح لعبده داره ثم يحامى ذكر الفروج من صبر على الزنوج وعالج رهز العلوج وان يستطيع للسان رياضة من جعل بطنه للايور مخاضة وان يطيق فى القول اصابة من جعل دبره للجذوع مثابة وان يحسن القول لجنسه من أساء الفعل لنفسه ومن خرب مأواه لم يعمر بيت

الترديد

وبيت الشيخ عز الدين

له الجميل من الرب الجميل على الـ ـوجه الجميل بترديد من النعم

وبيت بديعيتي

أبدى البديع له الوصف البديع وفي * نظم البديع حلا ترديده بفمي

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عز الدين بترديد من النعم واحسن موقعا لكونها في القافية والله أعلم

(ذكر التكرار)

(كررت مدحى حلا في الزائد الكرم ابـ ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولي ان التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الاغراض * فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخى كايب

يا لبكر أنشروا لى كليبا * يا لبكر أين أين الفرار

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وكقول أبي تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة * وكقوله الحاقة ما الحاقة * وأما ما جاء منه للانكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ما عدد آلاءه هنا الاليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون * وأما ما جاء منه في النسيب وهو في غاية اللطف فقول بعضهم

يقلن وقد قيل انى هجعت * عسى أن يلم بروحى الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضي

ماذا تقول اللواحى ضل سعيهم * وما تقول الاعادى زاد معناه

هل غير أنى أهواه وقد صدقوا * نعم نعم انا اهواه وأهواه

وما احلى ما قال بعده

حسب البرية اجرا فضل رؤيته * فما رؤى قط الا سبح الله

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابـ ـن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

التكرار

سواء وبعد فما لهذا السفيه يشتم امام خراسان وقد أتى من همذان لولا بغى مشتق من البغاء ووجع منه في الوجعاء ثم ما أغرى هذا السفيه بي وانساني له فما أتصوره في وقتي الحديث والغزل ولا أصحبه في طريق الجد والهزل ولا أذكره في حال اليقظة والنوم ولا فصلى النهار والليل ونحن في كل حال على طرفي محال هو خوارزمي ولست من خوارزم وهو شاعر ولعن الله النظم وسفيه ولا انازعه الشتم ومخيف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشحاذ ولا أنزع هذا السهم وصفعان ولا ارجم هذا الرجم وخمرى ولا اشرب الخمر ونائي ولا اسمع الزمر وعودي ولا أحسن النقر ونردي ولا ألعب القمر وكشخان ولا آخذ الجذر

تكرار مدحي هدى في الشامل النم ابـ * ـن الشامل النم ابن الشامل النم

و بيت بديعيتي

كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابـ * ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

كاد بيت الشيخ صفي الدين و بيت الشيخ عز الدين و بيت بديعيتي ان تكون بيتا واحدا لمناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين تميز بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع كما قيل

وأين الثريا من يد المتناول

والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى أعلم

(ذكر المذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي أن بعثته * لولم تكن ما تميزنا على الامم

المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة * وقيل ان ابن المعتز قال لا اعلم ذلك في القرآن اعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهد على المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن واوضح الادلة في شواهد هذا النوع وابلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل

أو يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الجدلية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان ابا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلي الزمه فيه ان المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي اوضح دلالة في هذا الباب من غيره واعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت

البديعية

المذهب الكلامي

ودهري ولا اعبد الدهر ومركوب ولا اعبر الظهر هذه فضائل لا مخلة لي في قطيعها ومناقب لا واحد لي من جمعها ثم هو بزعمه طالبي وأنا بدعواه ناصبي ولعن الله اقلنا لاهل البيت موالاة وأكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكني أجود بالمال وهو يجود بالعيال وجنة الجاية لكني أحمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكني اشرب البزر وهو يشرب الخمر ولا نصطحب الا في طريق الاستمتاع لكنه يرغب في المتاع ويردد كلمة المبتاع فتارة يقول هو أشرف المتاع وتارة يقول ما أليق المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سني والمبتاع

البديعية وكذلك العميان ويأتي ذلك في موضعه فبيت بديعية الشيخ صفي الدين الحلي

كم بين من أقسم الله العلي به * وبين من جاء باسم الله في القسم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي ليس لنور المذهب الكلامي فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقتباسة الجلية * وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم في مديح النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وأروت قلب كل ظمي

جملة هذا البيت هي الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالري وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتي هذا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سبحة الترتيب لوجهين احدهما ان بيتي وبيت العميان اقرا بهجة هذا النوع في مطلع واحد وهو القياس الشرطي والثاني ان الشيخ عز الدين لم يتمسك في المذهب الكلامي الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومذهبي في كلامي ان بعثته * لو لم تكن ما تميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطي في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذي لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين ببشرى من كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أي القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة في المذهب الكلامي والله اعلم قوله ببشرى من كلامهم اي من كلام الاولين ولم ار في هذا البيت للمذهب كلاما ولا للكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذي علم عليم

(ذكر المناسبة)

(فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ فالمعنوية هي ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع اعني المناسبة المعنوية كثير في الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى في صدر الآية التي هي للموعظة اولم يهد لهم ولم يقل اولم يروا لان الموعظة سمعية وقد قال بعدها افلا يسمعون وانظر كيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية اولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية افلا يبصرون ومن اظرف ما انقله هنا من النقد اللطيف في هذا الباب ان قاضي القضاة عماد الدين ابن القضامي أخا شيخنا قاضي القضاة علاء الدين الحنفي نور الله

غني وكثيرا يقول الكل متاع
مبتاع احسن الله بالمتاع
امتاعه فما أفسح فيه رباعه
ولا اقترن الا في حبل الادب
ولكنه اديب ما دام وحده
مفوه ما لم احضر عنده
فاذا التقينا نال شعري شعره
ونزا على شيطانه شيطاني
ولا التقى الا في طرق الصنعة
ولكنه يدعي فلا يحسن
ولا أدعي ما عذري من هذا
السخيف من تفاوت ما بين
الثلج والنار وتضاد ما بين
الليل والنهار ومسافة ما بين
الفرس والحمار هو احمر
وانا أسمر وهو أزرق وانا
احور وهو أشقر وانا احمر
وهو اقرن وانا اجم وهو قصير
يتطاول وناقص يتفاضل
وسفيه يتحامل وانا على
الضد أطول وعلى النقص
افضل وعلى الخلاف احمل
فما بعد ما وجدنا خلافا
ووقعنا اخلافا وسلكنا طرفا
وضربنا اعرقا وبعد فان كان

ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحومي السيفي أرغون الاسعردي كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها للمدح على اخيه المشار اليه فانتهى منها في المديح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور رفين يرى * سوى ما يراه فهو في هذه أعمى

فقال له شيخنا قاضي القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابي الطيب المتنبي

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتي الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذي عقد الناس عليه الخناصر في هذا الباب قول ابن رشيق القيرواني

اصح وأقوى ما رويناه في الندا * من الخبر المأثور منذ قديم

احاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكي الدين بن ابي الاصبع هذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها وناسب في البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب في البيت الثاني بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انها جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن أول كما يقع في سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا اصله وكذلك الحيا فرع البحر اصله ثم نزل البحر منزلة الفرع وجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة في المدح وهذا غاية الغايات في هذا الباب * أقول انني زاحمت ابن رشيق القيرواني هنا بالمناكب وابطلت موانع التعقيد لما دخلت معه الى هذه المطالب وما ذاك الا انني امتدحت شيخي المشار اليه اولا مولانا قاضي القضاة ابن القاضي الحنفي بموشح بيت مخلصه تحفة في هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب * وهو

رقم السوالف يروي لي بسنده * عن رقتي حيهم يا طيب مورده

وثغرها قد روى لي قبل ما احتجبت * عن برق ذاك النقا ايام معهده

والريق أمسى عن المبرد * يروي حديث العذيب مسند

عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضي القضاة علي

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته بحماة المحروسة في مبادي العمر ورياحين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المؤيدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية في التاريخ المذكور وجدته ملحنا واهل مصر يلهجون به وبتلحينه كثيرا فتعين علي ان أثبت ههنا منه شيئا ليحلو تكريره بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذي اوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية فمن غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذي سلم * والشعر كالعلم الفشور للامم

زحم كما زعم ووهم كما اوهم وكبر كما ذكر وطال كما قال فما هذا الدرد والحرد ولم هذا الغيظ والكمد وكم تنساه ويذكرنا ونطويه وينشرنا وقد رأت الاعين ونقلت الالسن فهلا ترك الحديث لعزه اوطواه على غره وما رايت كهذا السخيف اذا شهدت صلق بالضراط مرانه واذا غبت استنسر بغاثه ان اللسان الذي اخرس لسانه والبنان الذي انبس بيانه لم تكسبهما مرو مجاجة ولا كستهما مرخس بلادة ولا ابتت الغربة اهما غربا ولا امتهنت هذه الحضرة منهما عضبا وهما مهما لم يفارقاني وذلك الحفظ بعد بعد بحره نزرا وتلك البديهة لم يصر برها جزرا وتلك الكتابة صار واحدها عشرا وما زادتنا الايام الا بشرا ولا الليالي

فقلت يا قلب أعلام الهنا نصبت * ها أنت تخطر بين البان والعلم
واسود الخال مذ تبدى * فى خدها همت فيه وجدا
قالت وطلعتها كالشمس فى الحمل * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
سألتها برد ما عندى من الكمد * وقلت نار الجوى قد أضعفت جلدى
قالت بريقى أطفئها اذا التهبت * يا برد ذا الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طرفى * وقالت اسمع كفيت خلقى
الم تخف بللا ناديت يا أملى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

منه

بالله يا برق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * تلك النهيلات للوراد فى الصدر
وارسل عليل النسيم خلفى * فانه قوة اضعفى
عسى تصحح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل

منه

انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قد اقام الحد فى تلفى
قد بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عند موتى مذ قوى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هذا فقال انسان
الام تعجل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقد طال الشرح وخرجنا عما كنا فيه من المناسبة المعنوية وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القيروانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنوية فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسن بن على عليهما السلام اعيذ كما بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ولم يقل عليه السلام ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول ابى تمام حبيب بن اوس

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كمها وكقنا وحذف الاداة ليدل على قرب المشبه من المشبه به وأما

الابشرا وورد له عن الامير كاتب فابكى زيدا وأضحك عمرا حاف انه لا نظير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها وفخر الدولة ومؤيدها وبذل الامير أن لا يوطئنى بساط خدمته ولا يمطرنى سحاب نعمته متوسلا بانه ناصرى وان غيره ثالثى والتركى اذا آل الى الاستجارة بالله امره فقد انتهى عمره والخوارزمى اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعرى عنه اذا لم يوال الامير ما يصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يطعمه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم يرض أيامه فما يؤثر وهو ان سخطها الا يغير ويك هذا الضعيف قد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحماقة والجنون وتجاوز حد الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول اصحاب المحابر الى لفظة ار باب

الاستثناء البديعي فني قوله الان هاتا أوانس وقوله الان تلك ذوابل ليثبت للموصوفات التأنيس وينفي عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل في الاستثناء الثاني فانه اثبت لهن اللين ونفي عنهن اليبس والصلابة واما المطابقة ففي قوله الوحش وأوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها واما التمكين فاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال في قلق * مؤمل الصفح والهيجاء في ضرم

الشيخ صفي الدين لم يحتج في بيته الى المناسبة المعنوية بل اتى باللفظية وعجبت منه كيف رضي لنفسه بقول القائل

اذا كنت ماتدري سوى الوزن وحده * فقل انا وزان وما انا شاعر

وانه اتى بالمناسبة اللفظية تامة فانه في عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم في وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال في قلق موازن والهيجاء في ضرم ولم ينظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ألم ترا الجود يجري في يديه ألم * تسمع مناسبة في قوله نعم

الشيخ عز الدين غفر الله له لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لمن يخاطبه ألم ترا الجود يجري من ايادي النبي صلى الله عليه وسلم ألم تسمع مناسبة من لفظ نعم ولفظ الشيخ عز الدين الموضوع في بيته ليس فيه مناسبة لفظية اتى فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتدا فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه ببركة محمد وحمه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية فقولي علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر يناسبه ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها في أول الشطر الثاني من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامي بقولي عن كل مجترم فحصلت المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذي هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتي للعفو لتقربوا الي بالجرائم وهذه هي المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبي صلى الله عليه وسلم احق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

*(ووشع العدل منه الارض فانتشحت * بحلة الامجدين العهد والذمم)*

المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالة الامراء وبالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولو لا كها شمس المعالي لما عدت صغيرة أمثل الخوارزمي يخادع كتخداي الخلق وملك الشرق بهذا الزرق ومتى جاز للموالي ان تتلقب بالموالي فالعبد وان أحب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب أباه فليس برفيقه وليس السوقي اذا أمر أميرا ولا الجمال اذا نهض قديرا ولا العبد اذا ارسل نبيا ولا الخوارزمي اذا والى وليا ولكل رتبة محررة وحلية مقررة واما مسألته الامير أن لا يخرطني في سلكه ولا يمكنني من بساط ملكه فقد شغلتني على رغمه أطراف النعم وبلتني سحائب الهمم ولا راغم

(التوشيع)

التوشيع مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البرد المطلق فكأن الشاعر أهمل البيت الا آخره فانه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير له وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة ما لا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظم قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته الظالمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شلو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ماسكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثي لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد معروفة والمشفق اذا رثى لشكوى أهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن أبي الاصبع وما بشعر رقاته هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثي لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من امنية واسى * اودى بي المرديان الشوق والفكر

رايت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحمه الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان اتم واحسن وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أمي خط أبان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغني عن الاجودين البحر والديم

الشيخ عز الدين اتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومي وفك قواعد بيته وهو

ابو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

اخذ الاجودين والبحر ورادف المطر بالديم وهذا ما يليق باهل الادب وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ووشع العدل منه الارض فانتشت * بحلة الامجدين العهد والذمم

وانا على مذهب زكي الدين بن أبي الاصبع في قوله وما بشعر رقلته هنا من بأس انتهى

التراب وللحاسد الحائط والباب وللكاره البعد والغاب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يحسن الى أدبه والسلام

(وله الى الشيخ ابي عبد الله الحسين بن يحيى)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وللشيخ لذة في السب والعتب وطبيعة في العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فانا بين يديه واذا لم يجد من يصونه فانا زبونه والولد عبد ليست له قيمة والظفر به غنيمة والوالد مولى أحسن ام أساء فليفعل ما شاء لا بعده الله من جسدا لا يتألم بالضرب وقلبا لا يتظلم من العتب هنيئا ما استحل من عرضي وأكل من لحمي فما يأكل الا لحمه ولا يضيم الا بعضه واما البزاز وما حكاه فوالله ما أعرفه أولا حتى ابرأ مما جناه ثانيا وسبحان من جرعني مرارة ذلك

(ذكر التكميل)

*(آدابه عمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم)*

التكميل هو أن يأتى المتكلم او الشاعر بمعنى تام من مدح اوذم او وصف اوغيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتى بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو بالبأس دون الحلم وما أشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو اعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذى يتطفل البدور على كماله ومثاله فى الشعر قول كعب بن سعد الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين اهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين اهله احتراس لولاه لكان المعنى فى المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لايكون حلما محققا الاعن قدرة وهو الذى قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين اهله * فان الحلم مازين اهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية فى باب التكميل ثم راى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر

وحلم ذى العجز ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ومن التكميل الحسن قول كثير عزة

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم لتم المعنى لكن فى قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو فى النفس ماليس للاولى اذليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين فى هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدى

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذالم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل حسن قال ابن أبى الاصبع وماغلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعانى فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعانى وهذا غلط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال امر زائد على التمام وقد تقدم هذا الكلام على التتميم فى موضعه ولكن أردت

(التكميل)

العذل لحديث ذلك التذلل ولست أدرى فى اى صحائف المحن اثبت ماحكاه وفى أى جرائد الحكم أجزت ماروا وأما المنتظر ونأخره فالمودع ثقة وهو حاج لست اخبرامره ولا اعرف عذره والى ابابه وعلى حسابه وعندى أن الولد أصغر قدرا من أن يعاتب والوالد أعظم منزلة من أن يجاوب ولوشئت لا عاتبه براءة حتى مما قرفنى ونسبنى اليه لكنى أجد للمناظرة صفة المنافرة وللمنافرة شكل المناكرة فلا اطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة ولا ارد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا القاه بأبر من التوبة ان كنت فعلت والعفو ان كنت قلت وهذا اشبه بالبنوة واحرى مع الابوة واما

هنا تفصيل التكميل عن التتميم التجلي عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل في غاية الكمال ويعجبني من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ما حادت ولا غفلت * بأي ذنب وقاك الله قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين أيضا تام بدون قوله وقاك الله ولكن التكميل بوقاك الله تجمل قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد حلفا

ومثله قولي في مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة نسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية في باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولي في مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددي * يا قاتلي فسلبتني بتجرد

معنى البيت تام بدون قولي يا قاتلي وقولي يا قاتلي بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدور الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقي بماء حشاشتي * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولي حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولي من قصيد

وأفردتموني للغرام لانكم * أخذتم كما شاء الهوى بمجامعي

معنى البيت تام بدون قولي كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولي من قصيد

أذابت القلب في نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قالي

قالت سلوت لحاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسما من السالي

فلفظة عبثا في البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن لحى الله من لا ينظر الى محاسن لحاك الله في البيت الثاني ومثله قولي من قصيد

ورب غصن لاطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد

والمعنى أيضا تام في هذا البيت بدون قولي في رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية في هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

نفس مؤيدة بالحق تعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

ابو فلان فلا اشك ان كتابي يرده على صدر مجالسي من صحيفته وننسى اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في أعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدي العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق احدنا بصاحبه اذا آنس الرشد من جانبه وتصالحنا من قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد أن لا ينقض الوعد

وهل ذا كرمن كان اقرب عهده ثلاثين شهرا او ثلاثة احوال وكأني به وقد استجد اخوانا ولا بأس فان كانت للجديد لذة فللقديم حرمة والاخوة بردة لا تضيق عن اثنين ولو شاء لعاشرنا في البين وكان سألني ان أرود له منزلا ماؤه روي ومرعاه غذي وأكاتبه لينهض اليه

بيت الشيخ صفى الدين لم يظهر له دور التكميل فى أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين فى بديعيته

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

بيت الشيخ عزالدين أمثل من بيت الشيخ صفى الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كمله ولكن قوله هذا والله كمله فى غاية الكمال فانها اشتملت على تورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتى

آدابه تمت لانقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم

معنى هذا البيت أيضا تام بدون قولى لانقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

(ذكر التفريق)

*(قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم)*

التفريق فى اللغة ضد الاجتماع وفى الاصطلاح أن يأتى المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر فى المدح

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين ابن النحويه فى غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف

هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق فى الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ماهو غاية فى البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

جود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى حسن فى هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وبيت العميان فى بديعيتهم

لايستوى الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلاتهم

العميان غفر الله لهم محضوا قول الشاعر

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

(التفريق)

راحلته فهالك بسابور ضالته التى نشدتها وقد وجدتها وخراسان منيته التى طلبتها وقد أصبتها وهذه الدولة بغيته التى أردتها فقد وردتها فان صدقنى رائدا فلا أتى قاصدا وان رضينى مشيرا فليجئنى سريعا وهيهات أن يترك اروند ونصابها وترمذوشعابها وماوسا ورياضها فيعتاض عنها كرم العهد ولو علم أن رياض الاخوة انضر وشعاب المروءة اطيب وانه لايعدم من نيسابور مثل تلك المتنزهات وخيرا من تلك المتوجهات لحث اليها ركابه واما انا واخبارى بهذه الناحية فتقاب فى ثوب العافية موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول هذه جملة حالى ووراءها تفصيل منها عليه دليل واما الاخ ابو سعد جعلنى الله فداه

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من موقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ماتجشموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم فى القافية فلا تهم نعم ما يحط هذا القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفى الدين فى قوله

بجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذا غم وهذا فارج الغمم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوى مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالى الوصال فانه مشتمل على تورية التسمية ونكتة النوع البديعى ولطف الانسجام والسهولة وليس فى بديعيته بيت يناظره فى علو طباقه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

قد أطلقت لسان القلم فى وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمرى انه يستحق فوق ذلك فان التكلف بتسمية النوع مورى به من جنس المديح يثقل كاهل كل فحل وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف هذا البيت فان فى انصاف أهل الذوق ما يغنى عن الاطناب فى وصفه انتهى

(ذكر التشطير)

*(وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطيره ملتزم)*

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه فمن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثانى قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب فى تصريع التشطير وقول أبى تمام فى هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

وعلى جادته الواضحة مشى الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وانا أقول يا ليتنى كنت معهم فانه نوع مبنى على قواعد ليس تحتها طائل ولكن الشروع فى معارضة البديعيات اوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تشطيره معتدل بالسيف مشتمل * فى جحفل لهم كالاسد فى الاجم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى انشقاق القمر فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم قولى فى نوع التفريق

(التشطير)

ورزقنى اقامه فقد شكرت بره ولولا اشفاقى من ضعف تركيبه واطف ترتيبه وعلى بأنه لا يحتمل وعثاء السفر ألت الشيخ اهداءه الى لاتولى تعليمه وتقويمه لكنه رطب العظام لطيف الاركان لا اخاطر باخراجه من ذلك المكان حتى يعقد مخه فى عظامه وأثق بقوة الواحه وبلغنى أنه ابتدأ بمجمل اللغة فأين بلغ منه والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها ولا يأخذه بما اخذنى به فالعمر لا يتسع للعلوم اجمع فلينفق على احسنها ويكفيه من اللغة علم مستحسنها دون مستهجنها ومن الاعراب معرفة اصوله وما الاغناء به عنه من فروعه ثم يأخذه بعلوم كتاب الله حتى يرد على قرة عين لى ولك وصلى الله على محمد وآله

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذا التنقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطيره ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى انه استغنى عن ذا ورم وماخطر لى يوما أننى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

(ذكر التشبيه)

*(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)*

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما بالصورة والصنعة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من اركان البلاغة واركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه أن يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى رحمه الله فى هجو الورد

كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعلها والامثلة مايخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صيغته ومثله قول أبى العلاء السروى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

وأصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاربها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه الاترى الى قولهم خد كالورد انما ارادوا حمرة أوراقه وطراوتها لا ماسوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق ادنى الشيئين باعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد منقود وأورد ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه الجسم

(وله الى ابى عامر عدنان ابن عامر الضبى يعزيه ببعض اقاربه)

اذا ما الدهر جر على اناس
حوادثه اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
احسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه اثرا فى نفسه ام لتدبيره عونا على تصويره ام لعمله تقديما لامله ام لحيله تأخيرا لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم

بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرذ * والثانى تشبيه شيئين مختلفين بالذات لجمعهما معنى واحدا مشتركا كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه حقيقى وتشبيه الاختلاف وهو الثانى تشبيه مجازى والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن البيان والمبالغة فى التشبيه على وجوه منها اخراج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة وقد عن لى أن أوضح هنا للطالب ماوقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول * وهذا القسم الرابع عند اصحاب المعانى والبيان غير جائز ويأتى الكلام عليه فى موضعه وقد تعين تقديم ماوعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذى تقع عليه الحاسة فى التشبيه أوضح ممالا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب وقال قدامة أفضل التشبيه ماوقع بين شيئين اشتركا فى الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدلى بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لى ان أورد هنا من التشبيهات البديعة التى اخترتها أمثلة لهذا النوع الا ماخف على السمع وعذب فى الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التى تقادم عهدها للعرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن بديع معنى الا ماقل وندر فمن ذلك قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجر له أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضى بالله فى هذا الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بأرض بنفسج عنابا

ومثله قول القائل

قبلته فبكى وأعرض نافرا * يذرى المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من أجفانه * لما بدا فى خده المتضرج
برد تساقط فوق ورد أحمر * من نرجس فسقى رياض بنفسج

انظر أيها المتأمل الى هذه التشابيه التى يرشفها السمع مداما * وتهيم الاذواق السليمة فى محاسنها غراما * ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق

بفرع ووجه وقد وردف * كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبليغه غير كثرة العدد فى الصفات فان قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة واوردت ذلك فى باب اللف والنشر وأوصله الناس الى اكثر من ذلك ولكن جل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة اسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

أصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ماساءه ليذهب ماضره نفع وان أحب ان لا يحزن فلينظر بعينه هل يرى الا محنة ثم ليعطف بسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فأعد للنعمتها صدرا لا يملؤه فرحا ولبؤسها قلبا لا يطير جزعا وصحب الدهر برأى من يعلم ان للنعمة حدا وللعارية ردا ولقد نعى الى أبو قبيصة قدس الله روحه وبرد ضريحه فعرضت على آمالى قعودا وأمانى سودا وبكيت والسخى بماءك وضحكت وشر الشدائد مايضحك وعضضت الاصبع حتى أفنيته وذممت الموت حتى تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وأمر قد

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء وشياظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر فى عقود الاجياد ومثله فى الغرابة وسلامة الاختراع قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكأس فى فمه * هلال أول شهر غاب فى الشفق

ومن ذلك قوله

على عقار صفراء تحسبها * شيبت بمسك فى الدن مفتوت
للماء فيها كتابة عجب * كمثل نقش فى فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذى المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق فى حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز فى تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضا فى الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله فيه

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضى الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها فى التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة فى الخواطر الى أن نقلها القاضى الفاضل بطريق بديعية اقتضتها الحال وهى قوله مبالغا فى وصف قلامة نجم بالعلو وأما قلعة نجم فهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذى غاية فاضلية لا تدرك وقد وصلوا فى تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ما وقع فى تشبيهه ويعجبنى من التشابيه البليغة فى هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

ومثله فى الحسن والغرابة قول أبى نواس

وبين الجوزاء تبسط باعا * لعناق الدجى بغير بنان
وكأن النجوم أحداق روم * ركبت فى محاجر السودان

خشن حتى لان ونكر قدعم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار اصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وابهمت حتى صار أظهر عيوبها واعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من اذواله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فلير فيه ما رأيه ان شاء الله تعالى

(وله)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقد استخرت الله فى فتح هذا الباب وشاورت ذوى الالباب فاما الله فخار وأما أولو الالباب فكل اشار وان يشا الله ينهض بالامر الى حال يسعه مولى ويسعف عبدا وشد ما نجلت بهذه الكلمة ونفرت عن هذه

ومثله قول القائل

كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بنى حام بدت للتثاؤب

ويعجبنى من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدى فى جواد أدهم أغر محجل

تختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعية قول القاضى التنوخى من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نضار

كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

ومثله فى اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكى بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند

قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال فى الوردة

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله فى الظرف قول أيدمر المحيوى فى النرجس

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

ويعجبنى فى تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راجح رجاح الديار المصرية فى فن الزجل فى بعض أزجاله

وفى الازاهير قم ترى شى تذهب * وشى تصيبو قد زها وتفضض

النرجس احداقو النهل نعسانه * الا انها من الذى ليس تغمض

وحين فتح عينو فى وجهى شبهت * اصفر ولما بدا فى الابيض

مازعفران على نصا فى مطبوع * والافصوص كهرب فى بلار يوجد

والانخل شمعات لجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وما الطف ابن المعتز فى تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

ومثله فى اللطف قول ديك الجن الحمصى

مورّدة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن المستغرب فى وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

السمة هذا الشيخ الشهيد أبو نصر رحمه الله مدلها اللحظ فلم يحظ وهذا ابن عباد شدلها الرحل فلم يحل وما اعتد على الشيخ بمنة لكن امسكها على مضنة فلم يبق فى الخدمة نوعا من أقربها طوعا والحمد لله رب العالمين لا والله ما تأخرت كتبى عن حضرة الشيخ لأكبر منه قدرا واعظم من الوزارة صدرا انه للفعل لا يقدع انفه وانها للحال لا نظهر فوقها لكن بلدان العراق شكت الى ألم الفراق فنويت ان اعتبها وافقت على حالة لو قصرت فيها الصلاة لجاز يوما أعد الجهاز ويوما التمس الجواز والايام تدب خلال هذه الفرصة والليالى تدرج وأنا لا اخرج حتى ورد الدهقان أبو جعفر فرأى آلات السفر وانتظار النفر وأمراقد قضى

كأنها فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

اوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن مايحمل البنفسج هنا نقله ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم فى تشبيه النار

انظر الى النار وهى مضرمة * وجمرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور

ومثله فى الغرابة والحسن قول ابن الخلال فى تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها

كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجانى وان مشى غالب الناس على ضوئها ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومى تشبيه أرباع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كأنما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التى لم يسبق صاحبها اليها قول القائل فى أحدب

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضى الفاضل قوله فى نفسه وهو فى غاية الظرف

ما كان يكمل حرز الايوان حتى ازداد قبه

فكأننى فيه خرو * فشوى ومن فوقى مكبه

ويعجبنى من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالأشباح

تطفو وترسب فى الدماء كأنها * صور النوارس فى كؤس الراح

ومثله فى الحسن قول الناشئ

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا

واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توأما وفريدا

فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبى نواس فى التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردّ فى كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه فى قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه

فخلعت عن عطفه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدى وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

او كاد وعزما قد بلغ وزاد ونفسا اجتوت هذه البلاد وذكرت الميلاد فقال الدالة ماهذه الغربة الضالة وقالت الشفقة ماهذه الغرمة المشفقة وهل تخاف وراءك الا الصر وتقصد أمامك الا البحر الا ترى اختلاف السيوف واضطراب الامور وازدحام الخطوب واعتراض الحتوف والتقاء الجوع وأنت بهذه الامصار تمشى على الابصار ولو رأيت الشيخ لرأيت الجمال بجملته والكمال بكليته والعالم فى بردته والمراد برمته فقلت اللهم غفرا اذن أقصده طفرا وأخدمه ابتدارا ولا السيل وافق انحدارا فقدمت هذا الكتاب وبودى أن أكونه وأسعد دونه وأنا انتظر الجواب فان سامحت به نفسه الرفيعة كنت ان شاء الله نعم الصنيعة فان أبى رأيه

ومشمولة قدهام كسرى بكاسها * فاضحى ينادى وهو فيها مصوّر
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت فى حشاء حديقة * بها كل ذى تاج وقيصر صوّرا
فحسبك نبلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التى ولدها المتأخرون فى معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا لفائدة عنّت لى ايرادها هنا وهى معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشارة قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكأس فى المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور فى مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض فى الحال على سابور ولما مثل بين يدى قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام امره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك ينظر من سلوان المطاع فى السلوانة الثانية فانها مشتملة على انواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كنا فيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس فمن التشابيه الملوكية التى لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة ابن حمدان فى قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض لدينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرّزها قوس السحاب بأصفر * على أحمر فى أخضر اثر مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضى شمس الدين بن خلكان ذكر فى تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل علىّ وأخذ بعضادتى الباب فقال انشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد دخولا فى هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وانشدنى

التشريف أن يقلده حتى يجتهد ويستوزن حتى يزن احتكمنا الى الحجارة والتعبير نصف التجارة وللشيخ فيما راه فيه رأيه العالى ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب)

الشيخ الامام قد رجع الخاتمين بين عادة كرم وعارض ندم بقول الكرم تحملها غرامة ويقول الندم لاولا كرامة والكرم أهدى الى المناقب وانظر فى العواقب والندم اشد للبشرية وفاقا وعلى العاقل اشفاقا فان لم يكن فى البين تخليط فلم لا يبعث بالحاضر ويحيل بالآخر والشيخ الامام يفعل فى هذا الباب ما هو اهله فقد علم خوض الناس بين الطمع فيهما واليأس ويرتجى من قائل مافعل وسائل ما حصل عاليا رأيه ان شاء الله تعالى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبى محمد عبد الله بن قاضى ميلة فى قصيدته القافية التى امتدح بها ثقة الدولة القضاعى صاحب صقلية الروم وسارت بها الركبان وأثبتها القاضى شمس الدين بن خلكان بكمالها فى تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها فى حسن الابتداء والتشبيه الموعود بايراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجون جون مزن الرعد يستل ودقه * ترى برقه كالحية الصل يطرف
ذكرت بها ريا وما كنت ناسيا * فاذكر لكن لوعة تتضعف
كأنى اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقى من عظم ما أتلهف

ومن لطائف التشبيهات البليغة قول القاضى الفاضل من قصيد

كأن ضلوعى والزفير وأدمعى * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله فى اللطف قوله

لولم يعطل خاطرى من سلوة * ما كان خدى بالمدامع حالى
أودعته قلبى فخان وديعتى * فسواده فى خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويعجبنى من لطائف التشبيه قول محيى الدين بن قرناص الحموى

من لقلبى من جور ظبى هواه * لى شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت أحمر البند يحكى * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه فى غلائلها الصفر
رأينا الذى ابقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كاسا من الخمر

ومثله قوله

وناعورة قد ألبست لجمالها * من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلى * وتنفض عن أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرائقة فى حال التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة فى خده * تحت العذار رغما لقلب قاسى
وتطلبوا الآسى فقال ظرفاؤه * معهم وعز وجوده فى الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج مالها من آس

ومثله قوله

لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يمتلقها للمطى عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتنى * من فوقها ألفا وتحتى نون

(وله أيضا)

وصلت رقعتك أطال الله بقاءك ومثلك فى تلك السفارة مثل الفارة طفقت تقرض الحديد فقيل لها ويحك ما تصنعين بالناب ورأسه والحديد وبأسه فقالت أشهد ولكنى أجهد وان نجح من تلك الاسباب فنجى الذئاب بقاذيرك لامعاذيرك وبلؤمك ليس بلومك وبل املك جنينا ما أنفذ كيدك على ضعفه واحد غربك على حدفه انت ولاذمة والسلام

(وله الى الشيخ أبى نصر)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وفرجى فى كريم يحضر ذلك الجناب فيحسن المتاب ولا أعدم ان شاء الله بتلك الساحة الكريمة من يتحلى بهذه الشيمة على ان الطباع الى الذم أميل والعقرب الى الشر أقرب

ومثله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا

ويعجبني قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذي ما تضمن مثله ديوان

غدير دار نرجسه عليه * ورق نسيمه وصفا وراقا
تراه اذا حللت به لورد * كأن عليه من حدق نطاقا

ويعجبني من لطائف التشبيه تخيل محيي الدين بن قرناص الحموي بقوله

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم اغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار طل * على نهر حكى خدا أسيلا

تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل ليس له في الحسن مثيل ومثله قوله

لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمأل
عاينته مثل الحسام وظله * يحكي الصدا والريح مثل الصيقل

ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى وشبب بمحاسنها الرواة في كل مغنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف قوس البندق بعد تغزله في الرامي

قد حمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * اغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الأوصال * قاطعة الاعمار كالهلال

ثم قال منها وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك في مصائد الملوك ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية

كأنها حول المياه نون * أو حاجب بمائها مقرون

ويعجبني منها قوله في وصف النم مع حسن التضمين

تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت اذيال الدجا

ومنها يشبه الطيور الواقعة على قسي الرماة

كأنها وهي لديها وقع * لدى محاريب القسي ركع

ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباتة اليها قوله

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم في نطع يجمعنا * كأننا نحن في التمثيل شطرنج

ومثله في الغرابة قوله من قصيدته اللامية التي عارض بها كعب بن زهير في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفائق

ما يمسك الهدب دمعي حين أذكركم * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغاري في وصف زهر الزنبق

وزهرة من زنبق * أنوارها واهجه

والاسان بالقدح اجرأ منه بالمدح والحاسد يعمى عن محاسن الصبح بعين تدرك دقائق القبح والهروي جسد كله حسد وعقد كله حقد ولا يجذب التخلق بضبعه عن طبعه ولا يأخذ التكلف بخلقه عن طرقه من اسفراين صادرا عن سدة الامير بسجستان الى حضرته يوشنج منتهزا من لقاء الشيخ فرصة ان رزقتها فلله الحمد ولي البشرى من بعد وصلى الله على محمد وآله كنت أيد الله الشيخ أطارد الايام عن أملي فيه وتطاردني عن تلاقيه فكلما اشاقني من الحرص شائق عاقني عنه من الدهر عائق وكثيرا ما سمعت بفضله فتنفست صعداء الخلي عن ورده الماخوذ به عن قصده وليس الا السكون والصبر أو الحرالثواقب فالفرج

صفراء في مبيضة * كالراح في الزجاجه

ويعجبني من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلي مع حسن التضمين

وسامري أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار
ثم تزف امته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

وأما التشبيه الذي ولده الشيخ برهان الدين القيراطي فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيد

والبدر يستر بالغيوم ويجتلي * كتنفس الحسناء في مرآتها

وقال أبو حفص برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغواني فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر أبي بكر محمد بن هاشم * ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين علي بن ايبك الدمشقي

مغنم العارض غني لنا * أشياء في السمع حلا ذوقها
كأنما في فيه قمرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعة التي لم تدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الحرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

ومنها في وصف سواد السفينة على بحر النيل

تسعى اليها على جرداء جارية * من آلة كهلال الافق حدباء
سوداء تحكي على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتظرف الشيخ عز الدين الموصلي بقوله في هذا النوع وان لم يأت ببليغ التشبيه

قبل صف هذا الذي همت به * قلت في وصفي مع حسن المسالك
هو كالغصن وكالظبي وكالشمس وكالبدر وما أشبه ذلك

لطف التشبيه في قوله وما أشبه ذلك ومن التشابيه التي لم أسبق اليها قولي من قصيد

حين قابلت خده بدموع * أثرت خلت ثوب خز مخمل

ومثله قولي من قصيد

والغصن يحكي النون في ميلانه * وخياله في الماء كالتنوين

ومثله قولي من المدائح المؤيدية

يا حامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يعمر بمكة سامر
والله ان الله نحولك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر
فرج على المحزون نظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر
فانبت منه زحانه في وقفه * يا من بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

الله يثاقب رأي الامير الجليل وتوقباعه الطويل وظهور وجه السبيل من ذلك القبيل آثرت التنحي عن سنن السيوف وربما يقلع مضاربها ويكف أصحابها فقصدت من حضرة الامير مربع الوفود ومطلع الجود فلما عزم العزم الميمون واصلت حضرته بالكتب واستأذنته في الوقوع الى هراة مع الجوع ولم يكن لي بهراة مراد الا الشيخ ولقاؤه وأرجو ان يصادف هذا الشوق قبولا ويرزق هذا الكتاب وصولا

(وله رقعة الى مستميح عاوده مرارا)

عافاك الله مثل الانسان في الاحسان مثل الاشجار في الاثمار سبيل من أتى بالحسنة ان يرفه الى السنة وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي أما الفؤاد فيعلق بالوفود

وعلى ظهور الخيل ما تواخذفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه موقع وأعجب غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا ومن التشابيه المقسم قولى فى وصف حمائم البطائق من الرسالة التى عارضت بها الفاضل كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفيق لامر مريب وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن اورد هنا ما وقع فى النظم من التشبيه الذى هو غير بليغ لينفخ ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر المريض الى وجوه العود

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة

ترجع الصوت أحيانا وتخفضه * كما يطن ذباب الروضة الغرد

قد تقدم القول وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير أمر وقال ابن رشيق فى العمدة ان طريق العرب خولفت فى كثير من الشعر الى ما هو أليق بالوقت وأمس بأهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها ويجرى الآن بينهما الانس

فتزبد من تيه عليه كأنها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع ومن التشابيه الغريبة التى جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

التقدير فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها وعدوا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشاعر فى وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مصيبا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التى تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجرى فى قوله

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقالوا ما زاد الحاجرى على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مصيبا فان فيه بشاعة شق المرائر على خد المحبوب وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء بقوله

وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه * عذارك الامن دم ومرائر

ومثل ذلك ما عابوه على ابن قلاقس فى قوله

وأما البرد فتولع بالجود ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم ولاقرابة بين الادب والذهب فلما جمعت بينهما والادب لا يمكن ترده فى قصعة ولا صرفه فى ثمن ساعة ولى مع الادب نادرة جهدت فى هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جمية الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب ان يسمع ادب الكتاب فلم يقبل واحتجت فى البيت الى شئ من الزيت فانشدت شيأ من شعر الكميت الفا وماثتى بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ولكن ليست تقع

أماترى الصبح يخفى فى دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائى

لاشك أن بهجة الصبح فى أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا ان يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

وقفت بها والدمع أكثره دم * كانى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لا ينكر لها جريان الدمع دما فانها حالة لائقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التى هى منازل احبابه و وجدها مقفرة منهم لاق بحاله ان يجرى الدمع لشدة الاسف دما ومثله قول ابن قاضى ميله من قصيدته التى تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ربا والركائب تعسف

نظرت اليها والمطى كانما * غواربها منها معاطس رعف

هذا التشبيه غاية فى هذا الباب وجريان الدماء من غوارب المطى لائق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها ألطف الحكايات عن التعسف فى شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحالة فى قوالب الهجو ورصعها الشاعر فى صفات من هجاه كانت احسن موقعا وابلغ موضعا كقول مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه فى هجو من لا يمكن ذكره هنا من قصيد

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرئ المريع

ولجها من ورم فاسد * كالرئة المجبوس فيها نجيع

هذا التشبيه لم اجد له شبيها فى هذا الباب الا تشبيه ابن الرومى فى هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو وبين المشبه به وشاهد هذا التخيل الغريب علم انا صدق صحة دعواى فى ذلك ومن التشابيه التى هى غير بليغة قول ابن وزير فى تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى

كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

ونلطف ابن الدورى فى هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء

اقام يجهد اياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر فى خلال الاغصان لما انثنت

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه

فما اصنع فان كنت تحب اختلاف الى افضالا على فراحتى أن لا تطرق ساحتى وفرجى ان لا تجى والسلام

(وكتب أبو القاسم الهمذانى اليه)

قد طمحت لسيدى حاجة ان قضاها وبلغ اقصاها ذاق حلاوة العطاء وان اباها وقل شباها لقى مرارة الاستبطاء فأى الجودين اخف عليه جوده بالعلق أم جوده بالعرض ونزوله عن الطريف ام عن التلاق الشريف

(فاجابه)

جعلت فداك هذا الطبخ كله توبيخ وتريد كله وعيد ولقم الانام انقم ولم أر قدرا اكبر منها عظما

بنت ملك خاض شبا كها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدماميني فسح الله تعالى في أجله في كتابه المسمى بنزول الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم نقدا كشف به القناع عن عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان في حالة انثنائها أمام البدر في الدجى ببنت ملك تطل من شبا كها للنظر في موكب ابيها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر في حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت ملك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت ملك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموي

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر في الاسلاك

والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح بطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل في هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذي هو غير بالغ في باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه في باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التي هي الحواس الخمس أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكرر قولي في ذلك واحسن ما وجدت فيه أعني تشبيه المعقول بالمعقول قول أبي الطيب المتنبي

كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ومن النظم قول ابي علي ابن سينا

انما النفس كالزجاجة والعلم * سراج وحكمة الله زيت

ويعجبني في هذا الباب اعني تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسي

زعم كمنبلج الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم ان هذا القسم عند اهل المعاني والبيان غير جائز وما ذلك الا لان العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما وجه الصواب في تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر

ولا آكلا اكبر في عظما
ولم أرشر به امر منها طعما
ولا شاربا التم في حلما ماهذه
الحاجة ولكن حاجاتك من
بعد ألين جوانب والطف
مطالب توافق قضاها
وتوافق ارتضاها

(وله الى الشيخ أبي نصر)

كأني أطال الله بقاء الشيخ
وقد اغنت الحال بحمد الله
عن التعريف ووجدت
ضالتي من رأيه الشريف
واسترق الشيخ مولاه بالذي
اولاه واغنتني يد الاقباء
عن النظرة الجفاء وبالله
ما سلكت موضع اللقاء
الاسأت الله سقياه والحر
سريع الطفرة الا انه
قصير السفرة ومثل الصفو
مثل الصحو هذا بعد

البليغ المعقول محسوسا ويجعل اصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك اقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التي لها اشراق وبياض والبدع مقام اجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول ابي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يغتاله مكروه اسودت الدنيا في عيني جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام فشبهه وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق نظرا الان ظريف العشاق يدعي قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده اصلا في السواد على هذا التقدير وقس على ذلك ومثله قول القائل

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في ليال الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب في هذا الباب قول القاضي التنوخي

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا

فانهض بنا رالى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويجيء هنا قول الصاحب بن عباد وقد اهدى الى القاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

اهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما اهدى له اخلاقه

ومن التشابيه البليغة في هذا الباب قول الشهاب محمود في تشبيه بعض الحصون والمبالغة في علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه في طيها الفكر

وغاية الغايات في هذا الباب اعني تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابي نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لراسها * اكاليل در ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

الكدر وهذا عقب المطر ولاخير في الخلتين دون القلتين يشوبهما كل خبث وينجسهما ادنى حدث وكذا الجد لاينفك عن الجد بجر الحديد ولا ينسد على السود بالجبال السود والشيخ لوهرب من مكرمة لتبعته ولوطردها لاعتقته ولو لم يأتها مختارا لاتته اجبارا والحمد لله وحده ولم أر كالشيخ بعد سماع وقرب عيان وعنف بذاء ولطف لقاء ولا مثلى اسراف يده يطوبه بلسانه وينشره باحسانه وعهدى بملوك الارض نظارة اذا حضرت وبالسنة الفضل ساكتة اذا نطقت واكثر ما في الفضل ان الشيخ

وأدرك منها الفائزون بقية * من الروح فى جسم أضر به النهك

وقد خفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله واجاد فيه الى الغاية

وندمان سقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دق فى ذهن لطيف

والذى سارت له به الركبان فى هذا الباب قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

انتهى ماأورده من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقرير صوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى أسه شيد أصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى فتعين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فبيت ائتلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله

كأنما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنفصم

واتبعه بقوله فى التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جادت بها يد غمر غير متهم

قلت الكمال لله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن اخيه ماحسن السكوت عليه ولاتمت به فائدة وكيف يصح التشبيه فى بيت واحد وجل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت الثانى والذى أقوله انى لم أر فى البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولاعلى بيت التشبيه الذى بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول والله أعلم ومن غرائب ماينقل هنا ان العميان مانظموا نوع التشبيه فى بديعيتهم ونظموا ارد العجز على الصدر وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل للبدر تشبيه به نعم * نجم الثريا له كالنعل فى القدم

بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين اذ المراد به أن يكون بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت الفاضل فى قصيدته الطائية المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذلك طا

من أين اعتقادة الشيخ عز الدين أو لغيره أن يقول فى الشطر الاول من بيت قافيته طائية

أما الثريا فنعل تحت اخمصه

ويقول فى الشطر الثانى

وكل قافية قالت لذلك طا

انتهى وبيت بديعيتى جمعت فيه بين شرف المديح النبوى وشرف تشبيه القرآن اذ هو

لاتجمعه فى القياس مع الناس كالشمس لاتجريها فى العموم مجرى النجوم مالى أنسى ألعجز صنعته او اغيره هذا اجدت القلم كيف رأى الشيخ صنع الله لحزبه وبأس الله فى حربه ألم يجد الفريقان ماوعدهما ربهما حقا بلى والله أعلى كلمة والحق احسن خاتمة والدين أثبت قائمة والعدل أجدر ان يدوم وأولى ان لا يزال ولا يزول وجرح الجور قريب الغور ونار الحلفاء سريعة الانطفاء والشيطان أضعف جندا والسلطان أعلى يدا وعمل النصل بحسب الاصل وحق لسهم توردهيد الشيخ وتصدره قوس النصرة ونزع القدرة أن يصيب

المقدم فى هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت فى البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى افق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى ان قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التلميح الذى ما يلمح فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح بركبهم

التلميح هو فى الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع فى بيت او قرينة سجع الى قصة معلومة او نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وابلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود وسماه قوم التمليح بتقديم الميم كان الناظم اتى فى بيته بنكتة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا اننى مقيم وقلبى * راحل فيهم امام الجمال

مثل صاع العزيز فى ارحل القو * م ولا يعلمون ما فى الرحال

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل اخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن اطائف التلميح قول ابى فراس

فلا خير فى ردّ الاذى بذلة * كما ردّه يوما بسوأته عمرو

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه فى يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ما أرادوا * فانهم اهل بدر

هذا التلميح فيه اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * ارق واحنى منك فى ساعة الهجر

هذا الشاعر اشار بتلميحه فى هذا البيت الى البيت المشهور الذى ما برح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هى الا واحد غير مفترى

اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد فى الفرا

هذا الشاعر اشار فى تلميح بيته الى قول ابن سكرة

سواء النغرة
وكانوا كالسهام فان أصابت
مراميها فراميها اصابا
قرن الله هذا الملك بالدوام
وهذا الفتح بالتمام وبعد
فما أشوقنى الى خدمة تلك
الحضرة بعد تلك النصرة
وأخوفنى ان لا اصادف
وسادا منتبا ومحلا سنيا
وامرعنى اليها ان امنت
هذه الواحدة وللشيخ فى
الاجابة عالى رأيه ان شاء
الله تعالى

(وله اليه ايضا)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ
من ساهنبان وانا امرج
فى المروج مع العلوج
بين الصنان والبخر وليس
العيان كالخبر عن سلامة
فى كنف جعة البوشنجى
ويحيى الزرنجى ومبارك

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ماوقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من انت وكانت ملتفة في كساء فقالت انا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت انا الكس الناعم في الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال

رأيتها ملفوفة في كسا * خوفا من الكاشح والطامع

قلت لها من آنت ياهذه * قالت أنا السادس في السابع

وهذا غاية لاتدرك في باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريرى في المقامات وانى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له أهبا قبل موافاته ومثله قوله في المقامات أيضا فبت بليلة نابغية بتعبير الى قول النابغة

فبت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

والضئيلة هى الحية الدقيقة ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع منصور بنى العباس فانه حكى أن المنصور وعد الهذلى بجائزة ونسى فجاء معا ومرا فى المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلى يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التى يقول فيها الاحوص

يابيت عاتكة التى أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر فى القصيدة الى آخرها ليعلم ماأراد الهذلى بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

واراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فعلم انه اشار الى هذا البيت بتلميح الغريب فتذكر ماوعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ماحكى ان أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبى فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال ابو العلاء لولم يكن له من الشعر الاقوله

لك يامنازل فى القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب واخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ما عنى بذكر البيت فقالوا لا والله فقال عنى به قول أبى الطيب فى القصيد

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى أنى كامل

ومن هذا القبيل قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبى أيضا فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما فى مجلسه ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى أشتهى أن الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لاعارضها ويتحقق بذلك انه اركب المتنبى فى غير مرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها

لعينيك مايلقى الفؤاد ومالقى * وللحب مالم يبق منه ومابقى

الزنجى ويحيى الخارجى وزبيقا ولبقا وحسن أولئك رفيقا مثلى أيد الله الشيخ مثل رجل صام حولا فلما أفطر شرب بولا تصونت عن اعمال السلطان وقد عرضت على أمهاتها واضطرتنى الحال الى خلافة فلان وقد وردت منه على كريم لايمكننى سعة أخلاقه من شدة خناقه ولا يحتمل حالى اغفال مالى فهل الحيلة الا معاونته على تدارك امره وقد كان وجه لدينى وجوها فسبقنى اليها صاحب التسبيب وطعمة الاسد وفخمة الذيب لاجرم انى استخرجت مااستوفاه من عرض قفاه بعد أن اخذت الحجة عليه فقال لا اسمع الله من هؤلاء

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات ابى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق • اراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرائب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت اراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر • جلبن الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

واردت انا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها • قريب ولكن دون ذلك اهوال

ورسالة الوزير ابى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولا بد من ذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة انه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله ابتذل حجابها بعد نكبة ابيها وقتله فصارت تجالس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وادب غض ودماثة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من اهل العصر فمما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى • فانى رأيت الليل اكتم للسر

وبى منك ما لو كان بالبدر لم ينر • وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى

ان ابن زيدون على فضله • يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته • كانما جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

انا والله اصلح للمعالى • وامشى مشيتى واتيه تيها

وامكن عاشقى من صحن خدى • واعطى قبلتى من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا • ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فما الذى اوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها واكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف اهل عصره من اهل الادب لحسن ادبه واطف شمائله وتقدمه على اهل زمانه

الاكرة وما يؤدونه بدرهم يعادونه وحقا أن المغبون من لم يعرف الزبون والمردود من لم يعرف المقصود واذا لم يكن صيرفى الرجال أحذق من صيرفى المال بات محذوف السبال وأصبح موجع القذال وقد خرج الى الشيخ متظلما ولا اقنع حتى يكتب فى ظهره جواب كتابى بقلم اسمه السوط فان قصر أو اخر فعدد الرمل عربدة وعدد النمل موجدة وهذا الخز قد ارانى وجها للمال ولكنه اشعث اغبر وعينا للدين ولكنه احول اعور قد كان وكيلى استوثق منه باحالة اكدها بقبالة على زعيم الناحية وسألت عنه فقيل متوار

وكان الوزير ابو عامر بن عبدوس كثير الهيمان بها واجتهد فى التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من ثمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها عظم مقامه وسمو رتبته على غيره وتبالغ فى التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبنى غالبها على نوع التلميح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة فى الآفاق وأمسك الوزير ابن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن سجعات الرسالة المبنية على التلميح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التلميح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال فلان أعيى من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى احد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك) هذا التلميح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابى الودعات لانه نظم ودعا فى سلك وجعله فى عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلى يضرب به المثل فى الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل يختار المراعى للسمان وينحى المهازيل عنها وقال لا أصلح ما أفسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه واطاعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة واشترى اخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطى بعد امضاء البيع ثم سار فرأى ارنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجانى ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطويسا مأثورا عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التلميح يشير به الى عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته ابو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب فى شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار ومن تلميح هذه الرسالة التى هى غاية فى هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كساك محرق البردين * وحلتك مارية بالقرطين * وقلدك عمرو الصمصامة * وحملك الحرث على النعامة * ما شككت فى ابائك * ولا تمكنت الاذالك) السجعة الاولى تشير فى تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السماء كان يسمى من شدة بأسه محرقا وقصة هذه التسمية استوفى ابو الفرج صاحب الاغانى شرحها فى كتابه وأما قصة البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احيمر فاخذهما فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله فى معد والعدد فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب فمن أنكر ذلك فليناظرنى فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف

فاستنزلته بفضل خداع
وسألته عن سبب تواريه
فذكر ان الجراح بن محمد
قصد أيام ولايته قصد
نكايته وخاف الآن من
سعايته فسكنت نفرته
فان بذل له الشيخ كتاب امان
وبذلت له عهد ضمان
حضر البساط الرفيع ثم
لم يسأل العفو عن جرم اذا
صح ولا المسامحة بدرهم
اذا وجب فان لم يفعل
الشيخ ذلك ابتغى نفقا فى
الارض أو سلما فى السماء
فالسلطان يحذره السليم
كما يحذره السقيم لاسيما
الشيخ وبطشه العظيم ثم
أيد الله الشيخ ظفرت برجل
كان ضالتى منذ سنين ولى
فى جنبه مال عظيم لكنه

أنت فى نفسك وأهل بيتك فقال أنا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه و ببرديه والسجعة الثانية تشير فى تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهى مارية ابنة ظالم بن وهب الكندى زوج الحرث الاكبر الغسانى ملك العرب بالشام وهى أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود وكان فى قرطيها درتان بجيبتان كبيضتى الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها خذى القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد وفاته والسجعة الثالثة تشير فى تلميحها الى عمرو بن معديكرب الزبيدى الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب فى الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى ابا ثور والصمصامة سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معديكرب وانتقلت الصمصامة الى سعيد بن العاص ولم تزل الى أن صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار حبسا فى السبيل فقال خمسون سيفا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والسجعة الرابعة تشير فى تلميحها الى فرس الحرث بن عباد التغلبى سيد بنى وائل سميتها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحرث يكرر قوله فى كل وقت بانشاده

* قربا مربط النعامة منى * انتهى

ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعنى التلميح وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع قوله

ان ألقها تلقف كل ما صنعوا * اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفى الدين هذا أيضا متعلق بما قبله والضمير فى ألقها عائد على العصا فانه قال فى بيت الاقتباس

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وقال بعده فى بيت التلميح أن ألقها البيت ورأيته بهذا الملك فى غاية بديعيته وهو غير لايق به اذا المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح فى بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان فى بديعيتهم

ويقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح بيدر ظهر منهزم

أرانى توقيعا للشيخ فى كتاب سلطانى بأن لا يتعرض له متعرض ووجدت الامر على العموم ووردت النفس على مكروهها فلما عرض على الكتاب سجدت لعنوانه ثم لوضع بنانه من عالى توقيعه ثم لجميعه ووجدت من المطلوب يدا خالية واخرى كالية واحتسبت عند الله تلك السنين والله لا يضيع أجر المحسنين

(وله اليه ايضا)

وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقدمات الميت

العميان أشاروا فى تلميحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التلميح لمحة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم ❊ تلميح قصة موسى مع معذهم

لم ألمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التلميح لكنه حكى حكاية مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تلميح قصة موسى عليه السلام مع معذ والله أعلم وبيت بديعيتى تقدمنى فى تلميحه ابو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلا

فردت علينا الشمس والليل راغم ❊ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ❊ ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع اعنى التلميح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الاذواق الى بهجة تلميحه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له ❊ فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التلميح

وردت شمس الضحى للقوم خاضعة ❊ وما يوشع تلميح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام بانتقال نور التلميح الى شرف هذا البيت النبوى والله اعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

شبا آن قد اشبها شيئين فيه لنا ❊ تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا النوع اعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كثيرة العدد فى التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه يسد مسد المشبه به (ومما حكى) عن بشار بن برد انه قال مازلت منذ سمعت قول امرئ القيس فى وصف العقاب

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ❊ لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع حتى عدلته الى أن قلت فى وصف الحرب

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ❊ واسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كأن القلب والسلوان ذهن ❊ يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وحمرة الخد أبدت خط عارضه ❊ نخلت كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح ❊ كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تشبيه شيئين بشيئين

فليحى الحلى واشدد على حالك بالخمس وأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك بفضلك ويكى لك وقد مولاك بما لف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيجيم الشيطان عودك فان استلانه رمالك بقوم يقولون خير المال ممالقة بين الشراب والشباب ومنفقة بين الاحباب والحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطرب بالاكاس

شبا آن تشبيه شيئين انتبه لهما * حلم وجهل هما كالبرء والسقم

نعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله في مديحه

هل من مقاربة في السير بعد نوى * يا طيب النور بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الداثر وقد سلمنا أنه قابل فيه حلم النبي صلى الله عليه وسلم بالبرء وأما ذكر الجهل في هذا البيت فهو في غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالعت شرحه فوجدته قد قرر هذا النوع وفر من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شبا آن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق في الديم

هذا البيت البديع في لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلي والموصلي فانه وضعه في محله والنبي صلى الله عليه وسلم احق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير في مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله اعلم

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعي في مدائحه * بالله شنف بها يا طيب النغم

المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعه * وبحمامة الفضة بين الاوراق ساجعه * وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه فانهم ما أنقلوا كاهله بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير وسيأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت فمن الطويل الذي جاء على أصل الدائرة في القرآن العظيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ووزنه له القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا ما دمت أو غائبا

ومن مصرعه

الانسجام

وغدا واحربا من الافلاس يا مولاي ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناي هو في الآذان زمر وفي الابواب سمر وان لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يمثلون الفقر هذا عينك فجاهد قلبك وحاسب بطنك وناقش غيرك وتمتع نفسك وتوه في ذلك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك لاولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لامنع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يخل المرء خيفة ماهو فيه لله في

زعم النعمان ملك العرب * ليس ينجي من عصاه الهرب

وجاء في بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا لاترى الا مساكنهم كقول الشاعر

مابال عينك منها الماء ينسكب

وجاء في الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الاندرينا

وجاء في الكامل من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوء المذال قوله تعالى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر

ابني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

وجاء في الهزج من عروضه المجزوءة وضربه المحذوف قوله تعالى فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول

وجاء في الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادي عيسهم بهم

وجاء في الرمل من العروض الثانية المجزوءة والضرب الثاني المجزوء قوله تعالى وجفان كالجوابي وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

ومن مصرعه

أي شخص كائبان * عند ضرب وطعان

وجاء في السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبك ياسامري ومنه أو كالذي مر على قرية كقول الشاعر

ياهند يا أخت بني عامر * است على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر

زموا المطايا بالواد ماودعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لايكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف فسح الله في أجله كقول الشاعر

ليت مافات من شبابي يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولا جاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال أبو العباس العتابي في كتابه المسمى بنزهة الابصار في أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا أو حسبه قاسه وما أدري مار وى

مالك قسط ولامروأة ثم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت وان تكون الى جانب التقدير خير لك من ان تكون الى جانب التبذير

(وله الى القاضي أبي نصر بن سهل)

مالقاضي أعزه الله يلقاني بوجه كأنه الزقوم ويراني فلا يقوم أنا أسأله ان يقتدي بغيره لا بأيره ألست لقيامه أهلا لعن الله أكثرنا جهلا وأقلنا فضلا واخسنا أصلا تلك القلنسوة ليست باول قلانس الحكام وتلك الشيبة ليست باول شيبة في الاسلام نحن نخرأ في خير من تلك القلنسوة ونصفع

فى كتب العروض اصنوع هو ام مسموع من العرب انتهى كلام العتابى وتفاعيله فى الاصل مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الا مجزوا وانبنى مربعا فما وقع من مخرومه فى الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فعاد فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل له مقال

وجاء فى المقتضب من العروض المجزوة المطوية قوله تعالى فى قلوبهم مرض وتفعيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

ومن مصرعه

غنناء على الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر فى القلة كبحر المضارع الا أنه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

هل على ويحكما * ان عشقت من حرج

وجاء فى المجتث من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء فى المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت ما دخل فيما أوردته من الزحاف وقد اوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم اذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب فى الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب فى عروضه

وخمسة عشر دون ما متداركا * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام فى النظم فقد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامى هم سكان بيوته العامرة * وكاس آرامه التى هى غير نافره * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلائد هذا العقيان * وقد عن لى أن أذكر هنا ما فتروا به من وعر التركيب ونمرعوه فى أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض فى أنزه هذه الابيات بسوابق الفحول فانها أبيات لها حرمة وذمام * وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية واتنسم أخبار الهوى العذرى من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذى وقع للعرب وكاد أن يسيل رقة انسجامه قول امرئ القيس فى معلقته

أغرك منى ان حبك قاتلى * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

وقوله من غير المعلقة

خيرا من تلك المحمودة وليحسن العشرة معى من بعد واست من رعتيه وليحمل الصحبة من ظاهره ان لم يحملها من نيته أو فليفعل ما شاء فانها شقشقة هدرت والجمل أجل والسلام

(وله الى الدهجدانى)

المودة ايدالله الدهجدانى غيب وهو آية فى مكان من الصدر لا ينفذه بصر ولا يدركه نظر ولكنها تعرف ضرورة وان لم تظهر صورة ويدركها الناس وان لم تدركها الحواس ويستملى المرء صحيفتها من صدره ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم انها حب وراء القلب وقلب وراء الخلب وخلب وراء العظم

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله في الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد في معلقته

فان كنت لا استطيع دفع منيتي * فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ومثله قوله منها

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها

فان مت فانعيني بما انا اهله * وشقي على الجيب يا أم معبد

ومثله قوله منها

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالاخبار من لم تزود
و يأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومثله في لطف الانسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت في معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات في باب الانسجام قول عنترة في معلقته

فاذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا
اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملؤه سفينا

وعظم وراء اللحم ولحم وراء الجلد وجلد وراء البرد وبرد وراء البعد ولو كانت هذه المحبة قوارير لم ينفذها نظر العبر فيستدل عليها بغير هذه الحاسة والدهر يداني يعتب على اني نسيت الحال بدليل ان لا أنفذه و والله لو التبست به التباسا يجعل رأسينا راسا ما زدته ودا ولو حال بيني وبينه سور الاعراف ما نقصته حبا وقد والله اختلفت على مواضعه حتى ظننت القضاء يكايد وأردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما ثنى العزم فان نشط في هذه الليلة عرفني مستقره لاحضره ان شاء الله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحرث بن حلزة في معلقته وهي المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز في البلد السهـ * ـل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التي عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك معطيه الذي أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبياني

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أصون عرضي بمالي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال ان أودى فأكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ويعجبني من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفي الارض منأى للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القلى متحول

ومثله من لامية العجم وان تأخر عصرها

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل

لو ان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة

وقد خبروني ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراميا

أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى من شماليا

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

خليلي لا والله لا املك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا

وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا

(وله اليه ايضا)

غضب العاشق أقصر عمرا من ان ينتظر عذرا وان كان في الظاهر مهابة سيف انه في الباطن سحابة صيف وقدرا بي اعراضه صفحا اقصد أم مزحا ولو التبس القلبان حتى التبسا ما وجد الشيطان مساغا بينهما ولا والله لا أرى لك ودا تجد منه بدا ان كنت الجد قصدت وان محبة تحتمل شكا لا جدد محبة ان لا تشترى بحبة وان كان مزاحا ما قصد فما أغنانا عن مزح يحل عقد الفؤاد حتى يقف على المراد ولا يعنا الا العافية والسلام

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

ومن المرقص فى باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

وعدوا من المطرب فى باب الانسجام قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وعدوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

ومن انسجامات نسيبه التى ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

ومثله قوله

انا والله اشتهى سحر عينيك * واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبنى من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أفدى الذين أذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملونى منهم قعدوا

ومثله قوله

لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

ومثله قوله

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله

وسعى بها واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة ألفاظهما وهى أنه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد فأمر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بها واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا سيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر

قوله اركانا كذا فى النسخ التى بايدينا والمعروف المشهور انسانا

(وله أيضا)

كم لله من عبد اذا جاع حبر الاسجاع واذا اشتهى القفاع كتب الرقاع وهذا تشبيب بعده تسبيب وقد عرف الشيخ برد هذا البرد وخروجه فى سوء العشرة عن الحد فان رأى أن يلبسنى من الحطب البابس فروة ويكفينى من أمر الوقود شتوة وله التدبير فى ذلك ثم التخيير فى الشكر والسلام

(وله الى رئيس نسا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس والكاتب مجهول والكتاب فضول وبحسب الرأى موقعه فان كان جميلا فهو تطول وان كان سيئا فهو تطفل فايهما سلك الظن فله أيده الله المن من نيسابور عن سلامة نسأل الله تعالى أن

ان أصحاب الطريق الغرامية هـم والى رقيق الانسجام وتجاروه ولولا نسمات أنفاسهم ما تنسمنا أخبار الحي وتغزلنا في سفحه وعقيقه وقد ألجأني ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين ائلا ينفرط اعقودها انتظام واذا أخرت من تقدم واوردت له غير الطريق الغرامي كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الغرامي قول الشريف الرضي وهو الذي قال في حقه الثعالبي في كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبين قد بما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله

نسرق الدمع في الجيوب حياء * وبنا ما بنا من الاشواق
لا اذم المسراء في طلب العز ولكن في فرقة العشاق
يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذي قروح ورشفة من ماق
والثرى منتش بعاقره السبـ ـرد ما جاريا بأيدي السواقي
أمعيني على بلوغ الاماني * وشفائي من عاتي واشتياقي
ابعث بيننا المودة حتى * جللتنا والزهر بالاوراق
كم مقام خضنا حشاه الى اللهـ ـو جميعا والليل ملقي الرواق
ومزجنا خمر الرضا بين في الرشـ ـف برغم المدام تحت العناق
قم نبادر رمي الظلام يبين * بسهام الخطوب في الانفاق
واغتنمها قبل الفراق فانعشـ ـلم يوما متى يكون التلاقي
نحن غصنان ضمنا عاطف الوجـ ـد جميعا في الحب ضم النطاق
في جبين الزمان منك ومني * غرة كوكبية الائتلاق
كلما كرت الليالي علينا * شق منا الوفا جيب الشقاق
أيها الرائح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق
أقر مني السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاقي
واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبي اليه بالاشواق
واذا ما سئلت عني فقل نضـ ـو هوى ما أظنه اليوم باقي
وابك عني فطالما كنت من قبـ ـل أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات

سهمك مدلول على مقتلي * فمن يرى سهمك يا قاتل
ليس لقتلي ثائر يتقي * وليس في سفك دمي طائل
قد رضي المقتول كل الرضا * واعجبا لم سخط القاتل

ومثله قوله من أبيات

نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقني ويرمقه
أذيت دمعي يوم ودعني * في صحن خد ذاب رونقه
والنم يركض في سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه

لا يلهينا بسكرها عن شكرها والحمد لله رب العالمين بقول الشيخ أيده الله من هذا الرجل وما هذا الكتاب أما الرجل فخاطب ودا أولا ووصل شكرا ثانيا وأما الكتاب فطام أرحام الكرام فان بعض الله الحمام تصل الارحام ويحسن غبور الى كل عمور هذا الشريف قد خانه زمان السوء فاخرج من البيت الذي بلغ السماء مفتخرا ثم طلب فوقه مظهرا وله بعد جلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم العهد وحضرني فسألته عما وراءه فأشار الى ضالة الاحرار وهو الكرم مع اليسار وتنبه على قيد الكرام وهو البشر مع الانعام وحدث عن برد الاكباد وهو مساعدة الزمان للجواد ودل على نزهة الابصار وهو

ومثله قوله

خذی نفسی یاریح من جانب الحمی * فلاقی به ایلا نسیم ربا نجد
فان بذاك الحی حبا عهدته * وبالرغم منی أن یطول به عهدی
ولولا تداوی القلب من ألم الجوی * بذكر تلاقینا قضیت من الوجد

ومثله قوله من أبیات

عارضا بی ركب الحجاز أسائله * متی عهده بسكان سلع
واستملا حدیث من سكن الجز * ع ولا تكتبا الا بدمعی
عزنی أن أری الدیار بطرفی * فلعلی أری الدیار بسمعی

ومن الانسجامات التی ینسجم الدمع لرقتها قول تلمیذه مهیار الدیلمی

ظن غداة البین أن قد سلما * لما رمی سهما وما أجری دما
فعاد یستقری حشاه فاذا * فؤاده من بینهم قد عدما
یاقاتل الله العیون خلقت * لواحظا فكیف صارت أسهما
اودعنی السقم وولی هازئا * یقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماحمی من ریقه * لكان أشفی لی من الماء اللما
وا بأبی ومن یبیع بأبی * علی الظماء ذاك الزلال الشبما
كأنما الصهباء فی كافورة * قد مزجت وجل عن كأنما

ومثله قوله

أستنجد الصبر فیكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغی عندكم قلبا سمحت به * وكیف یرجع شیء وهو موهوب
ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم * حتی هجرت وبعض الهجر تأدیب

ومثله قوله وهو فی غایة اللطف

بطرفك والمسحور یقسم بالسحر * أعمدا رمانی أم أصاب ولا یدری
رنا اللحظة الاولی فقلت مجرب * وكررها أخری فأحسست بالشر

ومثله قوله فی اللطف

من عذیری یوم شرقی الحمی * من هوی جد بقلبی مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبی أروحا
یاندامای بسلع هل أری * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكری قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غنی بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

منها

وعرفت الهم مذ فارقتكم * فكأنی ما عرفت الفرحا

ومثله قوله من قصید

بكر العارض یحدوه النعامی * فسقاك الری یا دار أماما

القراء ومتعة الاسماع وهو الثناء فقلما اجتمعا وعزما وجدا معا وذكر ان الشیخ أیده الله جامع هذه الخیرات وسألنی الشهادة له وبذل الخط به ففعلت وسأل الله اعانته علی همته وللشیخ أیده الله فی الوقوف علی ماطلب والاجابة ان نشط رأیه الموفق ان شاء الله

(وله الی أبی نصر المكالی)

كتابی ایدالله الامیر وبودی ان أكونه فأسعد به دونه ولكن الحریص محروم ولو بلغ الرزق فاه لولی قفاه فرق الله بین الایام تفریقها بین الكرام والهمذانی یورد بعقل ویصدر بتمییز وماذلك علی الله بعزیز أنا فی مفاتحة الامیر بین ثقة تعد وید ترتعد ولم لایكون ذلك والصروان لم أره فقد

وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحى * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقرأ على قلبى السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها لى * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا اوثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى ان تناما

ومن الغايات فى باب الانسجام قول الواوا الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله فى اللطف ورقة الانسجام قول الارجانى

حيتك غادية الهوى من مربع * رجعت عهودى فيك أم لم ترجع
ما أساروا فى كاس دمى فضلة * عنهم فأجعلها نصيب المربع
لم يكفنى الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى ألقيتم * فى مسمعى ألقيته من أدمعى

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لاعار أن يتساعد الصحب
قد كان لى قلب ولا ألم * واليوم لى ألم ولا قلب

ومثله قوله

أما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع
فكأننا لما عقدنا للنوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع
فرهينتى معهم فؤادى دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معى

ومثله فى اللطف قول الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

والطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فأقيمى فيه واستترى
وراقبى غفلة منه لتنتهزى * لى فرصة وتعودى منه بالظفر
وباكرى ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر

سمعت خبره ومن رأى
من السيف أثره فقد
رأى أكثره واذا لم القه
فلم أجهل خلقه وما وراء
ذلك من نائل الواصل ونشب
وطارف فضل وأدب
وبعد همة وصيت
معلوم تشهد بذلك الدفاتر
والخبر المتواتر وتنطق به
الاشعار كما تختلف عليه
الآثار والعين أقل
الحواس ادراكا والآذان
أكثرها استمساكا وان
بعدت الدار أيضا فلا ضيران
أيسر البعدين بعد الدارين
وخير القربين قرب القلبين
وان لم تكن معرفة
فستكون ان شاء الله
الرقاعة أيد الله الامير رقعة
واسعة انا فى أنواعها باقعة
وههنا نادرة واقعة لم نرها
فى نوادر ابن الاعرابى ولا
فى امالات الصولى ولا فى
ثانى غريب المصنف ولا فى

ولا غمى عـذاربه فتفتضحى * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قـدرت على تشويش طـرته * فشوشيها ولا تبـقى ولا تذرى
ثم اسلكى بـين برديه عـلى مهـل * واستبضعى واتنى منه على قدر
ونبهـيه دون القوم وانتفضى * على والليل فى شك من السحر
اعـل نفحـة طيب منـك نائبـة * تقضى لبانة قلب عاقـر الوطر

وممن برع فى الطريق الغراميـة وأبدع زهر نظـمه فى حـدائق الانسجام بها الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحـمه الله كان الشيخ تقى الدين مع زهـده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغنى بشعره الغرامى فى عصره لرقة انسجامه وعذوبة ألفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقى الدين يكره مكانا يكون فيـه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر فى المجلس امرأة وكانوا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر باد خاله الى النساء يقطعنـه ويجعلنه فى الصحون فلما حضر بعـد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد لمسـته بأيديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفى بالقاهرة رابع رمضان المعظم سـنة ثلاث وسـبعين وستمائة قال أبو محبوبه والله ما أدفنه الا فى قبر ولدى فانه كان يهواه فى الحياة وما أفرق بينهـما فى الممات هـذا لما كان يعهده من دينـه وعفافه فمن انسجاماته الغرامية

أتم بوصـلك لى فهـذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبـه عن غـيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسـبة * فسررت لما قلت قد صـدقته
بالله ان سألوك عـنى قل لهـم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشـتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقتـه

وما ألطف ما قال منها

ياحـسن طيف من خيالك زارنى * من عظم وجدى فيـه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليـه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صـدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات ولا سلاف ظلم الحبائب مع حـلاوة التقبيل عذوبة هـذه الرشفات وعدوا من المرقص الغرامى فى باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقى

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من احبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه له من المطرب

غـيرها من كتب الادب وهى ان شيخنا ابا نصر بن دوسنام سألنى طول هـذه المدة مكاتبة تلك السدة مستشفعا بكتابى الى الخالق العظـيم والملك الكريم والفضل الجسيم وكل شئ عـلى المبم فى باب التفخيم وبى ان أعرف شغل شاغل وحتى أقبل واداخل دخولا معـلوما لا يقتضى لوما ولا نظن الا الجميل وعرفته ان الجار نفسه ثم رفسه والمرء وجوده ثم جوده وشفيع لا يعرف غـريب ولكنه من غريب الحديث لا من غريب الحديث فابى الا ان افعل وقد فعلت على السخط من القـرط فان قبلت الشفاعة فالجد يأبى الا ان يعمل عمله وان ردت فليست كلمة السوء مثله والسلام

(وله أيضا)

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلي وعدوه من المرقص

يا ليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن نبي وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبني في هذا الباب قول النجيب بن الدباغ وهو معدود من المرقص

يا رب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك والاكوس

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يا رب فليك شمعة في المجلس

واذا حكمت انا بعين مراقب * في الحب فلتك من عيون النرجس

وعدوا من مرقصات الطربي الغرامية قول القائل

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتي حين القاه

فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن ما يعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامي قول علية بنت المهدي

وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد

رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات في هذا الباب اعني الانسجام الغرامي ما كان يكثر من الترنم به أبو القاسم القشيري وهو

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعي لا دموع جفوني

ويعجبني من هذا الباب قول اسحق بن ابراهيم الموصلي

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغواني والتذاذي بالشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضي الفاضل في باب الانسجام قوله

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعي دموع الغمائم

وهل من ضلوع او ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

لقد ضعفت ريح الصبا فوصلتها * فني لا منها هبوب السمائم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم الى القصاب يسأله فلذة كبد فسدته باليسرى فاه وأوجع بالاخرى قفاه فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا يطلب جلا رضيعا كذلك انا وردت فلا اكرام بالمام ولا صلة بسلام ولا تعهد بغلام فلما وجدته لا يبالي بسبالي كاتبته اشفع اسواي وهو موصل رقعتي هذه وله خصم بينهما قصة لا أسأله في البين الا الاصلاح الجانبين والسلام

(وله أيضا)

النادرة أطال الله بقاء القاضي تبطي ولا تخطي وفي مضحكات الاحاديث ان عدة من الخانيث قدموا الى أمير فضرب أحدهم بالسياط وهو ينشده بالله العظيم وكتابه الكريم

تأخرت فى حمل السلام عليكم * لدينا لما قد جاءت من مآثم
فلا تسمعوا الاحاديثا الناظرى * بعاد بالالفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله

يا طرف مالك ساهد فى راقد * يا قلب مالك راغب فى زاهد
من يشترى عمرى الرخيص جميعه * من وصلك الغالى يوم واحد
عاتبته فتوردت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذى فى حرير ناعم * وضربت من ذا فى حديد بارد

ويعجبنى من غراميات البهاء زهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاء
العلكم قد صدكم عن زيارتى * مخافة أمواه لدمعى وأنواء
فلو صدق الحب الذى تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسى خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجد باحشائى
فكونوا رفاعيين فى الحب مرة * وخوضوا لظى نار لشوقى حمراء

وألطف منه وانسجم قوله

نعيش أنت ونبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
يا ألف مولاى مهلا * يا ألف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

ومثله قوله

أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى انعال
نفدت معاذيرى التى * القى بها من يسأل
حتام أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد أطلـ * ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ورسوله الامين ويذكره الدين وحرمة المسلمين والسياط توقع مصيبه والخنث يجعل الله حسيبه ثم قدم الباقون فعمل بهم ما عمل بصاحبهم فقال الاخير يا خير كذا يحلف الامير اصبروا حتى أقدم واسمعوا حتى أتكلم فلما جرد للسياط قال أيها الامير بحياة والدتك الا عفوت عنى فقد أخذ الخوف منى فغضب الامير وقال على بالسياط حتى بلغ الجلد فى بهم الخياط مالك ولذكر الحرم فخافه الخنث بطرتها ثم بغرتها ثم صار الى ثغرتها ثم تدحرج الى سرتها فلما انتهى الى السرة أشفق الامير على الحرة فقال خلوه قد والله بلغت السرة اوزدت وصرت الى الدرة اوكدت وماذا بعد الحق الا الضلال وهل بعد الشر الا النكال

ومن انسجاماته التى تكاد ان لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رأيتم محاسكم * من فؤادى لسركم
لو أمرتم بما عسى * ماتعديت أمركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم وليتنى * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدى * فى هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن انسجاماته التى هى فى غاية الظرف

ياقلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
انى ببابك قد وقفـت عسى ترد جوابيه
ياملبسى ثوب الضنا * يهناك ثوب العافيه
لم يبق منى فى القميـص سوى رسوم باليه
وحشاشة ماأبقت الا شواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * أنت العليم بحاليه
واليك عنى ياغرا * م فقد عرفت مكانيه
فكانما لك قد قعد * ت على طريق القافية
من لى بقلب اشتريـه من القلوب القاسيه
مولاى ياقلبى العزيـز وياحياتى الغاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأعيدها لك لاعدمـت بعينها وكماهيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومثله قوله فى هذا الروى

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفى أنـفاس الشباب كماهيه
ويميل بى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـم بقية فى الزاويه

لا يدعل القاضى أيده الله آخر السرة أول الغرة ماله ولاصحاب الحديث والله لينتهين عن علائهم وهو كريم أو لينتهين وهو لئيم وهذا الفقيه ميمون وان بعد عن داره فلم يبعد عن مقداره وان لم تحضر أقاربه فهذى عقاربه انفظه أف فان لم تغن فلا بد من الا كف ثم الله أعلم بما فى الخلف والشر قبيح أنواعه فليكف عنه سماعه ووراء هذه الجملة تفصيل وهم طويل وقال وقيل وخطب ثقيل فان أراح ارحت وان أحوج شرحت والسلام

(وله أيضا)

الاستاذ الزاهد يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا فيها يحمل وذا صحبا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فانا ضيعتهما بالامس

ومن غراميات الحاجري في هذا الباب

لك أن تشوقني الى الاوطان * وعلي أن أبكي بدمع قاني
ان الذي رحلوا غداة المنحنى * ملؤا القلوب لواعج الاشجان
فلا بعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة فاطمئن قلائل * ما حل بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولي ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * في انسجاماته الغرامية الموعود بإيرادها قوله

حديثي في المحبة ليس يشرح * فدعني من حديث اللوم واسرح
فما لك مطمع ببراح قلبي * عن الحب الذي أعيا وبرّح
فكم من لائم أنحى الى أن * تأمل من هويت فانتصح
فيا الله ما أشهى وأبهى * ويا الله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولي قلب يقول الصلح أصلح
هلال سواره المثرى فنادى * فقبر وشاحه الله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا أنشدت أغزالي ترنح
وحياني بألحاظ مراض * صحيحات فأمرضني وصحح
اعاتبه فلا يصغي لعتبي * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بنتم واعرضتم * ما أمرها جرعه
هل عليكم باس * في المقال بالرجعه
قد نجحت مغناكم * لا تحرموا المتعه
ترك سنتي فيكم * سادني من البدعه
هذه صبابا تي * والوصال في منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يا مليك قلبي خذ * ما يليه بالشفعه
واس بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لا تخل عن قلبي * ليس فيه من نجعه
قد تركت أرداني * من مدامعي نقعه
ما انا ناظري كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه تفصيل حالي جمله * فعساه يرق لي ولعله

على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما الى فلا خير في الاجساد خالية من الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو الحسن الهمذاني موصل رقعتي هذه لقصة يعرضها وحاجة انا أفرضها تلمذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحروان لم يعلم باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن أنه لو لم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لا تحتمل غير الصحة ثم يرضى بعد ألف مكاس راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله عليه ما بركعتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

كم تنحنحت اذ بدى حذارا * من رقيبي وكم تكلفت سعله
ليس لى عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلى أو أقله
ركبت فى جبلتى نشوة العشق وصعب تغيير ما فى الجبله
سادتى عاودوا رضاكم وعودوا * عن جفا كم فما بقى فى فضله
ذبت شوقا فعاجلونى بقرب * مت عشقا فخطونى بقبله
واشغلونى عن لائم ما أتانى * برشاد أتته آفة غفله
قلت بالله خلنى فتمادى * وقليل من يترك الشر لله

ومثله قوله

صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
فى حسنكم البديع شغل * عن علوة لى وعن امامه
من لى بمحجب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
اشدو بتغزلى لديه * فيه فيحدلى خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بطلعتى هلالا * ما كنت رضيته قلامه
والغصن حسبته شبيها * مني بتعطف وقامه
والظبي اذا رنت لحاظى * لا كيد له ولا كرامه
أفديه بمهجتى وانى * لا حسرة لى ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
اخبرت بها العذول لكن * ما فات له كم الغرامه

ومثله قوله

لا تعاتبنى فلا عتب على * خرج الامر وعقلى من يدى
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبى
وأرى لومك يغرينى به * لا تزدنى أو فزدنى يا أخى
انا فى الحب امام فاذا * صرت من ابنائه فاخضع لدى
لا تسل غيرى فى شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبى
خلقى أنى شحيح بهم * وبروحى لهم حاتم طيي
فاختصر فى شرح أشواقى فان * رمت اسهابا فو كل مقلتى
سادتى فارقتكم فاستلبت * بنوا كم راحتى من راحتى
فاجبروا قلبى بشئ منكم * فلقد أونيتم من كل شى
صادنى منكم غرير أغيد * فيه ما يشغل عن هند ومى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب روحى قال كى
قلت أفديك بنفسى قال مه * ما اليك الامر فيها بل الى

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول

(وله أيضا الى آخيه)

كتابى أطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعه فلا تحسبن بعدى على قربك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان أحدهم بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بينى وبينك الا استرطوله فتر وان صاحبنى رفيق اسمه توفيق التقين سريعا وان سعدت جميعا والله ولى المأمول بجاه ذلك الشفيق سيدى أطن وما أحوجنى الى ان أراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله بعيدك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشا الله يملكنا وبينك نيا تاحسنا والله أولى بك من أخيك وهو حسبى فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده والسلام

آراك بخيلا بعونى فهبنى * سكوتك عنى اذالم تعنى
ذممت الهوى ورجوت الساقى * فأبكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خمرتى * فدعنى مابين كاسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها * فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من انسجامات ابن سنا الملك قوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ماأبدى * فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خده به ماء وخضرة * فماأملح المرعى وماأعذب الوردا
تلهب ماء الخد أو سال جمره * فياماء ما أذكى ويا جمر ما أندى
أقول لساه قد أشار بتركه * لقد زدتنى فيما أمرت به زهدا
فلم لانهيت الثغر أن يعذب اللمى * ولم لا أمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ما عندى اليه صبابة * وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت * وماذقت منها لاسلاما ولابردا

ومثله قوله ويعجبنى الى الغاية

نم المشوق وأنم المشوق * فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق
ونم لقد طرق الحبيب وماله * الا خدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكانما * زفراتهم لقدومه تطريق
وانى وصبح جبينه متنفس * وأنى وجيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية * فالصدر رحب والعناق يضيق

ومثله قوله وهو فى غاية الظرف

لاأجازى حبيب قلبى بجرمه * انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت * الى ان سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما * لم تزل من فى حلاوة طعمه
ان قلبى اضدره ورقادى * ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى * عمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم * فلو رمت ذكرى غيرهم خاننى الفم
تجنوا كأن لاود بينى وبينهم * قديما وحتى ما كأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ماذكرتهم * شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وجناية * تعلم ألحاظه كيف يظلم
ألم ومافى الركب منا متيم * وعاد ومافى الركب الا متيم
وايس الهوى الا التفاتة طامح * يروق لعينيه الجمال المنمنم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه * وعاوده داء من الشوق مؤلم

(وله الى ابن أخته)

كتابى وقد ورد كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت الى ذلك من حالك وسألت الله ابقاءك وان يرزقنى لقاءك وذكرت مصابك بأخيك فكأنما فتت عضدى وطعنت فى كبدى فقد كنت معتضدا بمكانه والقدر جار اشانه وكذا المرء يدبر والقضاء يدمر والآمال تقسم والآجل تبتسم والله يجعله فرطا ولايريني فيك سوأ أبدا وأنت أبدلك الله وارث عمره وسداد ثغره ونعم العوض بقاؤك ان الاشياء اذا أصاب مشذبا منه أغل ذرى وأث أسافلا وأبوك سيدى أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأمتعه بك طويلا فانت بديلا أنت ولدى مادمت والعلم شانك والمدرسة

أظن ديار الحى منا قريبة * والا فنها انفحة تتنسم

ومثله قوله

لا تخف مافعلت بك الأشواق * واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * فى حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم * فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقى بها * وجدا وللأفكار بى احداق
يارب قد بعد الذين أحبهم * عنى وقد ألف الفراق فراق
واروحظى عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتى احراق
عرب رأيت أصح ميثاقاهم * أن لا يصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بثنى قوامك الممشوق * وبأنوار وجهك المعشوق
وبمعنى للحسن مبتكر فيك وقلب كقلبى المحروق
جد بوصل أوزورة او بوعد * أوكلام أووقفة فى الطريق
أو بارسالك السلام مع الريح والا فبالخيال الطروق

ويعجبنى فى هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زر شهر فى عام يامن قد غلا فى السوم * او يوم فى شهر احلى من صدودك دوم
وان عز هذا وهذا ياعزيز القوم * فى الدهر ساعه وان لم ترتضى فى النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله أيضا

لى من هواك بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يامن أعيذ جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عينى فانك نورها * أولم تكن قلبى فأنت حبيبه
هل حرمة أورحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد فى هواك تغزلا * حتى كان بك النسيب نسيبه
لم يبق لى سر أقول تذيعه * عنى ولا قلب أقول تذيبه
دع لى فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فودا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتى مسكوبه
والنجم أقرب من لقاك مناله * عندى وأبعد من رضاك مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظى منك يا أبهى الورى غره
سواد الخال والمقله * مع العارض والطره
قديم الهجر هل اتقى * قديم فى الهوى هجره

وكم

مكانك والدفتر نديمك وان قصرت ولا خالك فغيرى خالك والسلام

(وكتب الى والده)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ وتواترت الاخبار من قبل أنه وارد لامحالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدقة ثم ورد كتابه بان الامر فى ذلك فتر لعارض علة ذكر فقسمت قلبى جزءين وما حال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقلت العافية والزم المناحة ولم يرد كتابه بعد بذكر السلامة وقد علم مابين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق حتى اسمع بالسلامة افيضت عليه وقد خرج القاضى أبو ابراهيم حاجا فان رأى أو فعل فمه اذا قفل وان ابى وقعد فقد أقلته ما وعد لا يزعجنى بعد بوعد والسلام

وكم تلقاه بالايعا * د والابعاد والنفره
وكم يشكو ولا تطر * ح فى قفته كسره
رأينا من جفاوجنى * ولكن زدت فى كثره
فهل تمنح أو تسمح * بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا امـلك * من صبرى ولا ذره
وقد صيرنى هجر * لذى كسر اخت من اكره

ومن انسجامانه الرقيقة قوله

حتام حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والحساد * عنا وأنت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت تمان

ومثله قوله

اعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
حلت تسهدى والشيب هذا * على رأسى وذاك على عيونى

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ما أحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فاتجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينين * ن يسبى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر المثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لماجن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

ومما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا ما يترنم به

(وله الى العم)

كتابى وورد كتاب العم والاسنة حشوه فرط عتاب اذلم أفرده بكتاب واصدق من الكتاب الحاسة والرحم الماسة افيظنى نسيته ان صدق هذا الظن فالماء نساء الظماء ولا رآنى الله أعود لما يكره واذا حنق وقطعت وامر واطعت رجوت لا يجد العتب مساغا سأل العم ان أبثه حالى بهذه البلاد انى فى بلاد وان لم يكن لاهلها تمييز فانا بينهم عزيز يعظمونى تقليدا ويرونى فريدا والمال يجرى فيضا لكنى لا أبليه ريقا ولا آلوه تفريقا فهو يأتى مدا ويذهب جزرا والسلطان مقبل غاية الاقبال بالجاه والمال هذه جريدة أحوالى وتفصيلها طويل واذا شئت من هذه الجراب أزن واكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

قصيدة القاضي المهذب بن الزبير ووجدت بخط الفاضل غير تامة وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط الفاضل من غراميها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشما * ل اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للندّ ندّا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودّا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدّا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فلأنت صفحة وجهه * حتى اكتسى آساً ووردا
فكأنما ألفت فيه منهما صدغا وخدّا
مرّى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسوه متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسيم بجزهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * ك وصالكم ماخنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الغرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيي الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسة وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة * ولأجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولاجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد * ويحرك الجماد * سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيي الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بُعدك * فكم وفى بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدّك
وأنت نعظم عندى * أن يسمى البدر عبدك
وانت والله أرضى * أن يحكى الورد خدّك
فقاتل الله طرفى * فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قلبى * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى * جعلت صدرى وكدك
وما عشقتك وحدى * بلى عشقتك وحدك
وكم أطعتك جهدى * وكم تجنبت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لاذقت فقدك

(وله الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد)

أنا أخاطب الشيخ الامام والكلام معجون والحديث شجون وقد يوحش اللفظ وكله ودّ ويكره الشئ وليس من فعله بد هذه العرب تقول لا أبالك فى الامر اذا اتم وقاتله الله ولا يريدون الذم وويل امه للمرء اذا أهم ولأولى الالباب فى هذا الباب أن ينظروا من القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن هذا الفقيه ممن خبط اجواف الليل وضرب أكباد الخيل من العراق الى خراسان ايجبس بها ولا جرم كان لا يعدم هذا بالعراق لو اراد ولو سال القاضى بها فعل وزاد وقد شكا الى مرارا ما يستقبل به من قبيح الكلام ويعامل به من سوء اهتضام وهؤلاء

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبي * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبي بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتي * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من غلمانها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ احرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار في فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادى

فرق القاضي لارتجاله الغرامي وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن الفارض هو قائد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله في هذا الباب الذي ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام * واذا هب نسيمها العذرى تنسمت العشاق منه اخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرني العهد القديم لانها * حديثة عهد عن أهيل مودتي
فلي بين هاتيك الخيام ضنينة * علىّ بجمعي سمحة بتشتتي
محجبة بين الأسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
تتيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذلك رخص منيتي بمنيتي
متى أوعدت أوفت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وأن أعرضت اشفق فلم أتلفت
وقد سخنت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعي غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي
خرجت بها عني اليها فلم أعد * الىّ ومثلي لا يقول برجعة
فوصلي قطعي واقترابي تباعدى * وودى صدى وابتدائى نهايتي
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي ذى طوى والثنية

الصدور يرون الشمس من قبل تدور وقد رأى الشيخ احوالهم وسمع أقوالهم فلا أدرى من اكاذب في معناه وهذا القاضي أنا عنده في منزلة أقل من شئ المعتزلة ولا يسئل عما أبدى فانفصل بندى والخلاف واقع في كل شئ الا في الحساب فلم لا يحاسب على الذرة كما يحاسب على البدرة فان أخرج الحساب عليه شيأ طولب حينئذ بعلوم وان كان حبس للتهمة فؤاد الله أو بياض يوم ولم أعهد الشيخ في الامور بهذا الفتور فما هذه الضراعة وأين الشفاعة وان لم تقبل فأين الشناعة الله أكبر أنا أول من يتعزر وهذا الفقيه الزيارى قد ضل فيه القياس من يستحي الله منه ولا يستحي من الناس ألبس في آداب القضاء

وضنت وما منت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى
عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فأما حسن صبرى فخاننى * وأما جفونى بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقدارى فأنكر غيرتى
وكنت بها صبا فلما تركت ما * أريد أرادتنى لها وأحبت
فبها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم فى نقض توبتى * وقام بها عند النهى عذر محنتى
فموتى بها وجدا حياة هنية * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتى
ولى عندى عيد كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة
وأى بلاد الله حلت بها فما * أراها وفى عينى حلت غير مكة
وما سكنته فهو بيت مقدس * بقرة عينى فيه أحشاى قرت
ومسجدى الاقصى مساحب بردها * وطيبى ثرى أرض عليها تمشت
مواطن أفراحى ومربى مآربى * وأطوار أوطارى ومأمن خيفتى
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل أوقاتى مواسم لذة
فان رضيت عنى فعمرى كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت دارى فعامى كله * ربيع اعتدال فى رياض أريضة
بها مثل ما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت أحشاى كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبى فما ان كان الا لمحنتى
ألا فى سبيل الحب حالى وما عسى * بكم ان ألاقى لو دريتم أحبتى
أخذتم فؤادى وهو بعضى عندكم * فما ضركم لو كان بعضى جملتى
وهى جسدى مما وهى جلدى لدى * تحمله يبلى وتبقى بليتى
ومنذ عفا رسمى وهمت وهمت فى * وجودى فلم تظفر بكونى فكرتى
وبالى أبلى من ثياب تجلدى * بل الذات فى الاعدام نيطت بلذتى
كأنى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى
وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن * أمور جرت فى كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف الطيف فى جفنى الكرى * قرى فجرى دمعى دما فوق وجنتى
فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى

وفى لمه البيضاء ما يصونه عن الابتذال نسأل الله رأيا يسدد وسترا يمتد ووجها لا يسود والسلام

(وله اليه رقعة)

بالعباد الله القرض ولا هذا الرحض والزاد ولا هذا الكساد أمرض ولا أعاد اذا شبع الزنجى بال على التمر وهذا بول على الجمر ويوشك أن يكون له دخان بقول الشيخ الجليل الامام لو سمعت بعرضه لانتهيت الى غرضه اذا لا أؤاخذه بالجرم ولا اسامحه العذر وكأنى به يقول اتدارك الآن اذا يجدنى ملآن عربدة لا حقيقة لها وموجدة ما خلق الله اصلها فما أجد منه مفرا ولا عند غيره مستقرا

ولولا

ولولا زفيرى اغرقتنى أدمعى * ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى
وحزنى ما يعقوب بث اقله * وكل بلا أيوب بعض بليتى
وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * علىّ من النعماء فى الحب عدت
وعنوان ما بى ما أبثك بعضه * وما تحته اظهاره فوق قدرتى
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقى ان تحصى ولو قلت قلت
وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتى
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذاك أو خلّ خلتى
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وها أنت حىّ ان تكن صادقا مت
وقالوا تلاف ما بقى منك قلت لا * ارانى الا للتلاف تلفتى
غرامى أقم صبرى انصرم دمعى انسجم * عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويا نار أحشائى أقيمى من الجوى * حنايا ضلوعى فهى غير قويمة
ويا جسدى المضنى تسلّ عن الشفا * ويا كبدى من لى بان تتفتتى
ويا كلما أبقى الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى فى عظام رميمة
وماذا عسى عنى أناجى توهما * بياء الندا أونست منك بوحشتى
فنفسى لم تجزع باتلافها أسى * ولو جزعت كانت بغيرى تأست
فيا سقمى لا تبق لى رمقا فقد * أبيت لبقيا العزل البقية
ومن غرامياته التى خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب * قوله من قصيدة

اهفو الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم * وكل جفن الى الاغفاء لم يعج
لا كان وجد به الآماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق * لا خير فى الحب ان أبقى على المهج
من لى باتلاف روحى فى هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ما بين أهل الهوى فى أرفع الدرج

وما احلى ما قال منها

قل للذى لامنى فيه وعنفنى * دعنى وشأنى وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجى

منها

لم أدر ما غربة الاوطان وهو معى * وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى * بدا فمنعرج الجرعاء منعرجى

ولكنه نقضة مصدور ونفضة مهموم والسلام

(وله الى الشيخ ابى النصر)

كأنى اطال الله بقاء الشيخ والماء اذا طال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه كذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله قد حلبت اشطر خمسة اشهر بحراه ولم تكن دار مثلى لولا مقامه وما كانت نعمى لولا امامه ولى فى ذنبين مثل صدق وان صدرا مصدر عشق وادنيتنى حتى اذا ما ملكتنى بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عنى حيث لا لى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح ثم قذفتنى ثم الشيخ فلما علق الجناح وقلق البراح طار مطار الريح بل مطار الروح وتركنى بين قوم

منها

ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم في صباح منك منبلج

فليصنع الركب ما شاؤوا لأنفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وما ألطف ما قال منها

أهلا بما لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومثله في الرقة والانسجام قوله من قصيدة

أبق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآكا

أين مني ما رمت هيهات بل أيـ * ـن لعيني باللحظ لثم ثراكا

وبشيري لو جاء منك بعطف * ووجودي في قبضتي قلت هاكا

قد كفى ما جرى دما من جفون * لي قرحى فهل جرى ما كفاكا

فأجر من قلاك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهواكا

بانكساري بذلتي بخضوعي * بافتقاري بفاقتي لغناكا

لا تكلني إلى قوى جلد خا * ن فإني أصبحت من ضعفاكا

كنت تجفو وكان لي بعض صبر * أحسن الله في اصطباري عزاكا

كم صدود عساك ترحم شكوا * ي ولو باستماع قولي عساكا

شنع المرجفون عنك بهجري * وأشاعوا أني سلوت هواكا

ما بأحشائهم عشقت فأسلو * عنك يوما دع يهجروا حاشاكا

كيف أسلو ومقلتي كلما لا * ح بريق تلفتت للقاكا

كل من في حماك يهواك لكن * أنا وحدي بكل من في حماكا

ومن كاساته الغرامية التي سكر العشاق بقديمها وحديثها قوله

أدر ذكر من أهوى ولو بملام * فإن أحاديث الحبيب مدامي

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلي بخصام

كأن عذولي بالوصال مبشري * وإن كنت لم أطمع برد سلام

وما أبدع وأرق ما قال منها

يشف عن الأسرار جسمي من الضنا * فتوحي بها معنى نحول عظامي

طريح جوى صب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامي

صحيح عليل فاطلبوني من الضنى * ففيها كما شاء النحول مقامي

منها

فلي كل عضو فيه كل حشا بها * إذا نظرت أغراض كل سهام

ولو بسطت جسمي رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التي يحرك الجماد رقتها قوله من قصيدة

ما لي سوى روحي وباذل نفسه * في حب من يهواه ليس بمسرف

ينقض منهم الطهارة
ويوهن أكفهم الحجارة
حدثت عن هذا الخليفة
لا بل الجيفة أنه قال قضيت
لفلان خمسين حاجة منذ
ورد هذا البلد وليس
يقنع فما أصنع فقلت
يا أحمق إن استطعت أن
تراني محتاجا فاستطع أن
أراك محتاجا إليك أف
لقولك وفعلك والدهر
أحوج إلى مثلك أنا أسأل
الشيخ أن يبيض وجهي
بكتاب يسود وجهه
ويعرفه قدره ويملأ رعبا
صدره إلى أن يبين على
صفحات جنبه آثار ذنبه
وله فيما يفعل رأيه الموفق
إن شاء الله تعالى

(وله إلى الشيخ أبي العباس)

رقعتي هذه عزيز علي أن لا
أسعد دون هذه الرقعة
بتلك البقعة وكنت

فلئن رضيت به القدا سعفتني * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أعجب ما قال منها

يا أهل ودي انتم أملي ومن * نادا كم يا أهل ودي قد كفي
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فاني ذلك الخل الوفي
وحياتكم وحياتكم قسما وفي * عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحي في يدي ووهبتها * لمبشري بوصالكم لم أنصف
لا تحسبوني في الهوى متصنعا * كلفي بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فأخفاني أسي * حتى لعمري كدت عني أختفي
وكتمته عني فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفي

وما أحلى ما خاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وما أعذب ما قال منها

يا ما أميلح كل ما يرضى به * ورضابه يا ما أحيلاه بفي

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي * ان غاب عن انسان عيني فهو في

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ * ـهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبي والمحبة شافعي * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم علي بنظرة * فقد تعبت بيني وبينكم الرسل
أحباي أنتم أحسن الدهر أم أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل
اذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل

وما ألطف ما قال منها

وماذا عسى عني يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لي بها شغل
أخذتم فؤادي وهو بعضي وما الذي * يضركم لو كان عندكم الكل

وما أظرف ما قال منها

تساله قومي اذ رأوني متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحي عنا بذكر من * جفانا وبعد العز لذ له الذل
اذا أنعمت نعم علي بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وما أرق ما قال منها

فأرضيتني في الحديث الذي ألقاه الى الشيخ ونهر الصيام صعف الحصر كريه العصر ولولا ان وقت رجوعه وقت رجوعه لقصدت حضرته لكني اخاف ضجرته وانت اعرف باحواله والطف في سؤاله فاعرض رقعتي هذه وتنجز الحاجة منه وان ارحتني في ذلك الحديث من صاحب المواريث فقد غزاء لا تسعها الارض والسماء وان لم تتمكن من الكل فاقطعه بالعرض فبعض الشر اهون من بعض والسلام

(وله ايضا)

الشيخ اطال الله بقاءه اجده كالفاتر في انفاذ تلك الدفاتر وما اصنع بكاف التشبيه وهو الفاتر كله

خفيت ضنى حتى لقد ضل عائدى * وكيف يرى العوّاد من لا له ظل
وما عثرت عينى على أثرى ولم * تدع لى رسمافى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ماذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أحد المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلمسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واخترفنا لك فى الجمال الباقى
واخلع سلوك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فأجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
اوليس من أحلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

و يطربنى من رقائق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فاسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا اجتمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى و بديع عيونه وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتاخر عصر النهلا ينفرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها أكثر اعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره وعما يستطرف فى باب الانسجام من الطرائق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
فابتدانى بقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن ابى حفصة

مسحت ربيعة وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذووا الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول أبى نواس

وكأنه قد عرف عادتى فى حبس العارية فاخذ بانواع البسط حتى نبهت على الصغرما امر من البط وان احب أعطيه موثقا من لسانى و يدى حلفت له بالله العظيم وجعت الى اليمين بالله يمينا بالطلاق ولم اقتصر على اقل من الثلاث ان دفاتره لا تمكث عندى الا اليوم والليلة وما اوجفنى من صاحب فضول يستعير هذا القسم بفضول واما البط فليس الا انفاذه فقط والافابيات كاسمها شوارد وبعد الطبخ بوارد ولتعلمن نبأه بعد حين (الابيات)

يا أبا الفضل قد تأخر بطى
فلماذا وفيم هذا التبطى
هات رطلى وخذ مقطى وان لم
تك بى واثقا فدونك خطى
(آخر)

فتمشت فى مفاصلهم • كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء • وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها • لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر • لها محبان لوطى وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر • فلاح من وجهها فى البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية • كأنما أخذها للعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها • لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح الحسنى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى • برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء وصونه • صعب الذرا متمنع أردانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه • والماء ما سحت به أجفانه

وعدوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن العطوى فى رثاء احمد بن ابى دؤاد

وليس صرير النعش ما تسمعونه • ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه • ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف • بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف • ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه • روض الأمانى لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول ابى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه • لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له • فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بها غير معذول فداو خمارها • وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
مورّدة من كف ظبى كأنما • تناولها من خده فادارها

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا • من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى • الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها • كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

يا ابا الفضل ما وفيت بشرطى
لا ولا قمت فى الاخا بضبطى
كنت اهديت لى بزعمك بطا
فلماذا حبست عنى بطى
واراك احتقرت ذاك فهلا
انما ينقض الوضوء بضرط

(آخر)

ابا الفضل لا تشدد يديك على
بطى
ولا تمك من افطى وخطى فى
خبط
ولا تستزدنى ان اشدك
ملامتى
تميتك عن ظما وانت على
الشط

(وله الى ابى الحسن الحيرى)

ليس لك ان تغضب على ولى
نعمتك وهو الاستاذ فان
نشط حضرك وان اراد
هجرك ورأيه فى الامر
أفضل ثم لا يسئل عما
يفعل وأيضا فانه يدعوك
فتقول كنت وكان وهذه
السمة قبيحة فاحضروا الآن

ومن الانسجام المرقص قول البحتري

تخفى الزجاجة لونها فكأنما * في الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متعتب في غير ما متعتب * ان لم يجد جرماً لي تجرما
ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب في سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومي

فالموت ان نظرت وان هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بني طاهر

علوتم علينا علوا النجوم * فجودوا علينا بانوائها

وعدوا من المطرب قول ابي العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله في المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

اهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر
فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبي قوله

واصبح شعرى منهما في مكانة * وفي عنق الحسناء قد يحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لي مما اراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول أبي نصر بن نباتة

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقي

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعيني قد تنغم اغدير

ومن الانسجام المرقص قول أبي العباس الضبي

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول أبي الحسين اللحام

ياسائلي عن خالد عهدي به * رطب العجان وكفه كالجلمد

(وله اليه يعزيه بغلام)

كتابي واني اذا سألت الخاطر فأملا أو امرت القلم فجرى لثيم العهد والاصل فقد عزمت ان اقطعهما من حيث زكت والحمد لله على ما ساء وسر والصلاة على محمد وآله لله ما اغوص الموت على حبات القلوب واعرفه بمودعات الصدور واخلصه الى مكامن الروح والفظه لاناسي العون فانا لله وانا اليه راجعون انا لا اسأل مولاي كيف حاله بعده فاني اعرف بها منه على ان الرشدان ينساه حتى لا يذكره ويسلاه كي لا يكفره وكفاه تسلية عله ان الدهر لا يقصد الا الكريم بمرزائه وهذا على فورة الجوع وقطرات الدموع يصنع بالكاغد ما يصنع وسأراجع نفسي من بعد فأكتب بما يجب والسلام

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول أبي نصر العتبي

الله يعلم أني لست ذا بخل * ولست ملتمسا في البخل لي عللا

لكن طاقة مثلي غير خافية * والذر يعذر في القدر الذي حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبي الفرج بن هند

عابوه لما التحى فقلنا * عبتم وغبتم عن الجمال

هذا غزال ولا عجيب * تولد المسك في الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالي قابوس

وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كأن أيري شمع في رخاوته * فكلما مسه راحتي لانا

ومثله قوله

فاصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى في خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول أبي العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازي الذي لا يوجد في معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشحناء العسقلاني

ومهفهف عاق السقام بطرفه * وسرى نحيم في معاقد خصره

مزقت أثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقي وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامي وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضي الارجاني

وما ينزل الغيث الا لان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية

ولولا نداه خفت نار ذكائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبي عبد الله النقاش البغدادي

(وله ايضا جوابا عن كتاب عتاب)

عرض على من كتابه فصل يقول الدر اذا الم هلم والبحر اذا صح تخبثه وعبد تخدج الآرام منه * وتكرمه القيم الذئاب * وقات وسواس المرض المصيبة وازدياد من الغيبة زيادة في الغيبة وذكر شوقه الى خطى واستراحته الى لفظي ولو صدق ولم يبلغ بذلك الماق انزل الشمل جميعا أولا ب مريعا ولو علم ما في الصدر في هذه الايام من حر الكلام ونفذ في هذه البقاع من طرف الرقاع ثم ملكته هزة الفضل لطوى السير عاجلا والارض راجلا ولا والله لا اسقيه أو يرجع ولا يسمع من ذلك النمط الاشفاها واما الملحي وقصيدته فاهلا به وبما على

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عند ما ينطفي

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادي

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضي الفاضل في وكيله الشريف الكحال

رجل توكل لي وكحلني * فاصبت في عيني وفي عيني

ومثله قوله فيه

عادى بني العباس حتى انه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتي

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله في النهر

صدأ الظلام يزيد رونق حسنه * ارأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخاري وقد دخل عليه مملوك وفي يده قوس

نهاني لما بدا عقرب * على خده أن أروم السفر
فقلت وفي يده قوسه * أسير في القوس حل القمر

ومثله قول ابن اردخل التكريتي

ألين القوام عني أما لو * فقلبي مكسور لتلك الاماله

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق بي شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجري

اني لاعذر في الاراك حمامه الشادي كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجري باسرها * فغدت وفي أعناقها الاطواق

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فيا ظبي هلا كان منك التفاتة * ويا غصن هلا كان منك تعطف
ويا حرم الحسن الذي هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * على فاني اعرف الواو تعطف

وعدوا من المرقص قول محيي الدين بن زبلاق

ماضمنت من سم وسلع
واودعت من جبر وخلع
فان كانت برة لم يعدم
مهرها وهو رضاه وان
كانت ضرة لم يعدم من
يخرج جنسها من قعره
فيقسم بشعره ثم شعره
والسلام

(ولابيه ايه)

الابوة باطلها حق والبنوة
حقها باطل ولو علمت ان
مناظرة الوالد باللجة عقوق
ومجاهرته بالشبهة فسوق
لم تلق بي بابرمن القبول
واحسن من ترك الفضول

(وله أيضا)

ذلك عادة فضل في كل
فصل ولما ايضا سنة مقت
في كل وقت ولعمري ان
ذا الحاجة مقيت الطلعة
ثقيل الوطاة ولكن ليسوا
سواء أولو حاجة يحتاج
اليهم المال واولو حاجة
نحوجهم الآمال والا بر

ومن عجبي أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربي الموصلي في المرقص

انا صب وماء عيني صب * واسير من الضنى في قيود
وشهودي على الهوى ادمع العيـ ـن ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الحلاوي الموصلي

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذاك حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر خميلة * بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الاربلي

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يابعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين بن الحواري

فوالله ما أخرت عنك مدائحي * لامر سوى اني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة * فما ساغ ان أهدي الى مثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبني من الانسجام المرقص قول النجم القمراوي

وحاكمت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردي

اذا ما اشتقت يوما ان اراكم * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لابصركم بشيء مثل عيني

وعدوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمي الحلي وقد كتب الى والده

جننت فعوذني بكتبك انني * شياطين شوق لايفارقن مضجعي
اذا استرقت اسرار وجدي تمردا * بعثت اليها في الدجا شهب أدمعي

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفي

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون رياً في اناء فارغ

أبو تمام عبد السلام بن جعفر المطيع لله امير المؤمنين ان أحوجه الزمان فطالما خدمه وان ابتلاه الله فكثيرا ما اكرمه ونعمه وقديما اوله السرير وعرفه الخورنق والسدير وان نقصه المال فالعرض وافر وان جفاه الملك فالقضاء ظاهر وان ابتلاه الله فليبليكم به فينظر كيف تعملون وانت تقابل مورده عليك من الاعظام بما يستحق ولا تحكم فيه عينيك فانها لا ترى من الناس غير الراس وابدان لا تخطر الا باردان وان قامت هذا العم مولانا على الا نعمة لا تحتمل قسمة وصلة لا تحتمل تفصلة من فرس لا يمكن قطعه نصفين وعبد لا يجوز توزيعه بين اثنين واهل هذا العم تقم على هذا الجرم وان كان نسبني الى محظور

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن السمان

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * و بعد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

و يعجبنى قول الفضل بن شرف فى المرقص

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

ومثله قوله

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة فى المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا
كانه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكاس ترينا آية الصبح والدجا * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان زارها جاء التبسم والبشر
فواعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضى الجليس بن الحباب المصرى

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى * تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
واعجب من ذا أنها فى أكفهم * تاجج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبى اسحق بن خفاجة

ونمت باسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

بروحى وأهلى جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم استطع من ارضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا

وكبته من مسكر شربته اومنكر قربته او قمار لعبته أوعود ضربته اوزردنصبته اوبيت نقبته أوشئ سلبته فقد صبر على هذه الهناة عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أبدالله الامير من انقلاب الزمان الاطلوع الشمس من مغربها والله المستعان وللخادم بهذه الحضرة رتبة يحسدها القاصر عنها ويخافها الفارع لها ويزاحمه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتها مقصود ومن أطرافها محسود والمرء لايخلو من ذنب صغير فيورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يوصل به ذنب صغير فيصير عظيما اوريما شيع الى باب جهنم من لايدخلها وانى لاظهر فى جميع النفاق الا فى النفاق فان لم اخف

قلنا وأين الاقاح قال انا * أودعته ثغر من سقى القدحا

فظل ساقي المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لاتخش مني فاني كالنسيم ضنى * وما النسيم يخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك أو للاكوس

ولئن قضيت انا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة في المجلس

واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله

واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملي عليه وهو في الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت في باب الانسجام الغرامي ولكن لم يظهر من مكررها غير الحلاوة وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فياطيب ما تملي عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقتطف السوداء من لمتي * آخذا مع البيضاء اذ تسرف

فتخلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف

حاقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلمساني

ساروا فيا وحشة الوادي لبعدهم * منهم ولاسيما الاغصان والكثب

ومن الانسجامات المرجزة التي لو أدركها الشريف تطفل على نسيم أبياتها * واعترف ان ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك في مصايد الملوك التي امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهي

اثنى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشي أرداف الكثب

ما بين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك في الاكمام

ان كانت الارض لها ذخائر * فهي لعمري هذه الازاهر

قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم

أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم

وحبذا وادي حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب

أرض الهناء والسناء والمرح * والامن واليمن ورايات الفرح

ذات النواعير سقات الترب * وأمهات عصفه والاب

الله الكبير لم أخف الامير والسلام

(وله يعاتب بعض أصدقائه)

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقتدح في الصدر اقتداح النار في الزند فان أطفئت بارت وتلاشت وان عاشت طارت وطاشت والقطر اذا تدارك على الاناء امتلأ وفاض والعتب اذا ترك فرخ وباض ونحن أولو هذه الصنعة لايطردنا سوط كالجفا ولا يعقلنا شرك كالندا ثم على كل حال تنظر من عال على الكريم نظر ادلال وعلى اللئيم نظر اذلال نحن اقتنا بأنف طويل لقيناه بخرطوم فيل ومن لحظنا بنظر شزر بعناه بثمن نزر وعندي ان الشيخ الرئيس لم يغرسني ليقطعني فناه ولا اشتراني ليبيعني سواه وبحك سلت عليه الغداة فرد جوابا برد مثله على الوكلاء بشطر الايماء واقتصر من

تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فبكاها من الحنين قلب * فكيف لا والماء عليها صب
لله ذاك السفح والوادى الغرد * والماء معسول الرضاب مطرد
يصبو بها الرائى فكيف السامع * ويحمد العاصى فكيف الطائع
اذا نظرت للربا والنهر * فاروعن الربيع اوعن جعفر
محاسنا تلهى العيون والفكر * ربيع روضات وشحر ورصفر
أمام كل منزل بستان * وبين كل قريه ميدان
امارأيت الورق فى الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يا فلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف * فكل اوقات الهنا خريف
كل زمان يقتضى بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ما اذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مزه أحلى الفرص
واخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمى البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار *
قدحمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
فى كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * مما نوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار *
كانها بين المياه نون * أو حاجب بما نشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقه * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما نشير الام * مع أنها مثل الحجار صم
كأنها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واها لها شبه كرات تخطف * شاهدة بالعزم وهى تقذف
حتى نزلنا بمكان موثق * اخوان صدق احدقوا بالملق
فما له فى الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير فى مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل فى منزل كريم * نروى حديث الرمى عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ساهر ليل التمام ساهد

البشاشة على تحريك البشاشة ومن الاقبال على تعويج السبال وعهدى بذلك الرئيس يخرق الى بساطه عدوا ويماطه حبوا فهذا الفاضل أجل من والده القيه ايده الله بوصيه بحسن العشرة مى من بعد فلانبه يوم وللجبروت قوم وما أريد بعد هذا الاعتاب اعتابا ولا عن هذه الرقعة جوابا فانى لا أمكنه بعدها من ان يتهين ولا أسلم عليه حتى يتهين والحمد لله رب العالمين

(وله الى الامير أبى احمد خلف بن احمد)

كتابى أطال الله بقاءه وقد كنت نذرت ان لا اخاطب حضرته ثم روى لى القاضى حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما

كالليث بسطو كفه بأرقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بيناالطيور فى مداهاساهره * اذاهم من عينه بالساهره
واقبلت مواكب الطيور * على طروس الجو كالسطور
فخبذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل تم حق أن نسمى * ضياءه المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد بدا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامه * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه أوزة دكناء * من دونها لقلقة غبراء
تقدمها أنيسة ملونه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجنى بها الآكل خير ماجنى * وأحسن المأكول ما تلونا
وربما مرلديها حبرج * كأنه على نضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغبر الخلق شديد الايدى * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسراه عقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جانها المعترضه * نواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
يحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وأبيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل نورة مبتسما
يحنه سبيطر قوى * معجزة فى الطير وسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه *
هذا وكم ذى نظر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
اسود الاملعة فى الصدر * كأنها نور الهدى فى الكفر
فلم تزل قسينا الضوارى * تصيبها باعين الاوتار *
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على الجبير
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم نسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * فكل وجه منهما وجه أغر
بالك من صيد مقر العين * مرضى العتاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ماوفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه الصباح السافر
ذاك الذى تصبو له الجوارح * فهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح * نعوم فى الاقطار بالسوابح

فقلت انا معنى هذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام والبس لين الثياب ويفاض على نزل ولا يفوض الى شغل ويملأ لى وطب ولا يدفع بى خطب وهذا والله عيش الجائز والزمن العاجز وكنت أيام مقام الامير أرى المسافة بين الرتب قريبه واجدنى أولا كالثانى وثانيا كالاول وأرى الآن ترتيبا جديدا وتفاوتا بعيدا وكنت احسبنى متأخرا اذا تقدم ومتواضعا لو أراد نعظم ومسودا لو زاحم من ساد الملك الوساد وأرانى الآن محوجا الى التأخر ملجأ الى التصغر واعل جرما تصور أو رأيا تغير او اعتقادا اخلف أو ظنا اختلف فان لم يكن شئ مما سردت واوردت فالغلط فى صدر القصة كان وفى عجزها بان وان كان

خيل تحاذى الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لاتتبع * وكيف لاوهى الرياح الاربع
تحفنا من فوقها غلمان * كانهم لد وحنا أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس * كواكبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سهم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يحرف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاده * من كل بازقرم فؤاده
قد كتبت فى صدره حروف * تقرابها تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب قدهمى
بيناتراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أفقه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يد لاتعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لهاضرام واقد * يكاد يشوى مايصيد الصائد
كأنما المخلب منه منجل * لحصد أعمار الطيور مرسل
ياحبذا طيور جد ولعب * تهوى الى الارض وللافق تثب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خلف الرزق ليس يهله * كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير جن يصرع
كم جلبت لطائر من وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذاك لعمرى حدب للرائى * يعدل ملك القامة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الحله * اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بناب ماضى
كانه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسايل الجفون * خط كخط الالفات الجون
ماأبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى سلوق * أهرت وثاب الخطا ممشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * ياعجبا منه لطاو ناشر *
يعض بالبيض ويخطو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى

كذا فبالله ما أرضى ولو صارت السماء أرضا ولا أريد ولو انقطع الوريد وانى لاستحى من الله ان ارى لى المثل الادنى وفى القوس منزع أنا وان لم أكن بالعراق أمير البصرة وبخارا زعيم الحضرة فما ازعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى وانما الحوم حول المراد ولو ان ما اسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
لا يكثر الامير على من خلعه وصلاته فوالله لو علمت ان قصارى امرى سجستان النهـ وضياعها اقتنيها وعلمانها اشتريها واموالها اتسع فيها ولا مطمع فى زيادة بعد لاثرت الزهد على الطاب الرأس ايد الله الامير كثير الخبوط والضيف كثير

كالقوس الا أنه كالسهم * والغيم يجلو عن شهاب الرجم
اذا تراءى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ فى الثور طلع
قاصرة عن يده عيناه * مشروطة برجله أذناه
يشفعه كل عزيز عارى * مغالب الصيد على الاوكار
وأهالها من أكاب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
قد بالغت من طمع فى كسبها * ففتشت عن أنفس لم تخبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا اصيدها الطيور
ما بين روضات مددنا نحوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو سطا الحجاج * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة سرعى * مجموعة على التراب جمعا
على الربا من دمها خلوق * كان كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحه * واستبقت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها اسناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العقر على نفوسها * فالطير لا شك على رؤسها
وللكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من غير لسانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق * ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الاجال * شد وصى السوء فى الاموال
لا يهمل القصد ولا يخون * كأن كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الارنب * حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما مرت ظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عثير * تخاط من قرونها بالابر
فابتدرت اجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سانح نفور * كأنه بعض شهود الزور
كان اقطار الفلاة مجزره * أو روضة من الدماء مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
لله ذاك المنظر المهنا * أى معاد عن ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر ايدينا * وقد شكرنا فضل ما حبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد

التخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه وكانى بالامير يقول اذا قرئت هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الانعام ما لم يره فى المنام فكيف من الانام ولعله انشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر عن طريق الشكر وكانه نسى مورده الذى أشبه مولده وانما رفع لحنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذانى لو زلت بجلدته برقص تحت رعدته ما تربع فى قعدته ولا تجشأ من معدته ولكنه حين لبس الحلة وركب البغلة وملك الخيل والخول غنى الدول ورأس اللئيم يحتمل الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقى يحمل عدلين من الفحم ولا يحمل رطلين من الشحم ولولا الشعير

يا حبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب * فاغترت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلي * قلت نعم وجده علي
ذاك الذي سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة سماح الديم * يأخذ بالسيف ويعطي بالقلم
لو اس الصخر افاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لا ظلم يلفى في حماه العالي * الا على العداة والاموال
اما ترى الدينار منه خائفا * أصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر في سنائه وعمه * والطود في وقاره وحلمه
مرأى يشف عن نجار أصل * ونسخة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم في جنابه * ان لا تكون الشهب من أطنابه
جناب عز جاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غذيت في ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر * أروى أحاديث عطاء عن جابر
يزداد لفظي بهجة ورونقا * كأنه الجسر اذا تعتقا
ان لم أرم ذا الحمى العالي فمن * ينصرني على تصاريف الزمن
يا ناصر الدين دعاء مادح * ما بين روضات السطور صادح
حسبك مثلي في الانام شاعرا * وحسب شعري قوة ونادرا

ومن الاراجيز المرتجلة التي سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردي سقى الله ثراه التي ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين أبو الفداء اسمعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة في أيام القاضي نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في الصفة المعروفة بالشبالك في جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود فحضر يوما كتابة مشترى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ ارمه والي أكتبه نظما أو نثرا فازداد استهزاؤهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ما صورته

باسم الاله الخالق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع * عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي * وحائز الرومي حد المشرق

فانفقت الجبر ولولم يتسع حاله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع وهذا المقترح من دعاه ولولم يكن عقباما تدحرج ذكرت هذه الكلمات لعلم الاميراني لم انسها ومع تصورهذه الجملة أغار على لحظاته وأواخذ الامير بحركاته وسكناته وارى انه سعد مني بأكثر مما سعدت منه وانف ان يقال بما الهمذاني حيث ساواه ويقاس على هذا ما عداه اللهم الا انا كون ضيفا كالاضياف يقيم اليوم ويرحل غدا فلا أنافس احدا والامير ايده الله ياخذ هذا المعنى فيكسوه لفظا لين المأخذ سهل المقطع ويرقيه الى سمعه ويجيب عبده في الحال بما عنده والسلام

ومن شمال ملك أولاد على * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بأنها قطعة بنت الروى
بيعا صحيحا لازما شرعيا * ثم شراء قاطعا مرعيا *
بثمن مبلغه من فضه * وازنة جيدة مبيضه *
جارية للناس فى المعامله * ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منها خاليه
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا فلا احد ذا ملق *
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذا الذى * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره * من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربى * على النبى وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يسد عن احد منا برسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد الصحيح أحمد * ابن رسول وبذلك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطى قوله من قصيدة تائية

اخذت بابل عنه * بعض تلك النفثات
فهو غصن فى انعطاف * وغزال فى التفات
حسنات الدمنه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فوالا * قلت ان الحسنات
ولو الحظ صارت * حسناتى سيآتى
اعشق الشامات منه * وهى أسباب مماتى

ويعجبنى قوله منها

* بابى لحظ غزال * قال فى الخلوات
ان للموت باقدا * م جفونى سكرات
قلت قدمت غراما * قال لى مت بحياتى

ومنها

قلت اذحرك عودا * عارفا بالنغمات
انت مفتاح سرورى * باسعيد الحركات

ومن انسجاماته الغرامية المرجزة التى تقدمنى فيها الشيخ جمال الدين بن نباته والشيخ زين الدين بن الوردى قصيدته الدالية التى كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضى فخر الدين

(وله الى الشيخ الوزير أبى العباس الاسفرايينى جواب كتابه)
كتابى أطال الله بقاء الشيخ السيد من هراة غرة شهر ربيع الاول عن سلامة والشيخ الجليل يسحب اذيالها ويلبس ظلالها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين نعت الحكماء أيد الله الشيخ السيد عن صحبة الملوك وقالوا ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم اذلوك فانهم يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا ويعتقدونها ثارا وانهم ليراوحون بجهد الخدمة ويغادون بلطيف التهمة ولا يقيمون لهم وزنا وقالوا كن مع الملوك

ابن مكانس وولده القاضى مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهى

مالمعت بارقة من نجد * الاوهزتنى رعود وجدى
ولاسرت سحابة مغدقة * الاوكان مثاها فى خدى
فيا رعى الله زمانا بالحمى * فان لى فيه بقايا عهد
ويا ربى مصر مراضع الحيا * يرضعك الغيث بذاك المهد
كم ليلة قضيتها والنجم الـشجوزاء فوق صدرها كالعقد
والارض قد حاكت برود وشيها * بحار فى صفاتها ابن برد
وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كانى فى جنان الخلد
وهند ماتخطر فى برودها * الا أمالت عذبات الرند
مصرية لكن يمانى لحظها * منتسب فى فتكه للهند
آهاله من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه فى الحد
عبد مناف جدها وانما * قلبى لها قد صار عبد ود
يالامير النحل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد
* وثغرها يقول فى نظامه * يابنت أبكار اللآلى بعدى
وشعرها الطائل قد قلت له * أنت انا نابغة باجعدى
* وريقها قال النباتى أنا * وخدها قال انا ابن الوردى
والغصن حاكى قدها قالت له * ماأنت ياغصن الرياض قدى
ياقدها وردفها لولا كما * ماشنفت بانات الكثيب الفرد
سألتها صرفت عن ناظرى * وكافت قلبى بطول النقد
قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد قعدت عن طلاب الجد

لعمرى ان الشرح قد طال فى نوع الانسجام ولكن مااستطردت بخيوله الا الى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى فى هل أتى وسبا * وفضله ظاهر فى نون والقلم

انسجام الشيخ صفى الدين فى بيته ظاهر والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدى ويخبرنا عن سالف الامم

بيت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوى والذى يظهر لى منه أنه أشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدى ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعى فى مدائحه * بالله شنف بها ياطيب الكلم

ولقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبولها للاشتغال انتهى

مكانك من الشمس انها لتؤذيك والسماء لها مدار والارض لها مدار فكيف لو أسفت قليلا ودنت يسيرا وان العاقل ليطلب منها مزيدبعد فيتحذر بالوادا منها وهربا ويبتغى نفقا فرارا منها وفرقا وكما ضربوا الشمس للملوك مثلا كذلك جعلوا البحر عنهم بدلا فقالوا جاور ملكا أو بحرا وأحور راكب البحر أن لا يسلم ولم يرض الشيخ السيد أن يكون ملك الانام حتى يكون ملك الكلام فالرأى أن نريم والصواب أن لانقيم وورد له أيد الله عزه كتاب بضرط الاتن وبعرق الآباط كالقنفذ من أى النواحى أتيته وكالحلك على أى جنب طرحته فرحم الله أبا النصر قال له يوما انك لسى الرغبة مريع الملالة فقال عافاك الله هذه غيبة وهى فى الوجه غريبة وانما يغتاب المرء

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى • فى غير تفصيل مدح صحت يا ندمى)

التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة فى نظمه وقد نبهت قبله على عدة انواع سافلة ولكن المعارضة اوجبت الشروع فى نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتى الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف فى التوطئة الملائمة والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره فى مصنفاتهم غير أن الشيخ صفى الدين الحلى اورده فى بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته فى بديعيته

صلى عليه اله العرش ما طلعت • شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له فى قصيدة قافية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح أم ياقوته الشفق • بدت فهيجت الورقاء فى الورق

والبيت الذى أتى بصدره منها واثبته فى بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ما طلعت • شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذى أدب • اوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا فى قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوان وجه رضائى غير منتقب • ما سرقابى بلوغى غاية الارب

الذى جعل صدره عجزا وابتداء على حاله فى بديعيته لاجل نوع التفصيل

كسوتنى حللا بين الانام بها • تفصيل مدحك تجميل لذى أدب

هذا البيت كان تفصيل حلاه كاملا فى موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا فى بديعيته ظهر فى تفصيله نقص بقوله مع الغقادة فى العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا دخلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى • فى غير تفصيل مدح صحت يا ندمى

فصدر هذا البيت تقدم لى فى قصيدة فائية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا • يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

والبيت الذى نقلت صدره منها واثبته فى بديعيتى وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى • ولم أهاجر اليه صحت يا أسفا

وهذه القصيدة من غرر قصائدى بل من غرر القصائد منها

مزاج خمرة فيه جاء معتدلا • فراح منه مزاج الراح منحرفا

ومذ غدا جسمه ماء برقته • علمت والله ان القلب منه صفا

منه الغزالة غارت عينها حسدا • والبدر قد لازم التسهيد والكلفا

والظبى قال انا احكى لواحظه • فصح عندى أن الظبى قد خرفا

من وراء ظهره لا فى وجهه وكما ان اللئيم لا يعرى من خلة خير كذلك الكريم لا يخلو من فعلة سوء فما هذه الشناعة ولا الناقة عقرت ولا بالله كفرت وما به أيده الله كتبى ان ترد ورسلى ان تصل ولكنه أراد امتحان طبعه فى الكتابة واختبار تصرفه فى البلاغة واعتبار قلم الحاق على رؤس الحاكة ويجرب السيف على الكلاب لا على القلب وقد لعمرى طبق العظام وهتك الحجاب ولم يكن سيف أبى رغوان ولم ينب بيدى ورقاء والجهل أجمل وأنا الى الجهل أحوج وهو أيده الله بالجميل أخلق والجميل به أليق أما الكتاب فلفظه فصيح ومعناه صحيح وأوله بآخره رهين وآخره لاوله قرين وبينهما ماء معين وحور عين وما شاء الله وعين

ومنها

مذ صار لى قبلة محراب حاجبه * صيرت عابد طرفى فيه معتكفا
ولام فيه عذولى قلت من كلفى * قلبى رأى منه قدا فى الهوى الفا
ماضره لو عفا عنى وأظهر لى * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا
اراد منى وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفى

لم استطرد الى ذكر هذه الابيات هنا الا لان نوع التفصيل ليحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه الى أكثر من ذلك

(ذكر النوادر)

(نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم)

هذا النوع أعنى النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتى الشاعر بمعنى يستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأى قدامة فى هذا النوع فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا اقرب اليه من اختيار قدامة وأبلغ واوقع فى النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور ليس بغريب فى بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبتذل معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضى الفاضل أنفت نفسه من المثابرة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

تراءى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى الا على أكمه لا يعرف القمر وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى ويعجبنى فى باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كأنما قلب معن ملء فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفى الدين فى شرحه أن النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يبعد من نوع النوادر بل من انواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من انواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظى والذى قرره قدامة وغيره فى هذا النوع أن الغرابة تكون فى المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

نوادر من جنانى كالجنان زهت * أم هل بدت واضحات الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفى الدين الحلى مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما أشبهه بالبيت الذى أخبر عنه الحريرى فى مقاماته وقال انه أخرج

السوء مصروفة وبيض ما يفرخن وفراخ ما ينهضن ونواهض ما يطرن وطير ما يبضن وقرت عين الوزارة وزهرت نار الدولة ورويت زناد الآمال وانى على اعجابى بتلك الفصول وتعجبى منها الشديد الحنق عليها والقلق فيها وخلة أخرى وهى أنى مفتون بكلامى معجب بصوب أقلامى وذوب أفكارى فلا أزنه الا بمقدار فيه اعتقادى ويميل اليه كفؤادى وينظر اليه بعين رأسى واذا بلغ الشيخ أيده الله من الفضل مبلغه خرج على ان لا أصله به وأواصله والسلام

(وله الى وزير الرى)

كتابى وأنا أدام الله عز الوزير المكين على بينة من أمرى وبصيرة من دينى لا أقول بعلوم أصحاب النجوم فكما أعلم ان اكثرها زرق وريح ارى ان بعضها حق وصحيح وكان انا أنيس.

من التابوت • واوهن من بيت العنكبوت • وماذاك الا انى كررت النظر فى اركان هذا البيت
فلم أجد فيه مقرا لنادرة من النوادر التى تقدم تقريرها فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته
قال ان جنانى ظهر منه محاسن مدهشة أم بدت محاسن ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها
فى البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهى بشهادة
الله عبارته بنصها والذى أعده من النوادر ابراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت فى بديعيته
ورضاه به وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله
عليه وسلم

نوادر المدح فى أوصافه انشقت • منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم

النادرة فى معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر
الشعراء من استعماله فى تحمل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه ينشق منه عرف الاحبة
اذا هب من نحوهم والنادرة التى أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما انشقت عرف مدح
النبى صلى الله عليه وسلم وتعرفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بل نكتة لم أسبق اليها
فان النسيم أحق باشتراك هذه النوربة من غيره لان الشمم لائق به وهذا الذى أشار اليه ابن
أبى الاصبع فى أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب فى بابه فيغربه بزيادة
لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا
قول أبى نواس

هبت لنا ريح شمالية • متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا • عرفتها من بين أصحابى

قوله عرفتها من بين أصحابى نادرة لم نسبق اليها وقد جاراه مجير الدين الخياط فى بديع هذا
النوع ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يانسيم الصبا الولوع بوجدى • حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله • متى عهده باطلال نجد

بين ولقد رابنى شذاك فى بيت مجير الدين وبين عرفتها من بين أصحابى معرك ذوقى مايدركه
الا من صفت مرآة ذوقه فى علم الادب ولعمرى ان النادرتين يتجمل بهما هذا النوع ومثله
قول القائل ويعجبنى الى الغاية

ويد الشمال عشية مذ أرعشت • دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول • فبدا الغمامة صححته بنقطها

النوادر فى هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات فى غرابة المعانى
المبتذلة ومثله ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فكنت • بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيربين عشية • وأتتك وهى بليلة الاذيال

ويعجبنى فى هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد

مسكية الانفاس على الصبا • عنها حديثنا قط لم يعال

لايؤمن بالصبح ايمانه بالنجوم
قرئ عليه ان الله يأمر بالعدل
والاحسان فقال ان رضى
الحسان والافال الفضل
حرس الله نعمتهم وأدامها
رحاط دولتهم وايامها كيف
خفى عليهم مكانى وخبرهم
أنبت اسنانى ومالهم انبت
اسلامى فكيف لم يطالبونى
طلب الرقيق الآبق ويربطونى
ربط الجواد السابق
وانما يحبس البازى ولو ترك
والاقطار لطار ولم ار مثلى علق
ضنة يرمى به من حالق ولكن
رب حسناء طالق وقيل
للحسن فلان لاياكل الرطب
ولا يشتهى الفالوذج فقال
رب ملوم لاذنب له واعلها
الصرفة التى يكفر بها قوم
ونحن بها مؤمنون ان سليمان
ابن داود عليهما السلام على
ما أوتى من بسطة ملك وباع
ويد فى الفتوح صناع وخطب

جننت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

وألطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب فى هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر
بشرت باللقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قمرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببغداد من دوبيت

مذ صار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت نسمات الثغر باردة * بدا بأعضاء ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت رخيصه غاليا وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير اليه أكثر أهل الادب استعماله فى تغزلهم ونسيبهم ولكن استعارة النسمات البادرة للثغر وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله أعلم

(ذكر المبالغة)

(بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم)

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا أيضا برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والرد الذى رده النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا فخر لك ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان أو أربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا
وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(المبالغة)

فى الخطوب وساع وامر فى الثقلين مطاع وربع غدوها شهر ورواحها شهر وادراك كلام النملة وليس لها جهر صرف عن بلقيس وملكها سنين وهى مجاورته فى سبا اليمن حتى هداه الهدهد ولا عجب ان يصرف الشيخ الوزير ايده الله عنى وانا احد مواليه وغرس اياديه ولو شاء لسمى أبى زيدا وسمانى اسامة ولو شاء غيره لقلنا لولا كرامة وما تأخرت كتبى عن حضرته كفرانا لنعمته لكن اعظاما لحشمته ولولا امر من خادمه والذى اقام الله عزه وتعيين فرض اضطرنى اليه لرأيت الجرى على عادتى بابا من ابواب ادب الخدمة لكنه لا رخصة فى العقوق من الخالق والمخلوق فكاتبت الحضرة العالية متنجزا ما سأل من الكتب والوزير

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع ولم يفز الناظم الى التفخيم عليها الا العجز وقصور همته عن اختراع المعانى المبتكرة لانها فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعانى الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا ربما أنهم أحالت المعانى فاخرجتها عن حد الكلام الممكن الى حد الامتناع والمبالغة تعاب فى بابها اذا خرجت عن حد الامكان الى الاستحالة وأتى الكلام على حدها فى موضعه والذى اقوله ان المبالغة من محاسن انواع البديع ولم يستطرد فى حلبات سبقها الا فحول هذه الصناعة ولولا سمو رتبتها ما وردت فى القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن اكثر الناس رغبوا فى تسمية قدامة لخدمتها وهذا النوع اعنى المبالغة شركه قوم مع الاغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر والمبالغة فى الاصطلاح هى افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة والاغراق وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتى الكلام على كل واحد من الثلاثة فى موضعه وقد تقرر اولا أن المبالغة نوعها مبنى على وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه وحد قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون ابلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبى

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر بالغ فيه الى أقصى ما يمكن من وصف الشئ وتوصل الى أكثر ما يقدر عليه فتعاطاه ولخص بعضهم عبارة الحد الذى حده قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمى مبالغة وقال ابن رشيق فى العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن فى وصف الشئ قلت وعلى هذا التقرير يخل القصد فى المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح فيها انها ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حده بحيث يزول الالتباس ويجىء من أمثلة المبالغة فى المديح قول القائل

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى فى بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب فى قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى وصف جواد

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ فى مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

السيد جدير بالفضل قدير عليه وانا موضع لفقير اليه وورائى وأمامى من خوالى واعمامى من مواقف خدمته مشهورة ومقاماته مشكورة وبى وبهم حاجة الى فضل عونه وماعونه فان سعدوا بحظ من جميل رأيه فآل بدار عشيرتى الادنون وبعدهم ناس صلاحهم بصلاح هؤلاء مربوط وانم الشفيع السلطان الاعظم حرس الله ملكه والشيخ الجليل اعز الله نصره والعلم الذى رفع الله قدره والعمر الذى انفقناه على خدمته والشيب الذى لبسناه فى جملته ورأى الوزير فى ذلك موفق ان شاء الله

(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر فى معنى السدق)

نحن اطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم

السدق بالسين ليلة الوقود وبالصاد لحن اه مجد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله وما فوق شكري للشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره في عجزه مع قدرته بأن قال في البيت الثاني ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السائر حيث قال ولكن ما لا يستطاع شديد ومن هنا قال أبو نواس

لا تسدين الي عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن معجز المبالغة في القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فجعل كل واحد منهم أشد مبالغة في معناه وأتم صفة وجاء من المبالغة في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقوله في بقية هذا الحديث والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففي الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه واخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى والعبد باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها اعملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة في تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذي هو أعطر الطيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك وأتى بصيغة أفعل للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك للمبالغة وهذا النوع اعني المبالغة ممكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ في وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولي من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فردا لفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولي سار جيش وزدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه واعظم اقولي عرمرم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفي الدين في الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو ابلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان في بديعيتهم

يم نبيا تباري الريح أنمله * والمزن من كل هامي الودق مرتكم

المجمع عليه أن المبالغة في الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ في مبالغة العميان ان الريح والمزن كان يجب كل منهما ان يتطفل على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم في المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

امدح وجز كل حد في مبالغة * حقا ولا تطر تقبيل غيرهم

اردنا بالفضل ما احاطت به الجلود ولم تسكران تكون امة أحسن من العرب ملابس وانعم منها مطاعم واكثر خاتم وابسط ممالك واحسن مساكن ولكنا نقول العرب اوفى واوفر واوقى واوقر وانكى وانكر واعلى واعلم وأحلى واحلم واقوى وأقوم وابلى وابلغ وانجى وانجع واحمى واسمح واعطى واعطف والطف والطف واحصى واحصف

هذا

هذا البيت لم ينتظم فى سلك ماقبله من ابيات المديح النبوى ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة ولم يظهر لى فى بيته غفر الله له الاوصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطرى فيقبل وما احقه هنا بقول القائل

تمنيتم بالرقمتين ودارهم * بوادى الغضى يابعد ما أتمناه

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت فى شطر البيت الاول بقولى بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو ابلغ منها قولى والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هى ديباجة المبالغتين على هذه الصيغة والله اعلم

(ذكر الاغراق)

(لو شاء اغراق من ناواه مد له * فى البر بحرا بموج فيه ملتطم)

قد تقرر فى نوع المبالغة أنها افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعنى الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلو وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة وقل من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلو نوع واحد وهنا لم يعمل بقول الحريرى

سامح أخاك اذا خلط

وكل من الاغراق والغلو لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما اشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شئ من الاغراق والغلو فى الكتاب العزيز ولا فى الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله فى باب الامكان مثل كاد ولو وما يجرى مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا يستحيل فى العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا الا تقريبه بكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذى صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم او مجدهم قعدوا

فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذى اظهر بهجة شمسها فى باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التى تنورها من اذرعات كانت بيثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد فى باب الاغراق لانهم قالوا لا يمتنع عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره من عظم جرم النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها فى فكرى فلا يكون فى البيت اغراق ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى صباه

وأنفى وآنق ولا ينكر ذلك الاوقح وقح ولا يجحده الاغفل نغر وانما قوم الله تعالى ملك العجم ابتهج عليها وانما آخر ملك العرب لبتهج بها وما ملكت العجم حتى تواصات وما ملكت العرب الاحين تصاولت وما تواصات العجم الا يأسا من نفوسها ولا تصاولت العرب الالمانى رؤسها ولا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف وان قبلة أقرت هذه العرب لها أنها جرتها لجاع اخلاق شريفة ونظام أحلام رزينة ومصاب ايام مذ كورة ومصب مساع مشكورة وان امرأ سادهذه الجرة اطلاع الجد وغنى بما اولى من خيره عن التزين بحلى غيره وحقيق أن يشر شعار حبائه ويميت شعار اعدائه ان عدد الوفود اعد افك وان شعار النار لشعار

(الاغراق)

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقالوا هذا لا يمتنع عقلا ان ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص فى النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمرى ان الشيخ شرف الدين بن الفارض نسج خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفائس العقود حيث قال

كانى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى

قلت اذا قابلنا نحول المتنبى بهلال الشك الذى ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبى أننى رجل لولا مخاطبتى بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى بيته كانى هلال الشك لولا تأوهى لابد أن يقابله الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهى من ثقل لولا مخاطبتى فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد سمتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت ما برح طائر فكرى يحوم على ورود هذا المعنى الذى حصلت فيه الموارده على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بأنين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدتى التى عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبى أرخ وانثنى * وذلك الطرس فوق الرأس محمول
وقد تجاوز جسمى حد كل ضنى * وها أنا اليوم فى الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة ما استعملت فى الاغراق الا لنقله من الامتناع الى الامكان وهذا الذى أوردته بغير أداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلو التى يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن ما بى من جوى وصبابة * على جمل لم يبق فى النار كافر

يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل انحل حتى يدخل فى سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية فى الاغراق واورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربى الاندلسى فى شرحه الذى كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى على هذا البيت حكاية لطيفة وهى أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولى من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو فى قبضتى أدخل عليه فى دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال فى ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل فى سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولى ها هو قد كفر بالشك فى قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان فى القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس ها هو قد

شرك وما أنزل الله بالصدق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا ونماصب الله سيوف العرب على فروق العجم لما كره من أديانها ومخط من نيرانها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم حين مقت فعالهم وان انصف الشيخ الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها اعيادا ضاحكة المباسم ظاهرة المواسم فلا وقدت نار المجوس والله ما أقول ذلك الا غيرة على نعمته وشفقة على خطته انى اجد الله تعالى مقت من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى فالنار أولى بان يمقت شارعها وهى معبوده وانما جعل الله تعالى النار تذكرة ومتاعا ولم يجعلها ودا ولا سواعا ولم يضرب الله تعالى لها عيدا ولم يجعلنا لها عبيدا الله والنبى والعيد

(الفلو)

عرفني قبل رؤيتي فلما خرج قال له ابليس هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط وقال له انسلخ في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الاغراق

في معرك لا تثير الخيل عثيره * مما تروّى المواضي تربه بدم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع ابرزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغي أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أتوا فيه بأداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا في مطالعها * خرت حياء وأبدت رز محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مدّ له * في البر بحرا بموج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبي صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق في مدحه والله اعلم

(ذكر الغلو)

(بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يجنل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها في الرتبة وهو في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما فانه الافراط في وصف الشيء بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة التي يدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبي العلاء المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سلّ * تجدّ الى رقابهم انسلالا

ويعجبني هنا قول ابن حمديس الصقلي في وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

العربي والتكبير الجهير وتلك الجماهير والملائكة بعد ذلك ظهير والرحمة صوبا وصبا والبركات فيضا وفضا والجنة وصراطها والنجاة واشراطها والموسم الطاهر من اقوال الحديث ذلك لاما مرع الشيطان لاواليانه نار لديهم تشب ولعنة عليهم نصب وخزة متاعها قليل وفي الآخرة خمارها طويل هذا هو البعد وذلك هو الضلال البعيد انهم ايشبون نارا هي موعدهم والنار في الدنيا عبدهم والله الى النار يعيدهم ان اليهود لعلى اثرة من الكتاب وان حرفوه وان النصارى اعلى ارث من الصواب وان نصرنوه وان ابعد الامم ضلالا الهند المجوس وان مقبل الشيطان اثلاث الرؤس فمن لم يابس مع

(الغلو)

ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول ابي الطيب المتنبي في ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا * فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهي أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشي عليه عنقا الامكن والعنق هو المشي السريع وانعقاد الغبار في الهوا حتى يمكن المشي عليه مستحيل عقلا وعادة الا انه تخيل حسن مقبول وقد وقع للقاضي الارجاني جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب وهما ماجرى بهما مجرى كاد والتخيل الحسن وذلك قوله

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجا * وشدت باهدابي اليهن أجفاني

فقوله يخيل لي هو الجاري مجرى كاد فانه جعل الامر توهما لاحقيقة واما التخيل الحسن فهو ماذكر من تسمير الشهب وشد أجفانه اليها بأهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى ما في هذا من التخيل الحسن واما الغلو الذي هو غير مقبول فكقول ابي نواس

فلما شرب بناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفي

مخافة ان يسطو علي شعاعها * فيطلع ندماني على سري الخفي

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا يظهر لنديمه ما في باطنه لا يمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لا يمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول أبي نواس

واخفت اهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا الذي قاله ابو نواس ايضا امر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهي النطف التي لم تخلق لا يمكن عقلا ولا عادة ومن الطف ما يحكى هنا ان العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له اما تستحي من الله بقولك واخفت اهل الشرك البيت فقال له ابو نواس وانت ايضا ما استحيت من الله بقولك

مازلت في غمرات الموت مطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

فقال العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك اعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لي فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

ومثل هذا ايضا لا يقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤل بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذي ادعى فيه ابتلي بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

اليهود غبارهم ولم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشب مع المجوس نارهم هدى ولو شهد المسلمون السبت ما شهدوه الا منسوخا محظورا وحجرا محجورا ولو علقوا الصليب ما علقوه الا كذبا وزورا ونكرا منكورا ولبست النار بكرو لا فوق انما هو الكفر النصيح والشرك الصريح والدين تحمله الريح ولا يستريح ان المجوسية حلوة خضراء وأدا البنات ونيك الامهات واشرب وهات وملح الترهات وان هذا الدين لذو تبعات الصوم والفطام شديد والحج والمرام بعيد والصلاة والنوم لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد والصبر الحامض والعفاف اليابس والجد الخشن والصدق المر والحق الثقيل

ولوجى المقدار عنه مهجة * لرامها او تستبيح ما حمى

تغدو المنايا طائعات امره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

ومثله قول ابى الطيب

كأنى دحوت الارض من خبرتى بها * كأنى بنى الاسكندر السد من عزمى

هذا أيضا من الغلو الذى يؤدى الى سخافة العقل مع ما فيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة وأقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر

غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر

مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو نظم غيره قبول لاوردت كثيرا من نظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كأبي نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وابى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل ادبه بقوله فى موشحه الذى أوله

دارت على الدوح سلاف القطر

وذلك قوله فى ممدوحه

لو قابل الاعمى غدا بصيرا * ولو رأى ميتا غدا منشورا

ولو يشا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا

آمنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى اشار اليه فى موشحه بقوله

ولو أتاه الليل مستجيرا * آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر ان الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد ان الله ارسله * الى الورى نطف الانسان فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا تمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بيكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نعمات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

والكظم وفى الالفة العظم والناس رجلان موثق يوعظ فيقبل ويغنم ومخذول تأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم والسلام

(وله اليه أيضا)

قد بعث الى الشيخ اطال الله بقاءه باصل مال مجونه وأصاف ان شاء الله عن فروعه فاما القسمة الواقعة الان فلو كان حمارى لنفثت على بطنه التبن ونقلت على ظهره اللبن افأؤدى عنه الغرامة لا ولا كرامة انا والله لا أربط فى الاصطبل مثل ذلك الطبل انى لانفس بالعذار على ذلك الحمار من ذلك النور حتى يحتمل منه الجور الموت ولا هذا الصوت والمنية ولا هذه الدنيه والسلام

(وله اليه ايضا)

خلق الله الخيرات وجعل

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوى وغلوّها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها يكاد أحرز قصبات السبق ولا اقول كادوهذا البيت عندى مقدم على بيت الشيخ صفى الدين و بيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعى مورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بلاغلوّ الى السبع الطباق سرى * وعادوا الليل لم يحفل بصحبهم

هذا الغلو يرخص عنده بانتظامه فى سلك المدائح النبوية كل غلوّ فانه لو كان فى غير النبى صلى الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله من نسبته الى غيره فانه ا تؤدى الى الكفر المحض وحصره فى النبى صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولى عند نظم هذا النوع بلاغلو يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية فنرجو الله أن تشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديد له بالمعنيين بدا * تأتلف فى العطا والدين للعظم)

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول فى الاصطلاح هو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران احدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرنه بالملائم واستشهدوا عليه بقول ابى الطيب المتنبى

فالعرب منه مع الكدرىّ طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدرى مع العرب لانه يلائمهم بنزوله فى السهل من الارض وينفر من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا زاد به العطش وقل الماء فى البر ومناسبة الحجل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل فى المواضع المعروفة بالشجر والضرب الثانى هو ان يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن بهما ما لاقترانه مزية واستشهدوا على هذا الضرب الثانى بقول أبى الطيب المتنبى ايضا

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كانك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الالامرين احدهما ان قوله كانك فى جفن الردى وهو نائم تمثيل السلامة فى مقام العطب ولهذا قرر له الوقوف والبقاء فى موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقررا لثباته فى حال هزيمة الابطال والثانى ان فى تأخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف ومرور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمرى ان الضرب الثانى من ائتلاف المعنى مع المعنى ابدع من الضرب الاول واوقع فى القلوب واقرب الى مواقع الذوق وعليه نظمت بيت بديعيتى و يأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثانى ايضاحا وترشح قصد المتنبى فى ترتيبه الذى تقدم عليه الكلام حكى ان سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك كما انتقد على امرئ القيس فى قوله

(ائتلاف المعنى مع المعنى)

الدين مناطها وجمع المجازى وجعل الالحاد رباطها وكل طائفة تفتخر بالله بزعمها وتدينه ببلغ علمها تقول اليهود نحن أبناء الله وخاصته وورثة اسرائيله وتدعى النصارى انهم اصفوة جبله وحملة انجيله والصابئة تفتخر بجبريله وتقول بميكائيله والمجوس على اثر من سبيله واثرة من قيله ونحن بحمد الله حملة تنزيله والعلماء بتأويله وأبو منصور الكروجى لا يهودى يشهد سبته ولا نصرانى أعرف نفسه ولا مجوسى يعبد جبته ولا مسلم يحموس انه فيما بلغنى ينيك بنته ولا يغسل استه فالى أى دين أخاصمه والى أى مذهب أحاكمه وأنا الى رأى الشيخ الرئيس ومعونته فقير وهو بهما الى جدير والسلام

(وله الى ابى محمد بن حاتم)

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد إجفال

فقال المتنبي أيها الأمير إن صح أن البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرئ القيس وعلي فإن امرأ القيس أحب أن يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد وهو الأول وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فإنه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس في تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الإنسان إليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين للبس والشبع قلت وأما جواب المتنبي عن قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من أنواع البديع العالية وقد تقدم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرار القول بأن المراد من بيت البديعية أن يكون شاهدا على نوعه وإن لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وحجب إيضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ذو معنيين بصحب والعدا ائتلفا * للخلف ما أشهب البازي كالرخم

قلت إن هذين المعنيين لشدة المعاندة أتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك والله أعلم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف في العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولي إن بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني لكونه أبدع وأوقع في الذوق من الضرب الأول وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائم فيه قرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية فسهولة النبي صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم قرنتها بالدين لعظمه فأكرم بها ملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك في قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقولي في القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين في غاية التمكين والله أعلم

(ذكر نفي الشيء بإيجابه)

لا ينتفي الخير من إيجابه أبدا * ولا يشين العطايا المن والسأم

نفي الشيء بإيجابه هو أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فإن ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء والمراد نفي الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون

أبو الفضل رحم الله شبابه وأحسن مآبه وأجزل ثوابه وأبقى أباه وجبر مصابه فنبر إلى سفتجة من سفاتج الآخرة يجعلها بينه وبين النار حجازا ويصطحبها جوازا وينفقها على الصراط ليجد جوازا ويقدمها إلى عطيه مفازا وأظن فلانا مكينا بإيصالها ثقة في احتمالها ولا شك أن الشيخ لا ينقص على ذلك الفرط الصالح والولد الفاتح بما يعلم حاجته إليه ولكأني به يقول وما معنى الفاتح ومعناه أن رجلا كان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ولد عليه عقيصتان فجاء يوما وحده فقال النبي صلى الله عليه ما فعل ذو العقيصتين فبكى الرجل وقال إن الله استأثر به فقال عليه السلام ألا يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا رأيت ابنك يفتحه

(نفي الشيء بإيجابه)

الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفي الالحاف في المسألة والباطن نفي المسألة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا هو الحد الذي قرره ابن رشيق في العمدة فانه قال نفي الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بارض خلاء لا يسد وصيدها * على ومعروفي بها غير منكر

فاثبت لها في الظاهر وصيدا ومراده في الباطن أن ليس لها وصيد ويسد والطف ما رأيت من شواهد هذا النوع اعني نفي الشئ بايجابه قول مسلم بن الوليد

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفي الطيب والكحل مطلقا ومثله قول ابي الطيب المتنبي

افدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب

ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات والمراد في باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذو الرمة

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولا الى تطرية بدخول الحمام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع اعني نفي الشئ بايجابه يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لا يهدم المن منه عمر مكرمة * ولا يسوء اذاه نفس متهم

فظاهر الكلام في بيت الشيخ صفي الدين الحلي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولا يصدر منه انفس متهم اساءة والمراد في الباطن نفي المن والاساءة مطلقا فان مقام النبي صلى الله عليه وسلم في الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين غفر الله له يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع تواردوا في حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفي الشئ بايجابه هو أن يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته وأوردوا على ذلك ما تقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التي زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لي في بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمعة استضئ بها في ظلمة هذه العقادة الى تقرير هذا النوع في البيت المذكور فلم يسعني غير النظر في شرحه فوجدته قد قال ما نفي الذم بايجاب المديح كريم الا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذي فعل هذا الفعل المحمود فانه هو الاصل في الاسباب الكريمة جميعها فما علمت ما مراده في النظم ولا في الشرح ولا اين استقر نفي الشئ بايجابه والله أعلم وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي

لك وما قصدت بهذه الرقعة اعظم من قضاء حق ذلك الفاضل رحمه الله وارجو ها تقع من وفاق الشيخ موقعها ان شاء الله تعالى

(وله الى الفقيه اسمعيل ابن ابراهيم المقري)

هل اطال الله بقاء الفقيه نقضى حق بن عظمين لم ارض لنفسي فيما سواه عندي بلا وان نشطلم أبلغ به بدي بلا حرمتان أولاهما وأولاهما حرمة الغصن المخضر والورق المخضر والكمال المختصر والشباب المبتصر والاخرى حرمة العلم العاطل والحق في معرض الباطل

صلى الله عليه وسلم

لا ينتفى الخير من اجابه ابدا * ولا يشين العطايا المن والسأم

الذى أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغنى عن التطويل فى شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحقه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

(ذكر الايغال)

(للجود فى السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم)

هذا النوع مأخوذ من ايغال السير فانه يقال اوغل فى السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة ولهذا قلت للجود فى السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائدا وكل منهما فكان المتكلم او الشاعر قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه وبلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافيته فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الذى بعده حيث قال

اظن التى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زائدا ولو لم يأت بها لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتى الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا ويفيده معنى زائدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكاد أن ينتظم كل منهما فى سلك الآخر ولكن رأيت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه فما فشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن أحسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا قلت ولعمرى لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم اراد وهو أعلم اتمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكى عن الاصمعى انه سئل من اشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا وينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعانى وهو امرؤ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

الايغال

والدين فى اسر الفقر والنعمة فى يد الدهر اهل الله يسهل سعيه للاول فوزا أو نجاة وللآخر بضاعة مزجاة ويصون وجهه عن الابتذال ان اجرهما العظيم وقد طويت هذه الرقعة عليهما فليوصلها وليتجشم وليتكلم عليهما بما يعلم

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الفاضل الامام اتباعا الرضاه ونزولا حيث يراه والاصل فى هذه المخاطبات ان الله تعالى جعل تعظيم النبوة فرضا فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا الما ختمت الرسالة وجاءت الامامة ردت اليها الكرامة فقيل لابى بكر يا خليفة رسول الله فجعل الله الخلافة شعار

ومثله قول زهير كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى في قوله الذي لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب ما فيهما من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى في كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى في قوله لم يحطم فيهما نكتة بديعية غريبة وانا اذكرها تنبيها على ما قرره الاصمعي وما ذاك الا ان زهيرا شبه ما فتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد أن يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز في ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوي

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بأن قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها افادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة في حسن الجد والذي وقع اتفاق البديعيين عليه أن اعظم ما وقع في هذا الباب وابلغ قول الخنساء اخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به أئمة الناس وهذا تتميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا ويعجبني من أمثلة هذا النوع في شعر المتأخرين قول الباخرزي من قصيد

انا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

ومثله قول الآخر

تعجبت من ضنى جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأن مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفي الدين في غير مستتر وغير مكتتم والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

اضحت اعاديه في الاقطار طائرة * واوغلت في الهوى خوف امع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله له في شرحه ان الايغال الذي افاد في بيته معنى زائدا بعد تمامه قوله خوف امع العصم وذكر ان العصم هي الجوارح من الطيور التي تفرخ في العوالي والله أعلم وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

للجود في السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

فمعنى بيتي انتهى الى قولي عنه صلى الله عليه وسلم حبا الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لي من زيادة المعنى ما اقام قواعد بيتي وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله أعلم

(ذكر التهذيب والتأديب)

آل أبي قحافة لم يدع بها غير صاحبهم ثم استخلف أبو بكر عمر فقال رجل يا خليفة الله قال خالف الله بك ذاك نبي الله داود ثم قال يا خليفة رسول الله قال ذاك صاحبكم المفقود ثم قال يا خليفة خليفة رسول الله فقال اني لكما تقول ولكن هذا الامر يطول قال افتسميك قال لا نحن المؤمنون وانا أميركم فقيل الامام وامير المؤمنين ولعمري العالم أولى بكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خليفة زماننا هذا ان العام ليجدد رسومه ويدرس علومه

قوله العصم هي جمع اعصم وفي القاموس الاعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو في احدهما بياض وسائرها أسود أو احمر انتهى المراد منه فما ذكره الشيخ عز الدين في تفسيرها غير صواب اه

التهذيب والتأديب

(تهذيب تاديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منتظم)

نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهدا يخصه لانه وصف به كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن ترداد النظر فى الكلام بعد عمله والشروع فى تهذيبه وتنقيحه نظما كان أو نثرا وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغى حذفه واصلاح ما يتعين اصلاحه وكشف ما يشكل من غريبه واغرابه وتحرير ما يدق من معانيه واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه لتشرق شموس التهذيب فى سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منعوتا بالمنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها اولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم اولو تم هذا النقص بكذا أولو تكمل هذا الوصف بكذا أولو حذفت هذه اللفظة اولو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام احسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم فى سلك نوع التهذيب والتأديب وكان زهير بن ابى سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم القصيدة فى أربعة اشهر ويهذبها وينقحها فى اربعة اشهر ويعرضها على علماء قبيلته اربعة اشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة فى شهر وينقحها ويهذبها فى احد عشر شهرا ولا جرم انه قلما يسقط منه شئ ولهذا كان الامام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته فى العلم وتقدمه فى النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما احسن ما اشار ابو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتأليف منبسطا وما قدموا وسط الليل فى التأليف على السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة الا لما يكون فيه من انتباه اكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدون ذلك ينقسم الفكر ويشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن ابى عبادة البحترى الشاعر قال كنت فى حداثتى اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان اول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة فى الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شئ أو حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم واذا شرعت فى التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه * واجتهد فى ايضاح معانيه *

وينقش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه وان الخلفة لا يألوه خلافا ولا يألونا بجزافا جاءنا رجل يصحب السرير ويسحب الحرير ويفرش الحصير ويخوض العبير يخالف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير ويعرورى البعير ويركب الحمير ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويؤاكل الاسير فرق بينهما بعيد هذا وان لم يحسن العشرة ولم يجمل الرأى والنية وفيم علك الامامة وهذا الحسن البصرى يتعظ به البدرى ويستفيد منه العقبى وتقول عائشة كانه اذا تكلم النبى قال له رجل ما يقول الفقيه فقال له فاها الفك سفيها وهل رأت عيناك بعد الصحابة فقيها وما أجد للشيخ مثلا الا صاحب النسور والنشور والحديث على بعده مقول والخبر على ضعفه منقول وعلى الراوى عهدة الخبر وضمان درك الاثر وخفارة الحديث حتى يبلغ مأمنه من القلوب وينزل منزله من القبول ان النسور سمت

فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا * والمعنى رشيقا * واكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجع الكآبة * وقلق الاشواق * ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمائم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه ورغب فى مكارمه * واحذر المجهول من المعانى واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه والالفاظ الوحشيه * وناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام * وكن كانك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية ابى تمام * واورد العلامة زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه اوردها ايضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو اللائق بالحال واولها ينبغى لك ايها الراغب فى العمل السائل عن اوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع فى النظم والقوافى قبل الابيات قلت وهذا مذهبنا ثم قال ابن ابى الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروى مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت وا كتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت وندت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه فقد قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زمانا كما روى عن الفرزدق انه قال لقد يمر على زمان وقلع ضرس من اضراسى اهون على من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعانى وتقصير الالفاظ وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه اخذا باعناق بعض وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما نظمته الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر انتهى قلت وهذا لعمرى هو المراد من النوع الذى نحن فى شرحه اعنى نوع التهذيب والتاديب لا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * ابو امه حى أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك واما التقديم والتأخير فى قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسلوك طريق التعقيد فى قوله ابو امه ابوه وكان يجزيه قوله جده وهذا لعمرى هو التعقيد الذى بينه وبين التهذيب والتأديب الذى قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولى ان البديعيين اجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات فى هذا النوع اعنى التهذيب

بتابوته صعدا الى السماء حتى نظر فانكر الجبال ثم نظر فانكر الارض ثم نظر فلم ير شيا كذلك الشيخ الامام قد سمت به الهمة الى حيث ينظر فلا يرى احدا فليتطامن الى الغمام ان لم يتواضع الى الانام ولم وهو بحمد الله ان ذكر الشرف كان بذروته أو الدين تمسك بعروته او العلم احتبى بعقوته او الجود تعلق بحبوته فليت شعرى بمن هذى فضائله ماذا الذى يبلغ النجم ينتظر

(وله الى الفقيه الداوردى أبى القاسم)

الخل اطال الله بقاء الفقيه قبيح وهو بالسرقين أقبح والجبن بذمة وحشى الجشر ابدع ومن الغرائب ان يبخل البشر بما يسلح الجشر وكانوا بالبخل على الطيب يعذلون وأراهم فى كل عام يرذلون ووردت رقعة وكيلى يزعم أن وكيله

والتأديب ولكن رأيت العلامة زكي الدين بن أبي الاصبع قد استحسن من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضي السعيد بن سنا الملك

تغنى عليها ايم اطر بابها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لولم تقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها في البيت من الرونق مالا يحسن بدونها وكان البيت خاليا من التهذيب فان بوجودها حصل في بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب فانه لوقال

زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

لظهر قلق القافية وتمكين تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن أبي الاصبع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو النبي الذي آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

قد تكرر قولي انني لم اكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هديه الزاكي ولم يرم

وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تهذيب تاديبه قد زاده عظما * في مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة أنواع من انواع البديع اولها النوع الذي هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع في موضعه ولكن في نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن مايغني عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

(بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم)

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوي وسماه السكاكي مقلوب الكل وعرفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع اعني مالا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما في حالتي النثر والنظم وجاء منه في الكتاب العزيز (كل في فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذي رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريري في مقاماته (ساكب كاس) وزاد في العمدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد في العمدة ايضا فقال (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) قلت هذا الكلام الذي زاد الحريري في عدة كلماته صحيح التركيب في طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق واصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق المقادة وذكروا أن العلامة

منعه روث الوادي فلا أدري أي الوكيلين ألأم أصاحب الغوث أم صاحب الروث وأيهما انتن وانتن من السرقين منعه واخبث من منعه رفده

فان يكن شجر الاترج طاب معا
اصلا وفرعا وطاب العود والورق
فان قدر عسيب الكاب خس معا
قدرا وقدرا وخس اللعم والمرق

(وله الى أبي الحسين الحميري)

انت ادام الله عزك طرفك جاف ولطفك خاف فاما عتابك فجنون محض وسباب صرف ولاعلمك ان لا تعاتب احدا ولاتكاتبني ابدا واذا نسبت لي محلة فلا نسبن لك الصاقب وكيف ترى السهى عينك ولاترى النجم

ذكر مالا يستحيل بالانعكاس

القاضى فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله برحمته ورضوانه وصل فى تركيب هذا النوع الى أكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على شئ من ذلك وانما مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه أخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضى فتح الدين المشار اليه فى هذا النوع قبل تيمورلنك وذكر أنه فى غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان او نظما غير كثرة العدد والمبرز فيه هو الذى يأتى به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا فى حلل الانسجام ومن استوعب هذه الشروط فى كلام منثور مولانا قاضى القضاة شرف الدين شيخ الاسلام ابن البارزى الجهنى الشافعى نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس) ومن الغايات ايضا فى هذا النوع قول العماد الكاتب وقد مر عليه القاضى الفاضل راكبا (سر فلا كبا بك الفرس) فاجابه الفاضل على الفور وقد علم القصد (دام علا العماد) وقال الحريرى فى المقامات ان أحببت ان تنظم * فقل للذى تعظم

اس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم ايضا لا يخفى انه يتجافى عن الرقة بغليظ لفظه ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع فى النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

ومنها أراهن نادمنه ايل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذى وقع عليه الاجماع أن أبلغ الشواهد على هذا النوع الذى استوعب ناظمه فيه الشروط التى تقدم ذكرها قول القاضى الارجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذى نسجت أبيات البديعيات على منواله (أرانا الاله هلالا أنارا) وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

هل من يثم بحب من يثم له * بما رموه كمن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفى الدين الحلى غفر الله له غير مشكور فى نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يأت به الا فى الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس تستوعب جزأ كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشئ من ذلك جاء بيته فى غاية العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لى فيه لمعة أهتدى بها الى فهم معناه وأعجب من ذلك ان البيت مبنى على مديح النبى صلى الله عليه وسلم والبيت الذى قبله

من مثله وذراع الشاة كلمه * عن سمه بلسان صادق الرنم

والبيت الذى بعده

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبى ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين

الناقب آخبرنى عن رجل من اخوانك بيته مكة ابيانك ومونه خير من حيانك ان لم تزنك صحبته لم تشنك وان لم ينلك لم يستفد منك غبت عنه شهورا فلم تكاتبه ولم يواتبك حتى اذا ابتدأك عائدا بخلقه على خرقك انشأت تشتم عرضه كيف لم يبلغ فضل كتابه اليك فسخفت عقله وخبثت اصله ونسبت الى اللؤم عهده يا ابا الحسين للئيم عهد من كتب فصلا وكريم عهد من لم يكتب اصلا والله لو بلغت المبلغ الذى انت اليوم دونه وكنت الرجل الذى تطمع أن تكونه لكفاك من التيه بعض ما انت فيه فاما الآن والحال من الضعف بحال والايام كأنها ليال والقفا كالوجه بال والكيس

الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس فى محبته * مدن أخاطم معط أخاندم

قال الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى بعذرهنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذى استوعب جزأ كبيرا من بيته وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب فى انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته علما أن فى انصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الادب ما يغنى عن ذلك والله أعلم

(ذكر التورية)

(أوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدى وعقد لسانى بعد ذا وفى)

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى فى التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهى فى الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمى هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابى العلاء المعرى

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفى الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به فى تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق فى السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة اضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها فى السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالى هو الرفيق ويؤم بها دارا غيرالمطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية فى هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة الفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعنى التورية ما تنبه لمحاسنه الامن تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمرى انهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من بابه فان التورية من أعلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ويفتح بها ابواب عطف

التورية

مثل الرأى خال والعم فى السوق عال والقدر طيف خيال فأغنى ما انت عنه ما انت فيه وأحوج ما انت اليه ما لست تحوم حواليه والسلام

(وله الى رجل سأل مسكرا وتقاضاه فى يوم مطير)

عافاك الله العاقل ان وافا ابو على جمل البريد من المضرب البعيد فى الخطب الشديد يوما هذا لم تستقبل جمازته وان مات لم تشهد جنازته وحل الى الركب ومطر كانوا ء القرب ورجل ظاهر النفاق يلتمس منه الشراب وهو لا يعرف قربه فكيف شربه على انك الى السكر احوج منك الى السكر الاترى كيف من الله تعالى على

ومحبة وما ابرز شموسها من غيوم النقد الا كل ضامر مهزول * ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول * ومما يؤيد قولي هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى في ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يقرع هضبته قارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من تنحو البلاغة نحوه في الخطاب * وتجري ريحها بأمره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل في مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن أنتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال المنام طائرا حتى يقص فاذا قص وقع ففي الكلام توريتان لفظة طائر ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون في لفظة وقع تورية ثالثة ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهديني أراد ابو بكر رضي الله عنه هاديا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان اول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب المتنبي بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسي وانت يماني

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يماني فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم في معلقته عن الخمرة

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا في سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شربا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولي انه المراد قول الجوهري في الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشيء فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا

باموالنا

البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف اتنم والماء سلطانك والطين حيطانك اسكن والطين جدرانك والانهار جيرانك ألا تنظر هذا المطر أمطر عمارة أم مطر خراب وسقيا رحمة ام سقيا عذاب (وله في تهنئة فتح الجانب ببلخ وهذا آخر كتاب أنشأه ومات يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة) * كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد من هراة عن سلامة وصنع الله جميل وسلطانه عزيز وكيده متين والحمد لله رب العالمين

بأمو انما كقول عنترة

وإذا سكرت فإنني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحص هو الزعفران على احد الاقوال وهو الذي شبه صفرتها به فان قيل سخا مضارعه يسخو وبسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعيلا على هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة أنه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف ايضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام وورى بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

آراد بالحمل على الدهم تقييدهم وأوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا بزمن طويل قال ابو نواس

فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام امتحنت بيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة وبعضهم لم أجد له اليها الفتنة وقال البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد في قوله تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورى به ويحتمل ان يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورى عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله ملية بالحسن واما ابو العلاء فانه أتى في التورية بلامة خفية الايماء شديدة العقادة والتكاثف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جاءت لمعنى اردته * برتني اسماء لهن وافعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابي الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين أخي الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين أخي الام والظن ومراده الظن قلت زحوف هذا البيت ايضا لا تخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول الشيخ تقي الدين السبروجي

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهي شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنه عمها

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عزالدين الموصلي

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالي
قالت قفوا واستمعوا ما جرى * قد هام عمي الشيخ من خالي

والصلاة على محمد وآله اجمعين وهذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انصف القاره ومحا السيف ما قال ابن داره ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحكم بعدها بالملك لقد كاس السلطان اعزالله نصره اذ عفرالله شعره وعرض على الله فقره وقوض الى الله أمره ونذر لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا حوله ولم يشغل بخيوله وخيوله بذلك شد الله آزره وقوى أسره واعز نصره وأقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه انما الظفر بأسبابه والموفق يأتي الامر من بابه والمخالفون ادام الله تمكين الشيخ الجليل وان ما كلوا الحديد واضوه ومروا الى الموت وخاضوه وبلغوا العذر وجاوزوه

قلت ولهذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها *
ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كؤوسها * وقيل ان الفاضل هو الذي عصر سلافة
التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع منها في نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى
كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وانزل الناس بعد تمهيدها بساحات ارحابها * وممن
شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم في سلكه بفرائد دره * القاضي السعيد ابن سنا
الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان
جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة في عقد جمانها * كالسراج الوراق وابي
الحسين الجزار والنصير الحمامي وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال
والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض
الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشأم جماعة تأخر عصرهم * وتأزر نصرهم *
ولان في هذا النوع هصرهم * وبعد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى * لو كانت له شعرا *
و يتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا
الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها في الآفاق و بين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد *
كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين
يوسف بن لؤلؤ الذهبي ومحيي الدين بن قرناص الحموي وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف
الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين في اواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة
يحضرني ذكرهم عند شعرهم * ويعز علي اذ لم ارهم على تكاثرهم افوات عصرهم * وتلطف
بقوله بعد ذلك ولا تقل ايها الواقف على هذا التأليف لقد افرطت في التعصب لاهل مصر
والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن
جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام في التورية لا غير * ومن هنا تنقطع المادة في السير
* ومن ادعى انه يأتي بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والاستقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ
صلاح الدين الصفدي قلت قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من
العين * وسموها في البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها
شحيحة * وافكارهم لا تقصد نظامها وان كانت سليمة صحيحة * لكنها ربما وقعت لهم عفوا
من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من الفاضل الى
من فضل بعدهم نوروا شكائلها * والمتفكهون في ادواح الادب بثمراتها * فاذا جليت
عرائس افكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل * اللهم الا ان يكون
سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرائس لم تبرز لمتأمل
الا من خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتأمل
طرفه وامسى في كل واد من محاسنها يهيم * وتنوعت حلاوات انواعها لذوقه السليم *
جردت سيف العزم وافقت لكل نوع حدا * ونظمت له من انواع التورية واقسامها في سلك
هذا النوع عقدا * فان الشيخ صفي الدين الحلي لم يذكر في شرح بديعيته نوعا من انواع
التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذي أجمع الناس عليه وقال هي أن يأتي

المتكلم

وجهدوا القتال وصدقوا
المصاع واشبهوا السباع
فقد حكم الله لهم بالفشولة
بعد الهزيمة وطرق اليهم
الذم والشتيمة فهؤلاء
الاشقياء الذين هم فراش
النار وقماش الدار وأوباش
الفرار وخشاش الارض
وعاق السيف وحشرات
الصيف وانيف السيل
على ضعيف الخيل
لا يلزمون دارهم ولا يعرفون
مقدارهم أولا يرون أنهم
يفتنون في كل عام مرة
او مرتين لا صبر في القتال
ولا نوم في الرحال رعدة
فوقها صلف وراء عدة
تحتها قصف يا ابناء الاماء
ورعاء الشاء وحلب اللقاء
وغثاء الماء وجمع الغوغاء
والقواعد من النساء
الا يذهب احدكم شانه الا
يلزم رجل قطع لسانه الا
يقف عند حده مالتاج

المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقسميها والمبينة وقسميها والمهيأة وأقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله وأما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيئا واذا أردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية شرعت في الكلام على أنواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * ويصير لديباجة هذا النوع تفصيل * وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غريبه * تعين نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا لا نطا

ومثله قوله

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله

وكنت وكنا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خراف اشط في لجة البحر (ى)

ومثله قوله

عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذا في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه

وأهل النتاج ألى الموت يعبرون ام للرؤيا يعبرون انه الجلاد ثم البلاد ما كنتم لا يحطمنكم سليمان وجنوده كتب الله لاغلبن السلطان ورائك ان السيف أمامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ارضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغازي قد عادت مخازي الا رب راكض نادم ورب سوط ظالم ورب عثور الى ثبور ورب طمع اهدى الى طبع وان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى النفوس دماءها وعلى السنة ذماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ للناس نشأ جديدا وعقد الآن عقدا طريفا فالخلق يوم الفتح بان يتخذ عيدا

ومنه قوله أيضا

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك ان يكون جميلا

ومنه قوله وأجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعداء قلت له * كالفراش على نيرانه يثب
فان ثوب الذى عادا كم كفن * كما بيوت الذى عاصا كم ترب
بلغتوهم مناهم فى ترفعهم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون فى الجفون لكم * فانها لقراب البغى ترتقب

ومن نثره فى هذا الباب قوله فى يوم شديد المطر والبرد * والخادم فى رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * و يصافح الرياح عاصفة قبل أن تقتسمها الانفاس * و يتلقى الرعد بالرعدة * واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضى السعيد ابن سنا الملك فمن نظمه فى هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

ومنه قوله أيضا

وفى الحى من صيرتها نصب خاطرى * فما آذنت فى نازل الشوق بالرفع
تتيه بفرع منه أصل بليتى * ولم أر أصلا قط يسعى الى فرع

ومنه قوله

ليس الادمعى الذى من رأى جفنى رآه كان دمعى هدبى
أنجم الدمع لا تغيب شروقا * مع انى رأيتها فى الغرب

ومنه قوله

صفاتك فى كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبى وهوان صحفوا بصبى
حرست الحشا من ناظريك بصارم * فكسر ذا الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس فى هذا الباب قوله

وفى القلب تصديع وفى الوصل جبره * وفى الخد دينار وفى الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سنا الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفنى معى * قلت ألفا وكسورا

ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته الى ان ظهر بعده السراج فلاعبها بنور مشكاته وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيرا وساعدتهم صنائعهم والقابهم فى نظم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك

ويجعل فى المسرات تاريخا وليس العقد مع الله بالشروطة فأوفوا الله عهده كما صدقكم وعده واما عهده عند السلطان اعز الله نصره أن يحسن النظر وعند الشيخ أن يحسن المحضر وهواه من البلاد شيعة هذه الدولة وعيناها فان حط عن جلتها القلادة وفك عن عشيرتها الزيادة فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره وللشيخ الجليل فى تشريف العبد بالجواب الفضل والعلو إن شاء الله تعالى

(وله فى قتل ابى عثمان رحمه الله)

كنت اطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام بهجته ورجحه الدنيا به ورفعته ورفعة الدين بمكانه وحرس مهجته وقدم المهج عنها وكبت اعداءه آمين وانا ماعهد

وصناعته الذهب أصف شعره فمن ذلك قوله

شعريتي مذ رمدت قد حبست * طرفي عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زاد بي شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضياء وأجاد

أمولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وما يغني السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما أنا سائر في ليل خطب * تساوى الصبح فيه والمساء
فلا أنا مثل ما أدعى سراج * ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فألبسني الشيب هجر الشبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فاطفأ نوري نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راح لي أملي وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راج
ولولا أنت لم ترفع مناري * ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ما علينا ضوء وقد أبطأ الشمع فقوض به خيام الدياجي
وتدارك بيتا لبيه ظلام * لم يكد ينجلي بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين بيليك وبدر الدين آقسنقر

لما رأيت الشمس والبدر معا * قد أنجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله في هذا الباب

بني اقتدى بالكتاب العزيز * وراح لبري سعيا ولاجا
فما قال لي اف مذ كان لي * لكوني ابا ولكوني سراجا

ومنه قوله أقول في يوم شتاء له * من سحبه ما خاف النيلا
خرجت من بيتي سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبي حسين الجزار في عيد الأضحى

اجبت بعيد النحر من كان سائلي * عن الحال في عيدي وقدم ذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

ومنه قوله

الهي لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا قالوا السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وما ساءني أن السراج منور

الله من نعمته ويقيه من دولته قوى الظهر مستظهر على الدهر والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبي وآله والشهادة أدام الله عز الشيخ الجليل عنيمة لا يدركها كل غازانا اريدها وآخر يتفيدها وزيد بعشقها وعمرو يرزقها ويتعرض لها ابو الفضل من همذان وتعرض على الحاكم ابي عثمان قتل والله كما تقتل الكلاب وشق بطنه كما يشق الجراب وهريق دمه كما يهراق الشراب وقطع رأسه كما تقطف الاعناب وقصد القصاب آمنا الابصاب باضيعة الدنيا وضيعة أهلها والملين وضيعة الاسلام والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل وتسامح

ومن اظرف ماوقع له في هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد في نظمه النحورا
فهأنا شاعر سراج * فاقطع لساني ازدك نورا

ومثله قوله

اثني على الانام أني * لم أهج خلقا ولا هجاني
فقال لاخير في سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة في مدحهم أتعبوا ذهني
يريدونني رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير نصير الدين الحمامي وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكي * ابل شوقي واحيي ميت اشعاري
وأنثني خائبا مما أؤمله * وانت في روضة والقلب في نار

فكتب اليه السراج

الآن نزهتني في روضة عبقت * انفاسها بين ازهار واثمار
اسكرتني بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فن فينا السراج ومن * اولى بأن قال ان القلب في نار

وقال النصير يوما للسراج الوراق قد عملت قصيدة في الصاحب تاج الدين واشتهي ان تثني عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما انشدت بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها

شاقني للنصير شعر بديع * ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت اهرب وهي تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستي استر * حنا الاسراج ولا مناره

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضا فقرطس اذ رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يجيبني * ياليت شعري من هو الوراق

ومثله قوله

باخجلتي وصحائفي سود غدت * وصحائف الابرار في اشراق
وموبخ لي في القيامة قال لي * اكذا تكون صحائف الوراق

ومن لطائفه في غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * اهموم نفسك ليث لاحملتها

الشيخ الجليل وناهل ان
الله بالاتصاف لي وان الله
على الانتقام لقوي والمحنة
أدام الله عز الشيخ الجليل
في ذهاب ذلك العالم المسلم
دون المحنة في بقاء هذا
الظالم المظلم ولئن ساغ لهذا
الفاسق ما فعل ليرخص
بحجم المسلم وليراق دم العالم
والصبر ن كل سكين منشور
ولا بد ثم لبئس من الخرق على
الراقع ولبس دم المسلم وبسير
عند ربه ولزوال الدنيا
على الله أهون من صب به
أليس الله تعالى يقول من
قتل نفسا بغير نفس أو
فساد في الارض فكأنما
قتل الناس جميعا
ومن أحياها فكأنما أحيا
الناس جميعا وانا عبد
بالله هذه الدولة من ان توصم
بتعطيل الحدود أو توسم
باهدار الدماء وعسى الله
ان يوفق الشيخ الجليل

قد كان عندك يافلان صريعة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء
فلو ان الكتاب كان بايديهم محوا منه آية الشعراء

وله فى المعنى وأجاد

يابنى الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال فى بحر المنى * وحات منا فأين الرؤساء

وقال فى المعنى

أصون اديم وجهى عن أناس * لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

ومن لطائفه قوله

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال نعمينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله

اتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل فى ذقنه والنفوس * تعاف المفتلة الباردة

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى عزلة * فالصنع موجود مع الراحه

وانشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجنا

لاتعجبن من لباسى * فكل أمرى لبس
والله ماثم مال * وانما ثم نفس

فاجابه على الفور

صدقت ماثم مال * وانما ثم نحس
وثم اخرى وأخرى * فيها وعندك حدس

ومنه قوله

ومعمومات روض باكرتنا * بطيب شذا ولا طيب العروس
فقمت بها يلين لها فقالت * يحق لك القيام على الرؤس

ومنه قوله

واحق اضافنا بقبله * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل ادبا من نعله * قد مد فى وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل منى وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى
يقول لى اذ كنت فى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا

لتدارك هذا الامر ان ذلك على الله يسير وقد جعل الله هذه الدولة مثابة للناس وليس الاسلام بجمال ظفر من صاحب بدعة أو كفر ما أدام الله نضارتها وأدام الائمة طلب الكفار بعد الاسفار وورد على خادم الشيخ الجليل كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسيار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب وأن أعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصرة من السلطان المعظم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا أنهما يجدانني بالحضرة فاكون لهما لسانا وتجزا الى كتابا يعلمانى ولو امكننى النهوض لاحتذيته لهما واذا لم ينهض قدمى فقد استناب قلمى والشيخ الجليل يرى عالى رأيه فى تقريبهما النصرة الله

هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلى بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدى فما اهتز من * قولى ونادى الناس كم تتعب
فقلت أرجو زبدة قيل لى * فاتك أين اللبن الطيب

ومن لطائفه أيضا قوله

كان أبرا صار سبرا * بالطم الاكساس سخره
كيف لا ينفرن عنى * وهى شيب ودره

ومنه قوله

فسرلى عابر مناما * فصل فى قوله واجل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لا أطمع من براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات
قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومن نكته البديعة فى مدائحه قوله

رأيت قطوف عفوك دانيات * فنحن على المدى نجنى ونجنى
وكم بات المسىء قرير عين * وبيناك ان حلت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا فتحت وعدك واعد أملى بما * يرجوه من ظفر ومن نجح
اذ قال أين الجود قلت أجيبه * مع أين مبنى على الفتح

ومنه قوله

ومجمل بالمال قلت اعمله * يندى وظنى فيه ظن مخلف
جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فأجابنى لكنه لا يصرف

وكتبت فى هذا المعنى الى المولى الحاج شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبى بدمشق المحروسة وقد مطلنى فى صرف دنانير احتجت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره
وأنا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض أصحابه يطلب كتابا

لك فى المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقوالك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه فى شخص اسمه عرفات

أطنبوا فى عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات
ثم قالوا لى هل وافقتنا * قلت عندى وقفة فى عرفات

ومن اغزاله قوله

وفاتك يجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

والاصفاء المنوبة ان شاء الله تعالى

(وله اليه)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه وتمكينه وحرس دنياه ودينه وبسط بالخيرات يمينه وجعل التوفيق قرينه والقضاء معينة من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله قد خدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمواكلة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقت بين

خاف على خديه من لحاظه * فبات فى عذاره مزردا

ومنه قوله وهو فى غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يلى * يوما الىّ فقلت من الم الجوى
لم لا تميل الىّ يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد واله * قدمات عنه نعيش أنت صباحه
والحسائل أدمعى لحرمتى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقف * ومالها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله

وانا ساق جواد كفه * وكفت بالراح سحابعد سحب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لا غرو ساق فوق كعب

ومنه قوله

يا ساكنا قلبى على انه * يوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها يا فرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم * وحظى منها حين أسالها الصدا

ومنه قوله

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يعمد بأوتاد

بديه والقيام والصلاة ثم بكاء عنان وأثنيت عليه والثناء من الله عز وجل بكل لسان واخلصت له والاخلاص محمود من كل انسان وان كنت لا احبه محبة والدى وولدى فانا ابن زانية وزان ولى مع الله الثان افبعد هذه الحرمات انا اطعمة فلان وفلان يتناولانى سبعا فى ثمان

واوقدت وجنتاها النار لا لقرى * لكن لأفئدة مناوأ كباد
فلو بدت لحسان الحضر قبلها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هنا هو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى حسن التورية قوله موريا فى صناعته

الا قل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
ترجيهم بنو كلب * وتخشاهم بنو عجل

ومثله قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله

أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف مارائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله

أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشا فاذنبى
خلا فؤادى وفى فمى وسخ * كاننى فى جزارتى كلبى

وظريف قوله

كيف لا أشكر الجزارة ماعشـ * ـت حفاظا وارفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيـ * ـنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقلبه أيضا وقال

لاتعبنى بصنعة القصاب * فهى أذكى من عنبر الآداب
كان فضلى على الكلاب فذصر * ت اديبا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله

معشر ما جاءهم مسترفد * راح الاوهو منهم معسر
انا جزاروهم من بقر * ماراونى قط الانفروا

وقال متهكما على المتنبى

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الحروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامى موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يدارى من لايداريه

محن الزمان كثيرة لاتنقضى
وسرورها يأتيك فى الاحيان
والله ما كتبت هذا الكتاب
حتى رأيت جارى يرهب
وجاريتى تهرب ومالى
يذهب وضياعى تنهب
وأكارى يضرب ووكيلى
يطلب وان الكلمة بمرآة
مختلفة جدا كالضد لايلائم
ضدا فاذا صير الى خدين
كان احدهما خدا امرد
والآخر صدغا اسود
زعموا ان الشيخ الجليل

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

فاجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف

والعبد مذ صار في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته في يوم فرح

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خول *

أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدي منه قطرا

ابا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا

لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

لجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صباي

والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وتلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبني من تغزلات أبي الحسين الجزار قوله

تكاد بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف

وقام يهذي فيك العذار * فاجرى دموعي لما وقف

ومنها قوله

حمت خدها والثغر عن حائم شج * له أمل في مورد ومورّد

وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فأعرب عن تفصيل نحو المبرّد

ومن لطائف مجونه في التورية قوله

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها في الدجا * ما جسرت تبصرها الجن

كأنها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن

* وقائل قال ما سنها * فقلت ما في فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت ابا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فقال لي الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فانشدني لنفسه وكتبت عنه

من منصفي من معشر * كثروا عليّ وأكثروا

صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر

كالخط يسهل في الطرو * س ومحوه يتعذر

واذا أردت كشطته * لكن ذلك يؤثر

ومما شرح الصدور وقوّ القلب من قول الحمامي

وكدرت حمامي بغيبتك التي * تكدر فيها العيش من كل مشرب

نظر لجيرانك فنحن نستدرك ذلك وقات ما احتاط الشيخ الجليل في سكة احتياطه في شكتي ولا تعرف حال محله تعرفه حال محلاتي واقد بعث اليها من عدها حجرة حجرة وعلم من يسكنها ما كان اجرة واستكشف حرفة كل واحد فاثبت على داره شيأ عداره فان كان نظرلي كما تزعمون فلم تخالفونه ولي نعمتكم وانتم صنائعه

فما كان صدر الحوض منشرحا بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله

لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * واكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الوراق على يد مليح واسانه

عبدك يا مولاى وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك نهم أنه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من اغنى الورى * وطائرا بالفرح
الخمر عندى ذهب * أكاله بالقدح

وقوله

أقول للكاس اذ تبدى * بكف احوى اغن احور
اخربت بيتى وبيت غيرى * واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائفه فى تغزلاته قوله

مازال يسقينى زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظننى حيا رويت بريقه * فاذا دعا قلبى يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وتذوى عليه بالسيف فقال

ادعو السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت لماء جاوبنى الصدى

ومن لطائفه فى مداعباته قوله

رأيت شخصا آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محبا لها * قلت من الايمان حب الوطن

وممن انتظم فى سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وجودت مع فقرى وشيخوختى التى * بها اليوم نومى عن جفونى مشرد
* فلا يدعى غيرى مقامى فاننى * انا ذلك الشيخ الفقير المجرد *

ومن نكتها العربية فى التورية قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله

اقول لنوبة الحمى اتركينى * ولا يك منك لى ماعشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لا شئ لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من حجره * قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

ولم تهدمون بناء دور افعه
وتفرقون شملا هو جامعه
واقد حدثت بها رسوم
غيرت فى وجه ما تقدم
واستؤنف ظلم يقطر الدم
لا اصبح الاعلى باب يردم
وساكن يعدم ولا امسى
الاعلى دار تهدم ومخدومة
تستخدم فى كل دار ديوان
وعلى كل باب أعوان وفى
كل يد ميزان وكل احد
سلطان واذا اطلق غوره

ومن

ومن لطائف ما وقع في تورية السمة قول ابي الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قد دخلوا كالاير اجمعهم * والعبد مثل الخصى باقي على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم ان يقف على الباب و ينادي ادخل باخصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السمة ومنه قوله

ومكرش اضحى يحاق نقله * اعداؤه لا يشتكي اليه ويشكر
و يقص لحيته فان ناديته * لبالك وهو محاق ومقصر

ويعجبني من لطائفه قوله في داره

ودار خراب بها قد نزلت * ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلا فرق ما بين اني اكون * بها او اكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم * فتصغي بلا اذن سامعه
واخشى بها أن أقيم الصلاة * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جودوا لنسجع بالمديح على علا كم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد عندما يقع الندى

ومن بدائع اغزاله قوله

ومالي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لي راس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابقي لي الله في المشاعر اخرى * بشقاقها عن المشي مانع
واذا قيل كم بقي لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه ايضا في تورية المطوق قوله

أنت طوقتني صنيعا واسمعـ * ـتك شكرا كلاهما ما يضيع
فاذا ما شدا لمدحي فاني * انا ذاك المطوق المسموع

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

رميت بهجتي جمرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه
فهرول دمع عيني فوق خدي * وما حصلت له مع ذاك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لي الواسع صف لي * مثل ما اعرف وصفك

وامن الله اياف لان لا اراه في اليوم الاصاب ذلك اليوم ومما بث الشيخ الجليل ان مبالغ خراجي بجراة ألفان وعلى المخف من الجرمان ثلاثة مدوره بيض مقشره وعلى المثقل تسعة وعشره ووددت لو امكن التبلغ باقل من هذا فأفعل ولكن افواها فاغره واضراسا طاحنه وعيالا واذيالا الله وكيلهم وانا

آين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولاقصور بها يعوق
ومن العجائب انظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهي الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا * بانها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

بخالد الاشواق يحيي الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
نخذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عيني انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكي ولديك ذلي شافعي * مالي سألت فما أجبت سؤالي
فو خدك النعمان ان بليتي * وشكايتي من جفنك الغزالي (لى)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى نبوة
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قالت اسقم الجسم مني وقد * أفرط بي فرط ضني واكتئاب
دعات بي يا سقم مالم يكن * تلبس والله عليه الثياب

ومن حصل الجلاء عيون التورية بلاطفته الحكيم شمس الدين بن دانيال من لطائفه قوله

يا سائلي عن حرفتي في الورى * واضيعتي فيهم وافلاسي
ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قيل لي اذ دعيت شمسا * لا بد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعي

ومن لطائفه أيضا قوله

ما عاينت عيناي في عطلتي * أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري معا * وصرت لا فوقي ولا تحتي

ومن لطائفه أيضا في جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها * لنقر بيتان يشبه البلحا
غناؤها برقى الغنج نمزجه * فما ينقط الا كل من رشحا

ومن اختراعاته البديعة قوله

ربهم رأ كلهم وان أمكن بحو بله هذا المقدار من الخراج بيوشنج ليتوفر حقوق بيت المال واصان عن مجازفات العمال وتبعات الحال فتلك غاية الآمال وان تعذر فكتاب الى كل واحد من الاعمال ينبض له على العروق السواكن ويسكن العروق النوابض ومن محن هذا العام أن ابا البختري وهو من عيون التجار

أياسائلي عن قـد محبوبي الذي * فتنت به وجـدا وهمت غراما
أبى قمر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فأضحى بين ذالك قواما

ومن أحبار قوم التورية وأظهر خفيها القاضي محيي الدين بن عبـد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن لطائفه قوله

لاينقل الروض أحاديثه * عن عين غمام غدت حافيه
فانه ينقـل أخبـاره * الى أعين عنـده صافيه

ومثله قوله

يا قاتلي بلحاظ * فتياه ليس يقـبر
ان صبروا عنك قلبي * فهو القتيل المصبر

وقال

ان لوزي جاق * واهن الحبل والقوى
لم يكافه لك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظمي في هذا المعنى في المشمش السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما * أجلـوه مذ أتاهم في الصـدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد أضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
لا غرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يا طيب نشر هب لي من نحوكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هـذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيـه من التورية

ان ابن أيـبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحـة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

من نكته البديعة الغريبة قوله

لاتسألي عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخـت غراما بمستهل وغره

ونقل الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى ولكن سبكه في قالب حسن بقوله من قصيد

فما اهاجرى عاما القد ضل عاذلي * واليس له وجه ونار يخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة اللطيفة بالقرب من دمشق

واعيان الاحرار عاملني معاملة الطرار طالبت منه مالا استفتح بعضه الى بلخ فابى أن يطلب حتى يحصل المال عنـد شريكه فاذا وصل الكتاب بوصوله اليه خرج حينئـذ مما عليـه وكتبت الى صاحبي ببلخ فوفر على صاحبه المال واستخار الله ابو البختري وابتلعه ابتـلاع الحوت وايام سـلامة صـدري وتهاوني بامري تركت هذا

هذى القطينة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
شيبت بيرد بابس * فلاجل ذا الحشو تقلى

ومن لطائفه قوله

ضفر الشعر وأتى * خاقه كالقطن وفره
قات ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله فى معشوقه المعنى المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يامن غدالى من عوا * صف هجره الريح العقيم
اترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم أرخى * وفرة وفرت عليه الحيلة
ان شكا الخصر طولها غيربدع * انحيل يشكو الليالى الطويله

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالى
فقات والقصد ذوابانه * ياسهرى فى ذى الليالى الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لا بد أن يرد على المتأمل فى مواضعه ويعجبنى قوله

وبروحى هويته عجميا * لى لذت الفاظه العجميه
كم حلا عجمة فقلت لخلى * خلنى والحلاوة العجميه

ومن لطائف مجونه قوله

وأعور العين ظل يكشفها * بلا حياء منه ولا خيفه
وكيف يلقى الحياء عندفتى * عورته لاتزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لى العلق وقد جئته * أريه ارافاق فى حسنه
ارلذ هذا مات قات انحنى * كرامة الميت فى دفنه

ويعجبنى من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى الكا * س مجاز وانكاس فيها حقيقه
اتحجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتوريه قوله

يابى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين

الحديث وراء ظهرى مقدرا أن مالى عند صاحبى حتى ورد الآن كتابه فذكر أن هذه القصة وقعت قبح الله الخائن واخزاه واضعف له اذا جازاه عمرى اقد شكوت العلة الى طبيب وأنزلت الحاجة بكريم وللشيخ الجليل الراى العالى والسلام
(وله اليه أيضا)
الشيخ الجليل أدام الله عزه يعلم حال هراة وأهلها

كم ندد فعت عواذلى عن وجهها * لما بدت بالتى هى أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين *

فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

والمّ به الشيخ عز الدين الموصلى وما خرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد سلونا عن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن

ورجعنا عن التملل فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغنى * فتنبى بالوجد من ليس يدرى

زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق الغنى ولى زيق فقرى

ماتراها قد حدثت خاطر النهر بما قد جرى وماءه يجرى

ومن اطيف كلامه قوله

وبطحاء فى واد يروقك روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر *

تلاحظها عين تفيض بادمع * يرقرقها منه هنالك محجر *

اذا فاخرتها الريح وهى عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر *

بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيى وهو لاشك جعفر

وقال فى مليحة اسمها وردة

بابى وردة مولدة الحسن * دعوها بوردة البستان

فى التصاوير مثلها ليس يلفى * فيقولون وردة كالدهان

ومن تواريه الغريبة فى المواليا فى مليح مشطوب

للطرف احور جنى من حسنك السرحه * كم قد أغار على العشاق فى صحه

* لما علمت بانو سابق الامعه * عليه خفت فشطبتو على صحه

ومن نكته الغريبة فى اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابى

ولا عجب اذا ماقيل هذا * لصدغ زمرذه ذبابى *

ومن اختراعاته الغريبة قوله

كتبت لكم من اعين القصب التى * لها من معانيكم ومن نفسها طرب

فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار فقال

هويته مشببا * جماله يرح بى *

تيم قلبى بالجا * ز من عيون القصب

ومن مخترعات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالى من علاوختمتها * فقد أصبحت محشوة بمكارمك

في استقصاء النقد وكثرة الرد وشدة الاحتياط فى المدح وجراءة الاقدام على الذم وان الجليل عندهم من وراء جدار والقبيح عندهم نار على منار والهم فى اللوذعى قولات فاذا مدحوا سيرة رجل وجدوا عثرته لم يبق فيه مطمع للسبك ولا موضع للشك ووردت هراة فوجدت الالسن متفقه على تقريظ أبى فلان والنفوس بخيلة بفراقه تسأله المقام بين اظهرهم وتجزع لخروجه من بلدهم ثم وجدته من بعد غالياً فى العبودية للشيخ الجليل مستظهراً بايامه وسألنى تقرير حاله واقامة الشهادة له فخرجت من عهدتها وللشيخ الجليل دوام النعماء عبده وخادمه العين العالية

ختمت عليها بالثريا فقل لنا * اهذا الذى فى كفها من خواتمك

ومنه قوله

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله

ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

ومنه قوله

يارب كاس صرت من شربها * من بعد رشفى ريق معشوقى
مالهب الاحشاء نار الاٰن * شربتها منه على الريق

ويعجبنى منه قوله

انت من وجه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يشبكه فى غير قالبه فقال

افدى حبيبا الى * مرآه طول الدهر فقر
فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصارى الحموى سقى الله ثراه أما بعد حمد الله الذى اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك مافيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذى اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين فى سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعا فى التورية من الحلاوات القاهرية * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشامية * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ مايظهر به مزية الثمرات الحموية * وقدرة السلطنة فى الادب وناهيك بالسلطنة الشيخية * فاخترت من ابيات قصائده ومواصيل مقاطيعه مايحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يناهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نومى المشرد * وآه من شملى المبدد
ياكامل الحسن ليس يطفى * نارى سوى ريقك المبرد

منها وهو فى غاية الحسن قوله

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشا * ح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد

انا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى حلو مراره

(وله اليه ايضا)
وفى الحديث المرفوع اطال الله بقاء الشيخ الجليل ان شر القرون قرن يحلف فيه قبل ان يستحلف ويشهد فيه قبل ان يستشهد وقد نويت ان وفق الله تعالى ان لا ابتدئه ماذاكرا ولولا هذه الحالة لحلفت ان الله تعالى وان صانى عن اليتم صغيرا وعن الثكل كبيرا فقد اذاقنى من فراق الشيخ الجليل امر منهما كاسا وحكى ان رجلا قعد للفاحشة مقعدها ثم افكر فقال ان من باع جنة عرضها السموات والارض بهذا الفتر تحت هذا الستر لواسع رقعة الرفاعة خليق البضاعة بالاضاعة قليل البصر بالمساحة مغبون الصفقة فى التجارة جدير الحبس بالحجارة وذلك مثلى اذ بعت مكانى من

ومنه قوله وهو مطلع قصيدة

بروف غرامى كلها احرف اغراء * على أن سقمى بعض افعال اسماء

ومن هذا أخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعالك يا اسما باحشائى * واحيرتى بين افعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف
يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقى على ذلك الحرف

هذه النكتة اخذها ابن الوردى بقافيتها وغالب الفاظها ومعناها فقال

* يابدر تم نوره باهر * منزله فى القلب والطرف
صدغك حرف النون فى مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمرى انها سرقة فاحشة ومنه قوله

اقام لخده الدارى عذارا * ومذ أقصى عذارى وهو يلجى
حمى مرج العذار بمقلتيه * فامسى الناس فى هرج ومرج

ومنه قوله فى التوريه مع بديع الاقتباس

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلعا لقصيدة فقال

انسان عينى بمجيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ماشاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب
قد سدت يارب الجمال الذى * الف بين النون والعقرب

وقال وتلطف ماشاء وأظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب
بوجنة مالنم ربحى * وقد غدا وردها نصيبى

ومن هذا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباته وغيره وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة

فديتك غصنا اليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب
تفتح فى وجناته الورد احمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

ومنه قوله

لا تنس وجدى بك ياشادنا * بحبه انسيت احبابى
مالى على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله

مجلسه المعمور واعتضت منه عرضا من الدنيا يسيرا ومتاعا قليلا
فان ترجع الايام بينى وبينكم بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومربعى
اشد باعناق النوى بعد هذه مرائر ان جاذبتها لم تقطع
على انى اصبت سدادا للخلة ومدادا للخدمة وصوانا للوجه وبعض الشر اهون من بعض ولله الحمد ثم للشيخ الجليل من بعد فلولا كتبه المتواترة ونعمه الظاهرة المتظاهرة لاقت طويلا ولم اصب قبيلا فالآن قد آذنت الحال ببعض النظام وستنتظم على الايام ان شاء الله تعالى
ووردت من الشيخ الرئيس على كريم والعرب وان كانت اكبادها غلاظا اكثر الامم حفاظا وضبة وان كانت كاسمها احقادا

مرضت ولى جيرة كلهم * عن الرشد فى صحبتى حائد
فاصبحت فى النقص مثل الذى * ولا صلة لى ولا عائد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلى وقال

اهل دمشق قد مرضت عندهم * وماقصدت نحوهم بمسئله
مع علمهم بانى انا الذى * ولا أتانى عائد ولاصله

ومنه قوله

قالوا أمانى جاتى نزهة * تذيل من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرى من منتزهات دمشق المشهورة ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال

سألتكم ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
فقاوا اقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرا ولاتنسيا سطرا

ومقرا أيضا من منتزهات دمشق وحسن بعدها ذكر سطرا ومنه قوله واجاد

سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الجرلى والصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم فى دبيب النمل من قصص

ومنه قوله

ولقد عجبت لعاذلى فى حبه * لما جاليل العذار المظلم
اوما درى من سنتى وطريقتى * انى اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه أخذه وزنا وقافية وقال

اهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبنى الهوى بتنعم
ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله

اكملت ستا واربعين بها * اخذت همومى من راحتى ربعى
وجزت فى السبع خائفا وجلا * لانى جائز على سبع

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن ندامى راح * حظيت من سماعهم بلحون
لم تكد فى الكؤس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم فى الصحون

ومن لطائف مجونه قوله

سألته من ريقه شربة * اطفى بها من كبدى حره
فقال اخشى ياشديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا أخذ الناس آخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة

كملت لطفا وفارا على * ماحزت من اوصافى الحلوه
من أجل هذا صرت اهلا لان * اجالس السلطان فى الخلوه

واكبادا اوفر العرب احلاما واكثرها كراما والشيخ الرئيس طوع لخاطبات الشيخ الجليل يتصرف معها تصرف الظلال عن اليمين وعن الشمال فالشهد اذا اعرض عنه سم مابذل الجهد والسم اذا نظر اليه شهد وقد وردت فلم يأل مقدمى اكراما ومنزلى انزالا وحديث ماحديث حديث الشيخين السيد ابن أبى القاسم وابى الحسين وارانى الله طاعتهما واستغنى بهما وبقربهما فلا عيش الا فى ذراهما وبحيث اراهما وضالة الامل كلاهما وبرد الفؤاد هما هما ما فعلا واين بلغا فما يقصر نفاذهما ان لم يقصر استاذهما ولا يضيق امكانهما ان لم يضيق زمانهما وما أخاف عليهما الاعارض الكسل وحادث

ومن اجاد رقيق التورية من غلظ الرقادة الامير مجير الدين بن تميم في ذلك قوله

لما ابنت ابعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
اجريت واقف ادمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

ومن لطائف نكته قوله في كتاب

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * بما لها قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتنا جميعا وبات لثمي * له حمى ثغره مباح
فمات مني الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله في سجادة

ايا حسنها سجادة سندسية * يرى للتقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجا * أمامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ان سجادتي الحقيرة قدرا * لم يفتها في بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردي أيضا فقال

سجادة اذكرتني * منك الذي كنت اعلم
احمد بها لحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف اغزاله

يا حسن اهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يا مرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله في مليح جرح جبينه

بكوا الجراحة شقت جبين الحبيب فقال ما ضر الجراح
اليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله

وعيرني بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسي المشيب بهجركم * ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا ومن لطائف نكته أيضا قوله

ونهر خاف الاهواء حتى * غدا طوعا لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار ألقت * اليه بها فيأخذها ويجري

ان الطينة بحمد الله قابلة والغريزة حرة والهمة صاعدة وليت شعري من المختلف اليهما ووددت لو أقف عليهما فاخرج من عهدة بعض النعم والعود ان شاء الله احمد اذا عوا انسلاخ صفر وابتداء سفر وطيرة الهم وقوعها باذن الله وغاشية المجلس العالي ادام الله بهجته اعذهم امناء على نصيبي منه فان احسنوا فان الله يجزي المحسنين وان خانوا فان الله لا يحب الخائنين السيد الفاضل فلان وان كان له اليد واللسان فمنه الحسن والاحسان وان كان قد أخلفه الغريم فلن يخلفه الخلق الكريم وان حركته بالمدل همجة انفذت اليه سفتجة عن قريب وما قليل وما شغفي بالماء الا تذكرا لماء به اهل الحبيب نزول وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكنني للنائبات حمول

ومنه قوله

سرق النسيم على الغصون بسحرة * لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها * في صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته

وليلة بت اسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطائف نكته في أغزاله قوله

خليلي قد صاد الفؤاد بحسنه * غزال به عذر الجبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * الم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته في اغزاله أيضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فأضحى بعيد الخدوهو معذر
فقلت خيال الشعر ما قد رأيتم * فان صح ذاك الخط فهو مزور

ومن هنا أخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاده نكتة اخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

اياذا الذي قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذا السائغ
اتخشى سهام الفقر ما دمت منفقا * نصيبك والنعما عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يجب الروض اصبح مغرما * تروح ويغدوها عاب وصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره * جفاها وامسى فانعا بخيالها

ومن لطائف مجونه

وقواد بعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه ولطف * يقود بلا أزمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة في باب التورية قوله

لما جئتك بالمدح ولم أكن * ادرى بانك خامل في الناس
ناديت لما ان جئتك بالهجا * اكلب خذه امن يدي جساس

ومنه قوله

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سواي فانني * عندي قباله كل عين اصبع

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه في الرياض طيور
ودولا بها كادت تعد ضلوعه * لكثرة ما يبكي لها ويدور

وللشيخ الجليل ادام الله عزه في تشريف عبده وخادمه بالجواب وتصريفه على الامر والنهي رأيه العالي ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

وصل للشيخ الجليل السيد كتاب خشن البرد حافاته كالاسل يدق دق القصار ويشق شق البيطار ويقرض قرض الفار ويحك بالاظفار ويشك بالشفار فلو كنا على السواء ولكن احدنا في الارض والآخر في السماء

ولو كان ادركنا ولا كف بسطة ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

آخر

ولو رأى مساغا لنابيه الشجاع لصمما
ولكن الرماح اجرت ولولا ان يغبط دمي افاض في

وخير ما في الباب قول الاول

لئن ساءني ان نلتني بمساءة فقد سرني اني خطرت ببالك

النكتة فى يد وروف ضاع دارت بين ابن تميم و بين ابن الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبى بقوله

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع نشرها * دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدى ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع بخده * وانا عليه دائر

و بعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وانا ادور عليه

و زاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * واضلعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبى لانى فقدته * واما دموعى فهى تجرى على جسمى

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم أيضا بقوله

قامت انابالعذر ناعورة * ادمعها فى غاية السكب
تقول لما ضاع قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمى كله اعينا * يدور فى الماء على قلبى

ومثله قوله

ناعورة مذ ضاع منها قلبها * ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت باقانه فلاجل ذا * جعلت تدير عيونها فى الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردى بالدور فقال

ناعورة مذعورة * والهانة وحائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

وعلى ذكر تورية الدور يعجبنى قول المقر المرحوى الفخرى ابن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكى يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور فى ساقية الهمائل

دورة البدر فى سواقى الهمائل * تركت ادمع العيون هوامل
آه من للرياض نور اديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجو * د وأغنى عن الولى الهاطل
زاد علما على أبى نور لكن * قال بالدور تارة والسلاسل

ومنها ولم يخرج عن تورية الدور

وما ظننت أحدا يعبث هذا العبث بطومار الحمار ويستخف هذا الاستخفاف بلحى الاحرار زعم ادام الله تمكينه انى اخلف المواعيد وارد العذر البعيد ومتى ادعيت ان قولى يكتب فى المصاحف او يتلى فى المحاريب ومتى تبرأت من الاحاديث والله انى لا كذب الكذبة اظنها احسنها اصدقها وليس الشان فى اللسان الشان فيما يعرج كل ليلة الى سماء الدنيا ولو شئت عددت عليه كاعد على واكن لا نحرك الساكن وانما يلام المرء على موعد يخلفه اذا استفاد بخلفه جمالا او مالا او راحة فاما موا ترة الكتب ومواصلة الرسل فلا فى الوفاء بها اقسر بة الى

يا سعد دا اترى من النظم والنثـ * ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض بالشيخ بالدو * ر فها غصنها من السكر مائل

ومن نظمي في تورية الدور أيضا قولي من قصيد

ومذ مد ذاك النهر ساعدا مد مجيا * وراح بنقش البيت يمشي على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه السبط

وعلى ذكر تورية الدور ونسلها هنا نكتة لطيفة وهي انه اتفق ان الشيخ نجم الدين القحفيري سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أين لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا في الدولاب لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت في الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التورية وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كنا فيه من لطائف ابن تميم فمن ذلك قوله

لم لا أميل الى الرياض وحسنها * وأعيش منها تحت ظل ضافي
والزهر يلقاني بثغر باسم * والماء يلقاني بقلب صافي

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبي في كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي ونسبا أيضا لمحيي الدين بن قرناص في مواضع كثيرة والله أعلم ومن نكته اللطيفة في التورية قوله

روحي الفداء لمن ادار بلحظه * صهباء في عقلي لها تأثير
فاعجب له أني يصون بلحظه * مشمولة وانا الاوها مكسور

ومنه قوله

اني لاشهد للعمى بفضيلة * من اجلها اصبحت من عشاقه
ما زاره ايام نرجسه فتى * الا وأجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

الا رب يوم قد تقضى ببركة * اتيت بها فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى * على رأسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

يا حسنه من جدول متدفق * يلهي بروتق حسنه من ابصرا
مازالت انظره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فأبى وزاد تماديا في جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدني وقد حمى الوغى * في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

الله تعالى ولا في الاخلال بحرج من الله ولو كنت وعدته فصوما نام لم أتبع الوعد وفاء لا ستهدفت لسهام العتاب لكن الله يشهد اني على الاخلال بالمكاتبة احب له مني لا برى وعيني ويدي وكل نعمة انعمها الله علي بيد الاسلام ولو انصف ناظره لجبر بافراطي في هذا الجانب تقصيري في ذلك الجانب فجعل بدل العتاب شكرا والسلام

(وله أيضا رقعة اليه)

قد بسط مولاي باع الفصاحة وملأ أسفار البلاغة وبهرني ببيانه كما غمرني بفضله وبره وكالاعذر

ومن لطائف نكته قوله

قالوا رأيناك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء
فقلت انى فتى قنوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله

حاذر اصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جمر الغضى * الا الدعا باصابع المنثور

ومن لطائف نكته وقد تقدم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدنى ابو الخير الازدى لمجير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من المسلمينا
قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقائق فكرتى فى كنهه
ادّى الشهادة لى بأنى فارس الـ * ـهيجاء حين جرحته فى وجهه

ومن لطائف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جئته * بادرنى باللحظ والصفع
اروم ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النحو * م واتقنت سحر البيان
فاذا حساها الشاربو * ن وأوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

ومن لطائف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم أرفى البرية شبهها
وغدت تمانعنى فقمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

سأهجو أناسا يبتغون نقيصتى * وقد بحروا فى بحر جهلهم رسخا
واسلخهم لانى اوان مغيبهم * ولكن أريهم فى وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله

بعث النسيم رسالة بقدومه * للروض فهو بقربه فرحان
والطيب ماقرأ الهزار بشدوه * مضمونها مالت له الاغصان

ومن لطائفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم احسن منه

للسيف اذا المرض ولا للنجم اذا المرض وهو بحمد الله يزداد زيادة الهلال ويتقدم كل يوم فى محاسن الآداب والاخلاق وارجو ان لا تقف به همته دون اعلاء منزلته ولا يرضى لنفسه الكريمة الا بأقصى غايته وما تفضل به من الاعتذار فقد اغناه الله تعالى عنه فتفضله الظاهر فاضل عن كل حق وخلقه الطاهر بالغ به مدى كل بر وبقى أن يوفق الله بمقابلته بما التزمه له وأوجبه فيه وقد عملت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها وجملة الامر أنى اوصل النفع فى تناوله وارجو حسن عاقبته وحالى الآن صالحة لولا ما ذكر من فتور الشيخ الجليل فقد شغل قلبى وأقلق نفسى وان كان لا ينكر الضعف عقب المسهل ولعل سبب هذا

أراق دمي بسيف اللحظ ظلما * وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبي لثاري * أدار عذاره زردا عليه

وقال في غلام وقاد

لاموا على الوقاد في حبه * وحبه باللوم يزداد
لو لم يكن في حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله في اجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال في وقاد أيضا

أحبب بوقاد كنجم طالع * أنزلته برضا الغرام فؤادي
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بنده الازرق لما * شده من فدسباني
جدول فوق كثيب * دار في غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ماساءه * وافرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطائفه قوله يصف روضة

ارض كساها القطر حلة سندس * رقمت لها طرز من الغدران
وفد النسيم أضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة وهي من نكته المخترعة

كمال الدين يا مولاي يا من * يغير البحر في بذل النوال
أتيت لحاجة فاغنم ثنائي * عليك بها وشكري وابتهالي
ولا تجعل سؤالك اهافاني * عليك بنجحها وقع اتكالي
ايجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
واصبح بينهم مثلا لاني * اتاني النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت البس من غصوني اخضرا * فلبست منها بعد ذلك مقفصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحميا غيره فشكر * فيها وفي شربها اللذات والطرب

العارض ما وقع من الحركة الى ان عاد الى الدار وتعرض للشمس في طريقه فالله تعالى يعافيه ويبقيه ولا يرينا مكروها فيه ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي القاسم أدام الله تأييده وسودده رحمه الله)

أنا أصون ذلك المجلس الكريم عن الزكام والسعال وجميع اخوات الفعال ولو استطعت أن انفي من جلتي اني لرضيت لخدمة المجلس اعلاه الله سائري ولكن هو مني وان ذن وكاني بالشيخ الجليل يقول الامثال لا تغير وفي الحدود المعطلة والثغور المهملة والرسوم المبدلة والسنن المحولة والبدع المستعملة هذا الخطأ خال يسير وغلط قريب وما اسد استظهاري بخلافته وان لم يكن من ولد العباس

فارجع فقد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم

فاليوم أعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله ارق واحشم بقوله

ولوك اذ علموا بجهلك منصبا * علموا بأنك عن قليل تبرخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه فى كثرة تجريده له

اقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردنى دون الرفاق تعمدا

رآنى حساما ماضيا فاقامنى * مدى الدهر فى وجه الاعادى مجردا

ومنه قوله

مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير

بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

وأحسن منه قوله

ومذ قلت للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد المنزه فى الشبه

تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهى

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك

ما بين منثور وناضر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك

هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

ومثله قوله

كيف السبيل لان أقبل خد من * اهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله

روض الحمى يهوى اقاحوانه * من فرط شوق لا يزال قرينه

لم يهد نرجسه اليك وانما * اغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خده فخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه

ان لاح فى خده نبت فلا عجب * الله أنبته والعين ترعاه

وتورية النبت والرعى تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته فى هذا

والله يبقيه علما للفضل وعالما فيه والسلام

(جواب الشيخ أبى القاسم وهذه الرسالة جواب انا أصون ذلك المجلس)

وصلت رقعة الاستاذ وشغل قلبى تنبسط تلك النقرة نسخ الله حكمها ومحا أثرها ولو قبل الفداء لكنت عنه وما اصابنى أيده الله عما يصوننى ورفعنى عما يرفعنى وهل جل اتم ملابس من كريم عادته فى التخخم الى وماحق عرنين رت يردعرنينه الماء قبل الشفاه الا أن نشمته اذا عطس الكرام البررة ولا عطس الاباشم من الطراز الاول ولولا التطير من سمة العبادة لخف ركابى اليه والشيخ أبو الحسن فوق شروط الخلافة فاذا كان المستخلف تغلبا جاز ان يكون الخالف كسروبا

الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتي * لم تعتاقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها أنا وتحتي نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلي فخذ طير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
ومابي كامس وذاك أني * أكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت * في حمرة الحد بسطه
فقلت تشوى أوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اختراعاته التي لعب الناس بها بعده

قد هجرت الراح حتى * ليس لي فيها نصيب
وعلى الراووق مني * طول ماعشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثي الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر * عليكم ولا جفني يجف له غرب
وافلاك الذاتي تعطل سيرها * وهل فلك يسرى اذا عدم القطب

ومن غريب نكته في اغزاله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله في الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * من أرضكم فلها علي جميل
خاضت دموع العاشقين وعرجت * عنهم الي وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقفت عليه لغيره والله أعلم من السابق ولعمري ان الآخر اجاد بقوله

وصبا صبت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهي بليلة الاذيال

ومن لطائفه قوله

لولم اعانق من أحب بروضة * احداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيرا وقال في اهداء مهرة حمراء وهي من مخترعاته

أهديت لي يامالكي مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا * قلب الاعادي في العريض الطويل

(وله الى الشيخ السيد أبي الحسن علي بن الفضل الاسفرايني رحمه الله) كتابي اطال الله بقاء الشيخ السيد والخطيب ابوفلان قد توجه وفدا الى الحضرة ويريد أن يقرن بين الحج والعمرة ولا يقتصر على الشمس دون الزهرة ولا يقنع بالمياه الامع الخضرة وقد قصد من الشيخ الجليل بحرا والشيخ السيد سفينة نجاته وذريعة حاجاته ووسيلة الى كل مراد يتعذر وجنته دون مايخاف ويحذر ومفزعه في كل مايأتي ويذر وهو وديعتي حتى ترده سالما وقد جهزت معه من السلام مايجلو دجى الظلام ويدر أخلاف الغمام ويهدى العافية الى السقام وينشر النعمة بالتمام ويربط عليها بالدوام وترفعت اليه باهبة شوق بوديها وصفا

قد ابت من شفق حلة * تخبرنا ان أباها اصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيي وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار
وما كان هذا الوهم اغير أنها * علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مراحا بها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

لما رأت عيني مناطقك التي * انهت بشمرك دائما تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة * ونحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر ضاع مخافة * فلذا تدور جوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

وشاح من أحببته قال لى * وهو الذى فى قوله قد صدق
قد ضاع منى الخصر لما انثنى * أما ترانى دائرا فى قلق

وقال فى شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

توعدت يا عثمان بالهجو شاعرا * سيوليك هجوا عاره ليس ينجلى
فخذها قصيدا قد أتت من محمد * بجلود صخر حطه السيل من عل

ومن ابدر فى افق التورية ونظم عقود لا آلئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى فن لآلئ عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده * ماضرهم لو أنهم خبروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا * لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر بانديى * ومل الى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام * والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها * وتمشت نسمة الصبح اليها
طالعت أوراقها شمس الضحى * بعد ان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقفت على هذين البيتين نكتة التوقيع هنا الين بابن عبد الظاهر لكن طاع واطلع عليه البدر* وعفظ مره لما أضاءه ذلك الصدر* ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال من قصيد

وشرحا وبصور رشدة ونرحا ورسمت له أن يقبل على يده العالية انما يقبل سبعة أبحر وسبعة انجم وأوصيته أن يتخذ وجهه قبله ويعتقد طاعته مله واوصى الشيخ السيد ان لا يألوه بسطا وتقريبا وتشدا وتوجيها والسلام

(وله الى الشيخ السيد العالم أبى أحمد)

كتابى وقد أنعم الله تعالى على الشيخ السيد العالم نعما ان عدها لم يحصها وأمره أن يلبس شعارها ويحسن جوارها ليقر قرارها والبس بعد الايمان بالله خصلة خيرهى اوفر من رضوان الله حظا ومن تقوية المسلم ومعونته والبس بعد الشرك بالله خلة سوء هى أقرب الى غضب الله من شد على عضد ظالم وتقوية يده وقد علم الشيخ ما منى به اهل هراة من محن

وكان ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
فاذا تكسر ماؤه ابصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبني قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت اشواقي
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحق
قامت تطارحني الغرام جهالة * من دون صحبي بالحمى ورفاقي
انى تباريني جوى وصبابة * وكآبة واسى وفيض مآقي
وانا الذي املي الجوى من خاطري * وهي التي تملي من الاوراق

ومنه قوله

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العاني صداء همه
نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

ومنه قوله

ادر كؤس الراح في روضة * قد نمقت ازهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال في نواعير حماة بن طريقه

ذات النواعير سقاة الترب * وأمهات عصبنه والاب
تعلمت نوح الحمام الهتف * ايام كانت ذات فرع اهيف
تشكلها من الحنين قاب * وكيف لا والماء فيها صب

وقال ابن نباتة في مطلع قصيد

دمعي عليك مجانس قلبي * فاربع على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدي واكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ماحلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب مني الى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى * فانكر دمعي ان جرى وانا صب

ويعجبني قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها في الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه اسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام
ونسمة الريح على ضعفها * لها بناص والمام
فعاطني الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام
واكتم أحاديث الهوى بيننا * ففي خلال الروض نمام

ومن هنا اخذ الجميع حتى الشيخ صفي الدين الحلي مع ان التورية غير مذهبه فقال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام
ايارب حتى في الحدائق اعين * علي وحتى في الرياحين نمام

ولكن

الخانية ثم ما ارهقهم من الحقوق الديوانية ثم ما زيد عليهم من علاوة المصادرة الحادثة ثم ما كشف الاستار واظهر العوار وقبح النوار من غلاء هذه الاسعار حقا اقد أكلت الجيفة وهي خائنة وطحنت عظام الميتة وهي يابسة وعدم القوت وتمنه موجود وتركت العبادات وهجرت الجماعات وافردت الجنائز وتخطى الموتى وهم بالشوارع مطروحون ولقد دخلت المسجد الجامع يوم امس فرأيت تحت كل اسطوانة عليلا وكانت احدهم فلم يفقه الاقليلا فيا عباد الله تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان انكم تنشرون ثم اليه تحشرون ومن الواجب على السلطان اعز

ولكن ما أخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة انه لا يخرج عن مذهبه فقال

وأهيف يذهب أرواحنا * ووجهه كالروض بسام
تنم خداه بقتل الورى * فخده ورد ونمام

واخذها ابن الوردي ايضا ولكن زادها نكتة آخرى بقوله

ان قال صف لي عذاري وصف مبتكر * ووجنتي قلت خذ يا صنعة البارى
هذا عذارك نمام ومسكنه * نار بخديك والنمام فى النار

ومنه قوله

الروض احسن ما رأيت اذا تكاثرت الهموم
يحنو على غصونه * ويرق لى فيه النسيم

ومنه قوله

البرد قد ولى فالك راقدا * يا أيها المدثر المزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلى * لما بدا فى خده الاحمر
فشاقنى ذلك العذار الذى * نباته احلى من السكر

ومثله فى الالطاف قوله

شوقى اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاى وقصرت اقلامى
واعتنت النسمات فيما بيننا * فما أحملها اليك سلامى

ومنه قوله

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى احوى المراشف اشنبا
وقالوا ابدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وقد تقدم القول ان ابا تمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله

وذى قوام اهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

وبهجتى المتحملون عشية * والركب بين ملازم وعناق
وحداتهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب فى عشاق

ومن هنا اخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قلت مذ غنى حجازا * ليتنا فى اصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفترعن * بردوصال الرضاب مرادى
وفم يحاكى الميم الا انه * كم حوله عين تحوم كصاد

الله نصره فى مثل هذا العام
ان يتعهد الناس بالطعام
و يتحول الرعية بالانعام
و يبذل فيهم الرغائب
ليؤمن الساكن واينما ألف
الغائب والبلاء كل البلاء
ان طلب هذا المال الموظف
وتذهب الحاسة الباقية
فانشد الله الشيخ ليبذلن فى
هذا الامر مجهوده وليجزن
موعوده وكرهت أن اخلط
بهذا الكتاب غير التماس
هذا النظر وفى الرأس
فضول وفى الدماغ فضول
ورأى الشيخ السيد فى
ملاحظة فلان بالعين التى
كان يلاحظنى بها وتمكينه
من مجلسه وبساطه اوقات
نشاطه وتمديته الى ما عساه
يخطئ فيه وجه رشاده
او يضل عن سبيل مراده
عالى ان شاء الله تعالى

وهذا المعنى أيضاً تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين آمالي اذا استجمعت * انى الى مورد افياك صاد

ويعجبني قوله من قصيدة ورّى في بيتها الاول باسمه فقال

قد انحلني الفؤادي غير راحمة * ومحقتني الا الى بعد ابدار
فكم اوارى غراما من جوى وأسى * زناده تحت اثناء الحشا وارى
جيراننا كنتم بالرقتين فمذ * بعدتم صار دمعي بعد كم جارى

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحي جيرة ابقوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطبارى
كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جارى

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة في الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من النورية فقال

سارت لتقتص من قوم غار بحث * في حث كاس على الاوتار دوّار
فالقوم من بعض قتلاها وما ظلمت * وانما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا اخذ القاضي امين الدين الحمصى كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يصمى كانه * مطالبات على قلبي بأوتار

ويطربني قوله من قصيد

فلما تفرقنا كاني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فاتبعته قلبا طمعا على الغضى * وخليت لى جفنا على السفح أطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلى فيه قل لى * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله في نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك ام في الجوانح
كيف يرجى خلاصه * وهو في كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلص طائر قلبك العاني ترى * من جارح يغدو به ويروح
ولقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله في الخمرة

ابدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان حرر من ميم ومن هاء

(وله اليه ايضا)
يا فرحا يوم لا يجي بوجهك
وبلية تطوى بفقدك
وبغير يخلو من ذكرك
ومارمى بجمالك وياشوقى
الى أن لا اقالك ولا يكفيني
الا كحال بالقذى من
طاعتك حتى تؤذنى بقذاة
رقتك تخلى من نصائحك
حتى ان رأيت السبيل
يسهل بى فلا تنذرنى وان
رأيته يغرقنى فلا تنقذنى
وان عاودتنى بعد ذلك
بشفقاتك الباردة ظهر شؤم
شفقتك على عنفقتك وقد
أعذر من أنذر

قديمة ذاتها في روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده في لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم مع مرونة ومنه قوله في مليح نجار

بروحي نجار حكى الغصن قده * رشيق التثني احور الطرف وسنان

يميل على الاعواد قطعا فاعجبت * واسرقت من قده وهي اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس وقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع في اغصان خلاف

فقال لي عندها ثار محدبه * لانها اسرقت من لين اعطافي

وعن احيا ما درس من رسوم التورية القاضي محيي الدين بن قرناص الحموي تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقيا لها روضا قدود غصونه * تختال في الابراد من اوراقها

جنت به ورق الحمام صبابة * اوما ترى الاغلال في اعناقها

ومن لطائف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار

حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كم صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدي الغصون ثمارا * اخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وتلطف ماشاء في جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار في وصفه العيون

لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

ايا حسنها روضة قد غدا * جنوني فنونا بافنانها

اتى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله

تثنى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه

فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة ومال له اليه

ومنه قوله وتلطف ماشاء

(وله رقعة اشخاص)

سيرا على اسم الله وعونه الى الكلب ابن الكلبة و الجابس ابن الرطبة والضيق ابن الرحبة والقواد ابن القحبه وألزماه داره وعرفاه مقداره وامنعاه طيب الغذاء وريح الهواء وبارد الماء حتى يؤدي ما عليه او يجرا برجليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

كتابي وكنت اقعد بجالى عن مطالعة المجلس العالى واقتصر على خدمة الدار طرفي النهار وللنفس آمر من فرط الصبابة وناه من ظل المهابة وللعزم باعث من الانبساط ومانع من الاحتياط والصدر بما يمسكه حرج وبما يبثه فرج لكني عرفت مكاني عنده فلم اتعده ومحلي وخطه فلم أتخطه فلما ورد كتاب

ويوم قد قطعناه بروض * بضاحك زهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا * صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

انم فان الدوح ياما لكى * حمل من اجلك مالا يطيق
يرقبك الطير على وكره * واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزنا وقافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا يخلى عينه للطريق

ومنه قوله وتلطف ما شاء

لو كنت اذ نادمت من احببته * فى روضة اطيارها تترنم
لرايت نرجسها يغض جفونه * عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنه قوله فى معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * واشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها اذيله الخضر *

وهذا المعنى استعمله بعضهم فى شجرة نارنج فقال ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت فى منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها اذيله الخضر

ومنه قوله

وروض قد اتت فيه معان * يطيب به الندامى والمدام
يسامره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف انهارها * وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم اغصانها ان رقصت * فهى ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه فى اغزاله قوله

هويت فى مكتب غلاما * قلبى بهجرانه جريح
اهيف اضحى قبيح خط * وانما شكله مليح

ومنه قوله فى مليح مؤذن

ومؤذن اضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى شحيح
ابدا اموت بهجره لكننى * من بعد ذلك اعيش بالتسبيح

ومنه قوله قبلت خط عذاره لما بدا * وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لى من خده المحمر ما * يشفى قواى فجاءنى بالآس (ى)

وهذه النكتة تواردهو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحوى قلب هذا القاسى * كم اذكره ولعهدى ناسى
اشكو سقمى لعارضيه وكذا * يشكو دنف سقامه للآسى (ص)

الامير فى معنى استزارة الم
اتاى لم اجد بدا من المطالعة
وبالله ما اعرف لاستزارته
سببا يقتضى هربا وما اعلمنى
عملت حالا اوجبت ارتحالا
وما أبرئ نفسى انها العيبة
عيب انكم انى غيب
ولست بمعصوم عن كل لوم
ولكنى انصون ولا محجوب
عن كل حوب ولكن فى
التجمل فليت شعرى اى
عيوبى ظهر وكيف اشتهر
ولم أطر وان كان خبر فهلا
ستر وان كان عثر فهلا
عذر واين رنق العمومة
وستر الابوة وما هذه
الشناعة والاشاعة وهلا
تقدم الايقاع انذار وهلا
سمع منى اعتذار وبالله
اقسم وبنعمة الملك احلف
ان كنت اتهم نفسى بجرم
نطرقت اطرافه وامر
قصدت خلافه اوشى
لم يوافق مراده اوحال

وتطفل عليهما بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف في صحة القياس
وطاب آس العذار جرحي * فصح ان الطبيب آسي

وابتذل المتأخرون بعدهم جنابها ونظمتها انا ولكن زدتها نكتة اخرى من جنسها افترشت وازدادت حسنا وهي قولي

مذ جفاني مرض القلب ولم * الق للضعف ولا كسر انجبارا
قلت للعارض يا آسي اذا * درت داري مرض القلب فداري

ومن لطائفه في اغزاله قوله

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره
انزلتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

وهذه النكتة ايضا ابتذل المتأخرون جنابها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البندقات * معاطفه حمانا لا يحل
وان جليت بوجنته مدام * يرى اعذاره دور ونزل

وسبك ايضا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الاراامل تغزل
ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس واجاد

ادور لتقبيل الثنايا ولم ازل * اجود بنفسي للندامى وانفاسي
واكسو اكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن اجل هذا القبوني بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وقال مضمنا

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعا

يا ايها الصدر الذي وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي يحبك وحده * ها قد بعثت اليك مجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا * ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بنصها فقال من قصيد

يا غصنا في الرياض مالا * حملني في هواك مالا
يا رائحا بعدما سباني * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله

قالت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم * قال متى اذيته * فقلت حين ترسم

اذا اقت فؤاده اكثر من ضجر بالمقام وكان يمكنه ان يضع لنفسه عذرا احسن ما وضع ويحمل وجها اجمل مما حمل واريد ان اذكر قصة يلهى سامعها ويقتضي ناقلها اذ كان لا تجاوز لما فعله مثلي بمثله وانا فرع من اصله وجزء من كله ولكن لابد من ان ارخي وامد واجذب واشد حتى يعلم الملك انني في استزارته مظلوم وانني من ظالمه مرحوم وقد علم انا وردنا هذه الحضرة بحالة لا تظاهر ببردة وابدان لا تخطر باردان وانني قاسمت هذا الهم ثم مولانا على الانعمة لا تحتمل قسمة وصلة لم تحتمل تفصلة من فرس لم يمكن قطعه نصفين وعبد لم يجز توزيعه بين اثنين ولعل هذا الهم نقم على هذا الجرم وان كان نسبني الى

ومن لطائفه واختراعاته قوله

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
واتت بأجمعها الغصون ورضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لأن الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائفه ايضا قوله

اني لأشكو في الهوى * ما راح يفعل خده
ما كان يدري ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال ولكن زاده نكتة

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لي * تفتح وردي والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله

*

قد تعشقت خلافا ولي فيه معاني
كلما جادلني العا * ذل فيه ولحاني
جئته من عارضيه * بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قوله في مليح خيالي

خيالي اخاف الهجر منه * واست اراه يرغب في وصالي
وكنت عهدتني قدما شجاعا * فما لي صرت افزع من خيالي

وقال في زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله

تمشي بصحن الجامع الشادن الذي * على قده اغصان بان النقا تثني
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال

يا ذا الذي نام عن غرامي * ونبه الوجد والجوى لي
جفني جرى طيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالي

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب مضفر

وقال في مليح زجاج

محظور ركبته او مسكر شربته او منكر قربته او قمار لعبته وعود ضربته اونرد نصبته اوبيت نقبته اوشئ سلبته فقد صبرلي هذه الهنات عشرين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق ابدالله الا يسير من انقلاب الزمان الا ان تطلع الشمس من مغربها والله المستعان ونخادمه بهذه حاضرة رتبة يحسده اقاصى عنها ويخافه النازع لها ويراجعه النازل بها ويعقبه الطامع فيها فهو من جهات المحسود ومن اجلها بالتشيع مقصود والمرء لا يخلو من ذنب صغير يورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير حتى يوصل به كذب صار عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها واني لاظهر

قولوا الزجاج كم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذا خبرة * وكان معروفك لا ينكر
فالاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها انكسر

وقال ايضا

كلف الفؤاد بظبية عجانة * ما كنت يوما آمنا من هجرها
عجنت فؤادى بالغرام فاوها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن ما برح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش

واجاد ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جسده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره رد الى عين
وذاك من لطف بعشاقه * ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح بدوى

بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح بالهلال * ولحاظ تقول يا السنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الغرام محقق
هى مثل ما قد قبل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبو اليه * بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما فى ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

اقد زف الزمان اماما حا * تكاد بان تعانقه العروس

وقال فى مليح منير

منير وجدى به * اكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا بنير

وقال ايضا يصف بساطا

بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
وينشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما يرضى الصدورا

وقال دو بيت

فى سائر الاخلاق الا النفاق فان لم اخف الله العلى الكبير لم ارهب الامير والسلام

(وله اليه ايضا)

كأنى ومن شرط العبودية الكذب الحولى النعمة بامور سلمية واحوال مستقيمة ثم يبسط عن قرحة الحال بصدق الانتحال لكن العبد يكره ان يقول امرى مستقيم وهو بالبعد منه مقيم بين نهار ينسفه حماه وليل يفرقه حماه وبلد لا يوافقه ثراه وولى نعمة لا يراه فلو كان العبد حجرا لمات ضجرا بين هذه الاحوال او حديدا لسال صديدا تحت هذه الانقال ويعز على العبد ان يزيد الحضرة العالية ثقلا ولكن لا طاقة للمحموم بحر السموم ولا قبل للمحرور بفيح الحرور ولا سيما اذا

الصب بحبكم عراه الوله * فى طوع هوا كم عدى عذله
ايضاح غرامه غدا تكملة * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضا

افدى عربا حلوا بوادى الجزع * ياوحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بحثوا عندى فى فرقتنا * انشأت لهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله

يقول وقدرناعن لحظ ظبى * وهزالغصن فى ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفى ام بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين ابى حيان وسماه مجانى العصر من ادب اهل العصر انشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ابس خلخالى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نار الخليل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الاثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض اصحابه عنه

ولقد اتيت الى جنابك قاضيا * باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احبابها * فرددت يا عينى هناك بحاجب

هذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لا اعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا * الفيتكم مغلقين بابا
سعى الى بابكم جنون * عليه استأهل الحجابا

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفى الدين الحلى وابتدع ما قال

كان همذانى المولد جبلى المنبت نارى المزاج ضعيف البنية يابس العظام حاد الطبع حديث السن وعبده يجمع هذه الاوصاف وقد مال مزاجه الى الانحراف بأثر ما باشر من الحر بهذا المستقر ولم يهجم حزيران ولا الفى جرانه تموز ومولانا ادام الله سلطانه رأى العين على مسيرة يومين فكيف اذا سار المطى بتاعشرا وتنشرت حزيران فيحها نشرا ولو انعم على عبده واذن له فى قصده لجمع اسباب السعادة له فى سمط وارجوأن لا يرده عن هذا الامل ويسلمه الى العلل ولا يحرمه بردالنظر الى الغرة الميمونة

فلولا انه مرض * وروح ماله عوض
ولا فى خرجتى ضرر

ومافيه شيء ناقص غير خصره * ومافيه شيء بارد غير ريقه

ومنه قوله

أبعدني بالطلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديه نازل

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزته نبت بها وهو باقل

الذي يظهر لي ان النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف فاني لم اجد احدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ماصبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي ماصبر عنها حتى قال

وبي اغيد من حسنه البدر خائف * على نفسه والنجم في الغرب مائل

فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل

ومن لطائفه قوله

ياخاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى

كف عن العاشقين مقتصرا * هل انت الاحويرس الخضرا

ومن نكته اللطيفة قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجى عن الفجر

وبت من صدغه ومبسمه * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بمعناها وقال

ومليح قال جهرا * يانفوس الناس عيشي

من رضابي وعذاري * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

واتى بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء

وبعقله خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة الـكحلاء والوجنة والكاس

ساقي يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (ى)

ومن لطائفه ايضا قوله

ياباعثا شعره انتشارا * بقامة مالها نظير

الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

ولا بالقامتي غرض
ولبس عقده بيدي
اذا ماغبت ينتقض
ولي في قصدتي شرف
وعين القصد معترض
اذا انقبضت من املي
ولكن فيم انقبض
أيأمر بالمقام وهل
يقوم بذانه عرض
ومولانا ادام الله سلطانه
أبسط رأفته على الخدم كافة
وعلى من بينهم خاصة
الابرحم لحى الضعيف
في هذا الهواء الكثيف
والامراض لاتعبث من
عبده بشحم ولحم انما تصل
الى العظم فتقضمه والى
الروح فتستخلصه وله ادام
الله قدرته في الانعام رأيه
العالي ان شاء الله تعالى
(وله الى ابي الحسن البغوي)
كتابي وجزى الله الشيخ خيرا
عن بطن الساغب وكف
الراغب واعانه على همته

مالك قد احل قتلى برح الشقة منه وراح قلبى طعينه
ليس يفتى سواه فى قتل صب * كيف يفتى ومالك بالمدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا واطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وانشد ثغره يحى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله

بأبى شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين فى الاشراق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكو مها بالاوراق

البيت الثانى بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل جماعة هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

قده جار اعتدالا * فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا * فهى بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى
كوى القلب منى بلام العذار * فعرفنى انه الام كى

ومن لطائفه قوله

كأنى واللواحى فى محبته * فى يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف يطلب صلحا او موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التى تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبى افدى حبيبا * تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال

لولم تكن ابنة العنقود فى فمه * ما كان فى خده القانى ابو لهب
تبت يدا عاذلى فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

اخذه ابن نباتة وقال

حمالة الحلى والديباج قامته * تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف اغلى من ديباج ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية والله اعلم وهذه النكتة ايضا اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكى حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

(وممن احسن المباشرة فى نظم التورية) سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

مسكية الانفاس تملى الصبا * عنها حديثا قط لم يملل

ووفقه واخلف عليه خيرا مما انفقه فليس لمثل هذا العام الامثل ذلك الانعام والبذل العام فلو انتقر لهلك من افتقر ولكنه اجفل وعم الاعلى والاسفل فكانه كان ربيعا وكلما احيا الناس جميعا ومما يدل على شكر الله اسعيه فى الحج ان جعله كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج وجعل داره مشعر الكرم كما ودع مشعر الحرم ولم يفصله عن منى الخيف حتى عقد بناصيته منى الضيف وكما جعل البيت قبلة للصلاة جعل بيته قبلة للصلات الشيخ اذا لم يختم بهذا الختام لم يكن بالحج التام فالحمد لله الذى مكنه ووفقه والله بتمام النعمة كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل رجع فلان فوصف ما صدقه الشيخ من اعتناء واهتمام

جننت لما ان صرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

ومن لطائفه قوله

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به * على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبى وذكرت من اغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها احسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن اورد فى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم اقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * اهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله

فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله

اذن القمرى فيها * عندنا تهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله

انى صرفت وحاشا * لذا فالدنانير تصرف
وما اعتقلت كريما * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله

الحمد لله لى حلى ومرتحلى * على الذى ذات من على ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم اصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * والثم الشامات من خده

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ما تخيرته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت

وذلك لانى بفضله فلينبع الفرس اللجام ان الصنيعة بآخرها والسلام

* (وله ايضا) *

ياشيخ والفاضل فضله والسديدة ولو رأى كل حده لم يتعده وابصر خطه لم يتخطه واذا لم تحف اقوام ولم تقه احلام واست والله لرتبة الشيخ اهلا وان كان الشكهلا فما الذى دعاك الى الزيادة والنضال السيادة امر بالك ام خشونة سبالك ام مرض فؤادك ام صحة سوادك ام طهارة اصلك ام صرامة نصلك ام حصانة اهلك ام رجاحة عقلك ام ملاحة شكلك ام غزارة فضلك ام نظم كلامك وسلامك ام خبر قعودك وقيامك ام كنف جنابك وخدامك ام حسن ورائك وامامك ياشيخ حقيق ان لا اغرك بنفسك

العصائب الفاضلية * وصار لها من بعده فى نظم التورية اعظم روية * وقدمت امامهم
الذى صلت الجماعة خلفه وهو القاضى الفاضل وبعده القاضى السعيد بن سناء الملك والشيخ
سراج الدين الوراق وأبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب
والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيي الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التى تقدمت
بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز
الانصارى شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى
الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من
الشيخ صلاح الدين الصفدى كيف اخل فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية
الاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى وهو اشهر من
قفا نبك فى نظم التورية بل هو امرؤ قيسها وكنديها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها *
وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين
وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد
السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة
حياته ثمانين سنة ومولد أبى الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين
وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحمامى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة
ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم ابن دانيال سنة
عشرة وسبعمائة ومولد محيى الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين
وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصارى سنة
ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة
مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبى سنة ثمانين وستمائة
ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة
حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس
وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على
هذا الشرح ان علاء الدين الوداعى عاصر الجماعة اوغالبهم وقد تقدم قولى فى باب التوجيه
ان الشيخ علاء الدين الوداعى سبك التورية فى قوالب لم يسبقه احد من هذه الجماعة اليها *
ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذى مشت ملوك الادب
قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعى ومعانيه * وعلى الانواع
الغريبة من تواريه * واوردت هنالك من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها
حق من حقوق التورية وصل فى تقدمه الى غير مستحقه بحيث ان الطالب اذا أراد ان يفرد
هذا النوع اعنى التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما اوردته من انواع التورية
فى غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه وانسابه * وقد عن لى اننى اذا
فرغت من هذا الشرح ان افرد بابا للتورية والاستخدام واجعلهما مصنفا مفردا واسميه
كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه لم

يشف

انك بالتمسيح اخلق منك
بالتسبيح وبالقيادة اليق
منك بالسيادة كذبك من
ناجاك ان اخاك من نادالك
وخانك من سودك ان
الصادق من قودك وأضلك
من فضلك ان المرشد من
ضللك وقد نصحتك وان
اوحشتك وان شئت غششتك
وآنستك وشمت الفلك
اذ لم يكن عبد الك وسمت
دهرك اذ لم يوف مهرك
فقعد بك عن ملك العراق
وحيازة لآفاق فالرأى
فى الحبس ولا اطلاق والامر
بالغى والاملاق والحكم
فى الرؤس والاعناق فاكون
ايضا من جملة من اجلوك
حتى اذا ولك فلا احب ان
اكون هنالك وورد كتابك
ووقفت منه على حديث
خفى وما قدمته فى تحصيله
من النكاية حتى التجأت
فيه الى النكاية فالحين

بشف القلوب بترتيبه * ولا تفقه فى بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعى التى تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

انخنت عينها الجراح ولا اثـم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعى وهو فى عنفوان شبابه * ولعمان سيوف آدابه وقد تقدم مولد الوداعى ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفى سنة ثمان وستين وسبعمائة فتقدم سنة اثنان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند وفاة الوداعى ثلاثين سنة والله اعلم وممانعطف به على ما تقدم قول الوداعى

اذا رأيت عارضا مسبلا * فى وجنة كجنة ياعاذلى
فاعلم يقينا اننى من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزنا وقافية وقال

افدى الذى اقبل الىّ مهيبتى * فرع طويل تحت حسن طائل
قلبى بصدغيه الى طلعتها * يقاد الجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعى

اقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمى مع السمىّ
تجمعنا كانا ضرب خيط * علىّ فى علىّ فى علىّ

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزنا وقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيا لله من حسن جلىّ
كأنكم الثلاثة ضرب خيط * علىّ فى علىّ فى علىّ

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

ينتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لوذقت بردرضاب من مقبله * ياحار ملت اعضائى التى غلت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعى

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا

ولا اذلك الدين والموت ولا هذا الصوت فقد وهبت ذلك واضعافه لقلبك وان شئت رفعته لكلبك

(وله ايضا)

افارق الشيخ مفارقة العبد ثم اعلل نفسى بالمواعيد فاذا سهل الله العسير وقرب البعيد وأعاد لى العيد كانت المتعة خطفة البارق والسهم الخارق و وقفة السارق والخيال الطارق والفتة الآبق والجواد السابق

لا استتم عناقه للقائه
حتى اروم عناقه لوداعه
ولوشاء الله جعلنى ظله
ونوحه لنى ظله لا بطنى معه
وعنده نحسدت عليه جلده
ولكنت المنهوم الذى لا يشبع والحريص الذى لا يقنع

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

قالت مايقطع الاله بحر • لم يضع بين اظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لي خلي تزوج تسترح • من اذى الفقر وتستغني يقينا

قلت دع نصحك واعلم انني • لم اضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محسنين أصدق من يقين ابن نباتة في مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعي مضمنا

ياعاذلي في النكاريش اطرح عذلي • واعذر فعذري فيهم واضح حسن

فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم • اذا القام بنصرى معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذنني عذالي بحربهم • ذقني النكاريش قد أصبحت هيمانا

اذا لقام بنصرى معشر خشن • عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

عذب مقبله وحلو لحظه • او ماتراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل بنعاس في لواحظه • أما تراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من القصيدة المذكورة

الحاظه وهي السيوف كليلة • ويكون تعذيب الكليلة اطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت به ساجي اللحاظ كليلها • ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا • ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كمبرد • فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده في بيت الوداعي فان الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلاجل ذا وشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت اول مغرم محروم • من باخل بادي النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مخجل يشبه ريم الفلا • بالطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مليح أعمى

بروحي غزال راح في الحسن جنة • تعشقته اعمى فهمت من الوجد

اذا ماتبدى قائدا بيمينه • تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

افديه اعمى مغمد اللحظ • لم يزل يرتعي في خده الوردى

هذا والرحيل غدا وان رغم انف ابي الدردا وقرت عيون الاعدا وعلا نفس العدا وانطوى القلب على الدا وياويح نفسي من غد ان رأى ان ينفذ الى تذكرة بامره ونهيه وجريدة بعوارضه وحاجاته فعل وقد كان الشيخ كتب خطا عن فلان بصدر من الحنطة الى بعض وكلائه وانتظرت بحركة عمر فرجع القهقرى وتحرك الى ورا وقد حملت اباقلان في معناه ما ينم بالاصغاء اليه ويأتي قضية كرمه فيه ثم أبو فلان ثمرة الغراب وفرحة الاياب وتوصله بخصاله آكد ما معه من كتاب وللشيخ الرأى الموفق فيما يأتي ويذر

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخالد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين بن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى المتون به لفرقة حبه

لكن بتلو بن الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف مليحا من المغل

وما يرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل اشكو نحره ألم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يانديمى والذى عاهدنى * أنه عن شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تخل عندها سماعا لشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها أسماء * ان كان يمكن مقلتى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى اقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يا ربوة أطربتنى * وحسنت لى هتكى

اذا ست أبرح فيها * ما بين دف وجنك

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بالجنك من مغنى دمشق حمائم * فى دف اشجار تشرق باطنها

فاذا أشار لها الشجى بكاسه * غنت عليه بجنكها وبدفها

(وله ايضا الى محمد بن طهير رئيس بلخ وعميدها)

كتابى والشيخ الرئيس رحمه الله فى الرياسة مخول وله فى الفضل آخر واول وما يخلو له طرف من شرف تناله يدا الحر ولقد جعله عرضة بانع الالاء وطيب الثناء وصالح الدعاء

أيها الاسلام ضبه
واهلا بالاسلام ها
هن الاروم ومنها ذلك الثمر
هن العروق عليها تنبت الشجر

السيف ادام الله عز الشيخ الرئيس خامل حتى يجد حامل وكنت كمثل النصل فارق غمده

فاحدثت الايام فى حده
وهذا
فصادفه الشيخ الرئيس معطلا
بأيدى رجال لا يرون له وزنا
فجاذبنى سنا وأحدث لى سنا
وجدد لى جفنا وحلى لى الجفنا

وابدت الابيات لى ولكنى اصبتها فاستطبتها والبز

وتطفل أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى على الوداعى فى جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات مايكفى

فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعى أيضا الشيخ زين الدين بن الوردى وتزاحم هو والصفدى على العود

دمشق قل ماشئت فى وصفها * واحك عن الربوة ماتحكى

فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

فى حشاه للشوق نار لظى * وبفيه حفظا السر له ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسنا

فيا عجبا منى لانسان مقلتى * يحدث أخبارى وفى فمه ماء

ومن لطائف الوداعى ونكته فى العود الذى اخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى واستعملاه بلا اوتار قوله

والروض يهدى مع نسيم الصبا * نشر خزاماه وريحانه

وراسل القمرى ورقاءه * شدوا على اوتار عيدانه

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله مشيرا الى رأس العين ببعلبك

ياحادى الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه

فاقر أحيائى على نازل * فى محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

ياجيرة بالغوير قد نزلوا * الله من جيرة ونزال

ماعطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه وا كشفوا عن الحال

آخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبرى حتى استحال

فآه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعى واجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فشجاها وشوقا

مارأينا مقرطقا * قبل هذا مطوقا

ومثله فى تورية المطوق

ياجنة كوثرها * رضابه المروق

وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

فديت من مبسمه * زهر لغصن قده

لم بر والعزان عز
وما أتلعونا طائعين فتاتهم
ولكن خطبناها بارماحنا
قهرا
ولى صاحب لما أتانى جوابه
نثرت على عنوانه قبلى نثرا
سرقت له شعرا ولو وصلت
يدى
سرقت له الشعرى ولم اسرق
الشعرا
اعوذ بالله من الحور بعد
الكور واستقيل الله
عثرات الكرام كنت
نويت ان لا اقول الشعر
فأبت النملة الا الدبيب وأجدنى
قد اكتهلت والكهل قبيح
به الجهل ولاحت الشعرات
البيض وجعلت تفرخ
وتبيض وآن لعازب ان
يؤب وانما اختارت الحكماء
الزاوية والاماكن الخالية
لانهم وجدوا العافية تحج
الآتية وما أهنأ هذه
العافية اولم أحرم الخدمة
العالية ورقات تدرس
وشجرات تغرس وشويهات

وصدغه مطوق * فى روضة من خده

النكتة فى المطوق من اختراعات الوداعى وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى فى تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله

طوق جود الوزير جيدى * فلست عن مدحه اعوق
اسجع بالمدح فى علاه * لا غروان يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

لى من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا اقوا دأمله
سلسل الدمع فى صحيفة خدى * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعى كثيرا وسبكه فى قوالب كثيرة واظنه اخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذى ما أراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان تخط الدموع فى الخد خطا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

قلبى مطيع فى هواك وانت لى * من بين دوح الحسن غصن خلاف

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى مطلع قصيد

قاسى الجوانح لين الاعطاف * اهواه فى الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

كيف أقوى لحمل سخط وبعد * بعد ما كان من رضا وتدانى
فتكرم بعطفة والتفات * مثل ما فى الاغصان والغزلان

اخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ونكته الغريبة قوله

قال لى العاذل المفند فيها * يوم وافت فسلمت مختاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

يا غزالا أهدى السلام الى المغـ * ـرم لا تنكرن حالا لديه
كيف لا يدعى النبوة فى العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

واخذه الشيخ صفى الدين الحلى فقال فى ثلاثة ابيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبى واسترابت * قلوب صدهم عنه ضلال
وردهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
فمذ سلمت سلمت البرايا * الى قولى لكم الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ايضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق اسمه عمر وقد هام بمليح فى احدى اذنيه لؤلؤة

تحرس واللبن الرائب والبر الخالص وعريش كعريش موسى ولذا أن أقرب من ذلك

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما سعيت وأوضعت المطية بالحبل
ثلاثين عاما ما أرى من عماية اذا برقت الا أشد لها رحلى

فجزى الله الشيبة خيرا انها لاناه ولا ردّ الشبيبة انها الهماه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار واظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا وانتشر الآخر نورا والحمد لله الذى بيض القار وعماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلته والشقى من خضبت لحيته وكفى الله الشيخ

كم قلت لما سر بي * مقرطق يحكي القمر
هذا ابو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا في مليح اسمه سعد

اذا ما كان قتلي يا حياتي * مرادك من يدك او بصد
فقوس سهم طرفك نحو قلبي * فداك أبي وامي وارم سعد

ومن لطائفه أيضا في مليح بدوي

أقبل من حبه وحيا * فاشرقت سائر النواحي
فقلت يا وجه من بني من * فقال لي من بني صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعي * بيضا وراحت كالدم القاني
لا تعجبوا طرفي رب الهوى * فكل يوم هو في شان

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله

* وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبي كالثريا في اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى ان حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله من دوبيت

يا غصن نقا ينع بالازهار * يا ألطف من نسيمة الاسحار
ريحان عذارك الذي تيمني * من ولده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دوبيت ايضا

لما حجب السكري عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقي * يا غصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين

ارى من الواجب ان يصرف الـعطار بالصد وبالزجر
فأي تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة ايضا من مديح قصيدة

يا طالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لا ثما عتبات ساحته * تظفر اذا بمكرم الحجر

وهذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعي ومن لطائفه قوله

يا عز والله العزيز الذي * قضى على نفسي باذلالها
ما خطرت من نحوكم نسمة * الا تعرضت لتسآلها
ولا سرت منا الى ارضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

انا شاعر قد هذب الطبع شعره * واصبح عاصيه على فيه طبعا

الرئيس كل محذور لقد كفاني كل مكروه ووفقني لشكره وخدمته آمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اللهم غفرانك لنا اجمعين فان أبا جعفر العلوي اخذ على العهد الثقيل والميثاق الغليظ أن لا أكتب الا أجمعين فقلت وما أنكرت من الطاهرين فقال لا اكون من جملة القوم فقد اخرجتني من زمرة الجد بهذا الحد والسلام

(وله اليه أيضا)

والله أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ما سكنت هراة اضطرارا ولا فارقت غيرها فرارا وانما اخترتها وطنا ودارا واخترته سكنا وجارا لتكون ارفق لي من سواها ولازداد به عزا وجاها فان كان قد ثقل مقامي فالدنيا امامي وان كان قد طال ثوائي فالانصراف ورائي لست والله ذباب الخوان ولا وتد الهوان

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * يحق لشعر قاله ان يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقي فيه خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذاره * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدم بها قوله

كلما رمت فيك انكار حبي * من عذولي يزيد في تعنيفي
عرفته لام العذار غرامي * بك والام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعيذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بحم

ومما حلى ما قال به لمدولم يخرج من مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى واغن للقسم
قالت خلاخله أسكتنى * نطق وشاحه الساقى ملتفى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكأن ريق النحل ريقتها * فيها الشفاء لمهجة نحات

ومن لطائفه قوله

ويوم لنا بالنيرين رقيقة * حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله

وذى دلال اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رق بمصر وبسكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وار وانا ياسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات لبلا
خلعت علينا سكرة * بدوية كما وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تخطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

اخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

واغيد كل شئ فيه يعجبنى * كأنما هو مخلوق على شرطى

والشام لى شام مادام يكرمنى هشام وهراة لى دار ماعرف فيها مقدار وقرى الضيف غير السوط والسيف مرض ابو العيناء مرض وفاته فقال له بعض عواده يا ابا العيناء قل لا اله الا الله فقال انا الله وجدنا والله صار ابو سفيان بعد ما امان من لجأ الى داره ولا ذ بجداره يؤخذ بجرم جاره ويصلى بجر ناره شد والله ما انتكس العز وانقلب الامر هذا الخليفة يزعم انى طعام فلا والله

اجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لا تخطى

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيد

اهل نجد هل تجدون محبا * صاده بالغوير ظبي ملول

كم دماء مطلولة فى هواه * وبها روض خده مطلول

وحديث عن السقام صحيح * قد رواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشاك ان تختار لى رحبة * است اليها الدهر بالسالك

لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التى ما حام فكر غيره عليها قوله

وفى اسانيد الاراك حائط * للهدير وى صبره عن علقمه

وكلما ناحت به حمامة *روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية فى علقمة وفى عكرمة ايضا فانه اسم للحمامة ومثله فى الغرابة ايضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقاء لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقاء وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

اتيت الى البلقاء ابغى لقاءكم * فلم اركم فازداد شوقى واشجانى

فقالت لى الاقوام من أنت قاصد *لرؤياه قات الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما اوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى ومن غرائب نكته البديعة فى باب التورية وأبدت سوء رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدائعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما اغار الشيخ جمال الدين على الوداعى ودخل الى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدى فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من ابياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولم يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه خبز الشعير يعنى انه مأكول مذموم واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال) وكنت اوردت من خبز الشعير نبذة فى اوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا بايراده هنا كاملا لانه حق من حقوقها فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

ومواسع بفخاخ * يدها وشباك

قال لى العين ماذا * بصيد قلت كراك (ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عند ما رمى الشكرا كى غزال للبدو ربما كى

ان لحى لحرام وفيه عروق عظام ولو كنت طعاما لكنت الاكلة التى تمنع الاكلات ولو كنت البقة ما كنت الا فى الفلاة ومن شمى فى خلف لجزاوه مائة الف واذا انتهت الدعوة الى تقدد عزرائيل ولم يبق من ولايته الا القليل والله ما يصلح لحى للقديد ولا يحسن فوق الثريد وانه ليأبى من المضغ وينشب فى الحلق ويقلق فى البطن ولا يخرج من المعى الامع الامعا وكانوا لا يصيدون

فقلت ارجعي يا عين عن ورد حسنه * الم تنظري كيف صاد كرالك (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

اسعد بها يا قرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبي تحز كنه * فقال لم اخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

وبمهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

أخذه الشيخ صلاح الصفدي وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ما زلت اشكو حين وفرقي الضنى * قسمي واسلي الى البلوى وفر
حتى تأثر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

واحسن ما وقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة انه قال

بروحي عاطر الانفاس املى * ملي الحسن حالى الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

بروحي خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتني ألذ وازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل اخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها * لما تبدى بالتي هي احسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما ينصهما القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ولكن

ابن آوى وان كانوا شر اوى ومن حلف ان لا يأكل كل مضيرة فأكل زب كلب بلبن قرد لم يحنث وسائي ان تركه الشيخ الرئيس يقول فيمن اخذ اذا لم يؤخذ اكره المحتشمين بجرم محتشم يؤخذ اكاره اذا جنى جاره وخرج عليه اذا لم يدبجهم بشعر المخل ويصلبهم على جذوع النخل واسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة ان بطن الارض اوسع من ظهرها وارفق بأهلها ولا عليه ان لا ينهي الي ناهما

رأيت العز الموصلي نسبهما في تذكرته لصلاح الصفدي من جملة خبز الشعير والله اعلم

قال الشيخ جمال الدين قلت

فديتك ايها الرامي بقوس * وطرف بات في جسدي عليه
اقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من احب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعي عليه
عقيق دمي جرى فأصاب خدي * وشبه الشئ منجذب اليه

قلت اظن ان الشيخ صلاح الدين لم يسمع قول الشيخ جمال الدين ونظم هذين البيتين ما كان في حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وأين ته تلفظ بالانجذاب بل قال عقيق دمي جرى فاصاب خدي قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يامن يكي الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت في كدر * فانما انت من ماء ومن طين

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
الیس المرء من ماء ومن طين * واى صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

احاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا اجد الصبر المحاول يعذب
والقى به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يقول الفكر لي دنست ثوب الشباب وفي غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * ومانقي لان الطبع اغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

اسفت لشاشي الذي قد مضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله مابي مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن * شاشي على رأسي لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

اشكو الى الله ما اكابد من * دمامل مسني بها الضر
فالليل عندي من حالها سنة * فالليلي ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امور * تمر عيشي لما تمر
ودمل مع دوام ليل * مالهما ماحييت فجر

اسكن من يقظان وجائعا اخبث من شبعان والذنب لايصاد عدوا والصواب في الوقوف والطاس اذا نقر فعاته بالصوت

(وله اليه أيضا)

كتابي واعل الاخبار قد وردت تلك الديار وكيف شكرت النعمة واديت فرضها وان عشت تبلغ الراعي ولو على ماء مدين والذاهب ولو بعدن ابين فشكر الغارس تثمير غرسه ومن شكر فانما يشكر لنفسه ولما حضر في رؤساء نيسابور

ونظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى ايضا فى ابيات معناها الوعظ يجبى الى الغاية وهى

لا تخش من هم كغيم عارض * فاسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكأنني بك راويا عن بشره
واشدد تمرّ الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمرّ بذكره
ولرب ايل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحى فاتر الاجفان ساج * كأن الحسن لفظ وهو معنى
تفرّد وهو فتان التثنى * فيالله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

واهيف حاز فذا * قد حار فيه المعنى
تراه فى الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحى جيرة بفؤاد موعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى
كأنا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

امكنت شخصك طرفى * حتى اوارى اوارى
فحين جاورت دمعى * جعلت جارك جارى

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى اول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

سألت النقا والغصن يحكى لناظرى * روادفا واعطافا من زاد صدّها
فقال كثيب الرمل ما انا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول ردف حبيبى * وعطفه المتثنى
ما انت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لك يا ازرق اللواحظ مرأى * فرى افصحى على الخلق ينهى
يا لها من سوالف وخدود * ايس تحت الزرقاء احسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

البسوه عمامة للنصارى * قد روى اللازورد فى الحسن عنها
وجلا طلعة كبدر تمام * ايس تحت الزرقاء احسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

يا مجريا دمعى وموقف لوعتى * من جسمى المضنى على الاطلال
يامن اذا سألوه عن بدر الدجى * والملك قال اخى الشقيق وخالى

ولم اشكر ذلك الاحسان ما وقع من بيت حسان اذا ما الاشربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء فهم من سره فصاح ومنهم من ساءه فشاح وما انسى لا انسى ارتياح الامام ابى الطيب وقوله احسنت وانفاس قوم آخرين جعل الله نفوسهم فداء ذلك النفس

بجبهة العير يفدى حافر الفرس
لاجرم انى نظرت الى الولى وعطفت على العدو فانشدتهما مدحت الامير وايامه

اخذه الشيخ صلاح الدين وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق
اذا عاين الروض المدبج خده * يقول انا هذا اخى وشقيقى

قلت الشيخ صلاح الدين ما شم لمك الخال رائحة والله اعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت انا

هيهات بين ذوى الاسى لا يستوى * دمعى ودمعك ايها المتواجد
فحديث دمعى عن تلهب اضلعى * ذاكى اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت حتى لان بعد قسوة * ورحت ابكى وهو لى يساعد
وقال ها نحن سواء فى البكا * لا يا حبيبى ما بكانا واحد
لا يستوى دمع حكى جمر الغضى * اذا جرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولود لكم ما ازهره
من قبل ما عملت لديه عقيقة * عملت له المدح الجوارى جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ايا ندى الورى كفا ووجها * واقومهم الى العليا طريقه
لقد جاءتك جوهرة المعانى * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

عذول است اسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى اذن عن الفحشاء صما

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
وان كان عذالى عموا عن جماله * فلى اذن عن كل ما نقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

حربى من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما اسد وارشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـ * ـل رمانى من هجر عينيه بغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

سهام طرفك اصمت * قلبى ولم تترفق
ما يفتح الجفن الا * ورهن قلبى يغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

تأملت فى الحمام تحت مآزر * روادف بيض ما سناها بغائب
كأنى من هذى وهاتيك ناظر * بياض العطايا فى سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فضلت وجوه وسيئت وجوه
وهل يجحد الشمس الا الاعمى
وهل يعرف الفضل الا ذووه
انا اذا فكرت فيما يلبسه
الزمان من خطوبه مشغول
القلب فاذا رجعت الى
ما يحكيه من كفاية الشيخ
الرئيس قوى الظهر والله
يبقيه مما الاوجال ولا نزيده
الا القاضى ابا عاصم ربما
احسن هذه الاجبة واملح
هذه الخفية واوفق الفاظها
لمعناها ولا يذهبن ذاهب
الى التكنية فغيرها
قصدت بالتعمية وما هذا

تبدى حبيبي في السواد فراقنى * وماراعنى لما اتى بالعجائب
وشبهت ذاك الجيد فى طوق برده * بياض العطايا فى سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لقد كنت فى لذات ثغرك هائما * ليالى لم يمنع على عاشق ثغر
فأما وستردونها من شوارب * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الا فاسقنى من خمرة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط اثاما حجب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قلت قد اوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدى من حدائق الروض النباتى ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبني احد الى تحمل راجعته الى النقل * وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقسماء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتى تمجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر * لذلك وما كابر * ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الاجازة * واطال وقوفه على ذلك الباب العالى الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذى زد قبل العطاء ان يدفع بالتى هى احسن * واشرح كرم المسؤل الذى نثر على سائله الدر جزافا علما بأن عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى ۞ الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوى التحصين فى التحصيل والدأب * الذى تبيت شوارد المعانى صرعى تحوله للطافة تخيله * وتمسى الالفاظ العذبة طوع تحوله فى التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذى يضحك من العباس فى رقته * ويقيم صريع الغوانى الى مقته بعد مقته * والغزل الذى يشيب له فؤاد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز الانصب الهلال نحو الصيد النجوم * ولو تعاطاه حفيد جرير لقيل له الم تسمع الم غلبت الروم * والمديح الذى لو بلغ زهير القال ما انا من هذه الحدائق * او انصرف نبوءه بالمتنبى لا انشغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذى نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذى سبق الفاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالازهار * واذهله حتى صحت له القسمة فى الخيل والخيال بين المراقب والمراقد فأخطأت منه فى المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التى تغدو الطروس بها وكانها رياض محبرة * او سماء بالنجوم زاهره * ان لم ترض ان تكون فى الارض رياضا مزهره

ادب على الحصرى يعلو تاجه * وله ابن بسام بكى الوانا
وترسل سبحان من قد زاده * منه واعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لو لوحها فى وضعها * ليس ابن مقلة عندها انسانا
ذالكم اخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

التعريض وما هذا الهوس العريض وهلا شرحت فقلت المحبوب واسترحت وللشيخ الرئيس فى نشر بقى بالجواب وتعريفى بسار الاخبار وتكليفى سوانح الاوطار وتصريفى على الامر والنهى رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

نهرى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس لا يزيد البحر عددا وحجرى لا يزيد الطود وزنا وقد رأيت ان لا ازيده شغلا فالميزان لا ينقصنى فضلا

جمال الدين ابى عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات اهل الادب فى درجة هذه الدولة * ولم به شعث ابنائه الذين لا صون لهم ولا صولة * واقام به عماد ابيات الشعر التى لولاها لما عرفت دارمية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله له فى مدته برواية المصنفات فى الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعهما * وتباين اجناسهما وانواعهما * بحسب مايؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع او اجازة * او وصية او وجادة * من مشايخ العلم الذين اخذ عنهم واجازة ماله احسن الله اليه من مقول نظما ونثرا وتأليفا او وضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم واجازة ماله يقع بعد ذلك اجازة عامة على احد القوانين فى المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درها * واثبات مايحسن ايراده فى هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات اللائقة * وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا فى ذلك وكتب كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكى بالقاهرة المحروسة فى مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

(وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيبا السؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه سابقى الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فاللوازم فى كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب مابينهما من شرف المناسبة * لما رضى مجمع الجماثم لطارحته نوعا من الاطيار * ولا قبل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع غمز حواجب الاحبة برد القلوب الهائمة فى اودية الافكار * ولكن نقول الاكابر والاولياء تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ماعندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت ايها الراقم برود هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشى روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * واقام المسؤل مقاما ليس من اهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يبارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قلمه الدر الا كبارا * وذا اليد البيضاء فى هذه الذى طالما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة * ورشيده الذى لو طارح ابن المعتز وهبت ولايته لكان امير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تتبجح العيدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافهه منه القلم وجها جميلا وقدا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * فهو الغرس الذى يقصر عن امالى وصفه الشجرى * ويثغر الدين والعلم بشخصه وانظه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثغرى * كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلا جيل * وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده وودّه حتى كاد يبطل قول الاول دايلا على ان لا يدوم خليل * تودّ الشهب لو كانت حصباء غدير

انا العام اصدق عبودية واتم فيها نية فان نقصنى عطية ولم اركب خطية سؤت ظنا وضقت ذرعا ومابى الغرامة ان على لها محلا ولكن الناس نظارة رأيه العام لى فان صدق رغم الحساد وان تغير ظهر الفساد وكما لا ينقض شرطه طاعة كذلك لا تنقض طاعته شرطا وانا الى الزيادة احوج وهو بها اخلق فان لم تكن الزيادة فلتكن العادة

طرب * وتغار الافق اذ اطرز براع درجه بالظلماء أردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ماتنتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليل الصفا هل أنت بالدار عائج) ان كتب اغنى ابن مقلة من الحسد على قذاه * وجعل ابن البواب لحجبه عصا القلم فالا ما ظلم من اشبه أباه * وان نحا النحو اباه عمرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو أن ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما باد لبيدا * وولى منه شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان نثر فما الدر اليتيم الا تحت حجره * ولا الزهر النضير الا ما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظماء * وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحمد وله (خليلي هبا بارك الله فيكما) هذا وكم أثني قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأني أعزه الله من الوصف بما قل عنه مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحلت كاهلي من المنن ما لم يستطع * وضربت لذكرى في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك * وأوازن بمثقال كلي الحديد ابريزك * وأقابل لسانك المطلق بلساني المحصور * واثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور * فتحيرت بين أمرين أمرين * ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين * ان فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي * والصدر الحالي * ومن أنا من ابناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطاب مع اقتاري على بأن أمدح وأجيز * وأني لقيد خطوي هذه الوثبات * وأني بماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد اسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني * واهملت الطاعة التي اقرع بعدها برمح القلم سني * وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الافق وقال قطني * ثم ترجح عندي ان اجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تحكم سائلي * معظما قدري كما قيل بعاقلي * منقادا الى جنة استدعائك من الطور بسلاسلي * واجزتك ان تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * واجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتضمين وتفويف * وماض ومتردد * وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد * وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المنبدد * كاتبا لك بذلك خطي * مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي * ذا كرا من لم خبري ما ابطأت بذكره وارجو ان ابطئ ولا اخطي * فأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا بزقاق القناديل * وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازي بن ابي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين ابو نصر عبد العزيز بن ابي الفرج الحصري البغدادي والشيخ شهاب الدين احمد بن ابي محمد اسحق

(وله الى الوزير أبي نصر ابن أبي بريدة) قد عرف الشيخ الجليل التمامي بعبوديته ولو عرفت مكانا بعد العبودية لبلغته معه أفكلما بعدت صحبة رجعت رتبة وكلما طالت خدمة قصرت حشمة واست ممن يذهب عليه ان للسلطان ان يرفع عبدا حبشيا ويضع قرشيا ولكني أحب أن أقف من مكاني على رتبة لولبها لا يغور ومنزلة كوكبها لا يدور فاذا عرفت مكاني

الابرق وهى * واما ذو والاجازة فى مصر وغيرها من الامصار فكثير * واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فمنهم القاضى الفاضل محيى الدين ابو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى * والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبى النحوى * والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن اسمعيل بن المتنبى اقترح على ان انظم له فى زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا * وطمت فأكدت الاعادى

وانت بكل جميلة * ماذى اصابع ذى ايادى

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصرى من اهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدنى الى ان انشدته قولى

يا غائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش ولا والله لم يطب

ذكرت والكاس فى كفى ابا البكم * فالكاس فى راحة والقلب فى تعب

فقال انعب والله جزعك القدح * والشيخ العالم شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن المقسم انشدنى لنفسه

لا ارى لى فى حياتى راحة * ذهبت لذة عيشى بالكبر

بقى الموت لمثلى سترة * يا الهى انت اولى من ستر

فأنشدته لى

بقلت وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذى كنت املك

يا عذار الحبيب دعنى فانى * لست فى ذا الزمان من خل بقلك

والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصرى سمعته ينشد لنفسه

واخجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق

وتوقفى او بخ لى قائل * اكذا تكون صحائف الوراق

* والاديب الفاضل نصير الدين المناوى الحمامى انشدنى لنفسه

احب من الدنيا الى وما حوت * غزال تبدى لى بكاس رحيق

وقد شهدت لى سنة الدهر اننى * احب من الصهباء كل عتيق

فأنشدته لى

انى اذا انست همًّا طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه

ودعوت الفاظ المليح وكاسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

* وجماعة يطول ذكرهم ويعز على ان لا يحضرنى الآن شعرهم * واما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمعها * ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما سخرت نسيمها ز رفعها فهى كتاب مجمع الفرائد * القطر النباتى * سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون * منتخب الهدية من المدائح المؤيدية * الفاضل من انشاء الفاضل * زهر المنثور * ابرار الاخيار * شعائر البيت * التقوى * لم تكمل الى الآن * الارجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصائد الملوك * اجزت لك اعزك الله روايتها عنى ورواية ما اذنته واجمعه بعد

وخطه لم اتخطه واذا رأيت محلى وحده لم اتعده ثم ان قدمنى يوما عليها علمت ان عنايته وان اخرنى عنها عرفت ان جنايته قدم على اليوم فلا اناوات انكر سنه وفضله ولا اجحد يده واصله ولكن لم تجر العادة بتقدمه لا فى الايام الخاليه ولا فى هذه الايام العاليه وشديد على الانسان ما لم يعود فان يكن حاسد قد هم او كاشح قد نم او خطب قد الم او امر قد وقع ثم فالشيخ الجليل اولى من

ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك وعينه * ونصحه وحققه * وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به فذلك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل المنجبة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب والآداب من اسمك ومعنيك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقى الحذاقى ثم المصرى عفا الله عنه انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين فى النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه * ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تأخر فى السبق عن فحول المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانا وسحرا * وتفقه فى الطريق الفاضلية مذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدى من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم فى سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * وان قيل ان الفاضل اجل من تذهب بهذا المذهب فذهبى وأنا استغفر الله انه وصل فيه الى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما امها ناظم ولا ناثر فى الايام الاموية * ولا ابتسمت لهم ثغورها فى الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى الفاضل اتى بهذه الفضلة الغريبة واظهر منها الزيادة المستفاده * واعتادت بلغاء المتأخرين بها بعد ما شم دوابسبقه فأكرم بها اعادة وشهاده * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة اهل غربتها * وشرف بأصل شجرته النباتية نسبتها * واسكن فى ابياته من بديع النظم كل قرينة صالحه * واستوا جمع انشائها على فروعه النباتية صادحه * وقد عن لى ان اوردنبذة من مفرداته التى حصل الاجماع فى الغرابة عليها * واشار المصنف بقوله اليها

اصغ لما قال اخو وقته * وخل عنك اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيع له اطربت * ولا تقل الاموا صيلا

فمن ذلك قوله

جاءت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه
لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى ان الخال لا يرث

ومنه قوله

واغيد حارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

وقوله

بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

تعرفه وعرفنيه والا فما الرأى الذى اوجب اصطناعى ثم ضياعى والسبب الذى اقتضى بى بعد ابتياعى انا لا ابس الشيخ الجليل على هذه الخصلة ولا احمله على هذه الفعلة
فاما ان تكون اخى بحق فاعرف منك غثى من سمينى والا فاطرحنى واتخذنى عدوا أتقيك وتتقينى
لا اعدم كريما ولا اعدم نديما ولى مع هذا المملوك حالان لا واسطة بينهما اما

وقوله

واحربامن هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لايجيب دمعى * وسائل لايجيب سائل

ومن نكته البديعة فى هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتى فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردى غفر الله له

تعجبت من نهديه لوان لامسا * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
وسال عذار لو لحا نفس صبه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومنه قوله

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومنه قوله

قبلته عند النوى فتمزرت * تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمته عند القدوم فحبذا * رطب الشفاه السكرى بلانوى

وقوله

افديه لدن القوام منعطفا * يسل من مقلتيه سيفين
وهبت قلبى له فقال عسى * نومك أيضا فقلت من عينى

ومنه قوله

يارب لص ناهب سالب * وهو من الحسن ملى غنى
يرنو الى سرب الظبى لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * قلت ولاعن أخضر الشارب

ومنه قوله

كم قلت بالاثم وبرد اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد
روّ صدى قلبى ودع عاذلى * فى الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله

بروحى معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
واذ ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنه قوله

يا كعبة الحسن المنيع لاتطل * بينى وبينك للجفاء حجاز
حنى اليها من قامة ألفية * يثنى لقاها كاشح همّاز

صفوا فاشربه او كدرا فلا اقربه والسلام
(وله ايضا)
الكرم اطال الله بقاء القاضى الامام مجان بقى ان يفطن له والفضل عدنان بقى من يهتدى اليه وليس دون الجد حجاب يدفع ولاحجاز يمنع ولا بواب بعبس ولاشرى يحبس ولكن عز من يناله ومن شاء ان يعلم ان الناس ظلماء وان الكرماء ماء لكن الشقاء يمنعهم من قربه والقضاء يحجزهم

ومنه قوله

يا واصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحني من طول وسواسي
لانهد الا من صدر غانية * ولا كميت الا من الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل في الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله

قلت ولي في هوى حبيبي * قلب رقيق عليه يدهش
بالجفن والصدغ يا عناني * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله

نقطة خال في وجنة جعلا * في اللهو لي بعد نوبتي غبطه
فيا لها وجنة معشقة * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله

اذا سألوني عن هوى قد كتمته * سكت أراعي واشيا ورقيبا
وجاوب عني سائل من مدامعي * فلله دمعي سائلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قد أقبلت * ورأت لقلبي عشقه يتجدد
قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومنه قوله

وتاجر قلت له اذ رنا * رفقا بقلب صبره خامر
ومذ له تنهب طيب الكرى * منها على عينك يا تاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردي وزنا وقافية ومعنى وقال

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا * قلت على عينك يا تاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي المصري الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

وتاجر أسكرني طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني * جهرا على عينك يا تاجر

ومنه قوله

أفي جفاكم كثير دمعي * الكن بقي في القليل نشطه
وكنت أروي عن ابن بحر * فصرت اروي عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصرا لحبيب ثم ابتلاني * بعذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي * في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

عن شربه فلينظر هل يجب أن يدعى كريما كما يجب ان يرى سقيما ثم ليفكر ما الذي يمنعه عن مثل ما أتاه القاضي الامام من الفاتحة بذلك الفضل والابتداء بذلك الفصل ويا سبحان الله ما علمت ان هراه تسبني صرصر والصرات حتى انستني دجلة والفرات على ظهر الغيب نظر الريب فكيف بنا اذا دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد واهلها من عدد والقاضي ابا القاسم من بينهم ومانصت الاعلى

ومنه قوله

وكنت اظن العشق يترك مهجتى * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرقى
فلما بدا مع أسود الشعر ابيض * اتى العشق يغزونى على الف أبلق

ومنه قوله

يا حبذا خد الحبيب * وقد اضاء شريقه
ان لم يكن فى الحسن نفس * الروض فهو شقيقه

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فديت حبيبا شرح الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا ابصر الروض المدبج خده * يقول اناه ذا اخى وشقيقى

ومنه قوله

يا حبذا يومى بوادى جلق * وفرحتى مع الغزال الحالى
من اول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله

آها لحاذق ذهن * يقول فى الحب من لى
قال العذار لحذقى * ما انت من خل بقلى

ومنه قوله مع التضمين للمثل

فى الناس من يشتاق للمرد ولا * يزال فى هجر وشوق يبطنه
وآخر شاخوا وما يتركهم * ذا يشتهى التين وذا يقطفه

ومنه قوله

يا من يقول البدر او شمس الضحى * كهذى لا كيد للقمرين
ابوجهه ذاك وجه تلك تقيسه * قسما لقد اخطأت من وجهين

ومنه قوله

نسموه حسنا الهلال وعينه * لظبى تسب لارميت بينه
فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومثله ومن خطه نقلت

برنو بشرق حسنه * فى ناظرى ولهانه
فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدى عن هذه النكتة فأخذها بعينها وقال

بسهم أجفانه رمانى * وذبت من صده وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

ومنه قوله

دعونى فى حلى من العيش مائسا * ومر تقبا من بعده عفو راحم
امد الى ذات الاساور مقلتى * واسأل للاعمال حسن الخواتم

عينهم وحبذا كتابه
واصلا ورسوله حاملا
فلقد اقرأنيه الشيخ السيد
ابو فلان بعدان درجنى الى
التعمية وغالطنى فى كاتبه
ونسبه الى بعض خدمه
ليروز بنقده عقلى لخين
صادف امتداحى امداده
ووافق انتقادى اعتقاده
اطلع الكتاب من ستره
وابرز السر من خدره
ونظرت من عنوانه فى اسم
القاضى الامام فحمدت
الله اذنبهه للكرم وانامنى
ثم لاجرم انى اخذت

ومنه قوله

لما بدى فى الحنين تحاربت كبدى وعينى
فاعجب لها من وقعة * جاءت ببدر فى حنين

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال

بدت روادفه بى * تحت الخنيز بعين
فقلت يا بدر هذى * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعوا شبيه الغزال يرمى * فى مهجتى بالنفار جمرا
تالله لا فاتنى اقتناه * وعين كيسى عليه حمرا

ومنه قوله

بأبى نائم على الطرق راحت * فى هواه وايس يعلم روحى
فاتح فى الكرى فما سكريا * ياله من مسكر مفتوح

ومنه قوله

ملأت انسان عينى عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف ارينى فانثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله

ومن الشقا ان الجفا وتشوقى * لا ينتهى هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله

سلت مهجة قد كان صدعها الاسى * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالى بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله

من الترك انثى سلوتى مع انها * صواب وأفتى فيه وهو من الخطا
اما والهوى لا حلت عن عطف اغيد * ولا بت فى ريان صدر مفرطا

ومن نكته البديعة فى المدائح قوله

انا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * فننشى له الفاظا ونشى انا معنا (معنى)

وقال فى صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى نياتها * فى الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسما لواسطاعت اليك جسومهم * بعثت دروح الحمد من أوصالها

وقوله

لاعدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس فى المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

الفضل بجملته وبعثته الى هراة برمته وذلك انى ابو فلان وهو الفاضل الذى أكتبته بغداد الطفا عراقيا وافادته سجستان ادبا مشرقيا ولو قدرت على انفس منه لبعثته هدية لكنى تصفحت الاعلاق فوجدت الياقوت من جملة الاحجار وهذا الفاضل من جملة الاحرار والدر منسوبا الى الصدف وهذا الفاضل منسوبا الى الشرف والخزوالبز

وقوله فى كمال الدين بن الزملكانى

يقدبه قوم تشبهوا حـداً * به وايسواله باشباه
ان نطقوا بالجميل او فعلوا * فللريا والكمال لله

ومنه قوله

لعمرى لقد الخمت بالفضل منطقى * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزانى فأثنى اسانه * فلازلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

فديتك من ملك يكاتب عبده * باحرفه اللاتى حكتها الكواكب
ملكت بها رقى وانحلى الاسى * فها انا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التى * وجدنا بها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان واهله * ولم لا ومن اطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضى جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة * لها منك شهم فى الثنا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائباً * واول ها تيك الجنائب سيس

ومنه قوله فى جواد

وادهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العليا لمن حاولها * سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالى انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * وازجى من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنئ محتسبا

تهنأ بها حسبة ادركت * بايام فضلك ما ترتقب
فانك من اسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بامثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد انعم * واحسن ما تبدو القلائد فى النحر

وقوله

كذا ابدا يا ارفع الناس همة * غوادى الندى من راحتيك غزار
اقدم اطراسا وتغنم انعما * فمنى اوراق ومنك ثمار

نوعين يخلق الدهر جدتهما وهذا الفاضل لا يغيره الزمان عن عهد ولا يحيله حال عن ود والدرهم والدينار جوهرين يملكهما الاراذل كما يملكهما الافاضل وهذا الفاضل لا يسبك اشك ولا يضرب فى محك والخيل العتاق يهتدى اليها الخذلان والجماح كما يلحقها العضاض والطماح وهذا الفاضل نقى الجيب من كل عيب وقد جدت به بعد ضن ولعمرى انه علق مضنة بقى ان يقبله القاضى الامام بمنة ويلام عليه مل عرضه ويجته حسب اخلاصى واخلاصه ان شاء الله عز وجل

ومنه

ومنه قوله وكتب بها الى القاضى بهاء الدين ابن أبي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقا بمكارم * أورثتها عن سادة انجاب
لاغرو ان أعربت عن احسابهم * فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضى شمس الدين الهيتى

يارب أمدد بالغنى بيد * فى يومه يهب الجزيل وفى غده
فالبحر يسعى خادما فى بابه * والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

* على دون من شمائل أقمها * فيا عجبا لى فى ازديادى من الفضل
واعجب من ذا أنك الشمس أشرقت * وها أنا منها حيثما كنت فى ظل

ومنه قوله وقد ارسل اليه شرف خالد الدين القيسرانى هدية جليلة فى وقتها

لك الله ما أزكى وأشرف همة * وأحمد صنعا حيث تبلى المحامد
فانت الذى قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد *

قال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداء عفوا * بريئا من سؤال أو مطال
* فيا لله من عادات بر * أتتنى بالتمام وبالكمال

وكتب الى الصاحب تقى الدين بن هلال

هنئت ما أوتيته من رتبة * حلتك فى العينين من اجلالها
فى مقلة الانسان تمت فقل انا * أنت ابن مقلتها ام ابن هلالها

وقوله

فدينا لك يا ابن المحسنين مجوّدا * باقلامه او جائدا بمكارمه
لخاتم عند الجود فى بطن كفه * وياقوت عند الخط فى فص خاتمه

وقوله يهنئ بالعيد

تهن بعوده عيدا داسعيدا * وعش ماشئت يا كهف البرايا
فخرت به جميع عدا الفاخر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كتابى * عن لسانى قول الخويدم حقا
انا عبد مكاتب غير انى * لست ابغى من مالك الرق عتقا

وقال وقد انعم عليه بنصفية

سورالذكر سهات * لى نصفية علت
فبياس بن عوذت * وبعامير نصات

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله

ياسيدى نصفيتى قد فصلت * وعجزت الماغبت عن تبطينها
ماحلت فيها عن ندى نعمايديك ولا اتخذت بطانة من دونها

(وله أيضا)

كتابى وقد توسطت الشباب وتطرفت الشيب وقبضت من اثر الزمان وتطرت فى عقب الامور وطرت مع الملوك ووقعت مع الخطوب ورافقتها والجن تنهى وتأمر ففارقتها والموت خزيان ينظر وعددت من سنى خمسا وعشرين وماعددت اشهرها حتى حلبت اشطرها ولا سلمت رسنها حتى استوفيت ثمنها وانا بما منح الله الاستاذ كل يوم من مزيد منتظم الامور موفور السرور والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد عبده وقول الاستاذ نعمة

وكتب الى القاضى شمس الدين البهنسى

شكر الله ايا ديك التى * انعشت حالى بشمس الهبات
أنت بالمعروف قد احييته * وكذا الشمس حياة للنبات

وقال يهنى قادما من الحجاز

قالوا سررت زائدا بقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله اوجاهه * قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا رديئا غالبه نوى

ارسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى احباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * يتلا فى قصة تقضى لمنحى
كيف اغار حديثى عندكم * قلت فصى والافهو فصحى

وقال يهنى ولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمرى بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * ياابن المراة الا كابر البرره
اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

والله ما عجبى اقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهانى

اخا العلم ان الشمس بادضياؤها * فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله

* وصلت الى باب المعز وظاله * وفارقت ذلى اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا * ولابد للجندى من طلب الخبز

وقوله فى الجامع الاموى بدمشق

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعباته ومجونه واعراضه ونكته اللطيفة فى باب التورية قوله

يا ابرلا تركن لعاق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغارى مضمنا قوله

ياغائبا عن مجلس قد شانت * ندماه واشتعلت عليه الاكؤس
نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

لو صادفت ارضا وصنيعة لو اصابت موضعا فكانى به يقول هذا الكافر للنعمة طوانا حين نشرناه وجفانا حين بررناه وغاب سنين فلا كتاب شكر كتب ولا قصيدة مدح نظم ولا يوما من ايامى ذكر ولا يدا من ايادى نشر وان فلانى خراسانى واعز موجود فى الخراسانيه الانسانيه ولو رآنى الاستاذ وانا فى قميص باذنين وقباء ضيق الردنين وعمامة كقبة الحجاج وخف فاسد المزاج اعلاه جراب واسفله خراب على برذون عبدى التقطيع برص كالرضيع اعلم كيف تجرى الفرسان وكيف يمسخ

ومنه

ومنه قوله فى مليح اسمه الياس

أفدى مليحا فى البرايا لم أزل * طول الزمان عليه فى وسواس
قالوا أتقطعه كثيرا قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله

اهفى على فرسى الذى * اضحى تريح المقلتين
بكبوه املأ رقه * فعثرنى الحالتين

ومنه قوله

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن ابل له
فياله من متجر رابح * ماانفقت فيه سوى بغلتى

وقوله

ميزانى العاطل الحلى * قال له الفقر قف مكانك
لاتذكر المال عندهذا * ولاتحرك به لسانك

ومنه قوله يداعب صديقاله يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هائم الفكر * رمعنى فى صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقا للقضاء

ومثله قوله

لقد أصبحت فى حال * يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض اصحابه

لفلان فى الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ماحزومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

ومن لطائفه قوله يهنى شارب دواء

اسط بالدواء نياب الاذى * وطب بالرواح به والغدو
وكرر احاديث بيت الخلا * ولكن على رغم انف العدو

وكتب الى صفى الدين الحلى مداعباله

اوقعنى ودى مع هاجر * يبخل بالدرج وبالوصل
والله لاغررت من بعدها * ولاجعلت الود فى حل

ومنه قوله

وقالوا احاطت ذقنه بخدوده * ووجدك لاينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفى بقلبى نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مليح حسن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

الانسان وقد علم الله انى فارقت تلك الحضره مفارقة ابينا الجنه ولكن الحر لايجنح الى النكوص الا اذا احوج الى الشخوص ولو من جنة الخلد ولا يسأم الاقامه الى القيامه على الدعامة بالهامه اذا وجد وجها خصيبا ومرعى رطيبا والله لقد رأيت يدى تحت افواه الامراء والوزراء وقد نظرت يمنه فلم أر الا محنه وعطفت يسره فلم ار الاحسره

فان مت لم أهلك وفى النفس حاجة
وفى العمر الا قد قضيت قضاءها

(وكتب الى سهل بن محمد) اذا أنا طويت عن خدمة

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برك تزهو * بوجوه جميلة مستجاده
كل عرف يروق حسنا وانى * ارتجى ان تكون عرفا وعاده

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لابرحت * هباته ذات تاسيس وايناس
واصل رجاى بعرف الديك مقتبلا * ان يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كما ضعفتم * فلا والله ماوافيتمونا
اقيموا فى ضمنا كم أو أفيقوا * فان عدنا فانا ظالمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

أياابن نباتة جار الزمان * وزات وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلاوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

احمد الله كم أجود فى الخلـ * ـقة الاوما يفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * اناوالسحر باطل بطال

وقوله

لقد أصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكاد وقتى
من الاولاد خمس حول ام * فرا حزناه من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تخرج القاب عن العاده
الالانت الغادة التى امتنعت * صح أن العجوز قواده

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من أى ارض نلت ايثارا
قلت من النيل ما رأى بصرى * خيرا ولكن رأيت منقارا

ومن لطائف مجونه

أرى ابرى تكبر فى جلوسى * وفى عمرو اعطى اللوم قومه
فامسى لايقوم لزائريه * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امرأة جميلة

لى صاحب ترك المليح وعادنى * حب المليحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب

لقد اضحت سعاد تعاف ايرى * ويحوجها الضرورة ان تجامل
فتمسكه بلاقلب لديها * وتاخذه باطراف الانامل

الشيخ أطال الله بقاءه يوما لم ارفع له بصرى ولم اعدده من عمرى وكانى به اذا اغفلت مفروض خدمته من قصد حضرته يقول ان هذا الجائع قد تشبع وتجال وتبرقع فما بطور خلق ابن آدم خلقه الفراش ممانه فى المعاش ومداره على المضار والا بين لمثلى اذا خرج من بلده ان تنبذ خلفه الحمات وتكنس بعده العرصات وتوقد فى اثره النار ويثار فى قفاه الغبار ويستنبح افراقه الكلاب ويصرف عن ذكره القلب وتمد لاويته الاذنان وتغمض عن وجهه العينان ويقال كم سنة تعد وسلام لايرد

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو

دنوت اليه وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتي لما دنوت وادلالي *
وقلت ادمكه بالانامل فاتقي * لدي وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله

محبوبتي دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الاير زمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله

باع صديقي لجامه بغلامه * ليشتري الخبز منه والادما
وادعا عليه راحت جرايته * فهو على ذا لدنيه لك اللجما

ومن لطائف مجونه قوله

يا ملاذي الغوث من عائلة * ليس من تكليفهم لي مهرب
طلبوا في أرحلي شيئا وقد * نقبوا رأسي بما قد طلبوا

ومنه قوله

جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتهم اوقتي
وكثرت عندي ما اشتهي * فاتين من فوقي ومن تحتي

وقال يداعب صديقا له طلق زوجة تسمى دنيا

قل لابن بغلان الذي أصبحت * كرته بين الورى خاسره
* ظلت دنيا الدنيا وفتها * وربحت لا دنيا ولا آخره

وقوله

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة * ان يضحك الشيب على ذقنه

ومن اغراضه اللطيفة في اهداء كتاب قوله

ارسلته نعم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا و يقنع بالنظر

وقوله

* لله تصنيف له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة في جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين لامر

أهلتني للعتب حتى اقد * لذا سمي وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتني لذلي * وسرني اني بدر شهيد

وقال يداعب جنديا من اصحابه عرض ولم يقبل

ظننا طوله يجدي * ايوم العرض او يرضي
فلا والله ما أجدى * وراح الطول في العرض

وما قد درت الشيخ بعد ما كناه الله شر مقتاي برناح لايامي وأصحت مما أوه من اشغالي يلتذ بمقالي وصفا جوه من دمتي بشتاق الى طلعتي شوقا يعشه على العتاب ويهزه للاستعتاب ولاشك انه اشتهاني كما يشتاق الجرب الحك وله العتبى فستأتيه كتبي تباعا ورسلي ولاء وحاجاتي تطارا وان شاء قذيت عينه بلقائي وانصرفت وراني والعافية له اوسع وهو الى العافية احوج والسلام

(وله اليه أيضا)

كتابي واليس الشوق الى لقائه بشوق انما هو العظم الكبير والنزع العسير

ومن لطائف مجونه قوله

صدا لون شيبي ثم كدرتني * فيا عجبا الشيب من كدر صافي
وصار على الاكتاف يضحك من يرى * فاهاله شيبا يدوع أكتافي

ومن اعراضه اللطيفة قوله

كانت للذظى رقبة * ضن الزمان بما استحقت
فصرفتها عن قد رقى * وتطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله

قالت أريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجتها وأوغات
فقلت هذى قدرة يا ستنا * من قبل أن تمها النارغات

ومن لطائف مجونه قوله

دعانى صديق لحاجاته * فأوقعنى فى العذاب الاليم
كلام يزيد ومه تقل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله

مازات اقلع شيبة دمضت بها * فوادعقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهى آية * لاناسخ فيها ولامنسوخ

ومن مراثيه البديعة قوله يرثى الملك المؤيد صاحب حماة

الا فى سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا فى باطن الارض مغمدا
على الرغم منا ان فى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

وقوله وقد توفى له ولد ولم يبلغ حولا

يارا حلا من بعدما أقبلت * مخايل للخير مرجوه
لم تكتمل حولا واورثنى * ضعفا فلا حول ولاقوه

ومثله قوله فى ولده عبد الرحيم

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا * شوقى اليه ويا شجوى ويادانى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد * احرقت بالناريا كانون احشائى

ومنه قوله فيه

آها الشمل قد وهى سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدردرا يتيم

وقال يرثى جارية له

يقولون قد اخلقت جفنك بالبكى * ثم ان جفنى بالبكاء حقيق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فانى عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهنى بالعشر بعد تعزية عبث

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين فى يوم من الدهر وافد
هناء وعزا لاعيب فيه لانفى * اهنى بعشر اذا أعزى بواحد

والسم بسرى ويسير والنار
تطيش وتطير وايس الصبر
عن رؤياه بصبرا انما هو
الصبر مجون بالصاب
وتشرح القلوب والاعصاب
والغاب فى الميسر والانصاب
والكبد على يد القصاب
وقد دارت الحالة الاقليلا
وكاد اللقاء الايسيرا والحمد
لله كثيرا وصل كتاب الشيخ
مؤنسا مورده موحشا
مودعه وهذه الاعمال
موازين الرجال وهى
المحنه حمادها الغنى
والعنه والشيخ بحمد الله
الموزون فى الكفه لاتشيله
الخفه حقيق ان لا أغره
من نفسى وأوطئه للعشوة
من أمرى وقد علم ان
العمل لعامه والعامل

وقال يرثي الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * وصحت على رغم العداة وفاته
وما مات اذ ماتت بحزن نساؤه * وماتت باحزان البلاد حماته

وقال في رثاء طفل

بدا وفي حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ماعمات الا * دموع عيني لها عقيقه

وقال في رثاء ولده أيضا

قالوا فلان قد جفت افكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ما وقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه في باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولي ان الراية الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومالك ختامها * وقد ذكرت أيضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سناء الملك الى الوداعي ولما رفع العلم النباتي كانت هذه الفرقة التي مشت تحت هذا العلم أكثر عددا وأشهر ذكرا * وأعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لي ان اذكرها لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتي وتحلى بشكله الادبي نبذة من مختار مقاطيعه التي حلا وتمها في الاصل نباتية * ليظهر صدق قولي في تفضيل الصحابة المجدية * واشرع بعد ذلك في ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره الى أهل هذا العصر والاوان * والعصابة التي مشت تحت العلم النباتي وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين بن الوردي والشيخ برهان الدين القيراطي ومذهبي انه أقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغاري والشيخ يحيى الخباز الحموي والشيخ شهاب الدين الحاجبي وممن ادركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وانشدوه وانشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العجمي عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضي فتح الدين ابن الشهيد صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلي والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقي والشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومي المجدي وسيدي ابو الفضل بن أبي الوفاء قدس الله روحه ولكن ما رأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ما حضرته والشيخ جمال الدين ولكن ما رأيته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المنهلي المصري والفرقة التي أطال الله بقاءها وامست قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلوا في العمل ففازوا في الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضي بدر الدين بن الدماميني المالكي المخزومي فسح الله في اجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب

في عهدة أيامه والقابل ولاية أخرى ومنشور جديد فالكافي من استوفى زمانه ووفى ضمانه والعاجز من انفق أيامه قبل ان يبلغ تمامه فليتق الله وحرب السلطان وصعوبة الزمان وليحذر الباقي وليذكر القاضي والاعور الماضي وليكن اموال الناحية لديه اربعة أصناف خراجا بذلت به الحجة له أو نسيبا أوصله أو حلا حلا وحاصلا قبله ويبقى الامر على ان آخر درهم عليه مطلوب وأول درهم له محبوب والمغبون والمكروب من طلب الانتصاف ولم يبذل من نفسه الانصاف فان قصر

الدين بن حجر العسقلانى الشافعى رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله تعالى ونبذ أبين تقدم ذكره أولا فأولا فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية رحمه الله قوله

أفديه ماجى العيون حين رنا * أصاب منى الحشا بسهمين
أعدمنى الرشد فى هواه ولا * أفلح شئ يصاب بالعين

ومثله قوله

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتى * كأن رأسى شاب من موقف البين
فان كنت ترثى لى مشيبى والبكى * تلفت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله فى تورية العين قوله

سألتم عن منام عينى * وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لى عليه عين

ومثله قوله

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السعد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ما جرى على الخد منها

ومنه قوله

ونقيه قلت صلنى * فالبكى قرح عينى
قال لا تفخر بشئ * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد أعرض عنى ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لا تطمعى يا نفس فى وصله * ويا دموع العين لا تسألى

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقنى تصدق بالكرى * ليزورنى فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقرى لوصلك واغتنم * أجرى وقل للدمع قف يا سائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعى صونا وعفه
أليس لقده فى كل يوم * بمرمع النواسم ألف عطفه

وقوله أيضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * به قلب صب بالجوى يتضرم
كستنى ضنى جسمى سهام جفونه * فبردسقامى فى هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق فى وسط فؤادى نبال
ويقطع الطرق على سلوتى * حتى حسبنا فى السويدا رجال

والم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

والله يعيذه أو يعز والله يعينه بجميع ما فعل هباء وهواه وهو والعاجز سواء ثم هو الداء لا يحسمه الا الدواء وليس الرأى الآن يتكلف بوافيه والعمل فى يده انه يوم يدعها واليا ليأخذها معزولا لبعد الغلط بخذول الامل وعرضت على الشيخ الجليل كتابه وما أقدم عليه البغوى فقال ليس أبو الوفاء بالبائع المغبون ولا المشترى الزبون ولو رأيت السباع تلجمه والجبال ترجمه ما كنت ارحمه انهذا الجزع مستحق ورد الناحية بكتاب ما طوى عليه انتهى اليه وما عدا لم تنله يداه

من قال بالمرد فانى امرؤ * مبلى الى النسوة ذات الجمال
مافى سويدا القلب غير النسا * ماحيلتى مافى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف فرى حده * قلوب قوم فى الهوى اسرى
ومن عجيب نصره الحاظه * وجفنه المكسور قد فزا (ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * له حارفكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة الحريرى * وشرحها المطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى احسن وقعد ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * رك قد علا عندى وعزا
مات السلو نعيش انت * اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم قفوا وتربصوا
انا ما اصدق ما عليه كافة * فاذا حكى شيأ يزيد وينقص

ومنه قوله

من شافعى يوما الى مالك * فى امر روحى القبض والبسطا
صوب رأى الناس فى حبه * وشعره فى الارض قد خطا

ومنه قوله

يقول اذ أنكرته قبلة * غصبتها فى زورة الطيف
هذا عذارى وجفونى فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله

اذا قلت قد اسرفت فى التيه قال لى * تقل فى جمالى فى الورى غير ما جرى
وابيض طرفى واقب عند حده * واسود شعرى قد تواضع للثرى

وقوله

محياه له حسن بديع * غدا روض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى * مذهبة فزمكها وشعر

وقوله

ويقولون أرجفوا بعزله فكان ماذا الوعزل وغاية الراكب أن ينزل والوالى أن يعزل وليس العمل ضربة لازب ولا العامل فيه بخالد ولا عقده اوثق من عقدة النكاح ثم ينقضها الطلاق ويخلوها الشقاق ويختمها الفراق فليعمل الشيخ عمل من يلى ابدا وليحتط احتياط من يعزل غدا على أن جاهه بالحضرة على غاية الوفور وحاله فى نهاية النور فليهذ الهاذى ما استطاع من الهذاء وليمدد بسبب الى

أقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى نشر النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قدمات وانقضى * فمهدى به فى الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدى فمهدى به فى الشام وهو عليل فى غاية اللطف ومنه قوله

كؤس المدام تحب الصفا * فمكن انتصاو بها مبطلا
ودعها سوا ذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

وقوله

قات لماشوى اوزا حبيبى * واكتسى باللهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزارمات غراما * فى معانى محاسن الشواء

وقوله

كانى بيدر صائغ * كالبدر فى جو السماء
سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله

شوى الاوز فاضحت * فى جمرة الحد بسطه
فقلت تشوى اوزا * أم كنت تشرب بطه

ومنه قوله

قل للعذول بسترح من عذلى * ما اصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتدقلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله

أقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

وقوله

اصبحت نابغة الغرام اصبوة * فى غادة بجمالها متفرده
كم قد جلت من خدها وسيوف مقـ * ـلتها الى النعمان والمتجرده

وقوله ايضا

انفقت كنزمدائحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

وقوله

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

وقوله

سكن البدو من احب فقالوا * زاد اهل الغرام فى البعد بعدا
قلت بالله هل سمعتم ببدر * غاب عن عاشقيه لما تبدى

السماء وصلت التحفة ولم اجد الى قبولها سبيلا حتى تجلى غياية هذا العارض المتالق وانا اعيذه بالله ان يجعل عرضه جنة لمراده والله ولى ارشاده

(وله فى شأنه ايضا وقد حبس)

ان هؤلاء العمال ليعلقون المال كما تعلق النار الذبال والنار لا تذر الفتيل وان احتيل لها بما احتيل حتى تطفأ واطفاء العامل قتله وما اظن ابا الوفاء الا تعرض للاطفاء من الحاصل والباقى الاما وقى الله ونعم الواقى

(وله الى الامير ابى الحرث محمد مولى امير المؤمنين) كتابى والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم الق قد لاقيته فقد بلغنى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومازلت ايد الله الامير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب اناؤه الكريم آباؤه وأنشد فى هذه الحضرة ضالة الامل والعوائق عنه وبسره تربى المنى حسره والزمان العثور يقعدنى ويثور

ومن نكته الغريبة قوله

سال العذار فسل سيف جفونه * حتى غدت مهج الورى افلاذا
ياصدغه والله كافى غنى * عن ان تراك السائل الشحاذا

وقوله

اقول اقاض سهم مقلته غدا * بصيب الحشا الانبغ قتلى ولا تؤذى
وان كان قلبى عنده غير تائب * فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

وقوله

املت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا ارى
وعلمت أن بعادكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وقوله

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منى انفاسا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم * وقلت لدمع العين بعمل ماجرى

وقوله

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * وقال اقد تعذر فات صبرى

وقوله

تقول له الاغصان اذ ماس قده * اتزعم ان اللين عندك قد نوى
فقم فتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا مع الهوى

وقوله

تناءى الذى أهوى فتت صبابة * فقال عجيب كل امرك فى الهوى
صبرت لطرفى اذ رمتك سهامه * ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

وقوله

انانى وقد اودى السهاد بناظرى * عزف جنح الليل بارق فيه
فناديته ياطيب الاصل هكذا * اخذت الكرى منى وعينى فيه

وقوله

بأسياف الجفون قتلت نفسا * برأة عن الشكوى زكيه
فما اقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

وقوله

جاء بقد قدثنته الصبا * ورنحت اعطافه السامية
ومذ غدا فى لينه واحدا * كانت له ريح الصبا ثانيه

وقوله

وفى القلب من هاجرى لوعة * بغير تلافيه ماتندمل
فباشره بعض هذا الجنا * ويا ردفه أنت ماتحمل

وقوله

يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وانت يا دمع ان ابحت بما * تخفيه وجدا سقطت من عيني

وقوله

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تطاول في الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردي عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

كيف انسى اشعر حبي يوما * وهو كان الشفيع في لديه
شعر الشعر أنه رام قتلي * فرمى روحه على قدميه

وقوله

ان قلت زرني قال لا * بحاجب ما اظلمه
فما يرى جوابه * الا بنون العظمه

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطي على هذه النكتة وزنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه أجابني بحاجب * لكن بنون العظمه

ويعجبني قوله

اضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشي الهوينا في ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها * ما داس الا اعينا وجباها

ومثله قوله

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي الرفيع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد * وما قصبات السبق الا لمعبد (ى)

وقوله

لما زها زهر الربيع بروضه * وغدا الهفضل ينبر لديه
قام الجام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير نخر بين يديه

وقوله

قالوا على نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب في بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن اغراضه قوله

رب طباخ به نضجت * مهجات غير مرحومه
ملوني عنه مزورة * ابدا والنفس مغمومه

وقوله

احببت ابا حسنه بارع * سي من النساك آلبابا

ثامن عام الاعزمت وأبت المقادير ونويت وعرضت المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزوره اختلفت على أخبار الملك في مستقره واختلفت باختلافها فكرة في قوس الطريق ومرتقي وترها مقتفيا اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الي الشيطان تعذره مقدار أني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال او طامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما القاه في خلدي أن يكون وانا انشد الله

اغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى أفتح البابا

وقوله

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

أرأيت عرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا لم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجد لى بسرج * وحده والنجام داب النفوس

واذا لم تبعثه فى اول الامر * اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من اهدى له صحن قطائف قوله

اتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يروى لى عن ابى ذر

الجماعة تجار وافى هذه الحلبة واجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائف احات * جناها قطرها الغمام

فسكرها ابو ذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباته هنا وجمع بين التوريه وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعماك التى من اقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر

امد لها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبنى هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطى مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو

تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * فكلى ان حدثتكم السن تتلو

واما توريه القطر فا تطر النباتى معروف فمن ذلك قوله

شكرا البرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب

قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * واول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

لجود قاضى القضاة اشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى

والقطر ارجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبنى هنا قول ابى الحسين الجزار

اياعلم الدين الذى جود كفه * براحته قد اخجل الغيث والبحرا

لئن امحلت ارض الكنافة اننى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

نات الشئ بالشئ يذكر كرت هنا الغزالى لورنجى كتب به مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن

الظنون ان تتصرف فى قصدى الا الى معرفة اوقعها او خدمة اودعها ومدحة امنعها ورجعة اسرعها ثم أذخرهذه الدولة للمملكة اغصبها او راية انصبها اوكتيبة اغلبها او دولة اقلبها واما الدرهم والدينار دفعهما الى ونزعهما من يدى سواء لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما ان لى فى القناعة وقنا وفى الصناعة بختا لا يعدمنال المال اذا اردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك

الادمى رحمه الله الى علامة العصر القاضى بدر الدين بن الدماميني رحمهما الله

يا من له فى عروض الشعر رأى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى لفظه ائتلفت * والثلث فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ برادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من سله فرجا * لا زال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يا من سلا من شهى النظم لى كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح بحلينا
حليت لفظك اذ أبهمته فلذا * يا فاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وايس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأى مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كنا فيه مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية فن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يا مولاى لا بدان * تأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدير بالحبى البيضاء كاسى * بكيس زائد منى وفطنه
ألم ترنى وعندو الله راح * ومن شرهى أصفيها بقطنه

وقوله

وجرة قدموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذهز لى ذقنه * ولام فيمن همت فى عشقها
تذكر اذعنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

وقوله

وعاذل باردالمقالة لا * يبى صوابا وزاد فى نكدى
وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يا بردها على كبدى

وقوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما احد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

ومن نكت المجون التى تواردهو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

الشعاب بل يجيئنى فيضا ويتطفل على ابضا وما كل يرفع له الحجاب ولا يفتح له الابواب وبعد ذلك فهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها هارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب الى من الرجوع بمال وقد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير انضيف ظله خفيف ضالة رغيف فليدعه اليه بالاقبال

اذا ماقام أيرك فى لدباجى * وعندك من تحب فلا تحابى
وملّ نحو الطوانى واعتنقه * فذلك لايدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين

أرى اصواب باأيرى صفات * تحث على التعشق والتصابى
فبادره فانت به خبير * ومثلك لايدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

ياساحبا ذيل الصبا فى الهوى * ابليته فى الغى وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة برضيان لرغبتهما فى الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالى من نظمه واختيازه واختيارى ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردى فى باب التورية ومقاطيعه التى هى احسن من مقطعات النيل * واحلى فى الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لى الغصن ساجد
اوقلت ريقك ثلج * قالت تشبيه بارد

ومن ذلك قوله

ياسائلى نصبرا * عن اثم فيه لانسل * ماتستحى تبدلنى * بالصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمانى

وقوله

امام فى الركوع حكى هلالا * ولكن فى اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قال الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن اطائفه فى هذا الباب قوله

يشفع فى شعره * اذمال عن قبوله * فهو على اقدامه * ممتد بطوله

ومنه قوله

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الاانها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ومن اطائفه قوله

اذا نمذرحبى * تخلية نذر * فجيده أصل مابى * والجيد لايتغير

ومنه قوله

وتاجر ماطلته دينه * لاجتليه قال ماأمطلك
قلت له جيدك لى اوان * فقال هات المال والجيد لك

ان شاء الله تعالى
(وله ايضا)
ان جاز للفقراء ان يصيروا فداء للامراء فانا فداء الامير السيد من سوء يلحقه ومكروه يرهقه والمصاب الذى اشار اليه خاتمة المصائب على ان النساء كالصدف اذا انتزع منه درة الشرف لم يصلح الا للتلف والسعيد من حمل من دار السيد الامير نعشه واسعد منه من جدد فرشه ولاخلة بالرجال اليق من الصبر ولا حصن للنساء احصن من القبر وانا اسأل الله

وقوله

قالت اذا كنت تهوى * انسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * اجور ناديت جورى

ومنه قوله

انكرحبى مدمعى * وقال هذا من هوى * فقلت لا بل من قذى * اصاب عينى بنوى

ومن نكته اللطيفة فى تضمين المثل السائر قوله

وسمينة كانت لها * فى القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أى ناه * نهاك عن حسن نوجك
قالت نهانى زوجى * فقلت روحى بزوجك

ومن اغزاله قوله

أقول اذ قال لى حبيبى * علام فارقتنى علاما
خدك كان الصفا ولكن * قد اصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالى فقلت لى شغل * عن كل خود تريد تلقانى
قالت كان الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القانى

وقوله

ابصروا دمعى نخافوا * قلت لا تخشوا بكاى
ما عليكم من دموعى * غير امطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة * فاعينهم اعين ضيقه

وقوله

لما شنت عينى ولم * ترفق اتود بيع الفتى
اذنيتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقا ضمة * منعشة للمكلف الهالك
قالت تمسكت والا فما * هذا الشذا فقلت بأذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قلت استعن بمثال * فقال مالى مثال

ومنه قوله

تعالى الذى سلبه الكرمة ان يمتعه بعضها ولا خير فى الخلة من ورا مرطبها واما كتاب الاصول فالى اراه بعيد الوصول أيحتمل حالى كل هذا التناسى فلم سن به ابناسى واما انا فعبد الامير وقد بلغتنى نفحات فضله ومثلى من قصد باب مثله فعاد وحاله انطق من بيانه وخطيبه افصح من لسانه وقد شققت اطراف الارض بادراج الشكر ولعل اجوبتها ترد عن قريب فعلم اى حر استرق واى مجد استحق وقد طولت وعلى الله توكلت

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد اذا ما انثنى * يقول لا تخش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

لو نلت من خده تقبيلة * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الاصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجنتاها التي * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دوبيت

يا روضة حسن لي بها لي وحدي * الشرك فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك أن تسقي بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله

قالت وقد عانقته * عندي من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قالت نعم حتى انفلق

ومنه قوله

تقويم قدك مال يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله

رأم ظبي الترك وردا * قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربى * قال فاني ذات خدك

وقوله

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي اضعف خصري * فأعينوني بقوه

وقوله

قلت اقرا فرى أديمي * وزاد صدا وطال هجرا

(وله الى الاستاذ أبي بكر محمد بن اسحق) الاستاذ الزاهد أدام الله عزه يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا اعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل ودا صحيحا وكبدا داميه تنقل محبة ناميه فانا ضيعتهما بالامس على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما فلا خير في الاجساد خالية عن الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو فلان موصل رقعتي هذه له قصة يعرضها وحاجة انا افرضها تلميذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه

قد فز صبرى وفز نومى * قال نم مذ عشقت فزا

وقوله

رغيف خباز كم قد حكى * من وجهه البدر والحره
اذا رأى ميزانه المشترى * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله فى مليح عبرى

اغيد عبرى له عمة * حكت من العشاق الوانا
لقد سبى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله

ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وقوله

اعور كالبدر له مقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظرى * وقال ماجئتك الا بعين

وقوله

بابى أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * فله فى الحسن حظ الاثنين

ومنه قوله

رأيت رشيق القد أعور فاتنا * له مقلة اغنته عن حسن ثنتين
اذا قال غصن البان أنت ابن قامتى * يناديه بدر التم أنت أخو عينى

وقوله

جنكية شاهدت عشاقها * وهم بها فى الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا يا ليتنى جنكى

وقوله

تغسل عينى وجنتى * بدمعة هاملة
فو جنتى قائلة * عدوتى غاسلة

وقوله

ناديت صالحة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لا تصلحون لصالحه

وقوله

هويت حصادا حكت قامتى * من طول ما يهجرنى منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاى أنت الشمس فى السنبله

وقوله

أتانى حالى نقيض * يا شموسا فى البزوغ

الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الدر وان لم يعرف باطنه وعلم سره وان لم يعلم سريرته وأيقن انه لولم يدع الكذب ديانه لتركه امانة وصيانه فان حرفته لا تحتمل غير الصحة ثم يرضى بعد ألف مكاس ان يخرج راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله على ما بركتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله اليه)

قد علم الاستاذ الزاهد أن اهل هذا الشطر من البلد رجلان هذا موتور وهذا مستور فصالحة الموتور غنيمه والظفر بالمستور

هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله

قال لى بند خصره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به * للتشدد ولى نظر

ومن اغراضه اللطيفة قوله فى صديق له بالمزة يقال له شمس

لى بالمزة شمس * رضاه غير مرادى
فلا تذموه انى * أدرى بشمس بلادى

وكتب اليه فى زفة له

ياشمس أشعلت شمعا * عليك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلى * الشمع فى الشمس ضائع

ومنه قوله فى آل النصيبى بحلب

فؤادى الى آل النصيبى مائل * وودى لهم فى محضرى ومغيبى
فبينى و بين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبى

وقوله

للمقدسى بقلبى * حب خلى الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدسى خليلى

ومن لطائف اغراضه قوله

ياشيخ خل التصابى * فالزهد بالشيخ أليق
ولا تحث كميتا * فان فودك أبلق

وقوله

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أندرى كيف أصنع بالخلق
اذا احمر واوجهى ومابيض وايدى * ازرق لهم رجلى ولو خضروا عنقى

ومثله قوله

لى صاحب واسمه سراج * مافرلى عنده قرار
لانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

ومن اغراضه اللطيفة قوله

تجادلنا اماه الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه

يامن تولى قاضيا * هذا قضاء أم قدر
غدروك فى بستاننا * ان القضا يعمى البصر

ومن اغراضه البديعة قوله

قدمات شيخى فاطهروا * بحر به أوساخه

هزيمه والحرب منفقسو الخاسر عليها من يربح والمذبوح فيها من يذبح وقد وضعت اوزارها فالجانى من طلب ثارها والباغى من شب نارها وقد محا الصلح آثارها وفى الجانبين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من اتقى الله فيهم من غير عذر فقد هلك وانما الحرب عليك اولك وترك النهى فى بعض المواضع امر وربما كان تحت الرماد جمر وقد امسك هؤلاء القوم لاعن ظاهر ضعف ولاعن بين عجز فليمسك اولئك ان الثقة بالصلح شؤم والاستظهار بالريح خرق فكم رأينا الشمال هبت جنوبا ووجدنا الخبر قد

عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه

ومن اغراضه البديعة قوله

لا تحملوني على انتقام * فالجاه يحكي خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوى وجفن سيفي

ومن اغراضه قوله

ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

ومن اطائف مجونه قوله

حماتكم قيمه أسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمي اظفاره * يا قوم هذا اسود سالخ

ومن اطائف اغراضه قوله

يا من غدا في طلاب الجد مجتهدا * لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن انتقاد القضاة يدا * ابرتضي رتبة التقليد مجتهد

وكتب الى قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي

جنبتني وأخي تكاليف القضا * وكفيتنا مرض بن مختلفين
يا حق عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف في دم الاخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر

اني عدمت صديقا * قد كان يعرف قدري
دعني اقابي ودمعي * يا صاح أجرف وأذري

ومن اطائف اغراضه وقد ولي قضاء شيراز قوله

انما شيراز نار * وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها * أنا من حزب محمد

ومن اغراضه قوله

مرض الفؤاد وصح وذي فيهم * وأقام تذكاري وصبري نازح
انسان عيني كم يهادكم بكى * يا أيها الانسان انك كادح

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله في آل البيت عليهم السلام

يا آل بيت النبي من بذلت * في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث انا

ومن نكته الغريبة قوله في محتسب

من ولي الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر

وقوله

قد بلينا بامير * ظلم الناس وسبح

صح مقلوبا وجعلنا بالقاتل فوجدناه قتيلا وبالطمع استحكم لم يصب قتيلا اهل الله بصوتنا في هذه الايام الكرام وهذا الشهر الحرام والسلام عن الدم الحرام والسلام

(وله الى محمد بن ابراهيم الشاري) لعمري ان ايامي منذ لم اره ليال واني من جسمي لفي طلل بال وان العيش لا يبسم الا بثغره والعاقبة لا تطيب الا في ظله ولكني وقيذ أوجاع من حمى الى صداع وأخشى ان يأخذ مني الهوى مأخذه فلذلك لا ابرز عن البيت وانا فيه حتى كتبت واما ابطاله ما ذكرت

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

وقوله فى مدينة حلب

عليك بصهوة الشهباء تلقى * بجوشنها محاربة الزمان
فللعرفان فى الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله

كل يوم رتبوا اربعة * لك فازددت علينا صفعه
فلو استفتيت فى سيدنا * قلت بسنا أهل قطع الاربعه

ومن اطائفه قوله

ناعورة مذعورة * واهانة وحائره الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

ومن نكتة الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * فى اخذ عرض الجد اشبهاها
ان أبا ها وأبا ابا ها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان امتها فيما يجرى
تقول كل ظبية * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوأ من قناة تساق من * دماء الرعايا وبسخرة مسلم
ستشرق فى يوم الحساب ندامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تآليف الذى وسمته بتحرير القيراطى رحمه الله تعالى قوله

البدر طالعة وجهه * وعذاره هالاته
وخفوق قلبى فى هواه * سعيدة حركاته

وقوله

اجريت دمعى فذا نبت ابحره * اجريت منى باسياف الجفون دمى
ان مات عنى برع القد يا أملى * لتقرعن على السن من ندم

وقوله

اسدى ثم ألحم تحت طاق * له والدمع يجرى كل وقفه
وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما بدى قوام قامته * وحاجباه انا ظر العين
رأيت موتى بسيف ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه
واطربت فى العود قرية * وكيف لا تطرب عوديه

فصدق ان علة لا يسيل لها الدماغ ولا تذوب منها الاضلاع ولا ينقطع بها النخاع ولا يتغامز فيها العواد ولا ينفر منها الطبيب ولم يتمغ لها الحفار ولم يستشاف لها الجمال ولم يجر فيها حديث النائحة ولم يتداو منها بالرائحة حقيقة ان لا يساء بها الصديق ولا يحتجب عن الطريق وعلى كل حال فاذا خفت وطاة الهوى وحال وقت المسا اعبت لعباتى الى حضرته متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

والله انى لا ارحم عقل طرفة اذ قال

وقوله

ارتاح للاقمار وهى طوالع * وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى زجل الناعور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

يا أمير الجمال قل * فالمراسيم تستمع
أنا مملوك الذى * لك قلبى غدا تبع

وقوله

فى جفنه سيف مضاربه * يا صاح اسبق لى من العذل
وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدتنا دون ذلك حاشى وكلا

وقوله

هويت ظبا خاله نصبة * نيرا نها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا مارنى * لها على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقوله

اباح لى نرجس الحاظه * فى مجلس ما فيه ما نكره
فقلت ورد الخد جد لى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

وقوله

قال لى بالحمى غزالى لما * لم أجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك اسياف جفنى * قلت جاءت على الحمى نولاذا

وقوله

فى وصف خمر الثغر منك نوادر * تزرى بحسن نوادر ابن عتيق
واذا وصفت رشيق قدك عندما * هز القوام انا فا ابن رشيق

وقوله

جفنى وجفن الحب قد احرزا * وصفين من يلك بامصر
جفنى له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجى له الكسر

وقوله

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنه الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية اطلقها الناظر

وليت لنا مكان الالف عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
كيف ضرب المثل فى الشر
وقلة الخير بما هو خير له ان
الرغوث لتغذوه برسلها
وتحبوه بنسلها وتكسوه
بصوفها وتنفعه ببعرها
وتغيظ عدوه بسراحها
وتقر عينه برواحها
وتملا بيته اقطاوسمنا
وحسبك من غنى شبع ورى
ثم ارجع الى حديثك تمنى
مكانه رغوثا وانا اتمنى
مكانك برغوثا ان
البرغوث اجدر منك ان
يغوث كنت اعلم انك
عربى والعربى تيس
وحشى وما حسبتنى افقد
منافع التيس نعلى الله
حسن الخلف منك ومن
الظن كان بك والسلام
(وله أيضا)

وقوله

الدمع والجفن فيه * لي شاهدان بحزني
فالجفن يسقط دمعي * والدمع يجرح جفني

وقوله

عبدك يا من جفا وصد وما * درى بصب يموت بالكمد
جرى على الخد من مدامعه * في الحب ما لا جرى على أحد

وقوله

في خده من همت به شامة * ما الند في نفحه ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعني الا يا عبدها

وقوله

ومخايل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لما رآني قانعا بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسوّد

وقوله

مال الى الهيفة ذو هيفة * فاتنة الالباب باهرة
خاله في خده نقطة * عذاره أضحى لها دائره

وقوله

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن * قد راحت الارواح فيه غلط

وقوله

جزت النقا فحويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * في افقه بتمامه وكماله

وقوله

ويوم توالى القطر فيه فجاءني * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فعانقت لما مال عسال قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله

يا من تبرم صبه في عشقه * بالروح لا تبخل فشىء زائد
بالفضل جدلي ان دمعي جعفر * والوجد يحيى والتشوق خالد

وقوله

يا هاجرا اوقعني هجره * وصده في حالة صعبه
أخذت قلبي بالتجني وما * تركت لي منه ولا حبه

وقوله

قلت له لما زها حسنه * على بدور التم ما احسنك
وقلت للائم بالاسى * في خده الناعم ما اخشنك

يا سيدي انتظار كبير الشوق واشتغال كثير الامالي وأيام كانت الليالي وآمال كعهد العوالي معاذيري اليك واتكالي على عدلك لديك ان استقصرت كتابا اوذممت عهدا أو اطلت عتبي ولك بعد العتبى والمودة في القرب والكرامة والنعمى والمنزلة العظمى والقلب وخلبه والصدر ورحبه والعين وماسقت والنفس وماوسقت وخير اوقاتنا وقت ذكراك وخير منه يوم نراك وبارح شوقاه اليك وطول عهداه بك ومورده ورهنت لساني بما اكره ضماني وهوادام الله عزه يخرجني من عهدة ما بذلته مشكورا

ومن لطائف مدائحه قوله

اوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله فى البجانقى الموقت

شهاب الدين ذو فكر بسمت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا فى العصر شيخ الوقت حقا * وفى اوضاعه ملك البسيطه

ومن اغراضه قوله

قناطر الجيزة كم قادم * عليك يلقى فيك اقصى مناه
أتاك قوم لاطة فانحنى * ظهرك للوطء وصب المياه

وقلت فى هذا المعنى

وقالوا كنت النيل يجرى وقد غدا * عليه حلوق السبق قات كذا جرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * تجـــــرى عليها معجبا فتقنطرا

ويعجبنى من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * فى الفقر طول مكثه
وكل نور سارح * ز يدله فى حرثه

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

ياصلاح العلا صفا ودادى * لا ارى عن أبى الصفا تحويلا
فدع العتب اننى است ممن * لا يراعون فى الانام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تأمل فانى طاســـــة صح نقشها * وفاق على نقش الغوانى التى تسبى
وواصف حسنى اطرب السمع قوله * كانى فى الكاسات داخلة الضرب

وقلت فى المعنى

انا طاسة قدرى سما وبروضتى * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارح القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشى شاهد

وقلت أيضا

أنا طاسة بيضت وجهى عندكم * وصفا لكم قلبى بماء رائق
عذبت موارده ببارق بهجتى * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة فى باذهنج قوله مضمنا

بروحى أفدى باذهنجا موكلا * باطفاء ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على اننى راض بان احمل الهوى

ومن اغراضه قوله

اطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

ان شاء الله تعالى
(وله الى ابى القسم بن شاه)
اظنك ياسيدى لم تسمع بنى
القائل
اسمع نصيحة ناصح
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقاة على ثقه
صدق الشاعر واجاد لان الثقاة
خيانة فى بعض الاوقات
هذه العين تريك السراب شرابا
وهذه الاذن تسمعك الخطأ
صوابا فلست بمعذور ان
وثقت بمحذور وهذه حالة
الواثق بعينه السامع باذنه
وأرى فلانا يكثر غشيانك

وقوله مضمنا

درب الحجازاة دشرفت منازلا * قد در المنازل من سواها نازل
كم سرت فيها نحو سكة منشدا * للشام نازل فى القلوب منازل

ومما اخترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة فى ضحاها
باحسنه فكانه الـ * قمر المنير اذا تلاها

(هى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلى بخطه بيتين للمعمار وذكر انهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف فى هذا الباب

لما بدى عذار الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه ايها الجانى
ولا تخش فما فى الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الارطب

وقوله

ملك قلبى خادم قد هويته * من الهند معسول اللمى اهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

وقوله

لمت عذار محبوبى الشرابى * فقال تركت لثم الخد عجبا
حفظت الانبوب كما عهدنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله

صاد فؤادى من بنى العرب فتى * له من الحسن اتصال ونسب
فصحت فى الحى وقلبى طائر * ياعرب يا اهل ذمام وحسب
عسا كم أن تنشدوا حشاشة * فى حبكم ضلت وراحت ياعرب

وقوله

رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان اصعب
املتهم ان يرجعوا * والموت لى من ذاك اقرب
جئت الحى لارى الخبا * م فلم يلح فى الحى مضرب

ومنه قوله واجاد

كانى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

ومنه قوله

رب جزار هواه * صار لى لحما ودما
فزت بالالية منه * وامتلا قلبى شحما

وهو الذى دخلته الردى جلده السيئ وصلته الخبيث كانه وقد قاممته فى زرك وجملته موضع سرك فارنى موضع غاطك فيه حتى أريك موضع نلافيه انظاهره غرك ام باطنه سرك وبلغنى انه عرض على أخيك خلعة فالبسها العبد كاباالله انها خدعة ظاهرة النور وباطنة الغور كامنة الجور كسعلة السنور عرض على الجرذان نقلها من جحر الى جحر بوقر من السمسم فقالت الجرذان سفر محتضر والكرى خطر لكن فى الطريق نظر يا مولاى يوردك ثم لا يصدرك ويوهمك ثم لا يعذرك فاجتنبه ولا تقربه وان حضر بابك فاكنس جنابك وان مس ثوبك

وقوله

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاله * تحقق الفتنة من عنده
مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبى مال مع قده

وقوله

أصاب قلبى خطائى * بلحظه اشقائى
فرحت من فرط دائى * اشكو الى الحكماء
قالوا اصبت بعين * فقلت من علم دائى
ان كان هذا صوابا * فذلك عين الخطائى

ومن لطائفه قوله

رحت يوم الفراق اجرى دموعى * حمرة اذ قضى الزمان ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك نعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عينى

ومن لطائفه قوله

شكوت للحب منتهى حربى * وما الاقيه من ضنى جسدى
قال تداوى بريقتى سحرا * فقلت يا بردها على كبدى

ومن لطائفه قوله

قلت له لما وفى موعدى * مختفيا من حاسد معتدى
رب كما فرحتنى بالوفا * اسبل على الستر يا سيدى

وقوله

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فعاطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله

لو انصفت لاشارت بالسلام على * متيم ما قضى من وصلها وطره
باصبع انما عضت انامها * حتى ولا واحد يصفو من العشره

ومثله قوله

لو رأى دور ثغره * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

وقوله

فى خده من احبته * ورد بدا لم اجنه
وشامة ذقتها * حلاوة فى صحنه

ومن لطائف قوله مع التضمين

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم اولا

فاغسل ثيابك وان اصق بجلدك فاسلخ اهابك وان كان ما أودعه صدرك قد تمكن من قلبك فلبس الاشر به من المطبوخ تتبعها بحاذق من الاطوخ برحضان عن ظاهرك وباطنك ما اودعه ثم افتتح الصلاة بلعنه واذا استعذت بالله من الشيطان فاعنه والسلام

(وكتب الى عمار بن الحسين)

ما أجد لعمار مثلا الا الغراب لا يقع الا مذموما على اى جنب وقع ان نعب فروعة النذير وان حجل فشية الاسير وان شحج فصوت الحمير وان اكل فدبر البعير وان سرق فبلغة الفقير كذلك عمار ان حذفت عينه فالحين وان حذفت ميمه فالشين

ومن بديع مديحه قوله

لابن فضل الله فضل * غمر الفضل وفى
كيف لا وهو على * علم السر واخفى

وقوله

ايا بدر المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فخزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله

قسما بما اوليت من احسانه * وبجمله ماعشت طول زمانى
ورأيت من بنى على عليائه * بالجود الا كنت اول ثان

ومن اغراضه قوله

مامصر الامنزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح بخزانه للنيل ينظره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله

حزن الخزان لما أن رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت * سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه * زادها الله عمى وقاوسبل

وقوله

سمعت يوما سيد مصر يقو * ل النيل وافى زائدا عندى
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت ارويه عن السدى

وقوله

لائمى فى الشباب دع عنك لومى * لست ممن تروعه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لى * اى عيش يحلو بغير الشباب

وقوله

وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفانى من ريقه شربة * واحمرتى منه على جره

ومن لطائف مجونه قوله

شهر الصيام تولى * فراقه يوم عيد
فقيل شيع بست * فقلت ايضا وسيدى

وقوله

قلت هلال الصيام ليس يرى * فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه

وان حذفت راؤه فالرين وان صحف خطه فالمين وان لاصقته فالمعاذير الكاذبة وان استقصيته فالوجه العبوس وان صدقته فالظفر اللئيم وان كذبته فالعقاب الاليم وان زرته فالحجاب الثقيل وان لم تزره فالعتاب الطويل

(وله الى أبيه)

ان الابل على غلظ أكبادها لتحن الى بلادها وان الطير لتقطع عرض البحر الى مظانها وبلغنى ان ذا اليمينين طاهر بن الحسين لما ولى مصر وافاها مضروبة قبابها مفروشة ارضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا ورجالا والنثار يمينا وشمالا فاطرق لا ينطق حرفا ولا يرفع طرفا ولا يهش الى احد فقيل له فى ذلك فقال ما أصنع بهذا

فغالطونى وحققوا ورأوا * وكل هذا من قوة الحدقه

وقوله

ايرى مع المردخاب متجره * مذ عاملوه معسر النصبه
فضيعوا راس مال حاصله * اذ كسروه وقام بالنقبه

وقوله

ايرى اذا ندبته * لحاجة تختص بي
قام لها بنفسه * ماهو الاعصى

وقوله

تأخرت امذرها * قلت لها تقدمى
أيرى هذا عصبى * يدخل معك فى الدم

وقوله

لى أير فيه كبر وجفاه * وهو منى بالقومى والىّ
كلما أغضبنى أرضيته * واذا أرضيته قام علىّ

وقوله

أيرى مغرى باللواط الذى * يقبح لاسيما على مثله
أوقف حالى لانسل ماجرى * وصرت خلف الناس من أجله

وقوله

وبخت ايرى اذ جاء ملتما * بذاك من غفلة فما اكترثا
بل قال لى حين انه قسما * ماجزت حمام قعره عبثا
كيف وفيها طهارتى وبها * أقلب ماء وارفع الحدثا

وقوله

باليله قضيتها * فهل تراها عائده
عمود أيرى قائم * وهى عليه قاعده

وقوله

وصغيرة كلمتها * أيرى فقالت ويك باعد
ماذلت يحمل ذا العمو * د من النسا الا القواعد

ومثله

صغير نام على وجهه * وقال حكك قلت لافائده
قم أدخل العامود ياسيدى * فقال لا تخرم القاعده

وقوله

عميرة قام يبغى نكدى * جلدته ثم قلت ياولدى
ها أنت فى قبضتى تطاوعنى * وان عصانى خصاه تحت يدى

وقوله

وليس فى النظائر بجائز بوشنج والعجب من حاضر انطاكية صاحب ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله وقبل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فكانه تمنى الجنة بلغيا قومه على سوء جوارهم وقبح آثارهم فهذا اخو كندة يزعم ان لا ينعم من كان أقرب عهده

قوله عميرة هو كنية وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا انه كناية عن الذكر وفى شرح القاموس انه كناية عن الكف والذى غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد ففهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اه مصحح

وقحبة ذات حر يابس * يحمل كالسندان رصى الشديد
تقول قم طرقه لى لا انثنى * فقلت مالى زبرة من حديد

وقوله

اطمعت ايرى كى ينا * م وقلت قر فما استقر
بل قام يسعى قائلا * أنا من اذا طعم انتشر

وقوله

قد ذبت من كربى افقد النسا * أذوب كالتنور من ناريه
وقد طفى الماء فمن لى بأن * أحل بالجود على جاريه

وقوله

لو رأى فقحة حبى عاذلى * وهى تجلى فى ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا * وتفاصلنا على بيضاء نقيه

وقوله

سألت وصال حبى قال دعنى * فانك فى افتقار لا تجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى * بذى فقر وفى وسطى نصاب

وقوله

وصاحب انزل بى صفعه * غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقوله

سألته فى صفعة قال لى * جنابة الصفعة مامنه بد
صاع من التمر احلى به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله

لج العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت ناسفا
لكننى زلقت يدى * ووقعت على أصل القفا

وقوله

جئت لخل بلاطف الجرحى * قلت له يا اخا الرضا صف لى
فى عنقى دمل به ورم * قال تداو بمرهم النحل

وقوله

قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * يأتى على وجهه مليح

وقوله

بدا بخد الحبيب شعر * وسوفه يا اخى سالم
فكان كالخوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعر وناعم

ثلاثين شهرا وثلاثة احوال فاطفه بى لاحدى عشرة سنة على ان لى برسول الله اسوة حسنه وعسى الله ان يأتينى بكم جميعا او يأتيكم بى سريعا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

اطال الله بقاء الشيخ الرئيس طالت الاذيال وكثر العيال وضاق الاحتيال فالحلال قل ما ينال والحرام حمى الله ومن أخفر الله وجد الله قويا عزيزا وبقيت شبهات هن مواقف العثار بين الجنة والنار حدمنها الى بأس الله وآخر الى عفو الله انا عليها أدور وفيها أخوض وحولها أحوم وهى ان لم تكن طعمة الاخيار فاديست بمأكلة الاشرار واحق من اعان على صالح النية وطيب

وقوله

وصاحب يهوى الصفا * ع ولم يكن اذا الدفنى
سلمته عنق الدفيشق فراح يتخلع بى
ما ان أذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له * لامرته بالكف عنى

ومثله قوله

ومازحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطنى لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بأبين قوامها * وقلبى مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لى صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين وأكدت * مددت قفاى فصفعة ايمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله

جاءت بخدين كالعجين * فقلت ماذا سوى لحبى
ذات حر واسع عميق * كانه ترعة اللاوينى
عليه شعر لو نسجته * لجاء مسح الراهبين
وفاض ماء فقلت لما * عاينت منه غلى بعينى
تقول لم لا تجرأ انا * اجبتها باسط اليدين
ان كان قصدى عليه جرا * غرقت فيه بجرتين

ومنه قوله

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولا تك ممن يتهمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله

فلان والجماعة عارفوه * وان ابدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حى * الهى لا تمته على الشهاده

وقوله

لما جلوا الى عروسا الست اطلبها * قالوا اليهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا * رمانة كتبت بالبتها تينه

وقوله

ابيت من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدونى العشق قهرا وسلونى
وقالوا تحب البيض والسمرقات لا * احب من الالوان قحبة اللون

وقوله فى المواليا

طرفى لمح حسن رايس قرح وانفريح * اوسق بصدى وسمى الهجر بالتصريح
قذف لعرضى وخلانى من التبريح * دمعى انحدروا العوازل تقذفوا فى الريح

الطعمة من صلحت نيته وطابت طعمته وأخذ الدهقة فى زماننا هذا خير المطاعم وأبعدها من اللاوم فان ضمن لى مضارها توليت منافعها فكان لى تثميرها وارتفاعها وعليه عشرها وخراجها والا اكلت اللحم نضيجا وأخذت الثوب نسيجا ولزمت التجارة المأمونة والحرفة الميمونة فليغاب

قوله جاءت الابيات هى من مخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن ست مرات وهى على ماتراه هكذا فى جميع النسخ وهى وان كانت للعمار الان الطبقة الاولى من بيته الثالث والثانية من بيته الرابع خراب لانه حسن وزنها كان ميزانه مخلعا اه مصحح

وقوله

مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت آهي على قبلة بصحن الخد
فسل سيفا من اللحاظ واقتلى حد * قلت انتهى الامر ياحبى الى ذا الحد

وقوله

رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت منه فى قلق اخشى حلول الحين
وكنت لم اشك قبل الخد وشك البين * سالم من العشق حتى صابنى بالعين

وقوله

يقول لها زوجها لاتختشى من لوم * ولا فى كل من فى الارض وانا الكوم
واتبنى واطعمينى ابق من ذا اليوم * انعس وأرقد ومثلى لايرى فى النوم

وقوله

قلت لمن تركتنى بالجفا ناحل * وصلك بكم وارحمى ذا العاشق الناحل
قالت بعينيز جمل قلت انها انا راحل * مالى جمال ولكن نخل فى الساحل

وقوله

قالت لى اخبر وروى قلبى الظامى * واصدقنى اعطيك ماخانى وقدامى
عهدى بايرك رفيق خرط لاقلامى * وقدما قلت ايرى لم يزل نامى

وقوله

قالوا توقى الشتا كم قد صرع اعيان * يصدمك نعمى وذا شى يعرفوا العميان
انهض تحال ودع لعبك مع الصبيان * قلت يجى انى لو منحنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى فى باب التورية

قوله

من هجر سلى ماسلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لاتغتر يوما بحلو رضابها * فلقد بدا من قد هامر ان (نى)

وقوله

وشادن ظلت غصون الربا * لما رأته مقبلا ساجده
سألته من ريقه شربة * فقال ذى مسئلة باردة

وقوله

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كظلى حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع أصلا

وقوله

ركبت فى بحر هوا كم مركبا * قذفت فيه يد التبريح
فانحدرت مدامعى واقبلت * عواذلى واقلعت فى الريح

وقوله

هجرت فاحشائى توقد جرها * هذا وايست فى المحبة فاتره

فيهما رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

انا اطال الله بقاء الشيخ وان كنت امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء وازعم ان الشمس لاتخرج الا ظلى وان الماء ينبع من تحت رجلى فانى من جملة هذا البشر ومن عرض هذا المحشر آكل مما تأكلون وأشرب مما تشربون ولا غنى بالمرء عن طعمة طيبة اوخبيثة فالمحمود من تحرى طيبها والمذموم من تناول خبيثها وأرانى طيب الطعمة كريم المأكل وانا على ذلك مذموم وهذه الصنعة ارتهنت بعضها بغلق وابتعت بعضها بغلق وقد ترنا ذلك فنا كونا فلعن الله القدرية وابعد الله الحاسد العقبى وللمكاره

ونظل تحرقني بنيران الجفا * ومن الذى يقوى لنار الهاجره

وقوله

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقوله

يقول عذولى للدموع وقد جرت * على اثر محبوب برى مهجتى بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتنى جريا

وقوله

قد زاد فى التفنيد لى عاذلى * على هوى من لم أطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * ففر لما ان رأى عينها

وقوله

لا تنكروا أنى تركت معذرا * اضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله

عارضنى العذال فى عارض * قالوا باطف بعدما اطنبوا
ما آن للعارض ان ينتهى * قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله

قاس الورى وجه حبيبى بالقمر * لجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل بشرقه * وبعد ذا عندى فى الوجه نظر

وقوله

لما ثنى العطف ثنى مهجتى * الظبى فى الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * يا ثانى العطف عنى واحد

وقوله

قال العذول عندما * شاهدنى فى شغلى
بمن فتنت فى الورى * فقلت دعنى بعلى

وقوله

يا باخلين بالسلام جهدهم * من ذا رأيتم شح يوما بالكلام
لا تمنعوا عنى السلام سادتى * فأنتم قصد المعنى والسلام

وقوله

يا مليحا رووا لنا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تكون فى الدهر معنا

وقوله

اميل اليه كى يميل فيثنى * وبعرض ابصرت القضيب اذا انثنى

الرضا بردعلى المال والبيع باطل والشان انى اعيش عيش الجعل بين المرقين والعمل وانا على ذلك محسود ان من اشراط الساعة ان ترى الناس يحسدون الكاس تمت شعرى ما يصنع الاستاذ عزه الله اذا نزل بباب الامير واخذ بأذناب الحمير والتنقل من العراق فقعد بالرستاق ولعل مقدرا يقدر أرلى فى هذه الفلاحة فلاحا فانا فى العمارة شريك أبى العبس فى التجارة وانما الحسم للبيع لا للربح رأيت رجلا يندم أن ولده آدم او بأم أن يسعه العالم يحسد فى قرية يشتريها والله لولا يدتحت الحجر وكبد تحت الخنجر وطفلة كفرخ يومين قد حببت الى العيش

(معنى)

ويطرحنى عن باله لا يعدنى * فيلبسنى من طرحه حلة الضنى

وقوله

وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها عبتها
بت مع المعشوق فى روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

وقوله

است أنسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا
فسقى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله

بدا ليل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا فى الكمال
فلا تطمع عذولى فى سلوى * فعشقى لا تغيره الليالى

وقوله

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

وقوله

راحت منى روحى فهذى مهجتى * من بعد ذا وجدا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما * هى مهجة رحلت على من راحت

وقوله فى القاضى علاء الدين بن فضل الله

لقد أعطى علاء الدين مالم * توف بشكره المداح طرا
فحانحو الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت فترا

وقوله فى القاضى تقى الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقى الدين أصبح دهرنا * رقيق الحواشى معلما بالمدائح
فيا دهرنا حزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل اكباد الورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وتزايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكته اللطيفة وقد أهدى له بعض الوزراء فى عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد ألف عيد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت فى الاضحى بكبش * ملئ بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل اضحى يصفى وقد * حنت له راووق جريال
سألته كاسا أطفى بها * نيران احشائى فصفى لى

وقوله

قالت ابزازه لى خلوة * واصل فتى ينسب للخرقة

وسألت عن رأى الطيش
اشمخت بأنفى عن هذا المقام
ولكن صبر جميل والله المستعان
*(ومن فصوله رحمه الله
تعالى)*
ياهؤلاء لا تكابروا الله فى
بلاده ولا تراودوه فى مراده
ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده
(وله أيضا)
لى أيدك الله على الكلاب
ابن الكلبة واليابس ابن
الرطبة والضيق ابن الرحبة
والعاق ابن القحبة مال قد
عفا رسمه لما نسجته من
جنوب وشمال وقد مطلنى
مطل النعاس الكلاب ولا
أعرف جرما غير أنى منعت
دمه أن يسفك وستره أن

وخالى أصفق ولو صفقة * فانت ماتخسر فى صفقتى

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * اروى من الماء لدى الحائم
أورث خلى الكاء هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاءنحوى معتذر * بعد ماعزمطلبه
قلت ذا الاير ميت * ظل يبكى و يندبه

وقوله

تطلبت بحرا فى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حبة دأبه الحجر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن ابى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجله
ما هو بغا كما يقال لنا * بل هو نوريدور بالعجله

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * تملأ الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد والنخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فأهدى لى مزوره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مناما
فشاب رأسى انتظارا * وما بلغت احتلاما

وقوله

ياهلالا قد تسامى * وله الصدغ علامه
اشتهى لو نلت حظا * منك مقدار قلامه

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبلة * من بعد ثغرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يامنزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهره بحرقة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على حسن من الترف

يهتك وداره ان تخرب وماله أن ينهب ولى عنده تذكرة تطلع كل يوم من جرمانه فلا أدرى كيف نسيها على قرب مكانها من مكانه فاقتضه ماعليه وليذكره التذكرة لديه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء القاضى كتاب من ينسى الايام ويذكره ويطوى العالم وينشره ويعقد من عصره عليه خنصره ثم ينبذ ابناء دهره وراء ظهره ويخرج أهل زمانه من عهدة ضمانه فاذا تسلمهم بيمناه وسلمهم بيسراه تيقن أن صفقته هى الرابحة وكفته هى الراجحة وانى أيد الله القاضى على

لو يخدم البدر انى البدر من كاف * لكنه لم يزل مابى من الكلاف

وقوله

فتنت بنبت من عوارض خده * فها انا فى قيد الغرام أسير
ولا كان لى بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جلوا الى كاسى * بها حباب منظم
علمت ان زمانى * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه
اياك أن تتركه ساعة * يزبب الخمس على أمه

وقوله

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجا لها لطيفا * اورثه الانتظار صفره

وقوله

أطربنا مشبب * من غير جعل سأله
يا حسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبنى قوله

غنت فاغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيجنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأحسن الاقصاب موصولها

وقوله

ناحت حمام البان ام ناحت أسى * لم ادر ما عناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * كأنها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا نفقت لها * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

ويعجبنى قوله

يا ليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت يا ليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة فى الشطرنج قوله

تامل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما

قرب العهد بالهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس فما أحد الا بالجهل تبعته وبالخبرة نعته وبالظن أخذته وباليقين نبذته ما من حد وضعته فى أحد الا اضعته ولا مدح صرفته عن أحد الا عرفته ومن احتاج الى الناس وزنهم بالقسطاس ومن طاف نصف الشرق لم يجد فى نصف الخلق ومن لم يجد فى النصف لحقد دالة لم يجد فى الكل غرة لا صحة كان انما صديق يقول ثلثها ولا أملاك ثلثه وهذا العمرى يأس بوجيه قياس وقنوط بالجملة منوط ودعابة تكاد تكون جدا وورا هذه الجملة موجدة على قوم وعربدة على قوم

محركها باق وتفنى جميعها * وبعد الفنا تحيي وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

امل الشطرنج أهل النهى * واسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب اعمابه * وتأبى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت في الشطرنج في غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لي بيدق * تموت منه الشاة في جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شاب الحبيب فقلت أهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكلفا
والارتقام ولم يمل لمشيبه * فالراية البيضاء عليه في الوفا

وقوله

كم جار صرف الدهر في حكمه * وضرني من حيث بي يعتني
البسني من شيبتي حلة * قلت له والله عزيتني

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقوله

النيل ألبس حلة * حمراء في تخليقه
وله اصابع زينب * قد ختمت بعقيقه

وقوله

نادى منادى الوفا مصرا * اذ علقوا سترة علامه
من الغلا قد سلمت حقا * فبت في الستر والسلامه

وقوله

كانت لمصر سترة * بالنيل مذولى خلت
كأنه زوج لها * فبعده ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد في الاقسام مكتوب
فقالت للخطى لا تستطل * فكلاكما للخط منسوب

وقوله

ولائم زاد لوما * في أسود اشتهيه
وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه في مليح قوال قوله

انا ابن الذى في الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعبء يحمل

(وله من مجستان) والامير السيد واسع مجال الهمم ثابت مكان القدم وأنا في كنفه صائب سهم الامل وافر جناح الجذل والحمد لله على ما يوليه ويولينا معاشره واليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقد اعترضتني أيد الله القاضي فصول لا أدري بأيها أبدأ أبالشوق فهو أحرى في الرسم واصدق على الحال أم بالعتب فهو أحق بالكتب ام بالشكر فهو أولى بالذكر ولعمري ان شكر المولى هو الاولى فهل حتى تسالب سرده وتقاسم برده أقول جزى الله هذا الملك السيد أفضل ما جازى مولى عن عبده ومخدوما عن خدمه ومنعما

يطوف باقداح العوافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة وقد تقدم قولى انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بى من غدا اظهرى عليه المنحنى * ولحظه لحظ ظباء رامه
ثم قلت من عذاره وقد بدا * لى خطه يا كاتب السلامه

وقوله

يقول لى الحبيب أرى عذارى * يدب الحسن من وجهى اليه
تكلم فى وظيفة حسن خدى * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله

وعاذل قد زاد فى لومه * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ما تنتهى * قلت ولا بالشيب والوالى

وقوله

يا سائلى عن حالتى ما حال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صبرق لا برق لحالتى * قدمت من جور الزمان وصرفه

وقوله

أصبحت ما بين الورى * كالواله المصاب
من هجر ذا القبطى الذى * ما كان فى حسابى

وقوله

يقول جارى من بعد جور * وقد راى حرقتى ونارى
دمعك ماشانه ومن ذا * عليك قد جار قلت جارى

وقوله مضمنا

أقول لصب قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك فى ابن السكرى والذى أرى * مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقوله مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله فى غلام يدعى مقبلا

يا من تعجب عن محب صادق * مازال عنه كل حين يسأل
من لى بيوم فيه تقبل بالاقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

وقوله فى جار يدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج والناقوس ولكن مختارنا منها

عن نعمه وأعانه على همه ولو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يجبه حقا أقول ان التمرة بالبصرة أقل خطرا من البدرة بهذه الحضرة ولا أراها تحمل الى المنتجعين الا تحت الذيل فى جنح الليل ولا شئ أكثر وجودا من الدينار بهذه الديار بينما المرء فى سنة من نومه اتعب يومه وقصارى همته قوت ليلته اذ يقرع عليه الباب قرعا خفيا ويسئل سؤالا حفيا ويعطى ألفا خافيا هذا اذا لم تنصره وسيلة ولم تصحبه فضيلة فاما أولو الامال فلا حد لما يصل اليهم من المال ابتد

مايحسن نظمه في هذا السلك فمن ذلك قوله في فانوس مع حسن التضمين

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار تحتنو به ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم فقال وأحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبي حجلة وأجاد مع حسن التضمين

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به اجفانه

ويعجبني قوله مع حسن التضمين

أنا في الدجا ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

ويعجبني أيضا هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذارا انما الفانوس حين بدا * في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نارا الجوى فغدا بالثوب يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا في الجو منظره * من فوق مخبره يدعو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء يا سكني

وقوله

يا باذهنجي كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * ورفعت رأسك للسما

والطف منه قوله مع حسن التضمين

يا باذهنجي لا برحت من الهوى * مثلي على حب الديار مولها
داري بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجي * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة في باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بابيكم

ياشاعرا قد حاز حسن بديهة * ونظمه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال لقصده * وتقول يا ابن الزين ابيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يا معشر الادبا غدا تشبيبكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافا كم ابن نباتة فتفقهوا * أقواله بسكينة وتأدبوا

بخمسة عشر ألفا وانته الى مائة ألف غرفا بحذف وعطاء بغير صرف وحسب الغريم أن لا يوفي ومن منع الصدقة فليقل قولا معروفا وما أجهل ان ذلك الشيخ ممن احتمل ذلك المال غرما ولكن لا أعرف انفسى فيه جزما وما فائدة خط يبذل ولسان يرهن وتاريخ يكتب وضمان يقبل ومال يغرم ولولا الغرامة لم تفد الزعامة فقبح الله هذا المال واعن هذا القيل والقال هل كان جرمي الآن رددت اليه خطه وذكرته وعده ألم يكن في الرد مندوحة عن تجاوز الحد أما أنا فليس له عندي الا الثناء الجميل والولاء الجزيل ولولا الكافر ابن الكافر والعاهر بن العاهر ابن فلان في الظاهر

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشي في المسرة راكبا
ومتى طرقت عشي آنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

وممن قنص شوارد النورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغاري فمن ذلك قوله

قالت وقد أنكرت سقامي * لم ارذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيري * فقلت لا عين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفني * سياجا ماله قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى أن * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذرأيت اقمارتم * عن بدور السماء للطرف تلهى
اى وجه أضناك قلت دعوني * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل لحظي كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادني في دجا * شعر فقواد وابل طويل

وقوله أيضا

افديه في الالكن يرمى دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه
أطلقت لحظى نحوه فأجابني * سهم وما عاينت كشف بياضه

وقوله مضمنا واجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير أنى * ارى خلل الرماد وميض نار

وقوله

فتنت باسم حلو اللمى * اسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبي ومارق لى * ودمعي يرق وما ينقطع

ومنه قوله في مليح بيده قوس حاقه

وبدا العشية أغيد في كفه * قوس كانتها سهام جفونه
فسألته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله

وانى كاتبك ياخليلي بعدما * حكمت على بيعدك الايام
لكن ارى نار اشتياقى لم تكن * برداعلى وفيه منك سلام

ومن نكته الغريبة قوله

أما ترى النهر كالحسام غدا * ينسل بين الغصون والورق
وليس في الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

والله أعلم بالسرائر وما أشرب قلبه من الطمع في مالى والتعرض لحق اصفا الغدير بيني وبين أبيه ومن وجد اباه بنكح بنته ولا يقتل بيته ولا يغسل استه ولا يراعى الفرض ووقته ولا يراقب الله ومقته لم يرث اللوم كلالة وان انجلت هذه الغمة وسكنت هذه الامة استعنت بالله عليه وصرفت اعنة الكلام اليه وهو حسبي وبه أستعين والسلام

(وله الى أبي على الحسامي بفرشسنان)

ولا تكاد ادام الله عز الشيخ سنة سبع تعمل الاعمال السباع ثم لا تعمل في اللقاء ما تعمل في الوداع وكان سنة ثمان سنة آمال

قوله في الالكن كذا في النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

ومن غاياته البديعة فى هذا الباب قوله

سرت من بعيد الدار لى نفحة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله

اعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت
لم تزل البطة فى قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطفا بزيادة نكتة أخرى

يا من يلوم فى التصابى خلنى * فأذنى عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات فى شواربى * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال

انا القليل العقل فى صرف الذى * أملكه فى كأس المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات فى شواربى

ومن مجونه قوله

يا صاحبا ما زال من انعامه * لثياب راجيه المؤمل رافى
قد قطعت فرجيتى حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافى

ومن أتى فى دقيق التورية بنخاس الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموى فمن ذلك قوله

قال عذولى والقوم قد رحلوا * وقصده فى مقاله حينى
اطلق دموعا مازلت تحبسها * وطالق النوم قلت من عينى

وقوله

لم أنس طيفا زارنى وانثنى * عنى وقلبى بعده يخفق
وما كفى حتى دموعى غدت * من خلفه تجرى وما تلحق

وقوله مضمنا

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وانت تلوم

وقوله

لقد تعشقت فتى شائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدى فلم يرتبط * وراح كل المدح فى السائب

وقوله

تعذر من أهواه واسود وجهه * ورام وصالى بعد ما لم يكن خلقى
وقال حكى صدغى نبانا اجبته * صدقت لهذا عاد يصلح للحلق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

قلت لمن ينتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعور الذقن من نتفها * فاننى شيخ احب العتيق

ولم يوجعنى العام الماضى بنفسه كما أوجعنى برفسه انه لما طلع العام طلع البلاء العام بخبط الاوراق ثم كسر فصل الاغداق ثم قلع الاعراق الساق وأنزل الله بنجاة من السيل وعلى جزيرة من البحر فى كن بعصمنى من الماء ويحمينى صوب السماء حتى مضى العام فلم يضرنى عيبه ولم يصبنى نابه ولم يخبط فى يده فلما كدت أسلم رضخنى برجله فحال بينى وبين أحب الناس الى وأعزهم على وأقربهم الى وأشبههم بأبوى وأوصلهم ليدى وأحضرهم فى الملمات لدى ولم يخلنى الله فى هذه الحادثة من جميل عادته

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله

اصبحت في العالم اعجوبة * عند ذوي الالباب والفهم
جدي حوى فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي أمي

ومن لطائفه قوله

عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد في الكؤس كالنيران
وابن ماء السماء زوجها * اذكرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق اغزاله قوله

اضعف اجفان حبي * بالقتل فينا عتوه
فيالها من جفون * تزداد با اضعف قوه

ومن مجونه قوله

كسبت مملوكا ومن لطفه * يسير باللطف على سيري
سميته خيرا وان يدخل الاير يكن خيرا على خير

ومن مماجناته مع الشيخ حسن الزغاري المذكور قوله

حسن الزغاري احمق * يا بئس من يوافقه
خنقته هجوا وما * للكلاب الاخانقه

ومثله قوله فيه

نحم الزغاري عند نظم موشح * وكمال نظمى بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا الماعوى * فاصبت مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه

قل للزغاري الذي من جهله * امسى باقوال الاكابر هازى
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه * من ذا يجير لك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجبي تغمده الله برحمته في باب التورية ولم أظفر له الا بقليل من مقاطيعه مع اني كثير الفحص عنها فانه ما يجاري في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه في هذا الباب قوله

اهاء بن لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

وقوله

وصفت خصره الذي * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

وقوله

عودوا اصب بكى عليكم * باجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرا * وقلبه ماله قرار

وقوله

ولم يخل سهمي من سعادته حيث انزله في جوار النجم وفناء البحر ومناط الملك ومراد الجود ومساق العز ومجال المجد ومقام الدين وجناب العلم ومصاب الغيث وذمار الليث ومن جمع الله له جوار النيرين فقد جمع له صلاح الدارين وكنت على ان اكتب كتاب شكر الى السيدين الملكين المؤيدين ادام الله تمكينهما وجعل التوفيق قرينهما والقضاء معينهما وبسط بالخير يمينهما ثم رأيتني مهتزا لالتقائهما مشتاقا الى فنائهما وقد مت هذه الاسطر وانا بمشيئة الله على اثرها وللشيخ في تعريفي جمل احواله وتفاصيلها رأيه الموفق

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فبالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر فى باب التورية مطلعها

عما جرى من ادمعى لاتسألوا * فمدامعى اخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع

وخذوا حديثا قد ألم بمهجتى * وازداد حتى أهملته العذل

منها

نائى المعاطف كنت اول عاشق * فى حبه ولكل ثان اول
يرنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميل منه شمائل لم ادرمن * مشمولة أو حركتها الشمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله واظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيجود لى دهر بطيف خياله * واظنه برجوع ذلك يبخل
أم كيف يأتى الطيف جفنا بابه * بالفتح من ارق الصبابة مقفل

وقول الشيخ جمال الدين

واقسم لوجاد الخيال بزورة * اصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبى قوله

ياساكنين السفح كيف حبيتم * عن ناظرى البدر الذى لا يأفل
وفعلتم بى مايسرعواذلى * ماشئتم ياأهل بدر فافعلوا
لاتحجبوا بينى وبين غزالكم * فعلى حجاز الصد مالى محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

ياصاح عللنى بكاس مدامة * عن ذكره ان المحب يعلل
صهباء ان جن الفتى بخمارها * فهى الشفاء وفى شذاها المندل

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز على ان تحجب عنى عرائس الحاجبى فى خدور الاوراق فانى لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمى فى باب التورية قوله

سهل الخدود عزيز وصل من يرم * يوماجنى وجناته لم يستطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لى * لاتطمعن فكل سهل ممتنع

ان شاء الله تعالى (وله الى الشيخ الرئيس أبى الفضل) كما ان عناء الشيخ فى ان يثير ارضا أو يسقى حرثا أو يشيد بناء أو ينبط ماء أو يعمر طاحونا أو يغرس كرما كان عنائى ان افيق حيلة أو اخلاق وسيلة فاذا وجدت من الكريم فرصة لم احتنم ولو خطر بالمال وخطرت بالمروأة لم اغتنم وقد كان تطول عام اول بخط أنا اقتضيه اعادة الانعام به فى هذا العام وقد والله بدرت لكنه زاد الرحيل وخطبه جليل اذا اصبحت عنكم راحلا وثقات والثقل ليس مضاعف المطية الا اذا ما كان قرما بازلا واذا كان الكريم من قد

وقوله

حبي يبين في بين النوى * فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ما لات وولى وكم * قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

واني وفي كفه ورد احمر * حبابه مذهب تحت اثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه * وجنيت ورد الخد من اكامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت * امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها * قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

يا عمري الاصل أنت مالكي * ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم * لنافع المالك لابن عمر

وقال وقد اهدى له حلاوة سكب

افضالك يا قاضي القضاة مزية * على الصحب لا تخفى على من له اب
فاول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم اوله سكب

ويعجبني من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوي * خيفة من عقاب عقبى التجري
واذا لاح نهج بر تراني * فيه امشي ابغي ثوابي واجري

وقد عن لي ان اورد هنا نبذة من المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحب قالوا معناك الذي اذ بلتو * جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال اقسم لو ان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر بدا في هدو * في روض وجنتك يحدو للصبابه حدو
والوهم ماضر خدك يارخيم الشدو * الا لان حشيشو قد طلع في بدو

وقوله

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ماهوف لا حمل يعنيني ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في التكحيل * لا تكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله

يا من على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفاني وعني فر
يحل لك ان قلبي يا غزير الدر * مالو قرار ودمعي البحر وانت البر

ومن فتح له هذا الوصيد * القاضي فتح الدين بن الشهيد * رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك ابدعت ثمراته * واهالغصن قوامك المياس

عليه فلا رحمني الله ان رحمته
وقد جهزت الحاجة في ذل
رخيمة الى كف كريمة فان عمل
بقضيتة فضله وزن صداقها
وان عمل بقضية تقصيري
اسرع طلاقها اوله في الامرين
ما براه ان شاء الله تعالى
(وله أيضا)
كابي والتي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا طالق
ثلاثا مردودة على اهلها
من ورائها البعرة وفي قفائها
النعرة الا ترجع الخرقاء أو
تطهر العنقاء والله ما نقض
الغزل بعد قوة اسخف من
نقض عهد واخوة ولبس
ارش الغزل اذا انقض ارش
النضل اذا رفض ولم
يجعل الله اضاعة الصوف
كاضاعة المعروف يا ابا

فی صدره رمان نهد زانه * حلی یوسوس فی صدور الناس

وقوله

افدی التی ساقت حروب الهوی * بحسن ساقیها لمشتاقها
جادلت عذالی علی حسنها * فقامت الحرب علی ساقها

وقوله

قال لا تخش رقیبی فلمن * حبی فی زورتی أوفی نصیب
قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودی وعلی عینی رقیبی

وقوله فی عین بعلبك

واقد اتیت لبعلبك فشاقنی * عین بها روض النعیم منعم
فلاهلها من اجلها أنا مکرم * ولاجل عین الف عین تکرم

وقوله

قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قیاس باطل وحیاتکم
فعروس جامع جلق ما مثلها * شتان بین عروسنا وحماتکم

فاجبته فی ذلك التاریخ عن ذلك بقولی

والله ان حماة شامة شامکم * وعروسها بمحاسن متزایده
ودمشقکم بعذارها الشلجی قد * وات شبیبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضی فتح الدین بن الشهید قوله وقد احضر له عوادا یسمی طائر بغا بسفارة الحاجب توکل

نهاری انس کله بندادم * علی عوده یغزو الحشا بتبابل
وکنت أراه طائرا عز مطلبا * ولکننی حصلته بتوکل

وقال وقد حضر عنده من یلعب بالقانون واطربه

غنی علی القانون حتی غدا * من طربه یهتز عطف الجلیس
داوی قلوبا من علیل الاسی * وکان فیها من هواها رسیس
فصاحت الجلاس عجبا به * یا صاحب القانون انت الرئیس

ومن نکته اللطیفة التی هو أحق بها من غیره لکونه صاحب دیوان الانشاء الشریف بالشام قوله

کانت فتاتی لانظم بیتی * قرینة برة امینه
بکیتها والحمام قامت * بالسجع فی ندبها معینه
من علم الورقان سجعی * لیس یوانی بلا قرینه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب وهی ما لا یستحیل بالانعکاس وجهز بعده قوالب سکر

رسالة القلب بها خدمتی * تقدمت فی الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السکر فی الواجب

الحسن الحق تقبل وهو خیر ما قیل انا الخاطبك بالشیخ والجنون شعبة من شبابك وبالفاضل والفضل وراء بابك ولو کان القلب بستخیر والهوی بستشیر ولم اکن المحب المغرم ولم تکن المحب المکرم الکتاب وصل جسم هائل لیس وراءه طائل وخط مجنون لا یدری الف فیه من نون وسطور فیها شطور دبیب السرطان علی الحیطان وافظ اخلاط لا یدرکه استنباط ولا یفسره بقراط هذیان المحموم وهوس الموم وسوداء المهموم وقرأت سطر کتاب لم أدر والله عماذا یعبر عن أمور سقیمة أو عن

ليعلم المخدوم انى امرؤ * اخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فللفتح أبوابى وصدرى للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتى * ومن أجل ذا دار الطراز على كمى

وكتب على الرفرف

رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتى * ويمشون فى ظلى وتحت جناحى

وكتب على مجالس بيته

يا من ينزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدره قامى المجالس العالى

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلى فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا قمرا وغصنا * حباه حسنه هيفا بلين
تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله

وحاجم فى الكاس أجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق
لكنه خالف فى شرطه * وحكم الكاس على الساق

ولعمرى انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفنى فاعدمنى الكرى
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبنى قوله فى باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العين بياض المشيب قد أورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

وقوله

حديث عذار الحب باد وساقه * له اوجه تبدى اقلبى اشتياقه
درى انه انسى الى الحسن كلنا * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

وقوله

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقينى بنارك

وقوله

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى مسطرا

(ى)

أحوال مستقيمة لا جرم انى ظننت خبره ولم أبعد غيره وجوزت السلامة ولم آمن ضدها وذهبت مع الظن الجميل اتفاقا ثم رجعت القهقرى اشفاقا فسألت الله لك المزيد ان كانت سلامة والسلام

(وله أيضا)

لا يزال الشيخ يحمل الى أبا فلان فيما يوليه من رفق باسبابه واعتناء بأصحابه وما يفعل فى ذلك الا ما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الا ما هو أهله وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته

فقبلت حتى محوت رسومه * كان لم يكن ذا الحديث ولا جرى

وقوله

عيني أفاضت دموعي * من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت * رأيت غسلي بعين (ى)

وقوله

عانقت حبي على تأخره * وقد نعتني برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرني * عن سرعتي لانقطاعه خلفي

وقوله

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا تجافى المردقات تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقوله

هجروك البيض لما * نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى * يا جميل الستر سترك

وقوله

ذو حور اصابني * بعينه الناظر فليس قتل صبه * الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبي ناتف للعارضين يقول صف * نبات عذار زان في الحسن منظري
فناديت يا حلو الشمائل ما الذي * يقول لساني في النبات المكرر

وقوله

لما جفا المحبوب ناديته * قبلت حبي منك بالبغض
فعندها نام على وجهه * وقال وجهي منك في الارض

وكنت اظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلي الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين في هذه النكتة

عاتبت محبوبي وقد نكته * بطعنا فاضحي خجلا مغضي
فقلت دربني وخلي الحيا * فقال وجهي منك في الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة * كواه ذا التلقيب في القلب داغ
وهو غراب البين في شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله في تمتع الدمشقي

وذي أدب لطيف الذات جدا * طلبت الوصل منه فما تمنع
ودب لاخذ أيري قلت من ذا * فناداني باشفاق تمتع

وقوله

ولانت قشرته وواصلت فاحسنت وصاله واحمدت خصاله وسألته فأعرب جوده وجمته فاصلب عوده ومانقبت في الامتحان لمعرفة الاجسته ولا نظر الا افترسته فما اتتنى خصله من خصاله الاهي أكبر من اختها حتى حالت الغربة بيني وبينه فكان لي في الغربة اكبر في الجد جهدا واطيب في الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمري ان ود الحضر اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبايهما وراش نبايهما وماخسر على الكرم كريم كما لم يربح

مذنام ارى قال لى * آقه يحظى بالوصول
فقلت فيه قصر * فقال ذاك يطول

وممن عاصر الشيخ عز الدين الموصلى ومشى تحت علم التورية علاء الدين بن ايبك الدمشقى وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به واعمرى ان هذه المناظرة ما صدرت ممن له نظر فى نكته البديعة قوله وقد اجتمع بمليح فى منتزه من منتزهات دمشق يعرف بالسلطانى

سلطان حسن افتديه بناظرى * واعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارنى * قضيت ذاك اليوم بالسلطانى

وقوله

احببت من حياله وجنة * مشرقة حمرا مشبه اللهب
قالوا الشهيدية اعطافه * فقلت والردف تليل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت وجه حبى * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل مزح الغوانى * وان أوجعن منك الظهر دقا
وجيدك ان يلق الصفع فاصبر * فان الجيد فى الدنيا ملقى

ومن نظم الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا فى باب التورية قوله

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخبرة عن الظبى الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومن لطائف مجونه قوله

يامعشر الاصحاب قد عن لى * رأى يزيل الحق فاستنظروه
لا تحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل بينكم خففوه

وقوله

تصفحت ديوان الصفى فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامى
فقلت اقلبى دونك ابن نباتة * ولا تقرب الحلى فهو حرامى

الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى أراد بالسحر الحلال الذى ما وجده فى ديوان صفى الدين التورية لا غير وماذاك الا ان الشيخ صفى الدين كان اجنبيا منها ولهذا لم أنظمه فى سلك القوم الذين مشوا فى نظم التورية تحت العلم الفاضلى والعلم النباتى وغايته انه رضى بالشعر الساذج المنسجم وتعرض للتورية فى بعض المواضع ولكن سبكها فى غير قالبها لانه لم يكن فى طباعه ويأتى الكلام على ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له

على اللوم اللئيم وان يدل الخير فى القياس ولا يذهب العرف بين الله والناس اعان الله على تأدية فرضه وقضاء الواجب او بعضه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

ابن تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلته الى سواء ابقصر فى النعمة لانى قصرت فى الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت فى أذيال السهو ولم ينعش بيد العفو ام يقول ان الدهر فيما بيننا خدع وفيما بعد ممتنع فقد ازف رحيلى ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء

والمعنى فى مراده ومفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دجا * لايجيئون فى قيام الساعه
فيهم اعور وقد صح بالبر * هان أن جا كواحد من جماعه

ويعجبنى قوله فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما انشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * فلا تسقى الانام سوى الحديث

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

ومليح لالاء يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلا لا

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما * ان رأى الوجد علانى
أنا ابقى وبوجدى * فيك ياأحدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التاجر استحقها الشيخ جمال الدين ابن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر اسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سر لذات اسقنى * جهرا على عينك ياتاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له مايكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فأظلم الجو ماللشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب اسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لنسبك كل خصم مارق * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجا اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينهين يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

الخط أم ينتظر سؤالى وانما سألته يوم آملته واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت اتيته وانتجعت سحابه لما آتيت بابه وليس كل السؤال اعطى ولا كل الرداعفنى ام يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا انها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وارضا للمنة يزرعها فلا اقل من تجربة دفعة والخاطرة بانه اذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر ام اكفر

ولعمرى ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه فى ذلك العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضا لى * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم أحل فى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا انفت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى * قهرا المعظم سطوة الجوبانى

وكتبت من حماة المحروسة حسب مارسم لى به قولى

أنا فى الخطان تحمرنة على * فكأنى مقاتل الفرسان
وقوامى اذا انثنى فنفرد * ماله فى تفرق الجمع ثانى
وسنانى كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للردين بنسب لكن * صاح لما علاه بالاسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حل الدواة فرمتها * منه مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلمانى اضافنا * ابنا ماله ثمن
بيض الله وجهه * كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التى سارت لديها الركبان قوله

أنا دواة يضحك الجود من * بكا يراعى جل من قد براه
دلوا على جودى من مسه * دام من الفقر فانى دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبى * مليحا بالعذارى الغيد أزرى
فلما ان تعذر مال عنه * فؤادى والجوانح نحو عذرا

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى الحنفى نور الله ضريحه وقد مر على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف فى محفة قوله

محفة المجلس العلائى * تنشر جدواه فى المشاهد
تقول هذا قنى واعطى * وحج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين ان يكتب على قبره من نظمه ماقرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبرى * لاحظى بالترحم من صديق
فيا مولى الموالى انت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قرأته للشيخ شرف الدين عيسى العالية فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوه مضاجعى تحت الدجا * حجبوه عن عينى حتى اسهرا

أم يتوقع صاعقة تملكنى او داهية تهلكنى فهذا أمل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام يقدر أنى أشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كنت بنبوع المعاذير ما حظى منى بجرعة فليرحق بشرعة ام يرجو انى أمهله حتى اعود من هراة والشيطان اعقل من ان يوسوس اليه بهذا او يسول لدى ذلك وانا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد نملوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليحسبنى من النعل تذكرة اومن القوم معذرة وليصرف على أمره وننهيه بهراة بشرفه بها ان شاء الله تعالى

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما أتيت المشعرا

وقوله

ومليحة راودتها فتعللت * بالحيض وهى تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكنى * فمواضعى ليست تعد ودورى

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية لحاله

قالت لى الفروة قم دفنى * حتى ادفيك بقلبين
قلت لها بالله ماتشتهى * قالت غنا قلت على عينى

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكى

البشتكى المكدى * ذوابنة ليس تخفى
قدمه للنيك رجلا * وللخلا تنقى كفا

وقوله

ايا معشر الصحب منى اسمعوا * مقالى وكس أم من يشتكى
الا فالعنوا آكلى الحشيش * وبولوا على شارب البشتكى

وقوله

البشتكى البدر له لحية * كلحية الراهب مشعوره
قال أنا أشعر هذا الورى * قلنا له فاستعمل النوره

ويعجبنى من مدائحه قوله

تهنأ بنصف كم به من حلاوة * وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لسانى صارم وفى له * قراب وارجو أن يحلى قرابه

ومن شعر عيسى فى مؤلفه من قصيدة

صبيغ دعاويه ماتنقضى * ويخطئ فى القول لا يشعر
تفكرت فيه وفى ذقنه * فلم ادر أيهما احمر

وقوله

ايارب الجناب الرحب جدلى * وكثر فى العطاء ولا تقال
وما تعطيه لى من خشكنان * نهار العيد كبرا وهلل

وقوله

افضلك يا ابن فضل الله أشكر * برأى البرد فى يومى وامسى
وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الا تى ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى لم اجد فى اغزالهم من المقاطيع مايغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هى فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

(وله ايضا)
هذا القاضى انا عنده فى المنزلة أقل من شئ المعتزلة نسأل الله رأيا يسدد وسترا يمتد ووجها الابيض واما فلان فلا اشك ان كتابى يرد منه على صدر يحى اسمه من صحيفته وينسى اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا فى الجد والهزل وتقلبنا فى اعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدى العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق أحدنا بصاحبه اذا انس الرشد فى جانبه وتصافحنا من قبل ان لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد ان لا ينقض العهد

فان تحيل فى رزق بعد حكم * ابو محمد البطال لا عجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبت رزقا قيل رح ناظرا * جيوش سيس قلت رأى تعيس
لو ان ذى الحكام فى سلطنة * ما طلبوا انى ابق بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا
وما رأيت اناسا * الكن حميرا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيا البلاد موسى * خلوة تحيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
فاذا اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * وأظهر لى أضعاف ما تظهر العدا
نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نذل لئيم * اقر بوعدى غلطا وأنكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصاحب ريأ * يحن الى الجناية كل ساعه
وما قطعوه بعد الوصل الا * ارادوا كفه عن ذى الصناعه

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ همت وجدا * بخد خلت فيه الشعر غلا
ايعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر

وهل ذا كر من كان اقرب عهده ثلاثين شهرا او ثلاثة أحوال

(وله فى نقض قصيدة أبى بكر الخوارزمى)

سألت أمتع الله بك عن الخوارزمى وشعره وقلت انى لا اجد فيه بيتا لو رؤى فى المنام لاوجب الغسل حسا وبعده بيتا اذا سرد بنقض الطهارة مسا واعمرى ان هذين البيتين لو كانا تينتين مانبتتا فى أرض او تمرتين ما جنيتا من غصن فكذلك اذا كانا شعرين يبعدان يصدرا عن صدر او يطبعا من طبع أو يصبا على قالب قلب او يكونا نفسى نفس فقد يمن الشاعر بنفث ويجد

يامعشر الادباء هذ وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

وقوله

عاينتها معشوقة خالها * اذ عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى ويا جسمها * لله ماغـلى وما أرخصا

وقال واجاد

ان الهوامين يامعشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالقصور فى كفن

وقوله مضمنا

ومقله ظبى يرشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله

عارض المحبوب من فو * ق صفاه الدفاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله فى مجونه مضمنا

قلت بالاثير على بذل مالى * فى هوى الحب دع كلام الفشار
فعلى فلس ذا ناح ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله

شكى الى اليتم اذ نكته * مراهق فيه حلاه تكى
بت اسليه على يتمه * وكلما سليته يبكى

وقوله

سكر الشيخ وطابا * واشتهى الشيخ شبابا * حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندرى وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبر حيث بالقوم احتمى * انت السراج بعينه * لوشلت انفك للسما

ومثله قوله فيه

ياذا السراج اشترى أيرى فانت به * أولى وذلك للحق الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

وقال فى الصاحب بن النشو الوزير وقد انشا سبيلا بالجامع العمرى

انشا القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمحال قابل * ما سلسلوا مطلق كل جدول
واصبح الدولاب فى رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

القائل ثم يرث ولكن لا كم تراه فى شعر أبى بكر وما كنت لا كشف تلك الاسرار واهتك هذه الاستار واظهر منه العار والعوار لولا مابلغنا عنه من اعتراض علينا فيما املينا وتجهيز قدح علينا فيمارويناه من مقامات الاسكندرى من قوله انا لا نحسن سواها وانا نقف عند منتهاها ولو انصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات ثم عرضها على الاسماع والضمائر وأهداها الى الابصار والبصائر فان كانت تقبلها ولا تزجها أو تأخذه ولا تمجها كان يعترض علينا بالقدح وعلى امثالنا

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

ارى ولدى قد زاده الله بهجة * وكمله فى الخلق والخلق مذ نشا
فأشكر ربى حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع امداحه قوله فى الشهيد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام المرتضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى أن اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

ويعجبنى من حسن خواتمه قوله

واسوأتاه اذا وقفت بموقف * مالخاصى فيه سوى الاقرار
وسواد وجهى عند أخذ صحيفتى * وتطاعى فيها شبيه القار (ى)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله تغمده الله برحمته قوله

واغيدبت منه * بنار عشقه اقلى
رمى من اللحظ سهما * به تموت وتبلى (لا)

وقوله

قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج * بين السيوف والقنا

وقوله

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا اهم منا
فقالوا النا غوصوا الى قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا الهم غصنا

وقوله

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عمن * يومك رحت تهجره وامسك

وقوله

قال خلى لحبيبى صل فتى * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قلت ان فاز بثغر او لما

وقوله

يا لائمى ان فقدت الصبر فى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
كانت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله

من مجيرى من سادة الفوا الهجر * اعشاقهم وزادوا النفارا
سأل الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا حيننا ان يجارا (ى)

بالجرح او يقصر سعيه ويتداركه وهنه فيعلم ان من اصلى من مقامات الكذبة اربعمائة مقامة لامناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى وهو لايقدر منها على عشر حقيق بكشف عيوبه والسلام

(وله تجاوز الله عنه اليه)

احمد بالشيخ السيد وجدا يقض العظام وينقض النظام اذ كرتك الاخلاق الكرام وتلك الشيم الحسان وتلك الليالى القصار وما كنا نتجاذبه من حديث ونتنازعه من جدال فانصدع ذفرات وانقطع حسرات وأموت

ومن اختراعاته اللطيفة

تساومنا شذى أزهار روض * تحير ناظرى فيه وفكرى
فقلت نبيعك الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

محة الذى تطمح يهيج من البغا * و يشير فى هجو الكرام محاجا
اقصيته عنى فظل يسبنى * ومنعته ايرى فذم وهاجا (ى)

ومن مدائحه يهنئ والده بعوده من السفر

هنئت يا ابتى بعودك سالما * وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه أيضا وقد أهدى له هدية حسنة

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * ولولاك كنت الدهر فى الغى ساريا
وأهديت لى ما حير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما يرضى الاله وحرضا
فأقلعت عن ذنبى واخلصت تائبا * وامسكت لما لاح لى الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ ابى الفضل بن ابى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا وأظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محتا * جاشكا فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التورية مع بديع التضمين قوله

ماخادم واسمه فى در مبسمه * الا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى اعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحما (حمى حمى)

ومثله قوله

ارسلت عينى بدمعيهما * بين يدى من قد تمادى جفاه
أسأله فى لمه قبلة * فلم يميلاه ولم يعطفاه (بعطفاه)

ومثله قوله

سألتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو
قالت فصفنى ارتجالا * فقلت بعسد الترى

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

كل ممات فسقى الله عهده
عفو السحاب وجهده
وانجز الله فى اجتماعنا وعده
فما أقبح عيشى بعده وشنار
ما حالى وابنى وارتحاله
ابنت بعيش ناصب فى عذاب
واصب وخرج فاستراح
من فصولى واصحت معاوه
من غيوبى ومصائب قوم
عند قوم آخرين فوائد
وقد جعلت الشيخ أبا فلان
ولى عهدى فى خدمته
وأقمته مقام نفسى فى
مضان نعمته وولينه
خلافتى فيما كنت أتولاه
من مجلسه الا التبجيل
فانه لا يبلغ كنه مقداره
وليس ذلك من شأنه واسال

اذ كان ورد لك جرى * فيه فصار مربي

ومن لطائفه قوله

الا لا تلوموني فلست بمقلع * اذا ما صدرت من كاسها الراح في حلقي

سآوي الى بحر من الخمر مترع * احط المراسي عنده فامل لي واسق (وسق)

وقوله

ذكرك لي في اللوم مستحسن * واللوم عندي غير مستحسن

كم قلت للمعرب في لومه * ان جئت نحوي قط لا تلحن (نى)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل سمته صفعا بمال * فقال نوازعوه باصحابي

اذا الجمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله

تعنت دهر لج فينا بخطبه * وذللنا من بعد عز وأنكانا

فما واننى يختال في جبروته * ويجر اذيالا علينا وأردانا

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتنبي قوله في مليح اسمه حمزة

ترى يبدو لحمزة بعض ما بي * ويرثي لي وينظرني بلائي

واشفي بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكساء (ى)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومي المالكي قوله

قلت له والدجا مول * ونحن في مجلس التلاقي

قد عطس الصبح يا حبيبي * فلا تشمته بالفراق

وقوله

يقول بديوان المحبة وردوا * محاسن حبي فهو في الحسن مفرد

فوردت في الديوان عامل قده * فقال وذاك الخد قلت مورد

وقوله

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها * وأبدت صفات أبدع الحسن كونها

فدع لائمي ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالي صفاها ولونها (نهى)

وقوله

يا عذولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا

كم تهز العطف منه طربا * عندما تسمع منه وترى (ا)

وقوله

اذاب احشائي هوى صائغ * قلت له والقلب رهن لديه

اني على فيك أرى خاتما * فهل ترى يقعد نقشي عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى * وخاف من مراقبه

الشيخ السيد ان ينظر اليه بعين ويحفظ ما بينه وبين ويتخوله دائبا ولا يعرض عنه جانبا ويمكنه من بساطه كل وقت ويخصه بجملته ويمتع عيني بشارته ويظهر على صفحات حاله آثار افضاله ويشرفني كل وقت باصره ونهيه ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه رقعة أخرى) كان أيد الله الشيخ العالم بين أمير بن خلاف كصدع الزجاج وشرط على السكون ولا مكاتبة ولا مجاملة وانبعث رجل طالب فضل بكتاب هز ورمن احدهما الى الآخر يسأله فيه العناية بوصله فتعجب

فقلت هذا قاتلى * بعينه وحاجبه

وقوله

امنيــــتى انت يا مليح * ما مثله فى الزمان ثانى
فكيف تبدى جفاك خوفا * وأنت فى غاية الامان (نى)

وقوله

وعـزيز الجمال اوجب ذلى * وهواه عـلىّ اصبح فرضا
فهو فى الحسن والجمال سماء * صرت يا صاح منه بالذل أرضا (ضى)

وقوله

تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله

لاماء ذاريك هما أوقدا * قلب المحب الصب فى الحين
فجد له بالوصل واسمح به * فقيك قد هام بلا مين

وقوله

قلت لعطاربه صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
اسقنى كاس غرام به * ذبت ومن فيك برانى الشراب

وقوله

لله منه ملثم اشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالى لا تعجبوا * طيب الهوى مازال فى الملثم

وقوله

فى ليلة البدر اتى * حبى فقرت مقلتى
وقال لى يا بدر قم * فقلت هذى ليلتى

وقوله

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن يا صاحى عنانى * لكميت ولجام (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

أقول لخل جن من فرط ماله * ورابى فأسقى الناس كاس عذاب
صفاتك يا هذا العمرى تناقضت * فانك ذو مال وانت ترابى

ومن مدائحه ما كتب به الى قاضى القضاة ناصر الدين التنيسى قوله

قد نلت يا قاضى القضاة مطالبى * بكنوز جودمنك أورثت الغنى
واخافنى الدهر الظلوم فـذرآ * نى داعيا لجناب جودك أمنا

ومن مدائحه فيه قوله وقد ولاه وظيفة العقود فى مبادى العمر

يا حاكما ليس يلقى * نظيره فى الوجود

المكتوب اليه وخيره بين العفو عنه ولا صله او يعرف الحال فان كان صادقا فله حكمه وان كان كاذبا فدمه فاختار المزور تعرف الحال فكتب الى وكيله هنالك ان يعرف الامر فى ذلك فقد خيرت موصل الكتاب بين حكمه واراقة دمه فتعرف الحال فقال الامير لندمائه ماترون فى هذا الرجل فقال احدهم يضرب وقال الآخر يصلب فقال الامير اوخيرا من ذلك انى اصدقه اعطى حكمه فلا نعدم مكرمة اومثوبة فصدقه هذا الامير وخيره ذلك الامير

قوله فى الملثم هو فى النسخ بالثاء وبها تتم التورية والمعروف فى الريح التى تهب من ناحية الشمال الثاء وعليه فلا تورية اهـ

قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وكتب الى برهان الدين الحلى

يا سيدا معروفه ليس يحصى * ونداه كان بفرع وأصل
مذ علا فى الورى محلك عزا * قلت هذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين الفارقى

قل للذى أضحى بنظم حاتما * ويقول ليس بجوده من لاحق
ان قسته بسماح أهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبنى من اغراضه البديعة قوله

لئن عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفى الهم والهم زائد
فنحن شهود فى المقام لعقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت صدوده فدنوت منه * على مهل بنى زاد حسنا
وعاجلنى الرقيب فخاف أيرى * وانزل اذ رأى خوفا وامنا (امنى)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة ابو الفضل احمد بن حجر العسقلانى روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى فى باب التورية ورسم لى ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطه الكريم فى كراسة واتحف بها العبد لانظمها فى عقود هذه الاسلاك وكتب فى ديباجة الكراسة قوله

يا سيدا طالعه * ان راق معناه فقد
وافتح له باب الرضى * وان تجد عيبا فسد

وقوله

سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا
فنوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان واقترنا (وقت رنا)

وقوله

سألوا عن عاشق فى * قربا سناه * اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

وقوله

أتى من أحبابى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد ما بى
فقلت اعد وصالا قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب (الجوى بى)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

فاختار أن زوجه ابنته وصلحت الحال بين الاميرين وجاب ذلك التزوير صلاح ذات البين وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به فى الدارين وغدا اعزوها الحديث ان شاء الله تعالى وان أحب ان يعرف الحديث فوصلها على علم والسلام

(وله أيضا)

لعل مثلى مع الشيخ الامام مثل التاجر مع ولده اذ جوزه من بلده بما أصحبه من مال وقال يا بنى انا وان وثقت بامانة عقلك وطهارة اصلك لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه

وقوله

ياعاذلى وسهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خده قبسى
ان تستطع انجاتى فى الهوى سببا * فاستنبط السلى من اسم وقس (قسى)

وقوله

ولم انس اذزار الحبيب بروضة * فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسها غضا

وقوله

يا مبدعا فى حسنه واصل اخا * هم له عام وما واصلتنا
فقال هل صيف فى مشتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما وفت وتفتت

وقوله

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله

نحن أهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وأمان
ونمزنا بخمر الهوى كل حين * بكؤس قد أترعت وأوان (نى)

وقوله

ورشا مذنشا وعيننا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خداوعينا

وقوله

سرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى جوى بنارك
اغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله

وبدر تم جميل * محجب بالدلال
اذا هممت بانى * اسلوهواه بدالى

وقوله

نهانى حبيبى ان اطيع عواذلى * لكى أنتهى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ار نهيا منه ناهى ولا أمرا

وقوله

واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملال (لى)

لبوس ظهارته الجوع وبطانته الهجوع وما لبسه أشر الالات سورته أفهمتها يا ابن المشومة ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرم وتخبرك السفهاء عن شئ يقال له الكرم وقد جربت الاول فوجدته اسرع فى المال من السوس ونظرت الى الثانى فوجدته أشأم من البسوس ودعنى من قولهم أليس الله كريما بلى ولكن كرمه يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره ومن كانت هذه حاله فليكرم خصاله فاما كرم لا يزيدك حتى ينقصنى ولا يريشك حتى يبرينى فخذلان لا أقول عبقرى ولكن بقرى انه المال عافاك الله فلا

وقوله

تجرد من احب فقال لي من * يلوم واظهر الحد المكتم
اجادلك الحبيب بأس جسم * له كالخزلات نعم وأنعم

وقوله

تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
انوبه بالصقل من فوقه * فعاقع ماتحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكو الى الله مابي * وماحوته ضلوعي
قد طابق السقم جسمي * بنزلة وطلوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع الكرماني

نظرت لما سطرته من فوائد * ايها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فلله ما سطرت منها الخاطرى * فلم يكف طرفي منه شئ ولا أجزا

وقوله

قد بحثت في علم الاصول انا وفي * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت في هذا وفي هذا على الر * ازى بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبني من وعظياته قوله

يا أيها الشيخ المطيع هواه دع * هذى الدعابة قد اتى داعي الردى
وخيوط هذا الشيب لا تنسج بها * ثوب التصابي فهي ما خلقت سدى

وقوله

خليلي ولى العمر منا ولم نتب * وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وما تبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله في هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرف الحسن قدره
في شمسه كل صب * يود يبذل بدره

هذا الذي ظفرت به من اغزاله في هذا الباب ومن مجونه قوله

وافى بذقن بعد أن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وابـ * ـشرى في استه وهلم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العمشان

اقول لناتف خديه مهلا * اترنى اللاذطين مدى الدهور
فدع نتف العوارض عنك كيما * تنالك بلحية مثل الحرير (ى)

ومثله قوله في الشيخ بدر الدين بن الدماميني المخزومي

تبا لقاض جار في أحكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بني وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (مى)

تنفق الامن الربح وعليك بالخبز والملح ولك في البصل والخل رخصة مالم تذقهما واللحم لحمك وما أراك تأكله يا ابن الخبيثة انما التجارة صرف وبين الاكلة والاكلات صروف ربح العمر يدان لا خطر والصين غير أن لا سفر والحلو طعام من يعيش ليأكل فكن ممن يأكل ليعيش وأخرى يا ابن اللئيمة ما للتجار ولفضول العيش خذ هذا وحسبك ثم انك الآن وكسبك فلما انفصلت العبر لجت بالفتى همة أنطم فانفق ما صحبه في طلبه فلما انسلخ من طارفه وتالده رجع بالقرآن وتفاسيره الى والده فقيرا لا يملك نقيرا وقال يا أبت جئتك بسلطان

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل يقاس من خلقه الوفا * يمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأنا نصوم * ولا نشتكى من اذى الصوم غما
ونسغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فأجابه بقوله

الا يانسيما بارقى فى العلا * فامطرنا نوءه العذب قطرا
الى فترة منك بانقرنا * ونستغن ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء فى مناهل التورية قولى

هويته العجميا فوق وجنته * لامية عوذتها احرف القسم
فى وصفها ألسن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
انا فارضى فى الغرام بخده * فغدا مقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو وطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ما سلمت من العوارض

وقولى

دويرة العارض عن جيت * برشقة من جفنه مشتقة
قا نزل ملامى ياعذولى اننى * قتات بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رآنى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب مت ولم أجد * سبيلا الى برد الحشا يا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقى نهلة * ألم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من أحب تعذر الصـ * ـبر الجميل فلم أطق ان أصبرا
قال العذول الصبر أعظم مسعد * فى العشق قلت اما تراه تعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت تباخات * فغدت مطوقة بما بخلت به

الدهر وعز الابد وحياة الخلاف جئتك بالقرآن وتفاسيره والحديث باسانيده والفقه باباز يره والكلام بافانينه والشعر بغريبه والنحو بتصاريفه واللغة باصولها فاجتن العلم نورا ونورا والآداب حرا ودورا فأتى به الى السوق وقدمه للصراف والبزاز والعطار والخباز والقصاب وانتهى الى البقال فساومه عن باقة بقل وقال اتقد تفسير أى سورة شئت فنحى البقال وقال انما نبيع بالكسرة المكسرة لا بالسورة المفسرة فأخذ الوالد ترابا بيده ووضعه على رأس ولده وقال يا ابن المشومة ذهبت بقناطير وجئت بأساطير لا يبيع

وقولي في مدح حماة

ذكرت احبتي بالرج يوما * ففوّت ادمعي نيران وهجي
وبت أكابد الاحزان وحدي * وكل الناس في هرج ومرج

وقولي فيه أيضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس في روضته
واغتاظ نمروذ دمشق لذا * فقلت لا أذكر في غيظته

وجاءت يوما في قطاف السفرجل على عين الفيضة الموصوفة بست الشام مع جماعة من اهل العلم والادب فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولي

تقول ست الشام ما غازات * بعينها فانعشت حياتي
وانتقشت بمرجها وابرزت * نهدا حلالانه نباتي
خذني بغير ضرة فانني * بديعة في الحسن والصفات
واستجلي عروسة يتيمة * شامية وعش بلا حماة

وقولي في وادي رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادي رشعين مفتوحة العين لها نقطة على النهرين
* ما حللنا هنالك الاوقات * اجلسوهم على محاجر عيني

وقولي بوادي المنافس بظاهرها أيضا

وادي المنافس من مغنى طرابلس * بطيب انفاسه أبدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وابلقها * فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وقولي برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا بعلبك تفكهت * عيوني واذواقي وصلت على البين
وطالبتها يوما برؤية مرجها * وخضرته قالت على الرأس والعين

ومن اغزالي البديعة قولي

ماس في الروض وانثنى * بخدود مورّده
* فرأينا غصونه * وهي خشب مسنده

وقلت موريا ومقتبسا ومكتفيا

قالوا وقد فرطت في تصبري * ومابري بوصله سقاما
اصبر عسى تبقى بما ابقه * قلت لهم يا حسرتاه على ما

وقولي

ارخت لنا ذوائبا من شعرها * عشرا وفرق الفجر فيهم يسرى
فصرت بالفجرانها معوّذا * لما بدا بين ليال عشر *

وقولي موريا مع بديع التضمين

مررنا وليل شعره منسدل * وقد غدا بوجهنا مضفرا
فقال صبح ثغره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

بهاذو عقل باقة بقل والقصة ابدالله الشيخ الامام فهي قصتي معه انفقت عمري وروحي وقلبي ونفسي على صداقة من لم يذر لي في كتاب شكر هبني أنا أول في الخاتمين فاقول الفص ياقوت احمر والفضة جوهرا زهر والفيروزج عاق يذخر فما اقول في درج كاغد اقول لم اساوه ام لم ابلغ كنه شاوه لولا اكون صديق صداقة اسقت هذا العتاب سياقة تحل عري الرقدة قبح الله الطمع لولا ان الود شاركه والانف تداركه لقد كان يوجد الحساد مقالا القافلة راحلة غدا او بعده فليجز في الكتاب وعده موفقا رأيه ان شاء الله تعالى
(وكتب أيضا)

وقولی

قف واستمع طربا فلیلی فی الدجا * بانت معانقتی ولکن فی الکری
وجری لدمعی رقصة بخیالها * اتری دری هذا الرقیب بما جری

وقولی

کم صحت فی ظلمة اللیالی * وبلاه من نومی المشرد
والدمع فی وجنتی ینادی * اواه من شملی المبدد

وقولی

یقول معذبی حسن تخیر * سوای فقلت قد عز اصطباری
وکم فی الناس من حسن ولکن * علیک لشقوتی وقع اختیاری

وقولی

ارشفنی ریقه وعانقنی * وخصره یلتوی من الدقه
فصرت من خصره وریقته * أهیم بین الفرات والرقه

وقولی

ابصروا عند وداعی * عقدها وهو مفرط
لمتها فی ذاک قالت * برح الشوق وافرط

وقولی

سجدت جفونی هیبة لما بدا * محراب حاجبه بغیر حجاب
الله اکبر وهو یغزو مهجتی * حربا ولم أخرج عن المحراب

وقولی

طلبت منه قبلة فقال لی * وقد بدا یشرع فی الاعراض
نسیت فعل سیف لحظی قلت لا * یا قاتلی وکیف أنسی الماضی

وقولی

قل لی لما عرتنی شدة * وتنای فرج عنی مده
یا أخا الاشواق ماذا تبتغی * قلت أبغی فرجا من بعد شده

وقولی

مذ جفانی ممرض القلب ولم * الق فی الضعف وفی الکسر انجبارا
* قلت للعارض یا آسی اذا * درت داری ممرض القلب فدارا

وقولی

طلبت تقبیل من احب وقد * انکرت فی الخد نقطة حسنه
* فرق لی قلبه وقال اذا * قبلت خدی لا تنکر الحسنه

وقولی موریا ومضمنا

حننت عزمی شوقا الیکم * فلم اطق مکثه بارض
وحیث لم احظ بالتلاقی * فغایتی أن الوم حضی

انه ایده الله الشیخ مابی الحیطان لکن القطان ولا المکان لولا السکان وقد کنت اسمع الناس یقولون ان الانسان لولده احب منه لوالده فانکرت ذلک طبعا واعظمته شرعا فقال لی انک لم تذق حلاوة الاولاد فاقول واعل ویوشک وانسب ذلک الی لؤم الفطرة وسوء الخلقة وخبث الطینة والقشر الطیون بالحما المسنون حتی ولدت وحسب العاقل نص الکتاب حکما ان البنات خیر زکاة واقرب رحما لعمری ان لی بهما شغف الوالد بالواحد وما اود ان لی بدلا ولا عشرة لی

وقولى

جاء بصبح ثغره مبتسما * يشى بليل الشعر فى دلال
قلت له دمت انثنى هكذا * مادامت الايام والليالى

وقولى مرتجلا فى جبهة دمشق من دوبيت

لما ملأ الجبهة بالانوار * لما ء على ذلك خوف العار
قال انصرفوا اسمت من بلادكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى

مذ ظهر ورده لنار بجانه * نادت الملك المقلة الكسلانة
قد دب عذاره على وجنته * قومى انتبهى قالت انا نعسانه

وقولى

احببته متأدبا ونظمت فى * حسن ابتدائى فيه نظم المرقص
واشار فى حسن الختام أجبته * حسن الختام يكون بعد تخاصى

وقولى

يحاضرنى بابيات ولكن * يعيرنى اذا طال اجتماعى
فان انشدت اشعار السلام * يطارحنى بابيات الوداع (عى)

وقولى

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقولى

قال أراك الحمى نعوض * بغصن قدى اذا جفاكا
فقلت من بعد قد حبى * والله ما اشتهى أراكا

وقولى

رمت يوم العيد منه وقفة * ابرى من بعده حالى وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يامعنى ما العيد الفطر وقفه

وقولى

قال نهد الحب صفنى مذ غدا * قاعدا فى الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ برز فى تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى

اسياف لحظ قاتلى * لما نعدت حدها
وعربدت من سكرها * قلت استحى فردها
* وقال لى موريا * لابد أن احدها

وقولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكى نشفا

مثلا ومع ذلك فليس فى حل من ظن انى لأاجعلها لسيدنا ادام الله عزه فداء وانتظر دعاء ونداء لا ابتداء لا ابتداء على بذلك ميثاق من الله غليظ والله على ما اقول حفيظ واجدنى اذا قرات قصة الخليل ابراهيم فى الذبيح اسمعيل صلوات الله عليهما احس النفس من سيدنا ادام الله عزه بتلك الطاعة لو وقع البلاء والعافية اوسع واظنه لو تلنى للجبين او اخذ منى باليمين وقطع الوتين اصنته عن الانين وبين الضمان والوفاء علم الله المحيط وبينهما من الترجيح ما بينى وبين الذبيح وربما انظر فى كتابى هذا من لم يعرف بعد الضمان من الوفاء وبينهما

فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجا وكفا (وكنى)

وقولى

قالت وقد قبلتها فى جيدها * تصبو الى غيرى وتخلص من يدى
فاجبت حين تقلدت بدامعى * يا هند خوضى فى دمى وتقلدى

وقولى

بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب يا عاتبى
قد مات للنقطة بعد التقى * وقات بالمشروب والشارب

وقولى

ارداف من اهواه قد تناقلت * لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلونت * وساقه والله ذو وجهين

وقولى

برامة لى ظبى * تخشى الاسود ضرامه
كم هام قلبى فيه * بين العذيب ورامه

وقولى

هو بت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد
قالت لواحظه انا اسود على * بيض الظباقلت انتم اعين سودوا (د)

وقولى

* قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من الفتك رحت املقه * سابقنى مدمعى جرى ملقه

وقولى

فى سويدا مقلة الحب نادى * لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لا تقولوا مافى السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

وقولى

بروحى أفندى ظبيا نفورا * يحق له بروحى ان يفدى
جلا لصدا قلبى فرد يوم * بوصل منه ثم جفا وصدا

وقولى مورّيا مضمنا

ومذ كلمت جسمى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدراضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم *

وقولى

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
انا ما اقصر عن ندى * وكاعات شمائلى

وقولى

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم ادر ما بين الغدير وبينه

تلوّن

ما بين الارض والسماء فيرانى اعرف وما اراه يعرف انه وان بعد المثل
اختلف قوم فى عمر بن عبد العزيز والحسن بن يسار أيهما افضل فقال اولو التمييز عمر بن عبد العزيز وقال اهل الابصار الحسن ابن يسار وانما أردت بأولى التمييز نظارة القلوب وباهل الابصار نظارة العيون فسئل الحسن عن ذلك فقال عمر خير منى لانه ملك فعف ووجد فاخذ واعدل الحسن لو وجد لاخذ وصدق رحمه الله ليس الزاهد عن جدة كالزاهد عن عدة وليس من فعل كمن وعد ان يفعل وسدما انعرف بركات دعاء سيدنا واستظهر

تاوّن منه ثم مدّ أصابها * الى وجهه قصدا وخضر عينه

وقولي

حبابها عاصرها فى كأسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت استنيما يا امام العصر

وقولي

لما غدا حباب كأسى شاعرا * لنظم خمريانه يحرر
اوقفت ساقينا على نظامه * فقال لى والله هذا جوهر

وقولي

لما غدا اراحى تخيلا بالما * وكاد أن يميل فى الزجاج
وجاز بالماء الى بحرانه * ورق قالوا صنه بالعلاج
فجئته مستقصيا اعراضه * وجدته معتدل المزاج

وقولي

فى حب كأسى لامنى * من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى اننى * وجدت فيها راحتى

وقولي مما جنا

أعنابكم ان حرموا ماءها * وحرّفوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ * أعشقه بالقلب والقالب

وقولي

أدخلت أيرى فيه * اصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه * فقال والله داخل

وقولي

العلم ابن الكوير قال معى * لطف وظرف حواه الكرم
وفامق بانة مهفهفة * فقلت لا بانة ولا علم

وقولي

قالوا صفى الدين اشعاره * ما للورى فى طرقها ممشى
وهكذا انشاؤه مسكر * قلت لهم والله انشا

وقولي

ديوان نظمى جاء وهو محرر * برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدى لا تستقلوا حجمه * وحبابكم فيه المكثر الطيب

انتهى ما أوردته فى باب النور به من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى أن ارتفع العلم الفاضلى وأوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المجدى الى أن اتصل هذا السند باعيان أهل العصر قلت ولولا الحيا من العصابة الفاتية وأنا منهم العزت العلمين من الوداعى

بها على الخطوب فليمدنى بها ادبار الصلوات وادبار النجوم ان دعاء الفجر كان مشهودا وعلى سيدنا ايده الله ورد صباح ومساء من صلاة ودعاء فليرقنى الى حركات اسانه فقير وهو بان يفعل جدير والله على أن يستجيب قدير

(وله اليه أيضا)

يبسط سيدنالى علمه ويقف عليه من لا يتهم عقله ان هذا السلطان لما ارتحل عن بلاد خراسان الى دار الهند وهى سيف واصبح السيف وهو دم نتن تشظى وناطى وناس يأكل بعضهم بعضا وبعث الفساد أهله فالنهار مصادرة والليل مكابرة وقتل عمرو وقتل

بثالث فاوردت هنا من مطرب عطره فرداته مايغنى عن المثانى والمثالث فانه أحد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين القاضى والنباتى هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها وحققوا للناس من تساذج عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الحشمة فى الفاظه على كل ناظم وناثر الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها فى نظمه ونثره من النوادر وقد ذهب بها القاضى شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه فى هذا المذهب ولا حرره ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت ايالى سطورها بنظمه غير مقمرة ولهذا اخدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وأنشدوا من رضى بالشعر الموزون

اذا كنت لاتدرى سوى الوزن وحده * فقل أنا وازن وما أنا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التى وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاؤا بانواع من الطيب انا * تحملها معشوقة ممشوقه

قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما كست * خضرة أذناب الطواويس

عابوا الفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسى

قلت وقد عن لى أن أوردهنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لاجعلها فى مهالك الاشكال وموانع الفائدة جل مطلبه وما على ممن تأخر عصرا أو تقدم فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو نظم من شعر بها منتظم وما خفى أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكلف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفى الدين فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارا فاتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه كقوله

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق

املكه قيادى وهو رقى * وافديه بعينى وهو ساقى

قلت لاشك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقى الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر أن يكون هذا الساقى ساقا للشيخ صفى الدين وهو غير ممكن ولعمرى ان هذا مسلك من ليس له فى باب التورية مدخل وهذه النكتة أبرزتها معلمة الطرفين وانا اذ ذاك مبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدى ولا ثبت عند قضاة الادب رشدى بقولى موريا ومضمنا

يا حسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم تكيفوا بأحداقى

شمر عن ساقه انا وسقى * فامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفى الدين فى هذا الباب بيت بديعيته الذى نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * فى الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

زيد والجسعد فقد هلك سعد وثمن الرأس منديل والبينة العادلة سكين ودار الحكم بيت القمار واليمين الغموس فلان الجاد والجامع حانة الخمار وخير الاسواق ما يسرق وشرها ما يحرق والسعيد من يلب والشقى من صاب ولا شئ الا السلاح والصياح وكل شئ الا السكون والصلاح وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور ودارى بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد ورعب جديد فقلت ولكن اخوا الحزم الذى ليس نازلا به الخطب الا وهو للقصد مبصر فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ

قلت ومن نواريه التي يستشهد بها على رفضه ولا بد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه قوله

اذا شاهدت عيناك وجه معذبي * وقد زارني بعد القطيعة والهجر

رأيت بقاي من تلقيه مرحبا * وسيف علي في لحاظ أبي بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي ناظم البديعية كان عن نظم التورية بمعزل ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل وبيت نظمه في بديعيته شاهدا على هذا النوع في غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين يمنحهم * بل يخفض الرأس قولا ها لفاتحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تتجلى عن أن تكون من مخدرات هذا البيت ولكن أورد له الشيخ أبو جعفر في شرحه الذي كتبه على بديعيته ماهو منقول في هذا الباب وهو قوله

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب

مسحت بالبنان دمعي وحلو * سكب دمعي على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفي الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية ما دخلت الى بيت من بيوته الا خرجت غير راضية ومن التوارى التي وقعت لناظمها عفوا بل سحرا من غير كد قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف

فذا الغصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برد يد أنفاسه * تخمش الاوجه من قرصها

يوم تود الشمس من برده * لجرت النار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ولرب ليل نام فيه نجمه * وقطعته سهرا فطال وعسعسا

وسألته عن صبحه فاجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمي ما بعينيه من سقم

فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي * فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين ابن البارزي

بالحمى الحب التي * طال لها تلفتي

هل أنت مسك التركي او * هل انت مسك تبت

ومثله قول امين الدين السليماني

اضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وهلا نفر طائفة من الغزاة الى هؤلاء الغواة وآزرهم اهل الصلاح وانا أول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وأنفق عليه ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد الفساد وان جرح الجور قريب الغور وان نار الظلم سريعة الانطفاء وان كيد الشيطان ضعيف ثم أسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب وباموالها من ذهاب وانتهاب وباسواقها من فساد وكساد وباسعارها من غلاء وباهلها من جلاء افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح [illegible] من تعاون المفسدين على أخذ ما ليس لهم

ومثله قول محاسن الشواء

وإما أتاني العاذلون عدمتهم * ومامنهم الا للحمى فارض
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومنه قول سعد الدين الفارقي

قف بي على نجد فان قبض الهوى * روحى فطالب خده لي بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين ابن ابي الحوف

اقول لعقد أذهل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودى
اخذت نظاما راق معنى فقال لى * ومازلت فى عمرى أدور على الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطي

يارب كأس لم تشج شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من اشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومثله قول مجير الدين بن حيان الشاطبي

تؤمون الحجاز وماعلمتم * بان القلب بينكم العتيق
والفاظى العذب واضلى المسحنى ودموع مقلتى العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضى الجماعة بغرناطه وهو

حدائق انبتت فيها الفوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يدعو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * وافضل البرد فى الجو احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوى

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضله بين الورى ان تجحدا
مازارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندا

ومثله فى الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله أيامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ماشعرا
والهف قلبي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدى

ان الذى فى وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
مقلته فى وسط قلبى غدت * ارملة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دات على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا الغمامة صححته بنقطها

ويخاذل المساكين عن منع مالهم واعجب من ذلك تديبر خراسان انه والله يحزننى ما اسمع فينطقنى بما تسمع وقد كنت سمعت من قبل بالقول ففارقنى عن تلك الديار الاموال الاخبار انى وان كنت بهذه الامصار امشى على الابصار قبولا عند السلطان ووجاهة عند العوام مقصوص جناح المسار اطير الى الاوطان كل مطار كان الم يصل رجى كل عام بكتاب ثم قطع عادة بره وأراه محاسنى من صحيفة صدره وقد اهديت له فارق مسلك تصلان بوصول كتابى هذا اليه وبينهما من السلام الطيب منهما عرفا وسيدنا يوصلهما اليه ويصله بهما

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فتى اراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامك التى نحن فيها * أى ماءاها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخار (ى)

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دوبيت

ان ضرنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لاعذل له * ما بال عاذلى وأذكى نارى

ومنه قول القاضى علاء الدين بن الجوينى صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بواد السمر * فى بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ومثله قوله

يا غاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

ويعجبنى من نظم الموالياً فى هذا الباب قول القائل

حبى ومحبوبتى مذبان يوم البين * زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت انظر الى زينه وألمح زين * واقول يا قاب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله فى اللطف قول الآخر

ممعتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجر ودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها اختها قصدى يسمعنا * ما النحوفات لها نحن بأجمعنا
للرفع والنصب انا وانتى ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء لمعنى

ومنه قوله

ستى الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشى افتضحت لونالك من كلمه * راحت بين القواقيه على قرمه

اليه ويصله بهما والقاضى مولاى أبو فلان لا يذكرنى الاسرا ولا يأتينى الانزرا وهو الخاب وما يحجب والنفس وما تخدم وقد أهديت اليه فأرة مسك معها أختها من السلام اليه مولاى أبو القاسم فى سعة من العقوق بركض وان كان سيدنا يعتذر عنه بما يعلم عبده وقد اتحفته بفأرة مسك تصل اليه الفقيه فلان اذا نسيت الناس أذكره واذا طويت الجميع انشره البر قديما وحديثا الزكى اولا وآخرا قد بعثت اليه فأرة مسك كأنها اشتقت من اخلاقه سيدى فلان

ومثله في اللطف قول القائل

يا منيتي زدت اهواني تنشفها * واحرمتني الشفة الحمراء ارشفها
تحب يضا واجفانك تحشفها * بالله انظرطلاماتي وكشفها

ويعجبني قول الشيخ حامد الحكال

ثار الغرام الذي في مهجتي خامد * وسال دمعي الذي كنت اعهده جامد
وانا ببغداد والمحبوب في آمد * مصيبتي عظمت وانا لها حامد

وقد طال الشرح واوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفوا وتكلفا وقد تعين على ايراد ما وعدت به في ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمي هذا النوع ايهاما (والتورية اربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورّى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيأ ولا من لوازم ذاك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه الى بدر وقد قيل له ممن انتم فلم يردان يعلم السائل فقال من ماء واراد انا مخلوقون من ماء فورّى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهديني اراد أبو بكر هاديا يهديني الى الاسلام فورّى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر ومنه قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدى والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد في الغزالة والجدى والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم المورّى به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من اوصاف المورّى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدى والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدى والحمل ومنه قول القاضي محيي الدين بن زيلاق وقد اهدى لصاحب الموصل حملا

ضالتي التي نشدتها وعدتي التي ذخرتها وله فأرنا مسك وعليه قبولهما سيدي أبو فلان له من صدري شعب فارغ ومن قلبي محل عامر وعليه السلام وله فأرتا مسك يصله بهما عبدنا سيدي أبو فلان وكريمته العصمة بصحان منالا لعيني ويسيان خيالا لقلبي وقد أهديت لهما فأرتي مسك وماطاب وعذب من السلام العمات مخصوصات بالسلام وقد وصلتهن بفأرتي مسك يقسم بينهن سيدي أبو فلان قد سرني اقباله على العلم وتوسطه الادب واشتد عضدي به

يا أيها المولى الذى * يبابه كل امل * لو لم تكن بدر السما * أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منها لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج فى السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان

لو سنبله خاف ظهرو * ناظر اليها المشترى

ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

وبطحاء من وادٍ يروقك حسنه * ولا سيما ان جاد غيث مبكر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لا شك جعفر

فالتورية وقعت هنا فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الاربعة ظاهر

النوع الثانى التورية المرشحة وهى التى يذكر فيها لازم المورى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهى بهذا الاعتبار قسمان

فالقسم الاول منها ما هو ماذكر لازمه قبل لفظ التورية واعظم امثلته قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فان قوله بايد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * اتخذنا حالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن اغضينا الجفون على وقر

الشاهد فى الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد تقدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل أن تكون جفون السيوف أى اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم ومن الطف ما وقع فى هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * وضيعتى فيهم وافلاسى

ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من اعين الناس

الشاهد هنا فى أعين الناس فانها تحتمل الحدود ضيق العين وهو المعنى القريب المورى به وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورى عنه وهو مراد الناظم الكحال انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها ما هو ماذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذ همت من وجدى فى خالها * ولم أصل منه الى اللثم

قالت قفوا واستمعوا ما جرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

والله يبقيه وله فاره مسلك وان وراءه سترهم الله مثلها وقد خدمت مجلس سيدنا بخمس وعشرين نافجة تبتية خالصة لخاصته وأوصيت شيخى أبا نصر العطار أن يتأنق فى ابتياعها واختيارها ويحتاط فى انفاذها وايصالها وقرنت من العود الهندى الرطب بها نصف رطل ويصل بوصولها جبة حلة معينة وزوج خاتم أحدهما منقوش بلا اله الا الله والآخر بحدثنا فى لطيف وسيدنا يعتذر عنى الى الاخ فى تأخير ما طلب من الزبيب الطائفى فان ذلك أمر يتصل بفراغ البال وسعة الوقت واذا وجدتهما

اقلعت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل الراحة التى هى من أسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية او بعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ما ذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران بمتنزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علىّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ الا باللفظ الذى قبلها او باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه

أهديت له مائة وقرس لدى ماله وقطع عادة فضله فى اهداء السلام والكتاب المفرد وسيدنا أولى من عاد به لعود الى الحسنى بمكانة معتادة وقد أهديت له فارة مسك ليوسعه تذكرة ويوسعنى معذرة ولسيدنا فى الوقوف على ما كتبت به وتشريفى بالجواب رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأنا فى هياط ومياط ووجع واختلاط بزاق ممزوج بمخاط وسعال معجون بضراط فان نشط لى فى هذه الحالة فالقذر القذر وان لم ينشط فالحذر الحذر والسلام

التورية من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فينا سيرة عمرية * فروحت عن قلب وافرجت عن كرب

واظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولولاهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية * القسم الثاني من التورية المهيأة وهو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده ومن أمثلته نثرا قول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الاشعث بن قيس انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لايعود مريضا

لقضيت نحبا في جنابك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبي الحسين الجزار

يا عذولي دعني من العذل ان النصح في مذهب الهوى تحريض

مت لما أن رأى فيها أنا مندو * ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذي قبله * القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

الشاهد في البيت الاول في الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها ابنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية واللفظ الذي تترشح به واللفظ الذي تتبين به أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيأة لولم يذكر

(وله الى فقيه نيسابور)
وصلت رقعتك وشكرت
في الذب عني فضلك ومثلك
من ذب عمن أحب لكن
الذب أبواب ولكل امرئ
جواب ولو آثرت الحلم
لكان أولى بك وأحب الي
واذا أبيت الا أن تعطي
المروأة مرادها كان
الصواب ان تحفظ تلك
الابواب أولها أن تعلم انه
ليس في أبواب الذب أضعف
من السب واذا تلوت قول
الله عز وجل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا علمت
أن سلاح خصمك أقوى
والناس رجلان كريم
ولئيم وكل بأن لا يسب
حقيق ان الكريم لا يشكر

لما تهيأت التورية أصلا ولا اللفظ المرشح والمبين انما هما قويا بان للتورية المولد ذكر الكائنة التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد فى الخلق فان الثريا كانت مشهورة فى زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هى شامية الدار وسهيل يمانى انتهى الكلام على التورية المهيأة وهى آخر أنواع التورية (وهنا تنبيه فيه فائدة) وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا الجناس كل لفظ مشترك بين معنيين تتم ورقته التورية كاللغات التى تدور على الالسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا ان احدهما اسبق الى الفهم من الآخر وقد عن لى ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسك ختامها وبدر تمامها وهى ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافأ ولم يترجح احدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك فى درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وتسمى مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا فى سر افق ✱ أرانا العلم من بعد الجهاله

فما طويت له شبك الدرارى ✱ الى ان أظفرته بالغزاله

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدرارى من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله فى تقريره ان اللازمين اذا تكافأ ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما الشاهد ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا فى سر افق فالتفكر فى سر هذا الافق الذى أراه العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن لنجوم الدرارى وهى ايضا مما يرشح جانب الشمس عند طيها الذى أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدرارى ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تعطى على الترجيح والله اعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

والله بت أسقى فى غياهبها ✱ راحا تسل شبابى من يد الهرم

ما زلت اشربها حتى نظرت الى ✱ غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعى من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعى نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهى مثل استعارة الشبك والدرارى والغزالة الوحشية ليس لها اهتمام برعى فانها اجنبية من رعى نرجس الظلم الذى هو عبارة عن النجوم والله اعلم وقد تقدم قولى على الشاهد الذى اوردوه للبحترى فى التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيه نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية ✱ بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافأ وهو اقرب الى المجردة وما ذاك الا ان الشاهد فى قوله تملح يحتمل ان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب ويحتمل أن

يكون

الفضل وان الفضل لا يألم العدل يبحث منه عرضا لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون وهل أعرض لك مسئلة الذب فى الذباب لتعلم ان اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة وان ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذبة فان كان لابد من انتقام واستشفاء فاعلم ذلك الله ان تجهل أن آذان الانذال فى القذال وهى آذان لا تسمع الامن ألسنة النعال الأدم أو ترجمة اكف الخدم وعلامة فهمها جحوظ العينين وخدر اليدين فان تاب والا كررت هذا العتاب ووجدتك ابدك الله تحب ان يجحد لئيم فضل صديقك

يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملحة بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذى اختاروه أن يكون قسما ثانيا التورية المجردة وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردى

قالت اذا كنت تهوى * أنسى وتخشى نفورى
صف وردخدى والا * أجور ناديت جورى

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

جاءت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذى لم أحصه
لولا ماعلم الرقيب نباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافآ فى التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ماهو أشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع بين نظره فى هذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضع كل شئ فى محله فانى كشفت له اللثام عن وجه التورية وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعد وان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة فى اللغة هى المماثلة والذى تحرر فى المصطلح عند علماء هذا الفن ان المشاكلة هى ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك والاصل تعلم مافى نفسى ولا أعلم ماعندك فان الحق تعالى وتقدس لا يستعمل فى حقه لفظ النفس الا انه استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أى فعاقبوه فعدل عن هذا الاجل المشاكلة اللفظية وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لايمل حتى تملوا الاصل فان الله لايقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لايمل موضع لايقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الالا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى فنجازيه على جهله فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثله قول الشاعر وتلطف ماشاء

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هذا النوع اعنى المشاكلة اللفظية أن يأتى المتكلم فى كلامه باسم من الاسماء المشتركة فى موضعين فتشاكل احدى المشاكلتين اللفظيتين الاخرى فى الخط واللفظ ومفهومهما مختلف ومن انشادات التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى

(المشاكلة)

نخفض عليك لنرحمك الله ان الذى نعجب منه يسير فى جنب مايجده الانسان ان الله تعالى خلق أقواما وشق لهم اسماعا وابصارا فغاصوا بها على عرف الذهب حتى قصدوه ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه واحتالوا للطائر فانزلوه من جو السماء والحوت فاخرجوه من جوف الماء ثم جدوا مع هذه الافكار الفائصة والاذهان الناقدة صانعهم فقالوا اين وكيف حتى رأوا السيف فلم نعجب بافقده ان جحدوا فضلا ليست الارض بساطه ولا الجبال أسماطه ولا السماء فسطاطه ولا الليل رباطه ولا النهار سراطه ولا النجوم

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط قال الشيخ زكى الدين بن أبي الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وامثاله داخل فى باب التجنيس قلت قول الشيخ زكى الدين ظاهر ليس فى صحته سقم وهذا البيت الذى أنشده التبريزى من أحسن الشواهد على الجناس التام ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية خاصة وامنوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة نقدت حكم الالتزام فى نظم هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ماء اذ سقى ذهبا * فغير كفيه ان أمحلت لاتشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئة للضد سيئة * معنى مشاكلة من غير منتقم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فيه دوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

(جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم)

هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأ كثر ثم يقسم كقول ابى الطيب المتنبى

الدهر معتذر والسيف منتظر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فالاول أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فلبيت المال ما جمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين مسخ فى هذا الباب قول أبي الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا لراج وذا للجيش حين ظمى

وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا الغمر وهذا نفع مغتنم

وبيت بديعيتى

جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

(الجمع مع التقسيم)

اشراطه ولا النار شياطه وأراك ايدك الله تغلو اذا وصفتنى ودونه افيجمل المراد ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ العميد أبي الحسين)

ما اشبه وعد الشيخ العميد فى الخلاف الا بشجر الخلاف خضرة فى العين ولا ثمر فى اليدين فالا ينفع الموعد والا انجاز ان بعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر مالم يتله مطر كان ايده الله الشيخ فى جير تنا رجل فاره الافراس فاخر اللباس لايعتد من الناس فلا تظنن ان الانسانية بساط قونى ولا ثوب سقلاطونى ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع اعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان نهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضئ نهارا وهذا يضئ ليلا فوقع الفرق فى الشئ الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه قلق حيث قالوا

فالدين كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عز الدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فازوا بنصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه اقلته واختصاره باشارة اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى الفاظ كثيرة ولابد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض

(الجمع مع التفريق)

ولا تعتبان من ابن الجهد وراءه هذا الصف وقد طال مقامى وامتدت ايامى فلا تذكره من نعل ولا معذرة من قول

(وكتب الى أبى نصر الطوسى)

كتابى عن سلامة ونعمة وأحوال على النظام جارية وشوق اليك وتواجد عليك واعتداد بك وعلق فيك واستيحاش منك وخلوص مقة لك والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين ولك ياسيدى أيدك الله خلال خير وخصال فضل لا يدفعك عنها أحد ولك فى أكثر المكارم احسان ويد ولا تخلو معها من حزونة طوسية

(الاشارة)

ومطر السماء وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولولم يكن كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح ايها المتأمل كل ماتميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين فى اختلاف المرئيات * لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعانى التى لاتنحصر عدا * ومنه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير فى هذا النوع

فانى لواقيتك فاجهنا * لكان لكل منكرة اقاء

يعنى قابلت كل منكرة بمثلها ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عزت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظر كم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلا شكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفى قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها فى الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم ومافى ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله فى صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وانى

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الافانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولا حث وهذا كمال الوصف ولو عدت هذه المعانى بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة الى الفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

يولى الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عدامافى نفوسهم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى فى بديعيته

ماتشتهى النفس يهدى فى اشارته * يعطى فنونا بلامن ولاسأم

وبيت بديعيتى

ومن اشارته فى الحرب كم فهم الا نصار معنى به فاز وانصرهم

(ذكر التوليد)

(توليد نصرتهم يبدو بطاعته * مالمعة الشهب ماتوليد رملوم)

قلت هذا النوع أعنى التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعانى فالذى من الالفاظ تركه اولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذاك الا ان الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره فيقتضبها او بعضها غير معناها الاول فى شعره كقول امرئ القيس فى وصف الفرس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

ورجل طاو ومية ولو عريت منهما لكنت الامام الذى تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة وكنت عزمت عزما يقينا ان لا كاتبك عاما عقوبة لك على اخلالك بما عودتنى من خلالك ثم وجدت مرآة شوقى اليك جديدة ووطأة الفطام عنك شديدة فاستخرت الله تعالى فى نقض العزيمة ولا يسعك دينا ومروأة أن لا تتدارك حظى منك وحظك منى بما وجدت اليه سبيلا فافعل ذلك قبل أن أدكم الحال بينى وبينك فارميها من عال فلا تجد الافتاتا وقد كافت فلا نا أشغالا قبلك ومهمات نصورها لك فلا

(التوليد)

فاستعذب أبو تمام قيد الاوابد فنقلها الى الغزل فقال

اها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو فى خفارته الحب

والتوليد من المعانى هو الاجمل والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معانى من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله فى بيت من قصيدة فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا

عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد قال ابن أبي الاصبع فى تحرير التحبير أغرب ما سمعت فى التوليد قول بعض العجم

كأن عذاره فى الخد لام * ومبسمه الشهى العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل فى البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

من سبق لا يرى سوطا لها مثلا * ولا جديد من الارسان واللجم

بيت صفى الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر على هذا النقد فى كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذى قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هو أقبح ما يكون فى البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور وليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفى الدين مولد من قول أبي عبد الله بن الحجاج

خرقت صفوفهم بأقب نهد * مراح السوط متعوب العنان

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

مالى بتوليد مدحى فى سواه هدى * لمعشر شبهوا الهندى بالحلم

بيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا الهندى بالحلم فانه ذكر فى شرحه أنه ولده من قول أبى الطيب المتنبى

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا

ثم قال فى الشرح ما شبه السيف بالناقص الا اعمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالحلم مولد من بيت المتنبى والفاظه ومعانيها ظاهرة للمتأمل وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبى تمام

تألوه فيها معونة ان شاء الله تعالى وكنت رممت لفلان أن لا يخليني اسبوعا من كتاب وان استطاع ان يزيد زاد فجزاه الله عن الانسانية جزاءه وأحسن عنها عزاءه وان لم تر أهلا للمكاتبة فما وراءها عليك قياس والله المستعان ورأيك سيدى فى اسعادى بكتبك الى أن تسعدنى بقربك موفقا ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر عدنان بن محمد)

معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ولا أرضى له غير الصلب وأعتقد فى دار الضرب أنها دار الحرب ولكن يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبا

والنصر من شهب الأرماح لامعة * بين الخميس علا فى السبعة الشهب

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعى مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد فى التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت فى صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذى هو المراد من التورية فى تسمية النوع وبين التذييل بقولى بعد تتمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمى التوليد فى اللفظ والمعنى والذى بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبى تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

(قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * اشارة ألسن تكنى عن الكرم)

الكناية هى الارداف بعينه عند علماء البيان وانما علماء البديع افردوا الارداف عنها والكناية هى أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو ردفه فى الوجود فيومئ اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكر والمراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه فى الوجود ألا ترى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الافراط فى الجود بخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ فى هذا الباب والابدع أن يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز فى ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك ما يكون بين الزوجين وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعانى فى الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمائم محول

اذا ما بكى من تحتها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحول

قال أعنى قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفى السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول ان به ابنة أنت تحت العصا وأنشد

زوجك

(الكناية)

فتبينوا وما أرى يخفى على الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أن ضرب القلب من ضربان القلب بحيث لا يتسع للرقيعة ولا يتفرغ للوقيعة ورضى من صاحب دار الضرب رأسا برأس لا ولكن هذا البائس كان يتعيش من دار الضرب عيشة أمثاله من العمال فحرم منها قوته فهدده صاحب دار الضرب بانهاء خبره ونهاه أبو الحسن أيده الله وتهيبته فأبى الا الاصرار وخاف صاحبه منه فألصق به هذه السمة ثم أنا طوع الشيخ الرئيس السيد أدام الله عزه فان رأى غير ما رأيته وولانى فتله توليته والسلام

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن نحوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس في معلقته

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أي بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها لا يرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني * هناة ذاك تكرهه الكرام

وليس بها أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكني بهما عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن الطف الكنايات وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته عن الكناية قوله

كل طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالأوتار والنغم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

داع كثير رماد القدر أن وصفت * كناية بطنا وا الظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر في ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتي

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة وبكثرة الرماد عن كثرة القرى واكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التي كادت تدنو مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

(ذكر الجمع)

(آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع أعني الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان وجمع بين النجم والشجر في السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وروي في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها وهي النواحي والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة في المفسدة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الجمع

(وكتب اليه أيضا) لم يكن أطال الله بقاء الشيخ الرئيس السيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار والمهاجرين ما في وقتنا هذا للمؤاجرين وما جاز على الاصحاب ما يجوز الآن لازواج القحاب وقد نبغت نابغة ونجمت زبابغة لا يرد رؤسهم شيء فلو شاء الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه راحني منهم وأغناني عنهم وقد كثر تردد أصحابي الى فلان فاذا بيرهم الاذن فاسماء أونابا أصم وانما يتولى حارها من تولى قارها ومن لم يتول منافعها لم يتول مضارها وان كان لا بد من صاحب ينقل فعل غيري

(الجمع)

قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان في بديعيتهم

قد أحرز السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفصل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو انفطر يرى في بيت الموصلي اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتي

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

(ذكر السلب والايجاب)

(ايجابه بالعطايا اليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم)*

هذا النوع أعني السلب والايجاب ذكر ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابي هلال العسكري تقريرا حسنا على هذا النوع وهو ان يبني المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة أخرى والذي قرره ابن أبي الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها الممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء في أخيها

وما بلغت كف امرئ متطاولا * من المجد الا والذي نلت أطول

ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وماهنا ابلغ وعلى هذه الرواية زدناها هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثاني ولكن لم يتمكن منه الا في بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثني وفوق الذي نثني

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذي نعني

هذا كله عين كلام الخنساء ولكن فانه وان أطنبوا في بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس والفرق بين وأنت الذي نعني وبين الذي فيك افضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

أغر لا يمنع الراجين ما طلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتي

ايجابه بالعطايا اليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم

(السلب والايجاب)

من الناس على هذا القياس ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي الحسن أحمد بن فارس جوابا عن كتاب كان ورد عليه منه يذم الزمان فيه ولا يشكره) نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحأ المسنون وان ظنت الظنون والناس بنو لا آدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ الامام يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا افي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ام المدة المروانية وفي اخبارها لا تكسع الشول باغبارها أم السنين الحربية

(ذكر التقسيم)

(هذا تقسيم حالي به صلحت * حيا ومبيتا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو في اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفي الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها في الايضاح وقال السكاكي هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا جزأين او أكثر ثم يضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ما هو في حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويعجبني بلاغة زكي الدين بن أبي الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا اليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع في الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر في أول برقة ولا يحصل الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدي لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع في أول برقة أتى ذكر الخوف في الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى ذكر الطمع في الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجيء الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التي يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضي والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضي وما بين ذلك الحال وفي الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذي من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم في المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فلا تمنعونا

(التقسيم)

والرمح يركز في الكلى
والسيف يغمد في الطلى
ومبيت بحر في الفلا والحرتان
وكربلا ام البيعة الهاشمية
وعلي يقول ليت العشرة
منكم براس من بني فراس
ام الايام الاموية والنقير الى
الحجاز والعيون الى الاعجاز
ام الامارات العدوية
وصاحبها يقول وهل بعد
النزول الا التزول أم الخلافة
التيمية وهو صاحبها يقول
طوبى لمن مات في نأناة
الاسلام أم على عهد
الرسالة ويوم الفتح قيل
اسكتي يا فلانة فقد ذهبت
الامانة أم في الجاهلية
ولبيد يقول

وان كانت لله فقد رقوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما ترك لنا الاعرابى فى واحدة عذرا ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضله أو واسى من كفاف او آثر من قوت قال الحسن ما ترك الاعرابى فى واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

ونقل أبو نواس جد زهير الى الهزل فقال

أمر غدا انت منه فى لبس * وامس قد فات فاله عن امس
فانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد فى تقسيمه

ثمانية لم يفترقن جميعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لى صفها فانت بوصفها * خبير أجل عندى باوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتا بديعا فى هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ما ندرى

ويعجبنى قول الحاجرى فى هذا الباب

وهبها كشئ لم يكن او كنازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

ويعجبنى قول أبى تمام فى مجوسى احرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل أو هارب او أسير

وبيت صفى الدين الحلى ماخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وبيت العميان فى بديعيتهم

غيثان أما الذى من فيض أنمله * فدائم والذى للسزن لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين

تقسيمه الدهر يوما أمسه كغد * فى الحلم والجود والايفاء للذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرر ان الاثنين فى التقسيم لا يمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لا يجوز ان يكون لها رابع وقد تقدم فى الاثنين قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر وتقدم فى تقسيم الثلاثة قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ولا رابع لهذه الثلاثة ورايت باب الزيادة فى بيت الشيخ عز الدين مفتوحا

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
أم قبل ذلك واخو عاد يقول
بلاد بها كنا وكنا نحبها
اذ الناس ناس والزمان زمان
أم قبل ذلك وروى عن آدم
عليه السلام
تغيرت البلاد ومن عليها
ووجه الارض مغبر قبيح
ام قبل ذلك وقد قالت
الملائكة أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء
ومافسد الناس وانما اطرد
القياس ولا اظلمت الايام
وانما امتد الظلام وهل
يفسد الشئ الا عن صلاح
ويمسى المرء الا عن صباح
ولعمرى لئن كان كرم العهد

فانه يحتمل الحلم والجود وايذاء لدم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جرا وتقدم ان بيت صفي الدين الحلي ماخوذ من بيت عمرو بن الاهتم

اشر باماشربتا فهذيل * من قتيل أو هارب او أسير

فهذه الثلاثة لاتحتمل رابعا وكذلك بيت صفي الدين فانه ماخوذ من هذا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هداه تقسيمه حالى به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة أيضا لايمكن ان يكون لها رابع وهذا النوع ليس في تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عز الدين والذي أقوله انه لم تضق عليه المسالك لاباالتزام التورية في تسمية النوع والله أعلم

(ذكر الايجاز)

(أوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة ياقاصد الحرم)

هذا النوع أعني الايجاز اعتنت به فصحاء العرب و بلغاؤها كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز تواباالفاظ استغنوا بواحدها عن الفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك نقولك أين زيد مغن عن قولك ازيد في الدار ام في المسجد الى ان تستقرى جميع الاماكن وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد أو عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن قولك ليس فيها زيد ولا عمرو وغالب كلام العرب مبني على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر غاية في الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وعظ في ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر واتى بالطباق اللفظي والمعنوي وحسن النسق والتهذيب وحسن البيان والايجاز وائتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي دون شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

والايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى واسال القرية التي كانا فيها وكقول الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي ومعتقلا رمحا ومثله قول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا

أي وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه و يأمره * بعزم مغتنم في زي مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله في زي مغترم والذي تضمنه ماتحته في بلاغة الايجاز كبير امر

(الايجاز)

كما بارد وجوابا يصدر انه اقريب المنال واني على تو بيخه لي اعتقيرا الى لقائه شفيق على بقائه منتسب الى ولائه شاكرا لانه لا أحل حريدا عن أمره ولا أقف بعيدا عن قلبه مانسيته ولا أنساه ان له أيده الله على كل نعمة خولنيها الله نارا وعلى كل كلمة علمنيها منارا ولو عرفت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ولرددت اليه سؤر كاسه وفضل أنفاسه ولكني خشيت ان يقول هذه بضاعتنا ردت الينا وله أيده الله العتبى والمودة في القربى والمرباع وما ناله الباع وما ضمه الجلد وضمنه المشط

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وقول الشيخ عز الدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عز الدين ايجازه وسل زمانك أى أهل زمانك واما بقية البيت فلا أفهم له معنى فان البيت الذى قبله متعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ماش فى أثر الابيات التى قبله واما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله أعلم واما بيت بديعيتى فهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

أوجز وسل اول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير فى لفظة فيه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب فى قولى وسل أول الابيات فانه اشارة الى اول بيت وضع للناس والايجاز الثانى فى قولى وسل مكة أى وسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجازان بليغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير ايضا بين الايجاز والمدح والابيات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

(ذكر المشاركة)

(بالجرساد فلا ند يشاركه * بجر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع اعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن أبى الاصبع ثلاثة أقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا اوفرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ما توهمه السامع كقول كثير عزة

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الى ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه أثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها او بغيرها من تحريف أو تصحيف اوتذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لا تعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى ترشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه أراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى .

وللغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عز الدين أضمر احد الركنين واظهر الآخر وهذا حد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى أول

البيت

(المشاركة)

وابيت رضاى والكتب شهاجل ما املك واثنتان ابده الله قلما تجتمعان الخراسانية والانسانية وانا وان لم اكن خراسانى الطينه فانى خراسانى المدينه والمرء من حيث يوجد لا من حيث يولد والانسان من حيث يثبت لا من حيث ينبت فاذا انضاف الى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف فالجرح جبار والجانى حمار ولا جنة ولا نار فليحتملنى الشيخ على همذانى الدين صاحبنا يقول لا تأبى على ركاكة عقلى ان تيقنت انى همذانى (وله الى القاضى أبى الحسين على بن على) انا أمت الى

البيت وأضمر الغزالة الشمسية فى الشطر الثانى وهذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عز الدين فى الشطر الثانى بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويحقق ان المراد الغزالة الشمسية أو بالعكس كان نوع الاشتراك فى بيته خالصا مع ما فيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية فتحتم انه صار جناسا معنويا ولعمرى انه احسن من بيته الذى استشهد فيه على الجناس المعنوى فى أول بديعيته

وكافر نعم الاحسان فى عذل * كطلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فانه أظهر فى أول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذى هو الليل وتالله ان بيته الذى نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى استحقاقا فاذوقيا وهو انسجم من هذا البيت وارق للمعنى وأوقع فى الاسماع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالجرساد فلا تذبشاركه * بحجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعتمد عليه فى هذا النوع ولا يخفى على أهل الذوق السليم ما فى تركيبه والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت عز الدين تقرر ان الجناس المعنوى احق به واشتراك بيتى فى لفظة الحجر فانى قلت فى أول بيتى بالحجر ساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت فى الشطر الثانى بحجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر التصريع)

(تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع أعنى التصريع هو عبارة عن استواء آخر جزء فى صدر البيت وآخر جزء فى عجزه فى الوزن والروى والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفى وسطها بما يتجه الاذواق والاسماع وهذا وقع فى معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال فى اثناء هذه القصيدة

الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس فى نوع التصريع كبير امر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا فى الرخص رغبوا فى الكثرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لاقاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

لا زال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير فى القمم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح وهو مفتوح

القاضى اطال الله بقاءه بقرابة ان لم يكن عربيا فأبى وأبوه اسمعيل وعمى وعمه اسرائيل فان لم تجمعنا هذه الرحم فبآدم عليه السلام نلتحم وأدل عليه بذمة جوار هو خراسانى وأنا عراقى وليس بين الدارين الامسيرة شهرين وعبور نهرين وقد رافقته فى الدر وصاحبته فى المستودع والمستقر وعاشرته فى الجنود وشاركته فى الخلود ولا ابعد ان أشرق ويغرب بتجديد العهد ويطوى المعرفة وادنى هذه الوسائل بلغة السائل انها ليست الوسيلة جلاله سنا مان ولا هو دجا فيه غلامان ولا شيأ يجلب من

(التصريع)

في هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع أعني الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا في المقبول منه حشو اللوزنيج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتي لاقامة الوزن لا غير وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة ومن معجزه في القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التي زادت المعنى فائدة في غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وامثلته كثيرة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فان من انقذ الرحمن دعوته * وانت ذاك لديه الجار لم يضم

فقوله وانت ذاك هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى فائدة وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

فلا اعتراض علينا في السؤال به * أعني الرسول لكي نحو من الضرم

فقول الشيخ عز الدين أعني الرسول هو الاعتراض الذي أراده وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولي بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان في قول عز الدين أعني الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر في مخاص مديحه أعني فلانا يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من الخالص الواهية ولم يجنح اليه الا عوام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم

(ذكر الرجوع)

(وما لنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع أعني الرجوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وعليه بيت الحماسة

(الاعتراض)

البحر فيه ملق في النحر انما هي العشرية والبادية والجوار والعصبية وانا قد أخذنا بحمد الله من كل بحظ ولي مع الشيخ أبي نصر دوس قصة في ضيعة كرمه بالاحسان فيها زعيم وربما ارتقت الى القاضي أيده الله وبعض الظن اثم ولكن بعض الاثم حزم وبلغني ان القاضي أيده الله يريد ان يسجل فاريدان لا يعجل حتى أحضر فينظر كيف الخصومه وانظر كيف الحكومه فالحكم رايه سعيد وهو رأس أسعد الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد والسلام

(الرجوع)

ألبس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ابس منك قليل

ويعجبني هذا قول ابي البيداء

ومالي انتصار ان غدا الدهر جائرا * علي بلى ان كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذي أقول ان هذا الرجوع لا فرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول ابي هلال العسكري ان السلب والايجاب هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة أخرى وقال القاضي جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لا يفي بالنوعين وللمتأمل أن ينظر في ذلك بحسن ذوقه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

أطلتها ضمن تقصيري فقام بها * عذري وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان

فلو ايدر وفلوا غرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمي

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ابس في بيت الشيخ عز الدين رجوع الا عن حشمة الالفاظ وفخامتها في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن في أوصافه ويعجبني قول ابن نباتة في لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحت حم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين ان يقول في النوع البديعي الذي هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض في الشطر الثاني وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

ومالنا من رجوع عن حماه بلى * انا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم في ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ في مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر الترتيب)

(ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم)

هذا النوع أعني الترتيب من استخراجات التيفاشي ذكره في كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يعمد الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان كقول مسلم بن الوليد

هيفاء في فرعها ليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفي الدين الحلي

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى مائة أرض الوغى بدم

ولم أيضا الى الشيخ الرئيس أبي عامر عدنان بن محمد

اشهد لو خير الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه لما اختار فوق ما اختير له لما في الغيب أكثر مما في الجيب ولما بقي أحسن مما لقي هذا الامير عمدة الدولة أبو اسحق ملك العراقين بالامس وأشهر بهما من الشمس ما أظن الله تعالى أخر مدته الا ليعذر شدته وزاد الا له صيته اليوم سوددا وذلك مجد يملأ العين واليدا لك اليوم أسباب السموات مظهر وما اليوم مما أنت بالغه غدا عمدة الدولة أخو عز الدولة ابن معز الدولة ابن أخي عماد الدولة وركن الدولة وابن عم عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وعز الملوك الغلاب والجبال الشمخ والنجوم المثل والبحور الطفح شراب من ذاقه

الترتيب

ترتيب بيت صفى الدين على العناصر الاربعة وهى الماء والنار والهواء والتراب والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش فى الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عزالدين فى شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ماقرره التيفاشى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر فى الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهى حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لاينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقى الحيوان وبقى الانسان وهذا حده والله أعلم بالصواب

(ذكر الاشتقاق)

(محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد نبين اشتقاقهم)

هذا النوع أعنى الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكرى وذكره فى آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرّفه بأن قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد فى نفطويه

لو أوحى النحو الى نفطويه * ما كان هذا النحو يعزى اليه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صراخا عليه

وهذا النوع ماذكره القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولافى الايضاح ولاذكره الشهاب محمود فى حسن التوسل ولانظمته العميان ولاغيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وبيت بديعيته التى ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عنده اذ الحصن والاطم

الشيخ صفى الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابله بضده وهذا هو الغرض الذى أراده الناظم وبيت الشيخ عزالدين فى المعارضة قوله

ميم وحاء اشتقاق الاسم محوعدا * والميم والدال مد الخير للامم

هذا البيت يشق على أن أشرح اشتقاقه واذكر مافيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشى على طريق ابن دريد فى الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وماذاك الا أن اسم نفطويه سداسى قسمه الناظم فى الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثانى صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو فى محمد رباعى من أين للشيخ عزالدين غفر الله له هذا حتى نصح معه لفظة محو مع انى راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيهما محو لاعدائه وأيضا فلم نجد أحدا استشهد فى بيت من بيوت بديعيته وصدّر بيته بقوله ميم وحاء اشتقاق الاسم محوعدا الا الشيخ عزالدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من العقادة ليصح الاستشهاد به على ذلك

الاشتقاق

أخرج وصيت من سمعه بخيخ وشرف من ناله أرخ عمرى لقد زان الله هذا البيت بكل زينة وساق اليه العز من كل مدينة وما أحوج هذا البيت الى عماد من الشكر وثيق وما أفقر هذه النعمة الى حرث من الصدقات كثير ان الله قد احتج على هذه الامة بهذا البيت الكبير واحتج على هذا البيت الكبير بهذا الامير عرف الامير كيف يجاور النعم ويتقى الغير وعرفكم ان النعمة ان لم تمد بالشكر لم يؤمن زوالها فالسعيد من وعظ بغيره ألاوان فى صدرى لغصة وان فى رأيى لقصة وان لكل مسلم فيها لحصة وان فى هذا المقام فيها الفرصة قد سمع الشيخ الرئيس أخبار عضد دولة أبى شجاع وما أوتى من بسطة ملك وباع ويد من

النوع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير أبي هلال العسكري في هذا النوع وهو أن يشتق المتكلم معنى الغرض يقصده والغرض هنا أن كلا من محمد وأحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو أن يتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل في نفسها إما بالمشاهدة أو بالسماع فإن السبق الى معاني الوقائع بشترك الناس في مشاهدتها أو في سماعها أفضل لا يجحد وإن حصل للشاعر في ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادي والملاح به كما اتفق للرضي بن أبي حصينة المصري في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

وأحسن من ذلك وأبدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي * حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق أن المذكورين كانا وزيرين وإن المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن الساعاتي وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج

* دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف *

ومنه قول ابن أبي الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر والخضر بن يوسف ابن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا * ألم تر موسى فيه قد لاقى الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعة فاني أنشدته وقد كسر النيل في شهر مسرى وبلغه في يوم الكسر أن نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا * ومنتسبا في ملكه نصب تمييز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نيروز

الاتفاق البديع الغريب في هذا البيت أن كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزي ولم يبق بعده كسر واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو أن المقر التاجي نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه براءته فأنشدته

الاتفاق

الفتوح صناع وخاطوفي الخطوب وساع ان كان ليقول ملكان في الارض فساد وسفان في عمد مال ولم يرض أن يلي الارض بطاعة معروفة حتى يجعلها قبضته وأعد للجهد مراكب وللبر مصانع وللحصون مكايد وكاد وهم ولو عمرانهم عجزوا القدرة هذه أن يعمر التربة بين الخميتين أو يصلح البلدتين المشؤمتين قم والكوفة فعلم ان ذلك الخبث نحاتهما فهم ان يسبي ويبيح ثم فرض الجزية عليهم أو يقيموا التراويح ورجع صاحبي أنشأ من هراة فذكر انه سمع في السوق صبيا ينشد

ان محمدا وعلا العنا تيما وعديا فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدي لكفتني شغل الشكاية وولي النعمة شغل الكناية وبل أم هراة انصب الشيطان بها هذه

الحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد وهو قولي

سبع وجوه اتاج مصر * تقول ما في الوجوه شبهي

وعند ذا والوجوه يهجي * وأنت تاج بفرد وجه

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم آمه نعت الامنه * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم
وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف بشا كله في اسمه العلم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضي الله عنه

ووصفه لابنه قد جا تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي حسن وحسن الوصف هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى الحسن رضي الله عنه وقال ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اه

(ذكر الابداع)

(ابداع أخلاقه ابداع خالقه * في زخرف الشعرا فاسمع بها وهم)

الابداع هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع أو في القرينة الواحدة من النثر وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكي الدين بن أبي الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعي وأقلعي * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * في قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * في قوله أقلعي * والاشارة * في قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة والتمثيل * في قوله تعالى وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وائتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعي يقتضي آخرها * والتهذيب * لان مرادات الالفاظ موصوفة

الابداع

الحالة وصرنا نشكو اهذه الحالة والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذلة ونسخت عنها الملة ولا رضي بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم والفقر بينهم باسهم هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة في خراب واضطراب وأموالها في ذهاب وانتهاب وأسواقها كاسدة وفاسدة وأسعارها في غلاء وخلاء وأهلها في بلاء وجلاء يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وهذه قهستان منذ فشت فيها هذه المقالة جعلت مأكلة النغص ونجعة الاكدار ولجة السيف ومزار السنان مرة يهدم سورها ومرة تنهب دورها وتارة تقتل رجالها وأخرى تهتك حجالها فالشيطان لا يصيد هراة صيدا انما

بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة سالمتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقي مجموع الآية الشريفة هو * الابداع * الذي هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وهو وسهوث عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لا يتوقف في معرفة معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على الابداع قوله

ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل في علم وفي كرم

الشيخ صفي الدين في بيته من أنواع البديع التجنيس والتسجيع واللف والنشر والكناية عن الكرم في قوله ذل النضار وائتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي ذكر فيه ستة عشر نوعا ما أمكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا روض عدل بعد طولهم * وانزعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ابداع أخلاقه ابداع خالقه * في زخرف الشعر افاسجع بها وهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثاني فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر في البيت بكماله والابداع الذي هو المراد هنا والله أعلم

(ذكر المماثلة)

(فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم)

هذا النوع أعني المماثلة هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية كقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتي بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية في هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وأما الشاهد الذي هو على أصل هذا الباب في الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح صبور كريم رزين * اذا ما العقول بدا طيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المتزنة وتفرقها في المناسبة قات هذا النوع أعني المماثلة ما تتحقق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع السافل في سلكها وما أعلم وجه الابداع فيه ما هو ولا نرى من استخراجه وعده بديعا غير الكثرة وقد حسن ان أنشد ههنا

وكثر فارتابت ولو شاء قللا

وبالله ما اختلج في فكري من حين تأدبت ان أرصعه في قصيدة من قصائدي ولكن حكم

بينندرجها رويدا وهذه الكونة مما اختط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ظهر الرفض بها دفعه ولا وقع الالحاد فيها وقعه انما كان أوله النياحة على الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك مالم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتناهل آخرون ثم درجوا الى عثمان فنفرت الطباع ونبت الاسماع وكان القراع والوقاع حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر فارتقى الشتم الى بقاع وتناول الشيخين رضي الله عنهما فلينظر الناظر أية زند قدح القادح وأي خطب بلغ النابح لاجرم ان الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع والذل الشامل والسلطان

المماثلة

المعارضة أوجب ذلك * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

بمهل خلائقه صعب عرائكه * جم غرائبه في الحكم والحكم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يبدي مماثله يعطي مناسبة * يجزي مجانسة في الكلم والكلم

وبيت بديعيتي

فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم

(ذكر حصر الجزئي والحاقه بالكلي)

(الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع وهو أن يأتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلي بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال التمدح وما تسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذي ادراك فتمدح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة في ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وأمثاله من النظم قول الشاعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ومدح يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر أقسام الجزئي أما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئي فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك في نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فاز العميان من نظمه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

شخص هو العالم الكلي في شرف * ونفسه الجوهر القدسي في عظم

الشيخ صفي الدين جعل الجزئي كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لا يسع جميع القيود وبيت الشيخ عز الدين

فألحق الجزء بالكلي منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لامور وبيت بديعيتي

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

النبي

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

الظالم والغراب الموحش ولما أعد الله لهم في الآخرة شر امقاما وأنا أعيذ بالله هراة أن يجد الشيطان اليها هذا المجاز وأعيذ الشيخ الرئيس أن لا يتزاهد هذا الامر اهتزازا يرد الشيطان على عقبه

(وله اليه أيضا)

الخبر أطال الله بقاء الشيخ محل الدين وهو على الشمال والروح على اليمين ويعلم ما على من فرائض النفقة ونوافل المروءة كما يعلم مالي من وجوه الدخل وأبواب المنافع وقد ورد غرماني من موضع كذا وعليهم تبعات دواوينه وحقوق سلطانه فماذا تأمر ان اصنع وفيم ترى ان أشرع ولو رأيت لختمتم آخر الصبر حتى يستوفي الديوان حقه على ان عهدي بالشيخ أن لا يؤخر مالي عن مال السلطان ولا يقعد حتى

النبي صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كلا العلو مقدار وعظمه فقولي عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلى للعظم لا يخفى مافيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن افهام كثيرة وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له في هذا الباب نظيرا وما أوضحه وزاده طلاوة وحسنا الانشريفه بالمديح النبوي

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانظم جنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف يختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمي فريدة يعجز على الفصحاء أن يأتوا بها في مكانها ومنه قول عنترة في معلقته

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فعمي صباحا فريدة في مكانها وروى أن أبا ذر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلني ما هو خير منها فقال ماهي قال السلام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه أورقت عجزاء ذي سلم (١)

الفريدة في بيت الحلي هي العجزاء والعجزاء هي العصا المعقدة ولعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

كم خص الحق اذ وافت فرائده * وفي الوطيس بدا أثبنا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس وأما برم فما برم فيها أمرا وبيت بديعيتي أقول فيه وأنا مستمر على خطابي لمن رام مدح النبي صلى الله عليه وسلم فاني قلت في البيت الذي قبله

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانظم جنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وجنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

(ذكر الترشيح)

(بس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه في نون والقلم)

هذا النوع أعني الترشيح هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامي في مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

الفرائد

عن حقوق الديوان وان ألفيت دلوي في الدلاء وأمدني الشيخ الرئيس ببعض الاعتناء قضمت الى ان أخضم وقنعت الى ان أقبض وتطرفت حتى يمكن التوسط وان خذلني فقد عانصر وطالما راش وطير وأنا أنشد الله وعد صديقه الكريم العزيز ثم واجب خادمه السامع المطيع فما أقدره ان نشط والسلام

(وله أيضا)

أنا وأنا غرس الشيخ الرئيس ألف العمامه على فضول لا تقلها جبال تهامه ثم أسبح في الماء الغزير ثم أعتضد بالامير والوزير ثم أستظهر بسجل القاضي ثم الشيخ الرئيس المتغاضي ثم لا حول ولا حيلة مع ابن جيلة العار والله النار والقتل والدمار والتراب المثار عز والله

(١) قوله ذي سلم في نسخة من سلم اه

الترشيح

فلولا ذكر الشفير لما كان فى الرجا تورية برجا البئر ولكان من رجوت الامرأة وله أولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره فى باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هى التى يذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورى به وتقدم هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثاليهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من أنواع البديع ما لا يحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب ألا ترى الى قول ابى الطيب المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم لمطابقة ولو قال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

اذا ما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه طارت له نفسى

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشيش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ان حل أرض اناس شد أزرهم * بما أباح لهم من حط وزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو أبقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

فى الفتح ضم من الانصار شملهم * جبر الكسر بترشيح من الرحم

الترشيح فى بيت الشيخ عز الدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بمن زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم

فذكر لقمان رشح بمن للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عز الدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم احتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

(ذكر العنوان)

(به العصا أغرقت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع أعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم

ابن جحله ان عاز الله ورسوله ثم أدركه سوله ان امرأ ترجح كفته على كفة فيها خصمه والاسلام وحكمه والسلطان وأمره والوزير وشفاعته والرئيس وعنايته لموفور الحظ من الجلالة وان خصمه لبعيد الضرب فى الضلالة عجبا لذلك الخبيث وأف من هذا الحديث ولا أعاد بعدها الشيخ الرئيس والسلام

وكتب الى الشيخ الرئيس عدنان بن محمد

عجب الناس أطال الله بقاء الشيخ الرئيس من ثلاثة وهن فرحة القواد وغضبة الجلاد ونشاط الاستدراك على أبى الحسن بن غياث أعجب من هذه الثلاث واعجبا أتريد جهنم حطبا واعجبا أيريد أسد أمنها منقلبا

العنوان

أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي القصد تكملة بالالفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص مبالغة كقول أبي تمام لأحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لدى حرب وبين بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر في البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ما جرى بين بني عبس وبين بني بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

والعاقب الحبر في نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عالم النصارى حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وكان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم أجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فاني أرى معه وجوها لو أقسم على الله ان يزيل بها الجبال لازالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

به العصا اثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية في العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لان اسم النوع الذي هو القصد هنا وأما قولي به العصا اثمرت فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب

(ذكر التسهيم)

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ونجا من حر نارهم

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم وهو الذي يدل احدى سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على ما دون العجز وتعريفه ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فاقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضي أن يكون تمامه

* اذا نبها منك داء عضالا *

والله ما بحر بح ابي الحسن حوالك ولا على شفقة ابي الحسن استدراك وما اظن الملائكة تحصي احصاءه ولا تبلغ الزبانية استقصاءه وتذكرت تلك القرية بالرجالة والفرسان واستل نصيبها من العدل والاحسان ولا علمه ايده الله ان يحتمل غلطات ابي الحسن فيجعل ما اصله قانون الجهل ابداءه ويحسم داءه فاستريح وأريح

(وله اليه أيضا)

ابقى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عبدان أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يقطين والآخر الذي قال خلقتني من نار وخلقته من طين فانجي هذا من الظلمات ومد لذلك في الحبات فعرف لكل مقدار حق خدمته وانا أمت الى الشيخ الرئيس اطال الله

التسهيم

دون غيره من القوافي لانه لو قال مكان داء عضالا لبناغضوبا أوافي فتولا أو ما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما ممكن مغالبته والتوقي منه والداء العضال لادواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبهاليث عزيسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
* فكنت النهار به شمسه *

يقتضي ان يتلوه

* وكنت دجا الليل فيه الهلالا *

ومنه قول البحتري

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
* فليس الذي قد حللت بحلال *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه

* وليس الذي قد حرمت بحرام *

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

كذلك يونس ناجى ربه فنجا * من بطن حوت له في اليم ملتقم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تسهيمه في الوغى حسم لمتصل * تسليمه في الرضا وصل لمنحسم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم في العكس فتشوش اذ صار كل من النوعين يتجاذبه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم في هذا البيت انحصر فيها ثلاثة أنواع احدها تسمية النوع والثاني الاستعارة البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر في دلالة الاول على الثاني

(ذكر التطريز)

(شملي بتطريز مدحي فيه منتظم * يا طيب منتظم يا طيب منتظم)

هذا النوع اعني التطريز هو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره وقدره في تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لا عدد تغير كقول ابن الرومي

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

ومثله قوله كان الكأس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

ومثله قول ابن المعتز

بقاءه لبستأنف الود فان كان قد عرض في البين عارض العين واعتدني واياما من أوليائه فهي الآن عدوا من اعدائه ليس الشيخ الرئيس في تلك الاسباب وخراب تلك الضياع شفاء صدر ولا في بقائها زيادة قدر فان استطاع أن يحسن فيها الخلافة فعل

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب سهل)

يا شبر ما هذا الكبر ويا فتر ما هذا الستر ويا قرد ما هذا البرد ويا يأجوج متى الخروج ويا فقاع بكم تباع ويا فزاني متى تراني ويا القمة الجبل نحن ببابك ويا بيضة البغلة من أتى بك

التطريز

فنوبى والمدام ولون خدى * شقيق فى شقيق فى شقيق

وابدع من الجميع والطف قولى من قصيدتى المصغرة

افيظك والمقبله مع نظمى * صغير فى صغير فى صغير

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل مرتكم * فى ظل مرتكم فى ظل مرتكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون للعقادة فيه بعض تراكم والعميان ليس فى بديعيتهم تطريز وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى فى بديعيته قوله

الدين والنقع تطريز لمحترم * فى نصر محترم فى نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذى هو اسم النوع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

شملى بتطريز مدحى فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذى هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

(ذكر التنكيت)

وآله الصر آل أن يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعنى التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم فى اسلاك البديع ويغار عليه أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون اشياء كلها تسد مسده لولا نكتة فى ذلك الشئ المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التى انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى وانه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شئ لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن ابى كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفى النجوم ما هو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما فى الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذى يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه فى معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمى والنبات والجماد الذى تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

خصصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما فى هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة فى وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التنكيت

ويادبة وياحبة ويامن خلفه المسبة ويا دمل ما اوجعك ويا فضل لنا حديث معك فان رأيت اذنت والسلام

(وله اليه ايضا)

والماوقع بخراسان ما وقع من حرب وجرى ما جرى من خطاب واضطربت الامور واختلفت السيوف والتقت الجموع وظفر من ظفر وخسر من خسر كتبنى الله فى الاعلين مقاما ثم الهمنى من الامتداد عن تلك البلاد والاقلاع عن تلك البقاع واعترضتنا فى الطريق الاتراك واحسن الله الدفاع عن خير الاعلاق وهو الراس بما دون الاعراض وهو اللباس

التنكيت

وآله امناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها التصريح بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي رحمه الله

فني براءة تنكيت بعد حته * معناه في الشرح يشفي داء ذي البكم

ذكر الشيخ عزالدين في شرحه ان النكتة المقصودة في بيته في سورة براءة هي قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

وآله البحر آل ان يفض بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت في هذا البيت بديع وغريب في بابه فاني خصصت الندى بالذكر عند مقابلته بالبحر في قولي ان البحر عند ندى كفوفهم كالآل والآل هو الذي يحسبه الظمآن ماء ولو قلت انهار كفوفهم او جداول كفوفهم لعد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة ولكن في الندى نكتة لست فيهما وهي الغلو في أن البحر يصير عند هذا الندى سرابا وهذا الذي أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو المقصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

(ذكر الارداف)

(وفي الوغى رادفوا سمر القنا سكتا * من العدا في محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شيء واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وانما ائمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول ابي عبادة البحتري يصف طعنة

فأوجرته اخرى فأضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بنشبة اسكنوا اطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته الى ان نزع قلبه من صدره بل جل قصده في اردافه

الارداف

فلم يجزع لمرض الحال مع سلامة النفوس ولم يحزن لذهاب المال مع بقاء الرؤس وسرنا حتى وردنا عرصة العدل وساحة الفضل ومربع المجد ومشرع المجد ومطلع الجود ومنزع الاصل ومشعر الدين ومفرع الشكر ومصرع الفقر حضرة الملك العادل ابي احمد خاف بن احمد فكان ما اضعناه كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل وكان ما فقدناه كانا اقرضناه هذا الملك العادل وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا وعن كل ما مضى عوضا وكأنما جئناه ليضيق علينا العالم ويغض الينا بني آدم فيجعل حبسنا مستمنان وقيدنا الاحسان وكأنما خلق للدنيا تحصيلا وللملوك تخجيلا وكان هذا العالم قد احسن

هذا القلب وكان الواجب العدول عنه لشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

للطعن والضرب ارداف يحل به * فى موضع العقل بحكيه ذو والحكم

وبيت بديعيتى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

واردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى ردفوا السن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى امكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

(ذكر الايداع)

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو ان يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى
شهدت لهم مواطن صادقات * اتيتهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره او نصف بيت او ربع بيت بعد ان يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت باجمعه له واحسن الايداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا وصدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها ويتنظمها المودع صدور الغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر ان الاحسن فى هذا الباب ان يصرف الشاعر ما اودعه فى شعره عن معناه الذى قصد صاحبه الاول ويجوز تضمين البيتين بشرط ان ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة اخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جروكلب وهو سكران فاخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى * بخزية البسته العار فى البلد
ابدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد
فأنشدت امه من بعدما احتسبت * دم الابلق عند الواحد الاحد
اقول للنفس تاساه وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خاف من بعد صاحبه * هذا اخى حين ادعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من اودع شعره بيتين وكل بيت منهما لشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

عملا فجعل هذا الملك ثوابه وكان هذا الملك قد اذنب مثلا فجعل هذا العالم عقابه وكانه جسم والعرض عداته وكانه ذاته والمكارم صفاته فهو البحر يمشى على رجلين والجد يتصور فى العين والعدل يتقسم والجود يتجسم والنجم يتكلم فلما التقينا فرشت الارض بيدى فرشا ونقشت التراب بفمى نقشا وخطا الى خطوات كادت الارض لانسها وكادت الملائكة ترفعها ثم انه زيف بلقياى وفود الكلام كما زيفت بلقياه ملوك الانام وافضل على الناس من جميع الاجناس فما ارضى غيره احدا ولا اجد مثله ابدا وان طلبت ملكا فى اخلاقه متولم الاقه

وبتنا على حكم الصبابة مطعمي * زفيري واشجاني وشربي المدامع
وخلي يعاطيني كؤس ملامة * وينشدني والهم للقلب صادع
انطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قلت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول في الابداع الى معنى آخر ان كان في بيتين او بيت واحد او نصف بيت ولكن الفرقة التي مشت تحت العلم الفاضلي وتحلت بالقطر النباتي وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية او ما يناسبها من انواع البديع ومما يؤيد قولي هذا قول القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص واحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه وممن ابدع في نقله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى بقوله

اتاني علي الباناسي منشدا * فبالك من شعر ثقيل مطول
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله في مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب اخلى منزلا * به كان في عرس المسرة يجتلي
فيا صاحبي الذكر قد لذ بالبكا * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وما يشك من عنده ذوق ان المقطوعين في الابداع تميزا بمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع اعناق الرجال في ابداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته في غاية الحسن وهذا هو المذهب الذي انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة ايضا وهو

اقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
ألستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

وقولي

ومذ كلمت قلبي سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتي وهي تبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتي لما دنوت واذلالي
فقالت امعكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقولي

طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
خلالي السهاد مذ طال ليلي * يا خليلي من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدى الى ايري فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذي لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

اوكرما في جوده عدمت قبل وجوده فحرس الله سلطانه من ملك وسع ارزاقي وضيق اخلاقي واغلى عني فغايته تربي على احد وعظم امري فغايته في بلد وهذا وصف ان اطلته طال ونشر الاذيال واستغرق القرطاس بل الانفاس واستنفد الاعمار بل الاعصار ولم يبلغ المعشار وافنى الاقلام بل الكلام ولم يبلغ التمام ما ظن الشيخ بملك شهدت له الفراسة رضيعا بان لا يكون وضيعا والمخايل فطيما بان يكون سميعا كريما والشواهد صبيا بان ينزل مكانا عليا والشمائل غلاما ان يكون ملكا هماما فلما ايفع وارتفع طالبته الهمة العليا برفض الدنيا حتى يؤدي فرض الله في الحج فقام عن سرير الملك الى سبيل النسك فحج البيت ودرس العلم حتى علم ناسخ

وانشدني

وانشدني ؟ من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد ابن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله برحمته ؟ ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة في ابداعه واتفقا في معناه والمعنى في البيتين المذكورين قبل واما الترشيح فعندي ان التورية في بيتي المقر الناصري ارجح وهما قوله

اقول وقد ابى عن اخذ ابرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذي ترجح عندي ان قوله وجاوزه اقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كان والذي اقوله ان كلا منهما الى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسودّ
والدمع ينشد في مسائله * هل بالطلول لسائل ردّ

ومثله قولي

قف واستمع طربا فليلي في الدجا * باتت معانقتي ولكن في الكرى
وجرى لدمعي رقصة بخيالها * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ابداعاتي الغريبة قولي من اعجاز الملحة

تشكر الخال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل
نعنه سلني ان تردّ نعرفه * فانه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذي يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضي القضاة ولم يزل مستمرا على غرر المدائح اللائقة بالقاضي الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردي نبذة من اعجاز الملحة ولم يفرغها في غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات في هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان في ذلك العصر نسيج وحده ومن المعلوم ان الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردي والشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ برهان الدين القيراطي وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاوته النباتية وقد عن لي ان أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على اصحاب الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين في المطلع

صرفت فعلي لي الاسى وقولي * بحمد ذي الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى في المطلع

يا سائلي عن الكلام المنتظم * هو الذي في لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من الابداع الذي قصر فيه باع الشيخ زين الدين ابن الوردي فانه صدر مطلعه بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز ونسج ابداعه على هذا المنوال ومن اغزال الشيخ جمال الدين البديعة في هذا الباب قوله

أفدي غزالا مثلوا جماله * في منزل قد أقبلت الغزاله

الكتاب ومنسوخه ومباحه ومحظوره ومتن الحديث وصدره وكان استخلف على رعيته بعض خدمه واوصى بهم كبيرا لا يظلمهم نقيرا فبسط ذلك العامل يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها فكر عليهم كرة القمر ورجع اليهم رجعة المطر فخار به وقهره ومحا الله أثره ثم جاءت له الاعداء العصي وحنت اليه القسي والله من ورائه يكلؤه من اعدائه فاقام يوم من تلك السنين الا نقصهم وازداد فكم ركن هدم وجيش هزم وكيد عدم فلما اقاموا طويلا ولم يغنوا فتيلا لم يكن اكثر من ان جاؤه امراء فعادوا فقراء وابتوا أسراء ورجعوا صاغرين وانقلبوا خاسرين وتبعهم كيده النافذ ومكره الآخذ يقفو آثارهم ويكسع ادبارهم واشتملت جريدة ما لقي من الحروب مع ابناء الذنوب واولاد الدروب على بضعة عشر حربا اخفها مع بضعة عشر الف

مافال مذ ملك قلبي واسترق * كقولهم رب غلام لي ابق
للقمر من وجهه مطالع * فهي ثلاث مالهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل في دار الهنا * مثاله الدار وزيد وانا
لايختشي تلاعب الظنون * والامر مبني على السكون
في خده التبري هان نشبي * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تمام * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالي فصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النوني ما انصفته * وان تسكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ماتكتبه لايختلف
يأتي بنقط الخال في الاعجام * وتارة يأتي بمعنى اللام
للحظه المسكر فعل بطرب * مفعوله نحو سقي ويشرب
ولا تلم فيه عويشقا تلف * ولاسكران الذي لا ينصرف
جسمي وذاك الخصر والجفن الدنف * هن حروف الاعتلال المكتنف
فيا مليحا عنه أخرت القمر * اما لاهوان واما لصغر
كرر فما احلى بسمعي السامي * قولك ياغلام ياغلامي
وارفق بضناك فما سوى اسمه * ولاتغير مابقي من رسمه
وقد حكى العذار في الوقوف * فاعطف على سائلك الضعيف
وانحر بمعنى لحظك المعشوق * في كل ماتأنيثه حقيقي
بالك لحظا بسعاد أزرى * وجاء في الوزن مثال سكرى
ياناصبا أوصاف ذيالك الصبي * تم الكلام عنده فلتنتصب
هيهات بل دع عنك ماأضني وما * وعاص اسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح في علي * قاضي القضاة الطاهر النقي
بكل معنى قد تناهى واستوى * في كم شيء رواها من روى
بادر بناذاك الحمى العالي وصف * اذا اندرجت قائلا ولا تقف
دونك والمدح زكا مجيبا * نحو لقيت القاضي المهذبا
فالجود والعلم عليه اربي * وهكذا أصبح ثم امسى
والهرع الى قارقراه نافع * وافزع الى حام حماه مانع
يقول للضيف نداه جب وجل * ومثله ادخل وانبسطوا اشرب وكل
وان ظفرت عنده بموعد * تقول كم مال أفادته يدي
لله ما ابينه عند العطا * وما احد سيفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرائبا * وقام قس في عكاظ خاطبا
وان حنا الى على ذي العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد

رجل وكتب الله له في
جيبها النصر عادة في ملك
صحب الدهر فلم يشرب الخمر
ولم يسمع الزمر ولم يعرف
النقر ولم يلعب القمر
تشحن دور الملوك بالمعازف
وداره بالمصاحف وتأنس
مجالسهم بالقيان ومجلسه
بالقرآن ويألف ابوابهم
حملة الظلم وبابه حملة العلم
وتعبث ايديهم بالعود ويده
بالجود وتلعب انامله
بالمزاهر وانامله بالدفاتر
يدخرون الدراهم ويدخر
المكارم ويقتنون الجواهر
ويقتني المآثر ويعدون
نفيس الاعلاق ويعد
نفيس الاخلاق وكثيرا
ما ينشدني
فهن اذا جمعتن دراهم
وهن اذا فرقتن مكارم
المهم نده الشده في هذه المده
فلان فرجع بثلاثين الف
دينار وقد نزلت بهذا
المقام في هذه الايام فاختلت
بين الخبل والخول

معطـل السمع عن العـذال * فماله مغير بحال *

الفضـل جنى بيته المهنا * ونوعـه الذى عليـه يـدق

سام به أهـل العـلا جميعا * وارفـع ولا زد ولا تقـربعما

وان ذكرت افق بيت قدغدا * فانصب وقل كم كوب تحوى السما

بيت عظـيم الجد والعلاء * عنـد جميع العـرب العـرباء

اذا اجتليت فى العطا جبينه * اوا ستترت للـرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قدخلت الهلال لأنحا * وقد وجـدت المستشار ناصحا

كم بالغـنى عنـه تولى راجـل * وواقف بالباب أضحى سائل

قال له الشرع امض ماتحاوله * وا قض قضاء لا يرد فاعله

وانت يا قاصـده سرفى جدد * واسع الى الخيرات اقبت الرشد

ولا تقل كان غماما ورحل * كان وما انفك الفـتى ولم يزل

باب سواه اهجر عداك عيب * وصـغر الباب وقـل بويب

جوده أنسى احاديث المطر * فليس يحتاج اليها الى خـبر

خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت فى البحـر ابتغاء الدر

حتى ملاء عيـنى نداه عينا * وطبت نفـسا اذ قضيت الدينا

دونكها معـسولة الآداب * ممزوجـة بلحـة الاعـراب

مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم

فافتح لها باب القبول تجتـلى * وان تجـدعيبا فسـد الخللا

لازلت مسموع الثنا دائمتن * جائلة دائرة فى الالسـن

مالهـدائك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

فى صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قال الشيخ جمال الدين تقدمه فى هـذا البيت بالابداع وهنا بحث لطيف ابحثه مع حـذاق الادب قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خـديه خط) ومراده بذكر الحـرف هنا مخالفـة القوم له على انها البيت باحرف وانما هى حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (فى خده للحسـن آيات تخط) فلم يبق لقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل واين الآيات التى تخط من اللام ولعمرى ان هذا الابداع على هـذا التقدير يصير بيته وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ابداع هـذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله اعـلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذا الف الوصل متى يدرج سقط

بسيف جفنه قتلت نفسى * فانه ماض بغـير لبس

وبجلدى بين الحلى والحالل وسيأتيـه المم بتفصـيل ماجاءت ثم ان لهذا الملك عند الله تعالى دعاء مستجابا يصعد بالاجابة واعتبر ذلك فى خطب وقع فى هذه السنة فكشفه الله بدعائه ورد الكيد فى نحر اعدائه وكان بعض اولاده كرمهم الله تعالى يشرب فى العسر شرب العصر فبلغه الخبر فقصه على من اختصـه وذهبت النفرة طولا وعرضا وجر الحديث بعضه بعضا وأفضى الى استمالة قلوب العسكر لركوب المنـكر من اظهار العصيان والعقوق برفـع المخروق وضرب البوق وطابقه على ذلك جـملة من الجنود ليسعوا

فياغزالا ان ابنت مااعتدى * فأسقط الحرف الاخير ابدا

قلت لمذكر لحى خل الفند * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الابداع أيضا نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه فى غير قالبه واين هذا من قول الشيخ جمال الدين فى اشاراته الى قاصد ممدوحه

وانت يا قاصده مر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عداك فى المؤنث * فقل لها خافى رجال العبث

منها واجاد الى الغاية

قوامه اشبه شىء بالالف * كمثل ما تكتبه لا يختلف

ومثله فى الحسن قوله

ياخصره من ردفه فز بالمنح * ولا تسل أخف وزنا أم رجح

تركيب هذا البيت غاية فى هذا الباب لانه قدم ذكر الالف فى الاول وقال فى عجز بيت الملحة كمثل ما تكتبه لا يختلف بخلاف قوله فى ذلك البيت آيات وقوله فى عجز بيت الملحة وقال قوم انها اللام فقط وقال

عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تغير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل واين قول الشيخ جمال الدين

* وارق بعضنالك فساوى اسمه *

حتى يقول بعد التوطئة

* ولا تغير ما بقى من رسمه *

من قول الشيخ زين الدين

* عذاره الرقيم فز بلثمه *

وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خضرة بسيره * كما تقول ناره منيره *

دينار وجهه به شعت * وكم دنينير به سمعت

بالتيه يعطف بالوصال * ولعطف قد يدخل فى الافعال

لاما حلالى فى هواه العذل * لشبهه الفعل الذى يستقبل

منها واجاد

عيناه افنت أكثر العشاق * وهكذا تفعل فى البواقى

* فى ثغره جواهر غوالى * جلوتها منظومة اللآلى

صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن

وخل عنك ياعذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت أيضا منسوخ من ابداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال الدين اعتذر لممدوح فى آخر القصيدة فى التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

فى الظلم فلا يؤخذ فى الجرم
و ينسلوا عن لجام الشرع
ويأمنوا عليه الم الردع
ودب الشيطان بينهم ودرج
وأولج هذا الابن وخرج
واتبعه الملك العادل باكثر
حجابه وزعماء بابه ونفر
من غلمانه ليرده الى مكانه
فلما بلغوا معسكره صاروا
معه يدا واحده وقدما
قاصده واظهروا اشعار
الدولة والعصيان على وليهم
وولى نعمهم ومالك لحمهم
ودمهم واتصل الخبر
فكادت العقول تطير
والقلوب تطيش ولم يؤمن
من الحاضرين ان يكونوا
مع الغائبين ومن المقيمين
ان يكونوا كالذاهبين
فلما جن الليل اردفهم

فافتح لها باب القبول تجملي * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد في هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخللا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله أعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله قوله

حتى رثى لي وألان القولا * والحمد لله على ما أولى

واعمرى انى اختصرت من ابداع الشيخ زين الدين بن الوردي جانبا لم أرضه له ومن الابداعات التى برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردي قصيدته التى امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمن فيها اعجاز قصيدة أبى العلاء المعرى وبعض صدورها وهى القصيدة الرائية التى امتدح بها ابو العلاء المعرى ابن القصيصى ونقلها الشيخ زين الدين ابن الوردي الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لى ان اجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه اظهر فى ابداعه العجائب واتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الابداع وهو   أدر أحاديث سلع والحمى أدر * واهيج بذكر اللوى او بانه العطر

ومطلع الشيخ أبى العلاء المعرى

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكرني لساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال فى ابداع صدر مطلع أبى العلاء

اذا تبسم لي لاقل لمبسمه * ياساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال ابو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بنى مطر

وقال ابو العلاء فى قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح واجاد الى الغاية بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت اسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال ابو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

فنقلها الشيخ زين الدين الى المديح النبوى فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

عذبت وردا فلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

قال ابو العلاء يخاطب محبوبته

قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وما حق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت نجت * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

قال الشيخ ابو العلاء

بجماعة من الاعراب وقام الى المحراب يستنجد الله تعالى على ولده ويسأله ان يجعله فى يده فلما التقت الفئتان اوحى الله تعالى الى الرعب ان يدهشه والى الرمل ان يوحشه فقهر ذلك الجمع وقمر وقص جناحه وكسر وافلت الكل واسر ولجأ من افلت الى ابن سمجور وحارب فى عسكره فلما التقى الجمعان بباب هراة وفى عسكره الحاجب الذائب وزعيم بابه الذاهب اوحى الله تعالى الى فرسيهما فوقفا فاسر كل واحد منهما وحده واسر من كان معهما بعده فكبلوا فى الحديد وردوا الى مولاهم فلما مثل الحاجب بين يديه قال كيف رأيت الله يا ظالم نفسه ألم اشترك وحيدا الم اربك وليدا الم اغنك فقيرا الم ارفعك حقيرا الم اهرب مستجيرا الم تكن للظالمين نصيرا الم تأتنى اسيرا الست بهجر جديرا الست

أقول والوحش ترميني باعينها * والطير تعجب مني كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب مني كيف لم أطر

قال ابو العلاء

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كانني فوق روق الظبي من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي ذنوب متى اذكرسوالفها * كأنني فوق روق الظبي من حذر

قال أبو العلاء يخاطب صاحبيه

لاتطويا السر عني يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولي ذنوب

وطمعي انها لاشرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال أبو العلاء

ياروع الله سوطي كم اروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي فؤاد متى تفخر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

قال ابو العلاء في الخلاص بعد روع الوجناء

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها * لولا القصيصى كان المجد في مضر

قال الشيخ زين الدين لله دره

والله لوان اهل الارض قاطبة * مثل القصيصى كان المجد في مضر

قال ابو العلاء مشيرا الى ممدوحه واساء الادب

وقد تبين قدري ان معرفتي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردي الى المديح النبوي صلى الله عليه وسلم وقال بحق

يانفس لاتيأسي يوم المعاد فلي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

قال ابو العلاء وكذب عن القصيصى في قوله

ولو تقدم في عصر مضى نزلت * في وصفه معجز الآيات والسور

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال رحمه الله حيث قال

وأين شعري من الهادي الذي نزلت * في وصفه معجزات الآي والسور

قال الشيخ ابو العلاء يخاطب ممدوحه

وافقتم في اختلاف من زمانكم * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وسبى العقول بقوله

وانت في القبر حي ما اعتراك بلى * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لامن اعين البشر

عليه قدرا فاجاب بافصح من السكوت فلما سمع الملك العادل صليل الحديد في رجليه بعد وسواس المنطقة عليه رثى لشقوته فعفا عن قدرته وتلك عادته فمن خصه بجرم ولايعفو عن مستوجب حدا ولو عز جدا ثم انه اطلق عن ولده وحبس من كان يسعى في الدولة بفساد وذكر الشيخ ابو فلان ان ابا فلان زاد على خراجه توابع ونوافل وضعف عليه مؤنا ولواحق وامرني ان اكاتبه ابرنع من الزيادة ما انبت ويحصد من النكاية ما انبت فقلت اللهم غفرا كيف يخشنني رهل يوقر نضلي من لايوقر اصلي وكيف اكاتب سلطانا لايعلم ان الدرهم يؤخذ من مالي خبيث الاحدوثة وابل المغوثة ان رأى الشيخ ان يعفيني من مكاتبته وعلم الى ملك وجد خراجين لم تزل الملوك من اسلافه يتأدونهما ويسمون الاول اصلا ويتأولون في الثاني

والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه وكأنه كان معدا القصيدته حتى يبرزه في محله من مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهو

لله قولي لعبد الله والده * قولا الى نص علياه على قدر

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه

سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

كم راقبت امم منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر

قال أبو العلاء يخاطب الممدوح

لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لا تنقل الاضحى الى صفر

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

سل نعط واشفع تشفع ماترده يكن * لو شئت لا تنقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء في ختام قصيدته

ولا تزال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين في ختامه

وارتجي بك من ذي العرش عافية * في الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها ابديعة في باب الابداع انتهى وأما اعجاز قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من اهل الادب ثابر وا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها في قوالب مختلفة الانواع كتب الي مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة في صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخي ذكرى حبيب ومنزل

واهدي اليها من سلامي معطرا * بمسك سحيق لا بريا القرنفل

وأذكر ايامات بكم قد تصرمت * بدار حبيب لا بدارة جلجل

شكوت الى صبري اشتياقي فقال لي * ترفق ولا تهلك اسى وتجمل

* وقلت له اني عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولي

سرت نسمة منكم الي كأنها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقلت لليلي مذ بدا صبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجلي

جنت ما حلا ذوقا فقلت تفز بي * ولا تبعدينا عن جناك المعلل

ورقت فاشعار امرئ القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقلت قفا نبك لرقتها على * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا في جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال

تأويلا ويدعون أحدهما فرضا والآخر قرضا فعمد الى الخراج الاول فحذفه والى الآخر فحذفه فاما أبو فلان فان استصوب الشيخ ان يعرض عليه الفصل من كتابي عرض ولا يستوحش من خشونة الاقوال فهي من خشونة الافعال من جهته فان جازله ان يفعل جازلنا ان نقول ثم ان استأنف الحسنى عرفني لاحسن الخطاب واعرف ما خبث مما طاب ويتوب الله على من تاب

(وله اليه أيضا)

عظم الله تعالى على الابناء حق الآباء لعلمه بان الوالد يصبو الى والده جفينا ولا يألو حنينا ويشهد وليدا ويقبله رضيعا ويغذيه فطيما ويربيه غلاما ويؤدبه ناشئا

الدين تنازل فيه الى الغاية فقال

وأى فرمى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين فى معنى العتب المفرط

افى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمى على طول المدى متجنبا * بسهميك فى اعشار قلب مقتل
فاسى بليل طال جنح ظلامه * على بانواع الهموم ليبتلى
واغدو كان القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
تطير شظاياه بصدرى كانها * بأرجائه القصوى اناييش عنصل
وسالت دموعى من همومى ولوعتى * على النحر حتى بل دمعى محملى
اذا عاين الاخوان مابى من الاسى * يقولون لاتهلك أسى وتجمل
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول
ولى فيك ود طال ماقد شددته * بامراس كتان الى صم جندل
ولى خطرات فيك منها اجوا نجى * صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كان امانيها كؤوس مدامة * غذاها نمير الماء غير محلل
سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسلى
واجلو محيا الود فيك لاهله * متى ماترق العين فيه تسهل
فكرّ على جيش الجناية عائذا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجمل
حلا ودك الماضى وان لم نعد أعد * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متهكما فى المطلع والتهكم فيه غاية لاتكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولائى ثم اقابت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحى الفاظ تعرض عتبها * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فاحييت ودا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح الصد منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
ثم قوضت منك المودة وانقضت * فياعجبا من رحلها المتحمل
امولاى لاتسلك من الظلم والجفا * ببطن خبت ذى قفاف عقنقل
ولا تنس من صحبة تصدع الدجا * بصبح وما الاصباح منى بامثل
صحبتك لا الوى على صاحب عطا * بجيد معم فى العشيرة مخول
وحاولت من ادناء ودك ماناى * فانزلت فيه العصم فى كل منزل
يقلب لى وجدى به سوط سائق * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وكم خدمة جلتها ومحبة * تمتعت من لهو بها غير معجل

وبعلمه بانعا علما يظنه نافعا ويبيحه ذخيرة حياته ويحتسبه علمه بعد وفاته ويصدقه النصح فى حلاته ثم لا يكاد يعدم هذه المبار من ابيه الا الولد النادر هذه الابل على غلظ اكبادها تئط لاولادها وان الطير على خفة احلامها ترق افراخها وان الهرة لتأخذ اولادها بانيابها ولا تنفذ فى اهابها والناقة على ثقلها تطأ الحوار برجلها ولا توجعه بوطئها فاذا شب الولد محفوفا بهذه المبار مغمورا بهذه المسار صرف وجهه عن ابيه ولا يكاد يعرف نعمة والده ويقدرها قدرها الا الشاذ النادر وفى هذا الباب تحير أولو الالباب ولا حيرة فان عندى لهذه العقدة حلا ان الله فطر ابن آدم على ضد ما امره به امره

وكم اسطرمني ومنك كأنها * عذارى درارى فى ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الود همه * الا ايها الليل الطويل الا انجلى
وكم ناصح كذبت دعواه اذ غدت * على وآلت حلفة لم تحلل
ولحية لاح غاظها اضحكى على * أثيث كقنو النخلة المتعشكل
ترى بعر الآرام فى عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل
نزعت لسكرى ساحبا من صبابتى * على اثرها اذيال مرط مرحل
الى آن تبدى عذره متمطيا * واردف اعجازا وناء بكلكل
فلا طفته فى حالتيه ولم اقل * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وضن باسطار كأن يراعها * اساريع ظبى او مساويك اسحل
و يقرع سمعى من معاريض لفظه * مداك عروس اوصلاية حنظل
وعدنا الود ملا القلب عوده * بشهم كهذاب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عنى اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن اشهر فيك من * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذى أقوله المهيع الذى اخترعه الصاحب فخر الدين ابن مكانس ومشى عليه فى تضمين هذه المعلقة يوم من الملاتات فى بابه * فانه ضمنها فى مداعبة رجل من اصحابه * كان كبير الانف وأتى بما لا اختلج فى صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغزال تغزلى * بلحية انف ذى عقاص ومرسل

انظر أيها المتأدب ما ألطف تأنف هنا والطف منه قوله بلحية انف فان العقاص جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر والمرسل الشعر المسرح ومراده ان لحية هذا الانف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جلة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فياقح شعر فوق أنف معرقص * اثيث كقنو النخلة المتعشكل

الاثيث الكثير والمتعشكل الذى دخل بعضه فى بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذى شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمرى ان هذا الابداع من السحر فى نقله الى هذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا فى شعره فكأنه * كبير اناس فى بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من المخترعات فى بابه فان امرا القيس شبه به جبل ثبير فقال

كأن ثبيرا فى عرانين وبله * كبير اناس فى بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ما عظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين فى ابداعه الى الانف لما فيه من الشعر الابيض

بالصلاة وخلقه كسلان وبالصيام وجبله شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الارتحال وبالعفة وسلط عليه الهوى وبالصبر ونزع منه القوى وخلق الانسان على حب ولده ونهاه عن ربيته وخاته ليشق ذلك عليه فالوالد يلتذ بما يتكلفه من مبرة والولد يفعل ما يفعل من بر مخالفا لما فطر عليه غير ملتذ بما يسدى الى ابويه ولعمرى لقد قضى سيدنا انه فى امرى وفعل ما يفعل غيره بغيرى ثم قسا قلبه وجفت رحمه وانقطعت كتبه بعد ما تواترت عداته بالزيارة فالى الله المشتكى والصلاة على نبيه المصطفى وآله وسلم
(وله اليه ايضا)
كتابى اطال الله بقاء سيدنا من بوشنج اسوة بيعقوب

والاسود الذى انتسج فى انفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل أى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقاص كلتا الجانبين كانه * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كانه حب فلفل

وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى انابيش عنصل

فيالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل

وكم قلت اذ أرخى ذوائب انفه * على بانواع الهموم ليبتلى

ألا ايها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة مايزيد على الوصف وا ماقوله بعدما ارخى هذا الرجل ذوائب نفه الا ايها الليل الطويل ألا انجلى فان هذا نوع من السحر بل السحر بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن الفاانيدس مع ريح انفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمال

وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معول

كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجاز وناء بكلكل

وجرد شعر الانف منه وجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين بن تميم يجنح الى نوع الابداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

اطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيرى

اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

اقدى الذى اهوى بفيه شاربا * من بركة راقت وطابت مشرعا

ابدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

وشبابة قد كنت اهوى سماعها * وقد صرت منها بعدما شبت انفر

وها انا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

واورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة

قوله اذ ظعن اليه من بلده وليس الا فوق سود الاعراف ولا رمل الاحقاف ولا جبل قاف فلا ينشط والله لا يضيع بذلك المكان درهما الاعوضته دينارا ولا يعدم هنالك دارا الا اذنته ديارا اخاف والله ان اموت وفى النفس حاجة لم اقضها ومنية لم احظ ببعضها لا يفعل سيدنا الشيخ والضن بالولد اولى من الضن بالبلد وقد رمت لوصل كتابى هذا ان ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج وان يرتب له عمارة تثوبه نسمه والشيخ الفاضل العم فليلة فضلا وابقوما ويرحلا ويستصحب الاخ اباسعيد وليأتى باهله اجمعين فما يعجبنى اقامة ليس له بقاء ولا وصل بعده

وهماعلى طريقتهم ولكن اعجبانى وهما

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكى الدين بن أبى الاصبع وقد جعل مطلع أبى الطيب عجز بيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من فخامة التحمس الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى * مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عاينت فى الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال فى الفانوس

* يقول لى الفانوس حين أتوا به * وفى قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدى لكننى أتستر

وله

أزهار اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسام

وقال

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس فى أمواهها الآلاء
لرأيت اعجب ما ترى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه فى غير هذا القالب

لو كنت فى الحمام والحناء على * اعطافه وجسمه لألاء
لرأيت مايسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال

يا من يقول بان رشف لى الحباب لم يرق
وغدا يعنفنى به * دع عنك تعنيفى وذق

وقال

لما رأيت البدر فى ساعدى * ونرجس الانجم قد صوحا
افنيت رشفا فيه ريق الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله

صهباء ريقته رشفت سلافها * وثغرت فعجزت ان اتكلما
واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لا علم ما تقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

توارت من الواشى بليل ذوائب * لهمن جبين واضح تحته فجر

فراق فان لم يكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه فسترد على خمسمائة نيران والف اكار وأحوال منتظمة وأسباب مستقيمة

* (ولوالده اليه كتب ورقاع أنشأها وهو ذاهب بها الى والده ليقرأها الافاضل من الكتاب فيستدلوا بها على فضل والده) *

جعلنى الله فداك لا تزال الارض تلفظ رحالك والنوى تطرد راحلتك حتى تقتلك ارض بمجهل مائها ومرعاها وهيهات ان يكون ذلك ونار جزعى وراءك موقدة وأبواب الرجاء دونك مؤصدة وقد بعثت اليك بما يصل ان شاء الله تعالى فان شئت اجعله جهاز طريقك فى انصرافك وان شئت امض على عقوقك فى خلافك رد الله غائب نأيك وعازب رأيك وهو

فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله
تطلبت بحرا في الظلام فلم أجد * ومن بك مثلي حمة دأبه الحجر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ويعجبني من تضمين ابن أبي الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل
لهمن ودادي مثل كتبه صادقا * ولي منه ماضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل
وقوله
هذا الذي أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المنتظم
لا تحرموني ضم اسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم
ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله
من حاتم عد عنه واطرح فيه * في الجود لا سواه يضرب المثل
لو نيل الجود سرحا قال حاتمهم * لاناقة لي في هذا ولا جمل
ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله
قالوا غدا تندم عن لثمه * في خده اذ يغلب السكر
فقال لي مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر
وقال
جلا ثغرا واطلع لي ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغي افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا
ومن تضامين مجير الدين بن تميم التي تطفل الناس عليها بعده قوله
ان تاه ثغر الاقاحي اذ تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله
وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عنده وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم
ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدي قوله
ملكت كتابا اخلق الدهر رسمه * وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة جلده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد
وقال
قل للرقيب يستريح من عذلي * ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى
وقال مضمنا ومكتفيا
رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر

حسبي ونعم الوكيل
(وله أيضا)
الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم يلقني بابر من القبول واحسن من ترك الفضول
(ولابيه اليه عفا الله تعالى عنهما)
تأتيني الاخبار عنك بما ترتجف منه الاضالع وتستك منه المسامع يبلغني انك صاحبت نمار لك هائم وصادقه ليلك نائم فصارك آلة تصوغها ودابة تروضها وجارية تستعرضها وما مكنك من هذا العبث الايسر ما أنت فيه كثير وقليل ما أنت معه جليل ولعل هذه الاحرف آخر ما تتأذى به من وعظي وتتقذى باستماعه من لفظي

وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي

وعلق يرى للترك فيه تحمس * يقود عليه احدب ويعاشره
اذا جاءه اللوطي يطلب وصله * ثنى طرفه نحوا لحمام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب ساهامن الدبيب

وقال

نادمت قوما الاخلاق اهم ولا * ميل الى طرب ولا اسمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا انتهى الى المردقات تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي اجاد فيها قوله

عزمت على رقي محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الى الشيخ سيف الدين الآمدي

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن علمه فرعا لعلمهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب موافقة * فالسيف أصدق انباء من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره *

ومما اجاد به الشيخ برهان الدين القيراطي في تضمينه

قل في اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانثر من الاغزال في ارادفه * - للاقوا اصلها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من اهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن ايبك الدمشقي البديعة قوله

أقول وقد ظهرت ووجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

شعر
يالك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت ان تنقري
(وله اليه أيضا تجاوز الله عنهما)
جعلني الله فداك انشدك الله ان تسلم بخراسان انها مغرب شموسنا ومسقط نفوسنا وقد سمعت في مجمل ما رأيت في خالك كذلك والسلام
(وله اليه أيضا عفا الله عنهما)
جعلني الله فداك ان كانت للفراق غاية فقد بلغتها وزدت او للعقوق مطية فقد ركبتها أو كدت وان كان صدرك ينبوع صبر وقلبك جلمود صخر فقد آن له ان يلين ولك ان تذكرني في الذاكرين جعلت فداك ما كان أبوك امرأ سوء ويعامل بها

لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤسا من الذمقبل
بلثم شفاهي بعد تقبيل مبسمي * تنقل فلذات الهوى في التنقل

وظريف في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المدبجي

* ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فيناعن الشرب
نعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب *

ومن تضامين شهاب الدين بن أبي حجلة البديعة قوله

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه

وقال فيه

أنا في الدجا الفي الهوى وبمهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأنني في الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

وقال وأجاد

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطي

تجمعت من نطف ذاته * حتى بدا في قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وقال مضمنا في قطائف

لقد نطقت زهر الشنا بقطائف * تخير تها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي * وكلي ان حدثتكم السن تتلو

وله في باذهنج وأجاد

بروحي افدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما القاه من حرق الجوى
اذا فتحت في الحر منه طوابق * أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى

وقال فيه

ايا باذهنجا صح فيه لنا الهوا * صفاتك ماوفى بهن خطاب
وما شئت الا أن أدل عواذلي * على ان عشقي في هواك صواب

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وأجاد

هجا الشعراء جهلا باذهنجي * لان نسيمه ابدا عليل *
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبني من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطي قوله

وموسوس عند الطهارة لم يزل * ابدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لغسله * ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

ومن غاياته في هذا الباب قوله

عاملت ولا مساف شر يقابل بما قابلت فما هذه البداءة على حسن اسمى في الشيب نداه وغشاني رداه ولم ترض الايام بما جرعتنيه من ثكل فراقك حتى الحقت بك عمك وحرج على الدهر مؤكدا أن لم ينقض عروة عروة ويحل عقدة عقدة وورد كتابك بذكر احوالك واستقامتها وانت فيما ذكرت بين طرفي جد ولعب وحدي صدق وكذب فان قلته مزاحا فالفرع لا يمازح أصله او كذبا فالرائد لا يكذب اهله وان كان جدا ما ذكرت وصدقا ما اوردت فاستدم الوسيلة التي نلت بها الفضيلة واستبق الذربعة التي

(ى)

ولما بدا والليل اسود فاحم * قد انتشرت فى الخافقين غياهبه
اضا بدر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغارى وأجاد

وبى سامرى مربى فى عمامة * قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجه كانما * تناولها من خده فأدارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى

وسامرى اعار البدر منه سنا * سموا نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

ومن تضامين محيى الدين بن قرناص الحموى

افديه اغيد زارنى تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجى
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشى فى الدجا بسراج

وقال ايضا

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به شادن كالغصن يلهو و يمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقوله فى كاحل

دعوا الشمس من كحل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم اذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * امسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا او راهبا

وقال ابن الوردى تعجبت من اشتهار بيتين ما احكم ما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما وهما

مقامات الغريب بكل ارض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من مقامات الغريب بكل ارض واوقدت فكرتى فذاب الثلج وانهدمت البنايا
المستحقة للنقض وجعلتهما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فقلت

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

قلت وقد سألنى بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذى لم تصل افواه البلغاء الى اثم
اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجدوا طاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لو عده
ابن مطروح اطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فككنا طويق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

اسكنتك المنزلة الرفيعة
وهذه نصيحتى لك ووصيتى
اليك والله حسبى فيك
وخليفتى عليك والسلام

(وله الى اخيه)

كتابى اطال الله بقاءك ونحن
وان بعدت الدار فرعا نبعة
فلا تحسبن بعدى على قربك
ولا تمحون ذكرى من قلبك
فالاخوان وان كان
احدهما بخراسان والآخر
بالحجاز مجتمعان على الحقيقة
مفترقان على المجاز والاثنان
فى المعنى واحد وفى اللفظ
اثنان ومابينى وبينك الا
ستر طوله فتر وان صاحبى
رفيق اسمه توفيق انلتقين
سريعا ولنسعدن جميعا
والله ولى المأمول جملة
فذالك الشفيق سيء الظن
وما احوجنى الى ان اراك
ولا قرابة الا الاخوة وتلك
والله يعد نازلة الدهر
وقاصمة الظهر وان يشأ

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ما ذكره في ديوانه انه كان له صاحب يدعى بالمجد حصل له اذية مفرطة من زوجته وأبيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * في ثلب عرض المجد اشبهاها
ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضميني الذي ما حام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه * ولا سبقني جواد من فحول العربية اليه * قولي مداعبا

نصبت أيري اذ نحوت نيكه * وهو يريد رفعها الى ابتدا
وبه مذ انجر قد اضفته * وفي المضاف ما يجر أبدا

وانشدني من لفظه الكريم قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ما تحتها طائل

وقال ايضا في المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ سامه المليح قلى
وقال اذا عاتبوه معتذرا * تلجى الضرورات في الامور الى

ومن تضاميني الغريبة

حنثت عزمي شوفا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم أحظ بالتلاقي * فغايتي ان الوم حظي

وقولي

يقول معذبي حسن تخير * سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وانشد المقر المرحومي محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن الوردي والاصل للحريري صاحب المقامات

لو جنة صيادكم نسخة * حريرية ملحة في الملح
يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالي بالقصر * وما شك أحد ان ابا بكر مقدم على عمر

غدا طير أفراحنا ساهجا * يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا الدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضاميني الغريبة ما ضمنته قول عنترة في معلقته

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت

الله يسلك سنا وينبتك نباتا حسنا والله اولى بك من اخيك وهو حسبي فيك فاستعن بالله وحده اليس الله بكاف عبده

(وله الى اخيه ابي سعيد) كتابي اطال الله بقاءك ممدولا به الملك عن سيدنا وللخصم اذ تركوا الباب وتسوروا المحراب فدخلوا على داود بسر سوى الخصومه ومراد دون الحكومه وتحت القصيا بلايا اولها ملامه على ان آخرها سلامه واولها فاتحة فتح على ان لها خاتمة صلح ولامر ماصرفت الخطاب اليك وقصرت الكتاب عليك وزويته عن سيدنا والشوق اليك شديد وهو الى غيرك اشد وانت الشقيق العزيز والشقيق منه اعز ولكني افتتحت هذا الكتاب مصدورا ورققته

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
أنا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع

اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم

الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى

* وما سراه على خف ولا قدم *

وبيت العميان

واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول

* ماض من العيش لو يفدى بذلت له *

وبيت الشيخ عز الدين

ايداعه الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على المديح النبوى تابع لقولى وهو

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تشكيت مدحهم
وفى الوغى رادفوا لسن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم
واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول

* ولا تشك الى خلق فتشمته *

ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلى محاسن هذا النوع والله أعلم

(ذكر التوهيم)

(والبعض ما توا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم)

قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله

حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ما صلت الاسياف فى القمم

فذكر صيام الخيل هنا يوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا يوهم السامع ان المراد بالنجم احد النجوم والمراد به النبت الذى لا ساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

قلبى مغتاظا ونويت ان انفث تنفيسا عن صدرى وتخفيفا عن صبرى فخشيت ان يغاظ كلامى او يطغى قلمى وقشر الابوة رقيق لا يحتمله ومجال العتب ضيق بين العبد وسيده والوالد وولده فاستخرت الله عند ذلك فى صيانته وابتذالك اذ وجدتنى بك آنس وعليك اقدر ولك املك وفيك أنطق ومعك اجرأ واجرى فلا عليك ان تسمع ولا تضجر والكبر سلاحى عليك والسن عذرى منك يأبى الله يا بنى ان اسعد من بلدك بحظ او افوز من رحمك بصلة اعمامك فى الخلفاء قدوة اصهارك وذو وسوآتك كذوات

التوهيم

تردّى ثياب الموت حمرا فما أتى ✽ لها الليل الا وهى من سندس خضر

فانه اوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس بطابق اذ الاحمر لا يطابق الاخضر وفرّع منه ضربا آخر فقال هو أن يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام ان المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك كقول أبى الطيب

وان الفئام التى حوله ✽ لتحسد ارجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهى الجماعات الكثيرة هكذا روى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه اقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلى

يا سائرا مفردا اعربت حالك فى ✽ توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حل معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ولم أزل فى حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهى رأس الثدى ويحصل فى جلد الشاة دودة دقيقة ول العرب حلمت وحلم اديمها أى وجد الدود فى جلدها ثم قال ومعنى البيت انى اخاطب سائرا فى الطريق منفردا بنفسه عن الناس لا يرغب فى مرافقة احد دفقلت له وانت تتوهم بترك اجتماعك بالناس معنى لا تظهره كما يوهم الراعى بمنع رضاع الشاء ان جلودها حلمت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الا حيرة فى تفسير هذا الشرح والذى اقوله ان الشرح والنظم فى العقادة وعدم الفائدة كفرسى رهان وبيت بديعيتى تقدم قبله وهو

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت ✽ شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده فى التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا ✽ والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت فى البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد ادارتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا فى التقبيل وفى السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن فى الانواء التى تنزل هنا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح فى غاية الحسن فانهم شبهوا اسنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبنى هنا قول ابن المزين فى الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لى ✽ لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش الغداة لانى ✽ نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاخرت الكماة بجحفل ✽ كلتهم فيه بكل لسان

استدارك والنية كالاعمال فسادا والليلة كالبارحة سوادا تحاسد والمال قابل وتهاجر والعمر قصير والشيبة تحقر والشيب لا يوقر والصغير لا يعرف الكبيره والكبير لا يعطف على صغيره والدور بعيدة والقلوب ابعد والحال ضيقة والاخلاق أضيق واللقاء عن عقر والسلام عن عذر والزيارة تاريخ والابتسام فتح الروم والاجتماع خلف الفصول ماهذه الطباع وفيم هذا النزاع ولو كان فى قصر الخلافه او سرير الامارة لكان شنيعا وبئس صنيعا وكنت اظن بنفس العشيرة

الالغاز

✽(ذكر الالغاز)✽

(وكل ما ألغزوه حله لسن ✽ مذ طال تعقده ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعنى الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهى اعم اسمائه وهو أن يأتى المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر فى افق الحلى غير وجه التورية وأما منسف الفرقة التى ليس لها المام بالتورية فى الالغاز فامرهم مسلم اليهم واما علماء هذا الفن فانهم ما قرروا غير ما قررناه فمن

ذلك قول أبي العلاء في ابرة

سعت ذات سم في قميص فغادرت * به أثرا والله شاف من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حرازفي خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ما هدى الله الانام اظلت

قلت لغز ابي العلاء ولغز محيي الدين لم تسفر فيهما الوجوه الحسان الامن وراء ستور التورية
ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف تبقى ثمان

ومن الطف الالغاز في القلم

وذى خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع في خدمة الباري

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير

وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب * فقل ما شئت في الصب

ومن لطائف ما وقع في باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والده ملغزا في باب بقوله

ما واقف بالمخرج * يذهب طورا ويجى
است أخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب

ذهاب ومجيء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام * وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في باب

اى شيء تراه في الدور والمكتب مجازا هذا وذاك محقق
* هو زوج وتارة هو فرد * وهو في اكثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وهو في القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
فاجبني عنه بقيت مطاعا * انت في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج واجاد

اهوا ؤنا المختلفه * قد اصبحت مؤتلفه
في شامخ بأنفه * على العوالي انفه
وذى جناح لم يطر * وكل طير الفه
جناحه طول المدا * يبدى علينا رفرفه
في الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه
وروحه لطيفة * وذاته منحرفه

اذا انتهت الى النوبة نعمت التوبة فقد عمت الجفوة انى الله ان ابتديكم شغفا ولا تجيبونى سرفا وكلما ازددت بكم خلفا ازددتم على صلفا أكل هذا القرى اليكم وكل هذا الغنا كم عنى بدالمعون منافى التراب وحديث ماحديث بدنار بقيه القول انى قاصد قصدكم العام وعدى له الايام وشكرى لاعقاب الشهور اذا انتهت وشوقى الى انجازها حين تقبل فلما جاشت النفس واختلجت العين وطنت الاذن لقرب القافلة وردت خالية من كتابه خفأت الامل حسيرا وعجبت لذلك كثيرا ولم اعجب من تأخر ركابه عجبى من تأخر كتابه ارايت

عن قبلة الدين ارى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * اعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشا مصرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ الفه
وكلما أسرف فى * بذل شكر ناسرفه
انفاسه كم اودعت * مجالسنا تلطفه
كم رنحت من غصن * وقامة مهفهفه
معناه هو الصحيح * عند من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزا فى قرى

ما معمى ورأسه * فى عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من مصحر
كم خواف له بدت * لا لتماع المبصر
كله مجرم وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحومى الامينى صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ملغزا فى فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * و يسرح فى افنانها و يغرد
هجاء اسمه خمس حروف نعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له ا فى تبين و تشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمى واجاب عنه بقوله

ايا من له مجد اثيل وسودد * غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تفيد يسار المقترين يمينه * و يسراه من بنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد
وتجذبنى بالطوق عند نشيدها * الى و التصابى لا أطيق افند
ومذ بان منها الطرف امست أعكسها * تخاف الردى ممن اها يترصد
وان حذفت ثانى الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها * لنا فاه بالمعنى الذى فيه يقصد
وحرفان منها افرد حرف لناطق * واف ان بالعكس فى ذاك يجحد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزا لواؤك يعقد

وقال ملغزا فى درة

أى شئ من الجمادات يلفى * وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * غاليا منه رصعوا تيجانا

يا أبا سعيد كاليوم اسمعت بانى نقضت غزلها انكاثا أقرأت قصة التى وهبت لواحدها اثاثا اتبغى بعد هذا ميراثا ارأيت الذى اتبع عقدة النكاح ثلاثا اعجبت من وعد الفريق فى القابل غيا ثا غرو وان قضيتك مع اخيك اظرف وحال اخيك معك اعجب عسى الله ان يجمع الشمل انه قدير كريم

* (وله اليه ايضا) *

لا يكاد خيالك يغيبنى نوما فما الكتابك لا يسرنى يوما وكما لا يعجب اباك ان تكون ابنه فقط كذلك لا يعجبنى ان تكون اخى فحسب فهات واقفنى بعذرك فيما اضعت من عمرك علام انفقت وفيم انفدت وما الذى افدت واعلم ان لامر سمها من المكاره موفورا ونصيبا من النصب

وترى الروح منه فى حيوان * ذى جناح ويألف الطيرانا
واذا ما بدا على العود يوما * فوق دف يحرك الاغصانا
او بدا فى قفص فان يرد * عند امتحانه يصير مهانا
كله طائر وفى ثلثيه * لك ذو اربع مع العكس بانا
* كله عاطل به تتحلى * كل خود وتستقل الجمانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتصحيفه حقيرا مهانا
عكسه فى تصحيفه زد بنقص * فالمسمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف ذره * للذى فيه فهو يدرى البيانا
وبتحريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
* ثلثاه در نفيس وفى فيه * اذا جاء يصحب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو فى البرّ نافر واذا ما * حضروه قد يألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد ابانا

وعلى ذكر القمرى والفاختة اوردت هنا ما الغزته فى القفص وهو قولى

اى مغنى اعواده بيت شدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولمجموعه النباتى حسن * فزت من بعضه بسجع المطوق

ونقل الشيخ جمال الدين الدميرى فى كتابه حياة الحيوان الغزا فى بجع

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى وسطه * والعين منه فى الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدمامينى الى المجدى فضل الله بن مكانس ملغزا فى قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه بالبدر حليف للشموس * ان قلب كان اقلبه من العين مكان المناسبه * او سقط قلبه مع الفعل كان ضد الاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس انبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح * وان غير ثانيه علم رب الكلام المحرر انه دال على الطارح * حاشيتاه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراخ باقيه قواما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال اوله كان العكس عقابا للمتعاطى اثمه * او صحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافيا للامه * مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب المجدى الجواب والغزفى ورد بقوله يقبل الارض التى اطالت بالجذامى حرمانه * وتدارك كتبه بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالين شانه * وانهى الى المولى الى اللغز الذى تمتع بطعمه * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح الفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * يجتهد فى التوصل بمحاذاته الى الرؤس * وكتب فى الجواب لغزا * وخالف نفسه اذ قالت لا ينبغى مجاراة هذا الجواد لزا (وهو) ما عاطل يتحلى به المجالس * ويتفكه به فى المجالس * تعمر وجناته من الشرب * وتحمد آثاره فى البعد والقرب * ان قلبته وجدته تاجا * وان

مقدورا هو لابد لاقيه فكن كالخيل لعل اباك يوفيكهما فى صباك فان لم يضربك صغيرا لم تعدم من يضربك كبيرا وان لم يعطك صبيا اتعبك الدهر مليا وان شمت وانت طفل ندمت وانت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم تفسيره والله ولى تيسيره ولا تشتغلك كتب اللغة عما سمت لك ففيها اضاعة الزمان ولا خير فى لغة ليست فى القرآن

(وله اليه ايضا)

كتابى والاخ على ما آتاه الله من جراءة قلب وقدم وبسطة لسان وقلم يقدم على الاسد فلا يخشاه ويقول الحال فلا يحاشاه والحال لا يلتطم الخد انما يتجاوز الحد ولا يشج الراس انما يرفع القياس ذكرانى كسلت عن اجابته فاتخذت

تركته على حاله زادك ابتهاجا * يعذب بالنار وغيره الجانى * ويريك ان بدات اوله برد الامانى * يستخرج وهو داخل * ويرى دمعه من نار قلبه هاطل * لا تبرح به فى غبطه * ولا تجد فيه مع انهما له نقطه * فان حذفت اوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا فى ثانيه رأيت ما بقى مولد للمحبة بين الاحباب * وزان حذفت آخره كن ورى * وغص فى بحر الفكر على عكس ثانيه تستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما أجاب * ولا طرق بعد فقدانه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى القلوب بوروده * واللغز الذى أنبى بورود بان الحى وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العائب والعائب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل الجديدة خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا * او صاحب زهر الادب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يمر بذوقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق أن مولانا اوسع المملوك فى مقام الادب بفضله ايناسا * وتناول منه قدحا أعاده بالفاظه المسكرة كاسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى محمد الله يا من فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
الغزت فى اسم عاطل حليته * فبنا بدر اللفظ او قطر الندى
ان أورد التحريف فى اثنائه * قد كان الثانى هلا كالوردى

وقال مجيبا له أيضا عن الورد

لله لغزك يا مولى فضائله * قد عطر الكون منها طيب انفاس
انى بورد خيالى على قدحى * به وابهجنى ما بين جلاسى
وقد اساجرح كسرى حين اقبل لى * روحى الفداء لذكر الورد والآس (ى)

فاستحلى المملوك بالتحريف ورده * وود لو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ورده الى ذل القصور عاريا من ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وقد نقلى بنار عجزه *

اذا امتنعت اثمار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الرأى الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لا تخرج الا من تلك الحضره * وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلامها باليد المخدومية بهجة ونضره * وتمشى المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقة * ورأى كل ورقة قاحمرت الوجنات الحمر فصيرا أهى وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر فى صحيفتى طرسه

ان كنت تزعم مافى خده عجبا * فانظر الى الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه الوردى بالعنبر لورده * وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتى نكتة برد الامانى * فانه قد لسحر البيان لسانى * وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تصحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول قر * وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحر الفضائل رويه * وان

ذلك الفصل ذريعة الى رضاه وانما يعرفى اشم عرض الانط وأامن زغب البط واقول لم يرجع على ولم يرجع الى ولم يحم حوالى كانه العتب لو رجع صاحبه فاما اذا لم يرجع فلا عتب وان كان فلا عتبى وذكر اعتداده بما فعلت وقلت ونقضه بما اعتقده من مودته وانما كتبت ذلك لتعلم لا لتعتقد وانتهى لا لانتن واما ما وصف من شوقه فمعلوم لان الصبر عن مثله لوم والعجب شوقى اليه والوجه ملوس والرأس رؤس والجملة شيطان والتفصيل سلطان وانا مع ذلك افديه عضوا عضوا الا الجدود الموزود كيلا يحفظ على الحدود وتبلغ سلامى الى فلان والى فلانة واهما من قلبى مالا يحمل الزمان عقدته ومن

الخاطر لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قريبة * وقلت للذهن رد بعضه لتتمثل شرابا سائغا * وزد نصفه ليكون في التعريف بمعناه مبالغا * وتمتعت من ورده بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي ولولا ما الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وترجيح بهذا الحشف الملتقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن ان نورد هنا لغزا في المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه

وما شيء حشاه فيه داء * واوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان اهملت اوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين ابن العجمي الغزه في الماء فاعجبني وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لا حظ له في الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير ان يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجهه قائده في التراب قسرا * مذ كر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع الفيض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطالما قبل الفشاء ابدى لنا الفجر * يتشعب ويتكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خمسون عينا واكثر * يحمل القناطير المقنطرة * ويعجز عن حمل ابرة * سريع الاستحالة * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاء وراده بالا كدار * ويسكن في تخوم الغبرا * ويتم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رفيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحليم * يجود بالخفر الحلي * ولا يرد من ناداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا واخاف سبيلا * وكم طفى واحترق * واظهر الجفاء وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصدا * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وارسله رحمة للعباد * ويعجبني فيه قول ابي الفضل بن الخازن

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصي في حشاه مصورا
واودعته سري فافشاه للورى * فيا حسن ما افشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * به حامل في بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يباري الرياح الذاريات اذا جرى
تزر عليه الريح ثوبا موردا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدنرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا لغزا في القربة كتب الشيخ بدر الدين الدماميني الى المقر الاميني امين الدين الحمصي كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام لغزا في قربة تزاحم سرب الادب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلاء ود أن يكون راوية عنها وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذي * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما اتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ما ذات أطالكم بها * ويبحث في الاسفار عنها ونطلب

السلامة ما لا تخلق الايام جدته
* (وله الى ابي الفتح ولد ابي طالب) *
اراني اذ كر الشيخ اذا طلعت الشمس او هبت الريح او نجم النجم او لمع البرق او عرض الغيث او ذكر الليث او ضحك الروض ان للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث نداؤه ونداه وفي كل صالحة ذكراه وفي كل حادثة اراه فمتى انساه واشدة شوقاه عسى الله ان يجمعني واياه
* (وله اليه ايضا) *
حثوا المطي فهذه نجد غاب الهوى وتطالع السعد وقد برح الشوق برحا لا استطيع له شرحا وغلى الوجد غليا لا يرده صبر ولا يسعه صدر

تشدو كم فى الارض فارأمالها * وصدق اذا ما قيل تملى وتكتب
وماهى فى التحقيق راوية وكم * لها خبر فى الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفى وقت لها يتجنب
وتبلغ منها اللحياض حقيقة * ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها اربع لكن بساق رأيتها * على السعى فى الاحياء بالنفع تدأب
وما نال اثما فى تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وشم فيها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وترضع احيانا وما خان رضعها * وكم من فتى فى حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تعجب
وكم من خليع شمته اذ تعنقت * يمد اليها الراح لهوا ويطرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وصحفها يا جبهة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد فى الافلاك عالية لها * ويألفها بعض الجوارى ويصحب
ويا من لرق الفضل اصبح مالكا * فمالى الا نحو علياه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا فى قربة السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين فى القربة فنسيج وحده وما ذاك الا انه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا ولم يسبكه فى غير قوالب التورية وقد ذكرنى لغزه ألغازا ألغزته فى قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشدنى بعض المخاديم وهو المقر المرحومى الشهابى الدنيسرى لغزا فى قصب السكر ايضا وهو

وحاملة درا حكى الجمر لذة * ونشرا يروى شربه و يقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فمهجتها فى اثر ذاك تفوت
فلم ترعينى مرضعا فى مثالها * من الخلق تفنى درها وتموت

وقال بعد الانشاد ولا اعلم فى هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز فى يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهى داخلة الصدر
ممشقة هيفاء حلو مذاقها * بها يطرح الران فى المهمه القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلا * اذا ما تثنت فى غلائلها الخضر

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار
حيا الله طلعة الشيخ وبارك فى مقدمه بركة نعمة من فرقه الى قدمه ووصل له الخيرات بهذه السفرة حتى تسفر له عن كل محبوب وقد أصحت السماء قليلا وصفا الجو يسيرا والحمد لله كثيرا فليجعل اهتمامه امامه وابعد اعتزامه قدامه وليفرج بين الخطا حتى يشفى علة ويجلو ظلمة ويبدل ويؤنس وحشة وهو بذلك يستوجب شكرا

(وله اليه ايضا)

ولو أن ما اودعته من محبة اودعه الجبلان لالتبسا التباسا يجعل رأسيهما راسا واساسيهما اساسا وانى لاذكره يقظان فاتصور مثاله واحلم به نائما واواصل خياله وله على كل خطراتى

بلا قبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من أليم الجوى يبرى
وان سقيت ماسقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وينبت حلو الثغر حلو نباتها * فيرشف أربابا فا الذ من الخمر
وان لمت فى ثغرها ونبلجت * دع ابن جلا يقرع ثناياه فى الثغر
على عودها كم للرباب مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبيبت به * أولوا الذوق تشبيبا شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فنجزم ما للفارسى من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أصابت جائزلك يا مقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان افرغت فى قوالب * يقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من ههنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه معها يرى * كبيرا وكم قد أوردته الظى الجمر
فيا من حلا ذوقا وحل بدائعى * وفى عقد الالغاز بانافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد اشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يا بحر قد أتت * فلا تنهروها فهى فى حيرة البحر
سعت من ابى بكر لاحمد خدمة * واحمد من أولى الورى بابى بكر
فلا زلت فى حل وظعن مؤملا * لكل غريب جاحتى من الشعر

قلت وبعد قصب السكر يحلو أن نورد هنا شيأ ما الغزوة فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العاليه الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدمامينى وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع ممعت الخير أمرا محكما * يمضى على الالغاز جمعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا اصله * أكرم به اغزا روقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا ولا جنحة ولست اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض الجماعة امه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يا فاضلا نثر الحماسن نظمه * وللغزه قد ذل عجزا خصمه
وتطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لأعراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حلبته * بنفيس در صح فينا يتمه
فاذا اضفت القلب منه لاصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهوان * اعربت لمن ليس يجهل حكمه

رقيب وعلى كل نظرانى حسيب ولا يقدح فى الحال بيننا أن يتأخر كتاب متوقع انما وجب ذلك عذر الوقع كما لنا العام الى اثبت هذه الاسطر وانصفى راحل وابلى مقيمة وكتبتها والاحمال تشد والعلوفات تعد والخيز تؤكف والمكارى يزاف والدواب تسرج والجمال تقدم والجمال يشتم وفى اثناء هذه الاحوال تضل الآراء وانا ان شاء الله وارد غزنة وراجع عنها الى هراة فكتاب الشيخ بما يجدده الله من حال ويقربه من منال ويفيضه من جاه ومال ويلقنه من أمانى وآمال ويحسنه الى من دار ومآل وما ذلك

قد كانت الاذهان منه خلية * فحوت به شهد الذي داطعمه

ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه

ورأى بعين لغزك الحلو الجلى * حلو المذاق فحار فيه فهمه

واعاده بعلى امير النحل اذ * اضحى عليا فى الفصاحة نظمه

فاصفح بفضلك عن جواب سائل * ياطالعا فى خير افق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو ايضا ان نورد هنا ما الغزه مولانا المقر المرحومى القاضى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى فى سكر نبات وكتب به الى وهو

ياقاضى الادب احكم لى فذا ادبى * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين

واقبل شهادة ما اهديته زمن * تصحيف معكوسه ثان بتركيب

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل الغازا اشد الحلاوة فى قطر وهو

اهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فانحل منه حل فى قلبى بتمكين

وفزت منه بشكر فى مصحفه * وجاء منه بثان قلت يكفينى

تصحيف معكوسه من غير تركيبه * وحكمه ثابت عندى بتبيين

حماة منبته لكن بمصر له * مزية تزدرى نبت الرياحين

فحل منه انا الغزا مجانسه * يحل احشاء رضينا فيرضينى

يرادف اسم رباب فهو يطربنى * هذا وتصحيفه فى العيد يأتينى

حلو رقيق بلا حشو لذا تقه * لان قطر النبات عنه يغنينى

فلا برحت برغم الكسر تجبرنى * وكلما مر لى عيش تحليني

قلت وعلى ذكر القطر يحلو ان نورد هنا شيأ من بديع ما الغزوه فى الكنافة والقطائف فمن ذلك ما الغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى فى النوعين وهو قوله

هذان لغزان قد حلا ببابك يا * قاضى العروبة ماهذان خصمان

اسمان كل خماسى اذا كتبت * حروفه فهما الاشك حرفان

تباينا فى الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما فى الاصل مثلان

هما الى الصين منسوب مقرهما * ان احضرا فى مكان بين اخوان

لذا كنى وهو بين الناس ليس له * من كنية ما انتحى فى ذلك اثنان

فى البر بانى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر لقى خمسه الثانى

نبت ارى النار قد ابدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران

يحيا اذا ماسقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان

ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كثافة منه فاستره بكتمان

هذا وكم من بدور منه قد طلعت * فى آخر الشهر لم تمحق بنقصان

قد خط فجر أبيض عجل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى

واللغز الآخر فى اسم ذات ألسنة * لم يبد منها لنا بالنطق حرفان

يا حسنها ألسنا اضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل انسان

على الله بعزيز وقد طالت مراجعات الشيخ فى حديث ابى طالب جعلنى الله فداه وابو طالب جلدة بين العين والانف ولا يمس بعدى الامن باكثرها فانه قرة عينى وبصرى وسمعى ولسانى ويدى وامس يومى وذخيرة غدى وفلذ كبدى وقطعة من جسدى والزيادة على التمام فضول وليس بعد الغاية سول فان رأى الشيخ وأبت الكريمة عنده الاتراد فشرط ذلك أن يبعد شأوه فى العلم ويرسخ قدمه فى الدين ويتحامى من اخلاق الشيخ تعاطى الشرب ويقتدى به فى سائر أخلاق الفضل ويزورنى لاخبره عاما

بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيها قيل ضدان
كم سكرت فتحنا بالدخول بها * أبو ابها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع اهل العقد كلهم * والحل منهما عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة اخماس لها وجدا * شيأ يجىء بايضاح وتبيان
وماذ كرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكراسمها من غير بهتان
وخمسها جيل الركن بقيتها * فى مكة يرتجى فوز ابغفران
ما مل راو من القالى أماليه * عنها وما خاطر التالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم طل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا و يوصف مع هذا باتقان
بالحل أنم فى القطر المواطئ من * اقدام سعيك من ار واعظم آن

وكتب مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى رحمه الله الى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني رحمه الله ملغزا فى لوزنيج واجاد الى الغاية وهو

يامن له فى علوم النظم أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمها ائتلف * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه انظر يا ردفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحله المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغاية والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حلت لغزك اذ أبهمته فاذا * يا فانى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه ان وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مأمونا

والله تعالى يمن على أنوامنا كريه بما هو اشهى من اللوزنيج وأحلى * ويحلى اعناق المتادبين من كلمه بما هو انفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه ايضا الغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحومى الامينى المتقدم ذكره وهو هذا

كتبت واعذارى اليك تقرر * وظنى بها يا كاتب السر يجهر
اتتك بابيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر
وحليت اهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فها ليك الآن يعقد خنصر
وما انت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحسر
فما كلمة افديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عراها تغير

فان بعثت الكريمة فجمع الله بينها و بينى وأقربها عينى أعظمت قدرها ونفذت امرها وأفردت بكل مراد عينها ووصلت أبا طالب رحمه الله واستعنت بالله على ما أنويه فيه

(وله ايضا)

ورد العام من هراة ابو فلان وهو منى بمنزلة السمع والبصر والشيخ يعرض عليه نفسه ذاهبا وجائيا ويصلح شؤنه عائدا وباديا ويرد من بوشنج فلان وهو أخو الرئيس بها فاحسن خدمته متحققا بين يديه عارضا نفسه عليه والحاكم ابو عثمان وهو لى بمنزلة الام فليخصه من العناية بالاهم ويرد من بيته فلان وهو من صدور خراسان وكبرائهم والشيخ يحسن خدمته فيما وجد اليه سبيلا ويرد من بلخ رلى نعمتى ابو جعفر وهو ابن الشيخ الجليل ابى

ويحفظها ذو السر وهي التي وشت * وذلك من عاداتها اليس ينكر
وما مسها الا وجادت بنفسها * وصحف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر
مؤنثة كم ذكرتنا بلونها * عهود الصبا والشيء بالشيء يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسائل * بالذبه في الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت ايها الجهال بالحي تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر
لقد أحكمت والنسخ ما زال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهي الاذات متربة غدت * وكم ذي غنى عن قصدها اليس يفتر
واسنا نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانتم بحل اللغز باخبر منتم * فانت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الاقلام تسمى اشكركم * على رأسها طول المدى لا تقصر

فكتب المقر المرحومي الاميني الجواب بعد أيام وهو قوله

وواقع أقلام اهل الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده * فيا حبذا الاسكندري المحرر
تشق على الافهام نفقة تأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ منوعة الذرا * حماها من العلياء لا يتسور
تشير الى الحبلى التي عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشي ويعثر
وأما اذا اعتمر السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما رآه في المنام يعبر
تطاول سمر الخط الى تشامخت * سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بني الآداب تأتي بتوأم * تقسم بها بين الانام وتعمر
فاكرم بعاقد ولدته وانشأت * وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجيبة وجهي ان بلت ووجهها * تجاهي وجاهي عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأني استقالت فهي في ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلي فهو حظ موفر
بعدحكم الاقلام يضحك سنها * بحق وأفواه الدواة تقطر

ويعجبني من الالغاز في التورية قول شهاب الدين الغزاوي في قوس وهو

ما عجوز كبيرة بلغت سناطو بلا وتنقيها الرجال

العباس فليؤثم سدته وليغتنم خدمته وأوصيت به خيرا واستوصي خيرا وان عرض له بالري عارض شغل تولاه هذا الشيخ وبلغ مراده منه ويكفي من الخدمة قدر الطاقة فلا يحمل على نفسه كعادتها في الاعوام قبلها ويرد ابو فلان وهو العالم الفرد والكوكب الفذ ويصل معه ان شاء الله ما خدمت به سيدنا الشيخ فوصلت به اباطالب فليعن بخدمته فضل عنايته وسلام عليه وعلى من تشمله جملته وتضمه قبيلته من صغير وكبير وله أيده الله فيما يؤنسني به من كتبه ويعرفنيه من سائر أخباره رأيه الموفق ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

أنا منذ أسعدني الله بما اساومه من الايام واقترحه

واهلها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما أعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى كمون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتى فى ورق وهو

وشئ بلا جرم يطلب تارة * ويقطع حينا فى حضور واسفار
ومن قدم قد بيض الله وجهه * على انه ما انفك يوما عن القار (ى)

ومن لطائف الشيخ شمس الدين ابن الصاحب فى هذا الباب قوله فى سهم

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض لكنه فى لحظة * محصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا فى قلم

مولاى ما اسم لناحل دنف * وما به علة ولا سقم
انسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا فى على

امولاى ما اسم جلى ادا * تعوض عن حرفه الاول
لك الوصف من شخصه سالما * وان قلت عينه فهو لى

ويعجبنى فى هذا الباب قول ابن المرجانى ملغزا فى مشط وهو

يا اماما أتى بحل لغز * شط منه مزار أهل الذكاء
اهمل الثاث باعتناء وقاب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبنى قول الشيخ صلاح الدين ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه
خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

ويعجبنى الغاز ابن منقذ فى الضرس وهو

وصاحب لا امل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التى لم تدرك فى هذا الباب قول القاضى صدر الدين بن الآدمى رحمه الله ملغزا فى كشتوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا * ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

واستظرف قول بعض موالى ملغزا فى بدرة

محبوبتى وجهها يغنى عن المقباس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس
ان تعكسوا وتجدوا ضدين فى الاجناس * هذا نور وهذا يقبل الايناس

وسألنى جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصرية ان انظم لهم لغزا فى كرمة واطلق لهم عنان القلم فى ذلك فقلت

على الزمان من لقاء الشيخ وجاءت البشارات بقدمه وشكا اعذ الانفاس واستخبر الناس واشكر اعقاب الايام واستبطئ سرى الليالى فأهلا بالقادم ومرحبا بالوارد والعيش البارد والظل الدائم والانس الكامل والروح الواصل ويا شوقاه متى اراه وحتام ذكراه سهل الله جمعنا واياه خير المواهب أدام الله عز الشيخ ما شابه بعض الاذى لكون مصروفة لعين الكمال ولولا اختلاف السيوف والتقاء الجموع واضطراب الجيوش واختلال الامور وفساد الطريق وتداول الملوك وما يتبع هذه الاحوال من الاهوال لاستقبلته بنفسى مائة فرسخ ويا حبا بى مثله لكن العوائق ظاهرة فلا يحملن ذلك على جهل بمقدار

آخبرونى عن فاصل باصول * وفروع بسموعلى كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنونى * تحته ان أتانى الموت عاجل
كم اناقد مدكنا نديا * صبر العيش أخضرا فى المنازل
نقط الطل فوقه ونصته * عند توقيعها به وهو عاطل
ما تبدى انما بعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكره أحرف الكل تبدى * كرما والندى من الكف هاطل
أوتؤنثه يقبل الهاء فى الحا * ل ومن بعد ذا يرى وهو حامل
ويقال شطره لمن عابه مه * لانهم بالعكس عندى حاصل
هو حلو وفيه مرك يبدو * عند تحريف عكسه المتمائل
وبلا أول يرى فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر حاصل
وهو خشب مسندات ولكن * حاز مجلا يدور رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمى * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالى * فرحا راح ساربا فى المقاصل
فتراه يوما عقود بلخش * نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان * مالها غير ثغر حبى مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدرالحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغنى علينا * أعجمى به تهيج البلابل
للتمنيه فواكه وشراب * كل غض البك تلقاه واصل
وحلا وانه بها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حامل
وترى وصله بمصر قليلا * وهو بالشام لايزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فى نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فى المخيم بالغو * ر رأيناك فيه اصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد اتى مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل
واقم تحت ظله فهو فائز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز فى الحل والعقد غنيا اذا اتى اللغز سائل

قلت ومما الحقوه بالالغاز ما حكى عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاؤا اليه بغلامين غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من ابوك فقال

انا بن الذى لاينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

نعمة الله فى اقرانه ولا يستوحش انا أخرى عن استقباله ان الامر على ما وصفت ولا آمن ان خرجت عنا نطرق بسوء أو يدا تمتد بشر فيضيق لذلك قلبه فاذا ورد ان شاء الله ورد على الاسماع والابصار ومشى على العروق والهام ووصل الى الفؤاد وتمشش فى العظام وحظيت به الصدور حظوة البلد القفر بصائب القطر ووردت كتب فلان مشحونة بشكره مملوأة من الثناء عليه فازددت لها اقامة وزدت بها قيمة وشكرت الله تعالى على ما وفق له الشيخ من التصنف بين يديه والتقرب اليه ووردت الكتب بخط فلان وقد كنت اخللت بحديثه فى الكتاب اليه سهوا وغلطا ثم اعتمدت ذكاء الشيخ

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم في عينه وقال هذا ابوه من بيت كبير وقال الآخر من ابوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالي ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان في المجلس رجل نبيه فقال للوالي الشاب الاول كان ابوه فوالا والثاني كان ابوه حجاما فاعجب الوالي منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان ابي

وبيت الشيخ صفي الدين على الالغاز في بديعيته

حران ينقع حر الكر غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمي

الشيخ صفي الدين ألغز هنا في السيف فانه يروى في حر الكر بالدماء واذا دخل القراب الذي كنى به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ان المنافق لغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله له لم يأت في بيته بغير الجناس المقلوب في لغز وزغل واما التعمية بالارزة الرزم فقاسات ما المراد منهما حتى نظرت في شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزة شجرة الصنوبر فما ازددت في التعمية غير تعمية وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكم ألغزوه حلا لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر ان احسن التعمية في اللغز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة في بابها وهذا البيت ايضا بديع في هذا الباب فان اللغز في الرمح والتورية في لسن لان لسان الرمح لسان القائل في التورية للتكليم وفي التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح واما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فمحاسنها لا تخفى على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقد باختراع سالم الف * يبدو بتربه من رأس كل كمي)

هذا النوع اعني سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة في وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تأمله المتأدب وتخيله في فكره يجده غريبا في بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التي اعاد الضمير اليها في قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من

وفطنته في الامور فكان كما ظننت ووردت كتب السادة من الحجاج بمثل ما ورد به كتاب فلان وأجبت عن كل كتاب ورد وأرجوه وصل ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

ولما انا امتزلا طلة الندى انيقا وبستانا من النور حاليا اجد لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا اليوم طلق والهواء رطب والماء عذب والمكان رحب والسماء مصحية والريح رخاء فاين سيدي أبو الفتح اشهد ما اليوم جميلا ولا الهواء طيبا ولا الماء يبرد غليلا ولا أنسم ما الروض الانقيلا ولا الانس الا دخيلا ولا الزمان الا بخيلا واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(سلامة الاختراع)

الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل أجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع
اليد والتقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انتهى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه
قرن الخشف

يزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين
يبسطها الخباز

لم انس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وأجمعوا على ان قول ابى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حلفت وفاء ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت اما ابو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه
الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تأخر
عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى
وخفت أن يقع اختيارى على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تبحر فى
اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فأضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى نظمى
من سلامة الاختراع التى لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر غيرى عليها فمن ذلك قولى من
قصيدة رائية

وحمرة الخد أبدت خط عارضه * نفحات كأس مدام وهو مشهود
ومذ بدت نسمات الثغر باردة * بدا باغضاء ذاك الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء لحظها * وهدب اجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محابره سود العيون فان * دنت أياديه فهى الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت ذات ثوب خز منمنم

ومنه قولى فى وصف حمام من قصيدة طائية

ينظم بالشطين درغمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط
وقدمد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

والبس الشوق الى مولاى
بشوق انما هو وقع السهام
ولا الصبر عن لقياه
بصبر انما هو كأس
الحمام وما للاسم سلطان
هذا الهم ولا للخمر طغيان
هذا الامر ولو شاء الله لاجتمع
الشمل ولا تصل الحبل
ولكن الله يفعل ما يريد
ورد كتابه مع فلان
اطفا جمره ظريناطبه
مليحا شكله بارا عنوانه
سارا صدره حسنا
خطه سديدا معناه وانظه
ونهمت موده وحمدت
الله تعالى على ما خصنى من
سلامته وسألته المزيد له
من فضله فاما ما شكاه من
تأخر كتبى عنه فعلت ان
سيدنا الشيخ تذخر عنده
فصولى ولا علمت أن
مولاى يعتد بكتبى ولا
أنه يعاتب فى قصورها عنه
وظننت الفصل بلاغا وله
العتبى من بعد وأما

لو بنا خلا خيل النواعير فالتوت * وأبدت انادوراً على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى

وعاص رحيب الصدر قد خرطانعا * ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقلت من قصيدة أخرى

وهزت فيه كل عود أراكة * أضحى بها نيلك الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم اسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدائح المؤيدية

فرج على المجون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زمانه فى وقعة * يامن بأحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا مددت يراع رمحك ماله * الا القلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الا الجماجم من قتلك محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح منطوب

بالصدغ أبدى شطبة * من شكله محوط

سألته عن أمرها * فقال زاد الغلط

قلت بدا لى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذا غلط

ولى من قصيدة بديعية مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيد

الف القد مدها لى بهمزه * وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة ثانية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مدها من فوقه تتكوف

ولعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدراً وافياً بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ما نطقت بالنسبة الى على على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام الواردة قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

ما وصف من حال الشوق وبرحه فانا فى غنى عن شرحه لما انطوى عليه ولا عجب ان يتطرقه وقد توسطنى وان يكده وقد هدنى والقلبان بحمد الله قلب والروحان على ذلك الب ووصل ما يخفى به من الاثن والرسم فى مثلها ان ترد الى الوطن وتنقل الى الأمن وابت الذى هنا هنالك على انه حسن موقعه ولطف مورده فليكن ما يصلنى به من تلك الديار طيب الجبن ومبرز لزبيب وفائق الزعفران وما يقرب من هذا الباب فاما انواع الثياب فالكلفة فى هذا انه ظاهر والله لا يحب المتكلفين ولو أقام ابو فلان الى شهر لافردت لكل واحد من ولدى ابى طالب وابى فلان خلعة بمال وسامة مال وتذكرة حال ولكنه اقام عشر

كادت حوافرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاحجال لرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفتيه وكانه يقول ان هذه الفرس لسرعة جريانها
اتصلت احجالها الى شفتها فتشابها فى البياض والعميان ماناظموا هذا النوع فى بديعياتهم
وبيت الشيخ عزالدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علاهم سمى * اسمى وفعلى كحرف عندربهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو
معدود من حروف الجرات لو الحق الشيخ عزالدين ماقاله هنا بالالغاز لكان أقرب وأليق
فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح
بقولى

وكلما ألغزوه حله لسن * مذطال تقدمه ازرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا بعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز
وهو

وقده باختراع سالم ألف * يدوبتروبه من رأس كل كمى

تقدم قولى أنه كان عن لى ان أوردهنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة
مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الا الخيفة ممن تبحر على فى المطالعة فيورد ما أثبت من المعنى
المخترع لزيد انه مسبوق اليه من عمرو فاردت ان اخلص من هذا الاعتراض واورد هنا نبذة من
مخترعات ابن حجاج فانه منوال مانسج عليه غيره * وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن
نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج * وأما أشعار ابى عبدالله
الحسين بن حجاج فانه امة غريبة تبعث وحدها وذرية تبلغ باتقان الله ورشدها فمن ذلك
قوله

يادية الصفع صبى * على قفا المتنبى
وأنت ياريح بطنى * على عذاريه هبى
ويا قفاه تقدم * واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك ألفا * فلا تقول حسبى
وقد تعشقت معنى * طرطورك التعبى
بالحية هى عين جهل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى * فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله

كأنما باب سورمصرها * عنقود كرم مزبب العنب
كأنما الاير فوق عصعصها * راكب حمارة على قتب

ومنه قوله

جارية قد سطت فيشتى * بوهج حمى سرمها الصاب

ليال واقمنى فيها ثلاث
مرات اقها خيال فاصحبته
مقتضى مقامه وموجب
ايامه وهو الطل يتبعه
الوابل والموعد ان شاء
الله القابل أردت أن اختم
هذا الفصل بطى الكتاب
ثم انت جاشية الصدر
وغات حامية الصبر
فسأنفث قليلا ان لم ابث
طويلا ماظننت النأى
ينأى والدا عن ولده حتى
يقطع رحمه وينسى اسمه
الا اتفاقا والله المستعان
انا واثق من مولاى بجميل
الحصانة وكريم الرعية
وانما يشتمل ستره على شقة
من قلبى وقطعة من كبدى
وجزء من روحى ولعمرى
ما الوديعة عنده بضيعة
ولا الامانة عنده بعضلة
وكل ستر فعداه ستره وكل
صهر فداه صهره وانما
هو طيب المولد وكرم المحتد

أخذت فى الليل مجرى استها السعامى وقد نامت الى جانبى
أوجب اخراج دم فاسد * من عين قبفال استها الضارب
ابظرها الاسود دينة * تصلح للقاضى أبى السائب
خطبت بالامس عليها استها * فأنعمت للخاطب الراغب
وبات ايرى رافضى الخصى * يعطى قفا بمرها الناصب

وقال أيضا

قوموا افتحوا ابواب سرمها ولجوا * فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين استها لرؤيتكم * بالليل فوق الفراش تختلج
ان لم يسكم رعصعصها * فثم بالطول تحته ازج
* وفى استها خاتم للولبه * طوق محلى وفصه سبج
اذا الخصى صائح استها خريت * تحتى وبالبيض تعمل الهجج

وقال أيضا

بابى من تمكنت من فؤادى * فانا الدهر كله فى اجتهاد
قدها فى القيا من قوم يأجو * ج ولكن بظرها قوم عاد
وقفت لى فيستها من قعود * بوسة بردت غليل فؤادى
ولها شعرة ولا زبد البحر بياضا وعصعص كالاداد
وحراشفط العذارين الحى * فيه بعت النساك والعباد
بظرها فوقه كدبة الحا * كم يوم انحداره فى السواد
ماتوهمته وحقك الا * بعض أصحابنا بنى حماد
يوم حاملتها فلما أحست * فى خراها بمثل شرط الفصاد
جذبت لحيتى وقالت اياشيخ ترى أنت كافر بالمعاد
أنت ممن يبغى خلافا على الله وبسعى فى ارضه بالفساد
قلت كفى انا وجدنا على هذا * الور الآباء والاجداد
عرفينى وخبرينى متى كا * نت سيوف الخصى بلا أغماد

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

مولاى يدعوك شيخ لا وقار له * حتى القيامة سكران ومخمور
مافيه للشيب اكرام تزجره * عن الخمور ولا للسن توقير
يقول بالامرد الملهو قول عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير
وبالقناة التى تنورمدخلها * بعد العشا الشوى الخصيان مسجور
وبالعجوز التى فى أصل عثنلها * غدا تبعث الخاصى ينفخ الصور
زبال زرع استها يبقى بداليه * وبظرها واقف فى الزرع ناطور
الهاحراشفط قد شاب مفرقه * عليه بظرطويل فيه تدوير
كأنه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المحلوق طرطور

وصدق الفتوه ونصح المروه ونافع الحمية وناصح الامانة فالله يجزيه خيرا ولا يريه بما يليه سوأ برحمته ما يحزننى فصل من كتابه كالفصل الذى ابلغنى فيه سلام فلان وبشرنى بسلامته والله يسبغها عليه واعددت باهداء من سلامة الاخوة ولئن كان لابى فلان حرس الله روحه الشعب الاوسع من قلبى والنصيب الاوفر من نفسى فان لكل من سادتى لمكانا من كبدى مكينا وحصنا من قلبى حصينا ولسيدى ابى فلان من المحبة مايجعل الدنيا ارا وليت شعرى بمولاى ابى فلان كيف اقتصر على الفصل على انه كان بلاغا من الفضل ولو افرد كتابا لافردت جوابا وعليه من السلام مابرد شبابه طربا ووجدت فى فصله اثراعن مرضه فارتحت لحديثها وما عات حياتها حتى الآن والآن فاعات الاظفا ولا انحققها الارجاء فان كانت

هذا الاستطراد في البيت الاخير استطرد فيه الى أبي الطيب وهو في غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطوره في الابيات المتقدمة البائية ومن اختراعاته في هذا الباب قوله

أحب من الكس ثقيله * اذا كان في شفتيه لعس
ويعجبني منه انى اذا * تقرب آنفه بقمدتى عطس
وواسعة السرم تشكوا استها * اذا مسها الميل ضيق النفس
قناة الدرب استها حارس * يعلق من خصيتيه جرس

ويعجبني قوله من قصيدة

في استها دورة اذا نفضوها * جمعوا الى من تحتها كف ثبق
وهو ثبق بلانوى اسود اللو * ن اذا الكنه تحمض شدقي

(ذكر التفسير)

(وحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسر وامن بدور في دجى الظلم)

هذا النوع اعني التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره امافي البيت الآخر أو في بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله والتفسير يأتي بعد الشرط وماهو في معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدا الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا * فمن بديع التفسير الذي وقع في بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * اسد ومزن واقمار واجبال

فانه احسن الترتيب في عجز البيت كله وجعل المفسر في الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ماوقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق ماراعى حسن الترتيب في بيته فان عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لاينقص حسن الكلام البليغ الاترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والمجرور في باب التفسير قول شرف الدين القيرواني

لمختلفي الحاجات جمع ببابه * فهذا الفن وهذا الفن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدا قول ابن الرومي

اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا ابلغ ماوقع في التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة * ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب في المعتصم

في كنف من الحياة فأنشد الله مولاى لما أحسن اليها ووفر عليها وقضى من حقها مدة حياتها وسأبعث ان شاء الله اليها سدادا من نفقة ومدادا من معونة والى حين وصولها فمولاى خليفتي على تعهدها وحسن تفقدها ونعم الخليفة والوكيل ولولا ما منيت به من فساد هذه المداد ونصول هذه الدواة لاحببت ان اطيل ولكن شجو به قد أضجرني ورد هذا الامام همذان في جملة الحجاج ابو فلان وابو فلان فاما ابن أحمد قاضي هراة وامام خراسان فليحسن حقوقه له واختلافه اليه وتعرضه لحاجاته وأما ابو الفضل فمن افاضل هراة ومعدوديها في الجلالة فليقض حقه بالزيارة ذاهبا وعائدا ورأى الشيخ في مواصلتي بكتبه كل وقت وتصريفي على حاجاته موفق ان شاء الله

(التفسير)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبى والحجر
وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ما جاء فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع * فذكر سبحانه الجنس الاعلى اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل ما دب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم ما يمشى على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع وما يمشى بغير آلة اعجب مما يمشى بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما للمقصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فاتى بما يمشى على رجلين وهو الآدمى والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولما فى الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه من الكثافة الارضية وثلث بما يمشى على اربع لانه احسن الحيوان البهيمى واقواه فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المحاسن وهى صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال * وبيت صفى الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام ويستسقى سحاب الظلام ويهمى صيب الديم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

ذكر الامام وابنيه بفسره * على والحسنان آكرم بذكرهم

الشيخ عز الدين ما أفادنا فى التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه فى الشطر الاول من البيت الا بتفسيره من الشطر الثانى على الترتيب * وأما ذكر الامام على كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهم السلام فى بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله اعلم

(ذكر حسن الاتباع)

(ذكراه يطربهم والسيف يهمل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع اعنى حسن الاتباع هو ان يأتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التى توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم اما باختصار لفظه اوقصر وزن اوعذوبة لفظ اوتمكين قافية اوتتميم نقص اوتحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع أبى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(وله اليه ايضا)

مازلت اعرف الشيخ ظريف الجملة كريم الخلقة واسع العطن عذب المورد وما علمته يبلغ من الفضل فوق غايته ويسع من الجدا اكثر من قلته لقد قفلت فاوله الجاح والنواعليه ثناء لو رقى به الشباب لعاد سريعا اوصب على الفراق لانقلب شملا جميعا ومازلت معتدا بفضله واثقا بكريم فعله وانا اليوم به اكثر اعتضادا واقوى ظهرا وفؤادا وكتبت هذه الرقعة على حد نخوصى الى حضرة السلطان ولم اتسع فيه وسترد عليه ان شاء الله بقية ما فى الصدر ووصل ما انفذه وحسن موقعه فانما قرة العين وقوة الظهر ومسكة النفس ومنة الامل نجابة ولدى ابى طالب حرسه الله تعالى

(حسن الاتباع)

فنقل ابو نواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس فى بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة فى حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب اخت الحجاج واترابها وهو

وهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومى بقوله

ويلاه ان نظرت وان هى اعرضت * وقع السهام ونزعهن اليم

فان وقع السهام ونزعهن بعد ويلاه فى بيت ابن الرومى ترك بيت النميرى اطلالا بالية وقال ابو عبادة البحترى

اخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

واحسن ابو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقيه فى شريف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة امه بقوله

ان فاتنى بأبيه * لم يفتنى بامه * ورام شتمى ظالما * سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه احسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه عمل معنى عنترة الذى جاء به فى بيت تام من الكامل فى بيت من المجتث واتى بالمطابقة المعنوية فأما قوله سكت عن نصف شتمه ففيه من التأدب الدينى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجى منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجى اتباعه بقوله

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدو مقاتلى من جنتى

فلانفضن يدى يأسا منكم * نفض الانامل من تراب الميت

ويعجبنى هنا قول القائل

وقد نوبت له غيرما كنت عليه وسفرته الايام عن كل مراد فلم واظب الشيخ على تهذيبه وتأديبه والسلام عليه ولم يرد من الشيخ سيدنا كتاب فى هذه السنة ووالله ليفين بوعده وليلحقن بولده بل بعبده أولا قطعن مكاتبته ما عشت ومواصلته ما بقيت ولى فيما افعل اسوة بيوسف عليه السلام ثم ان قصدنى واصلا وحضرنى زائرا لاخدمنه خدمة يتحدث بها الركبان برا وبحرا وتسير بها الاخبار شرقا وغربا

(وله اليه ايضا)

وما اشبه نفسى ادام الله عز الشيخ فى هذه الاسفار الا بالخيال الطارق او بلمع البارق

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى

سد السداد فى عما يريبكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

واحسن زكى الدين بن ابى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت فما لسان ضرورتى * اعجى لكل مقصر عن منطقى

وقال سليك بن سلكة

وتبسم عن المى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب

كان على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل عابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال السموأل

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فاحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال

* أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع *

وقال الاسود بن يعفر

يسعى بها ذو تومتين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

واحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال

تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعناب

استوفى ابو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الواوا الدمشقى من ابى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله

وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء منتكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

أو الغلام الآبق أو الجواد السابق أو بهرب السارق أو السهم الخارق وانما هو الشد والترحال والخيل والبغال والحمر والجمال وبين المقيل والمبيت بون بعيد وبين المصبح والممسى نأى طويل وبين المضرب والمقصد طى المراحل بالبيد والشيخ يستقصر كتبى ويستبطئ رسلى ومابى اغفال ولكن امكان وقد استقرت بحمد الله القدم وكل وقت رسول قاصد وكتاب نافذ ان شاء الله والشيخ أبو فلان لا يزال يبلغنى يداغراء يرتهن بها شكرى ثم لا يلبث قدر ما اقتنى من منة حتى يتبعها اختها لاجرم انى استخير الله فى الكسل وله ايده الله من قلبى الحبة السوداء ومن صدرى شعب فارغ ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

نقل أبو هلال العسكرى فى الصناعتين عن الصولى انه قال حدثنى أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا فى حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر ابى تمام فقال دعبل كان يتبع معانى فيأخذها فقال له رجل فى مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ اسدى الى بشافع * اليه ويرجو الشكر منى لاحمق

فاخذه ابو تمام وقال

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل احسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما احسنت وان كان اخذه منك فقد أجاد فصار اولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام وقال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتى وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو مأخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانح * الى مسقط الافق من خنصر

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليه الا انه أتى بعكس المعنى ومما يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

* وخلا الذباب بها فليس ببارح *

فانه ما نوزع فى هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح ونفر زلال فى بيت سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الآثار بالا كم

بيت الشيخ صفى الدين ماخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف فى جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

والجزع حن اليه بعد فرقته * حسن اتباع اتلك الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه انه اتبع الفرزدق فى قوله فى مديح الامام زين العابدين على

مضى العيد اطال الله بقاء الشيخ الرئيس فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ولا فضلات القطر ولا لفظات الذكر واسمع الناس يقولون ان الشيخ الامام متبرد لى متوحش منى وأنا سليم نواحى القول والفعل والنية وانما أنا كالحية اضمن ان لا اسع ولا أضمن ان لا يفزع والسلام

(وله اليه أيضا)

الصدق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس حسن جميل والجنة معاده والكذب سيئ قبيح وأسوأ منه معاده ومن فسيح العار ونسيج الادبار ودواعى البوار وموحشات الدار وموجبات النار خلاف المرء قيل ان يتلف فاسمع اللهم ان كانت سنة احدى واثنتين اشتملتا على على يوم وليلة واحدة اخليت الشيخ الرئيس فيهما من ورود دعاء نهارا وورود دعاء ليلا فانا من حولك

ابن الحسين بن على عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى حق الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

ثم انى قلت بعده فى حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقنى اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت فى صغرى أترنم به وهو قوله

فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام

الشيخ شرف الدين قرر ان ذكر محبوبه يحلو ولو كان فى محل خصام من العذال وقولى أبلغ فى حق الصحابة رضى الله عنهم لان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من اجسامهم وأين الطرب فى هذا المقام من يحلو فى ذلك المقام وابن المخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التى ماعلى حسنها من مزيد قولى لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ما شان حسن السيوف وذهاب الانفس ماشان حسن اتباعهم للنبى صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية فى حسن الاتباع الذى هو المراد من تسمية النوع محاسنها لاتخفى على المنصفين من أهل الادب والله أعلم

(ذكر الموارده)

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

هذا النوع اعنى الموارده هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه فان كان أحدهما أقدم من الآخر واعلى رتبة فى النظم حكم له بالسبق والا فلكل منهما مانظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد فى معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتحمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافسا فى ذلك واحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده فى اى يوم نظم هذا البيت كان اليوم الذى نظماه فيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أو دونه فى بيت يخالف وزن البيت الاصلى وبيت الشيخ صفى الدين على الموارده قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

وبيت الشيخ صفى الدين ذكر فى شرحه أنه نظم بيتا من جملة ابيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر انه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيه فتحسبها * تودلو أصبحت اغلالا من أسرا

فاسقط البيت الذى له فلما تعددت عليه الانواع فى نظم البديعية ووصل الى الموارده الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما فى سلك شواهد بديعيته بحيث لاتخلو من هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

وقولك برى، وعلى مقتك والعتك جرى، وما اعتذر بهذا الى اصون الاطراف محفوظ الاسباب وان امر أصلاحى فى ناصيته ومعاشى فى ناحيته وبقائى فى عافيته لحقيق بالاكثر من صالح الدعاء ولو نالت اليد الثريا والذى أحب ان يعلمنى شكورا ويصورنى خاما ومالى نسويه الخراج وتهيئة الضياع انما انا المرء لايشفينى القيل ولايروينى النيل ولكن عبد تلك الاخلاق وفداء ذلك الحلم ولوان الذى خولتنيه سلبتنيه ماتقصته محبة واقسم لو رويت سيفك من دمى لاغتر بالود الصحيح مجرب واستغفر الله على افراط الشعر على انى له انم العبد

(وله اليه ايضا)

سئل بعض الفقهاء اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عن

(الموارده)

لبث المدائح تستوفى علاه ولو * توارد في مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه توارد هو وأبو الطيب المتنبي عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم ومن المواردة في بيت بديعيتي اني كنت مدحت عمر بغاء الافضلي الشهير بنطاش ورياحين الشبيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الادب وكان المشار اليه اذذاك كافل المملكة الحموية بقصيدة رائية سارت بديع محاسنها الركبان واحتوت على معان لم أسبق اليها وتمثلت في غصون نظمها بين يدي شيخي وهو مولانا قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي القضامي الحنفي رحمه الله وقد علق بخاطري منها أبيات فانشدته في ذلك الوقت ماعلق بخاطري وهو قولي منها

له مطالعة في الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا

ان راسل القوم انشا في رسائله * سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا

كتابه السيف والخطي له قلم * والرسل أسهم حتى توضح الخبرا

ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا

لانه بيديع الحسن اف لنا * شملا ولكن لارقاب العدا نثرا

وخط من فوق ألواح الصدور لهم * بابا من الخوف في احشائهم وقرا

وصار يكتب بالهندي ويعجم بالخطي * فعل شجاع قد قرا ودرى

تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * وبالتربية غصنا حاملا قمرا

ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

وصرت كلما انشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لي باعادته حتى انتهيت الى قولي

كأنما الهام أحداق اضربها * تهدو أسيافه في الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم الابيات التي قبله وقال أبو الطيب هو ابو عذرة هذا المعنى ولكن احسنت الاتباع بقولك اضربها مسهدة وبقولك في الشطر الثاني طيب كرى فان فيه زيادتين حسنتين فالتزمت له بيمين انني ماملكت ديوان المتنبي يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت في ذلك الوقت اطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة وديوان الشيخ صفي الدين الحلي فتعجب مولانا قاضي القضاة من ذلك وبالغ في الجبر والثناء ولكني اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت بديعيتي الى نوع المواردة الجأت الضرورة الى نظمه في سلك أنواعها * وبيت المتنبي الذي حصلت المواردة به قوله

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتي

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته في سيوفهم

والترشيح ايضا هنا ظاهر في قولي مسهدة والترشيح في تورية المواردة بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

(ذكر الايضاح)

لحم الذباب الميت فقال من اشتهاه حباطريا فيأكله هنيا مريا انا لا اعلم للسلطان في مالي حاجة ولا للشيخ الرئيس في خرقي نجعة وأبو فلان به مابي فلم لا يرحم شبابي والغلط الواقع في ابن أبي المقطار واحربا والملك اشكو الحرب اظن والله اجلي قد اقترب وبالله للموت في وقته خير من الحياة في غير وقتها اللهم توفني مسلما وألحقني بالصالحين رب العالمين

(وله اليه يعزيه عن بعض سرواته)

كتابي ولا اخلال بفرض الخدمة ولا رغبة عن مشاركة ولي النعمة ان مأتم قوم في الصدور اشد من مأتم آخرين في الدور ان المصيبة اشق من قوم ظاهر الجيوب ومن قوم باطن القلوب وللغابل

(الايضاح)

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم)
هذا النوع أعنى الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس فلا ينبههم من أول وهلة حتى يوضحه فى بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وماذاك الا انه يقتضى المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح فى الوصف الذى لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول أشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغنى النديم عن الخمر فأزال اللبس فى البيت الثانى وأوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفى الدين قوله

فادوا الشوازب كالاجبال حاملة * أمثالها ثبتة فى كل مصطدم

العميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

للخير والشر ايضاحا به فبذا * أمر وعن ذا نهى حب بصحبهم

والذى أقوله أن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح فى بيته غير الاشكال وبيت بديعيتى تقدم قولى قبله فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت فى المواردة

كأنما الهام أحداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

ثم انى قلت بعده فى الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة فى وصف الصحابة رضى الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التى هى فوق الوصف فلما قلت فى هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا فى كل معترك ظهر اللبس فأوضحته بقولى من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذى هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

(ذكر التفريع)

(ما العود ان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما باطرب من تفريع وصفهم)
هذا النوع أعنى التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفى بأحسن أوصافه المناسبة للمقام اما فى الحسن واما فى القبح

ابراهيم بالذبيح اسمعيل وجد بقعل الافاعيل وان لم يكن للتراب على الرأس نقع ولليدين على الارض وقع ولبكاء المنان القعود على هذا الموقف أبلغ فى الخدمة من القيام والسكوت عن هذا المصاب أفصح من الكلام حتى اقد يخف قوم وسفهت أحلام قال الفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه من دارم ذو حفيظة
لو أن المنايا أنسأته لياليا

فأثار هذا الشجن العجيب وأطار هذا اللفظ الغريب وطرب هذا التطريب ولم مع ذلك وعيب على أنه قال لم أنح عليه ولم أبعث البواكى وعزى المتنبى بالامس سيف الدولة عن بعض مستوراته فمدت فى هناته ورثى ابن الرومى أمه فنوقض بما نوقض

التفريع

ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بأفعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفي قد نفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك بأحسن من أخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ههنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقد يجيء الفرع والاصل في بيت واحد كقول أبي تمام

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظري من خدها الترب

ذكر في البيت الاول الاصل والفرع وكذلك في البيت الثاني فالاصل هو الاسم المنفي مع ما ذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلي من قصيد وهو

وما وجد اعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يحيي فهشت للسلام ورده
بأعظم من وجدي بموسى وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا لوده

ومن انشاء القاضي شهاب الدين محمود في هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد في بعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت في طلب الماء للغلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطي بوارك تدل على أن الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها اليه عيون متطلعة فلما اشارفت جنب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب بأكثر مني حسرة وتلهفا * وأعظم مني حرقة وتأسفا

وأغزر دمعا عند ما قيل لي الذي * كلفت به اضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضا والشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الاذواق وأوقع في القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات وألغيت أيضا ما اخترعه ابن أبي الاصبع رحمه الله وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وعورض بما عورض ثم سمعت من بعد انه أقيم المأتم وحضر العالم فخشيت أن أنسب الى الاخلال وما أردت غير الاجلال واقد جادات الزمان في غير هذا الموقف حتى وقف الجدال أنشدته

ما للزمان وصرفه لا ينثني * الا العلا ومنازل الاشراف

فأنشدني

لا تعتبن على الزمان وصرفه * ما دام يقنع منك بالاطراف

فقلت له

صرفان في أيام عام واحد * بافرط ما أخذت به الاقدار

فقال لي

هل تنقمون على الليالي حكمها * لا سيما نذرت به الاعمار

فألزمته قولي

هلا سوى الاغصان ان يك آخذا * والفرع ان يك لا محالة فاعلا

فانفصل بقوله

ان الاشاء اذا أصاب مشذبا * منه أغل زرا وأث أسافلا

ماروضة وشع الوسمى بردتها * يوما بأحسن من آثار سعيهم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

ما الدوح نفر بعه بالزهر متسق * نظما بأطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ما العود ان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما بأطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع الذى هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

(ذكر حسن النسق)

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم)

هذا النوع أعنى حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستهجنا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفردمنها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيروانى

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير ومنه قول أبى نواس

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق هنا الامرين بين فنين متضادين فى هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كانهما فن واحد وبيت الشيخ صفى الدين الحلى قوله

والذئب سلم والجنى أسلم والثعبان كلم والاموات فى الرحم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

فالضب أذهب والتوفيق سبب والتنسيق رتب فى تصديق حكمهم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولى

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم

(ذكر التعديد)

(تعديد فضلهم يبدى لسامعه * علما وذوقا وشوقا نذكرهم)

هذا النوع أعنى التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازى وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع أسماء منفردة على سياق واحد فان روعى فى ذلك ازدواج أومطابقة أو تجنيس أومقابلة فذلك الغاية فى حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع

حسن النسق

وربحت بقولى

الدهر أدهى نظيما كان منفردا

وفى الثريا فريدا لحسن مطرد

وقابل بقوله

ان يبق منفردا فالشمس منفرد

والسيف منفرد والليث منفرد

ولولم أهب الجبال وأخف الملال لقلت وقال أيد الله الشيخ الرئيس لوكان أحد دون أن يذكر بالله واحد فوق أن يذكر بالله لكنت وكان ولكنه بحمد الله ممن اذا ذكر بالله هضمته بينة العلم ولم تأخذه العزة بالاثم وأنا أذكره الله الذى خلقه من قبل ولم يك شيأ مذكورا ثم جعل جمرة العرب قبيلته ثم جعل أشرف تلك القبيلة فصيلته ثم اصطفاه من بينهم وفضله عليهم ثم جعل أبناء ملوك العجم خوله ثم أوطأ سادة العرب عقبه ان ينسى الكثير من نعم الله لقليل من بلاء

التعديد

ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الامثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

ياخاتم الرسل يامن علمه علم * والعدل والفضل والايفاء للذمم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين في بديعيته قوله

تعديداً وصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والجد والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديداً وصافهم يهدي لسامعه * علماً وذوقاً وشوقاً عند ذكرهم

(ذكر التعليل)

(نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن أمثلته الشعرية قول البحتري

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين في الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يدع علة للتيمم الا ماذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً حيث قال

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهراً وطيبا

فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف في استخراج علة مناسبة لاحرج عليه في ايرادها وقد تقدم المعلول على العلة في هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا انها فرحت * اذ ظللته فأبدت حسن مبتسم

وبيت

التعليل

الله لاتزيده النعمة الا شكرا والمصيبة الاصبرا أو يضيق بترادف هاتين المصيبتين ذرعا ويسوء بالله ظنا ان السعيد من ورث أولاده وقدم أحبابه وأنا أرجو أن يكون أولنا للدنيا اصابه وآخرنا الى الآخرة اجابه وان يوصل ما أوتي من نعمة في العاجل بخير منه في الآجل

(وله اليه أيضا)

نعم العون على عزة الشيخ الرئيس دينه الابيض الناصح واسلامه الصادق النافع لقد جمعت عوده في أمرين منكرين فوجدته طيب المكسر فوالله لاقوان مادام يسمع ولاد ندن ماوجدته ينتصح عسى الله ان يوفقني قائلا ويوفقه قابلا هذا الذي يستخرج فعله الاحداث لو سمى مال النثار أو مال الخوان أو اسما آخر غير مال الاحداث كانت الحاجة تدرك والدين وافر قوي

و بيت الشيخ عز الدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بأنه نال بعضا من ثنائهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في مصراع آخر قلت وهذا النوع أيضا من الانواع التي تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع أعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولي ان القوم كلما طالبوا الكثرة تغالوا في الرخيص والشروع في المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع أعني التعطف بقول أبي الطيب المتنبي

فساق الي العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحبه من لهم فخر اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى * أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي

تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيرا اليهم

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى أثره وفي الاصطلاح هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن كقول أبي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله

الى كم ترد الرسل فيما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فدحه بالشجاعة ايماء والغرض في رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

التعطف

والكفر صاغر في ولكان المراد ينفع والاسلام سالم والشيطان راغم انه ليس المسؤل لم أخذت كالمسؤل لم كفرت وسأضرب مثلا ومثالا لما قدمت انه قضى الله أن لا ربا فقالت قريش ضاق علينا العيش فأمروا أن يشتروا ويبيعوا فقالت طائفة ان الذي أمرنا به كالذي نهانا عنه فأنزل الله سبحانه تسخيفا لكلامها وتسفيها لاحلامها قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا صدق الله وكذب القياس وأمر الله فليطع الناس انه ليس بين الحرام الموبق والحلال الطيب الا نظر المسلم لنفسه وهل بين الجنة والنار الا الجواب من كلام أو مجاز من صدقة أو صيام وهل بين الزنا والنكاح الا ما بين الربا والبيع المباح قول معروف يفتح رضوان الله وحسن مآب وتهاون يثمر لعنة الله ودارا

الاستتباع

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله

الباذلوا النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنوا العرض صون الجار والحرم

وبيت العميان

تجرى دماء الاعادى من سيوفهم * مثل المواهب تجرى من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين

يستتبعون يذل العلم بذل ندى * ويحفظون المعالى حفظ عرضهم

وبيت بديعيتى

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانبه بذمهم)

هذا النوع أعنى الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعرى فى شرحه الذى سماه معجز أحمد عند نظره فى شعر أبى الطيب وهو قوله

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تطعمه المطابقة فى قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن فى ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعى وقيل ان هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبى العلاء ولا بعده فى سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبى نادرا قلت أنا تابع فى هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكى الدين ابن أبى الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال فان القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكى الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعرى وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم ما مر عليه فى هذا البيت اذ ليس فى البيت شئ أطاع الشاعر ولا شئ عصاه ودليل ذلك قول المعرى ان المتنبى أراد مستيقظا ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقا فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول فى هذا الوزن وهذا محال لان المتنبى لو أراد أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبى قصد أن يكون فى بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوى وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوى كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبى ترجيح المعانى على الالفاظ ولاسيما وبالعدول عن الطباق اللفظى حصل فى البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا أفضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبى الى ما ذكره المعرى لفاته هذا

الفضل

الطاعة والعصيان

لها سبعة أبواب وهراة اليوم بحمد الله مدينة السلام وخطة الاسلام ودار السنة ومدارها ونار الهداية ومنارها ولو فسد الملح لفسد اللحم ولو وهن الرأس لوهن الجسم وانما الشيخ الرئيس امامها وقوامها ولا يتم صلاحها حتى يتم صلاحه ولا ينم صباحها حتى ينم صباحه وكما نيط بسلام الرأس سلامة الجسد كذلك نيط بصلاح الرئيس صلاح البلد وكل يسئل عما يفعل وهو أيده الله يسئل عما فعلوا وقد سمع وعيد الله على الحدود وأخذ الله على اليهود فيما آتاهم من كتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم أخذ على هذه الامة من العهود أوثق مما أخذ على اليهود وان المسلم لمنشط الى الفسق مغترا بعفو الله متسعا فى حلم الله ولا ينشط الى الكفر انها الحالة التى لا تقنعها الحالة والقالة التى

الفصل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شئ ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله

لهم تهلل وجه بالحيا كما * مقصوره مستهل من اكفهم

فانه ذكر في شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فأطاعه الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه اهـ قلت والذي قرره الشيخ صفي الدين أيضا محال ولو قال

لهم تهلل وجه بالحياء كما * لنا الحيا مستهل من اكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة في الاذواق وخلا من العقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

أطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناواه اذ الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر في شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فأتى بلفظة ناوى فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذي قرره الشيخ عز الدين أيضا هنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجمع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراده من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجشم الانس والنعم التي زلزلت أركان بيته وأما قوله أطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذي هو المراد هنا وجل القصد ان عصيان الوزن في بيت أبي الطيب وبيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين محال وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

طاعاتهم نقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بعدهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم أراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوي والعصيان مانظموه في بديعيتهم والله أعلم

(ذكر المدح في معرض الذم)

(في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعني المدح في معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح كقولك لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

لا تسعها الافاق والمهواه التي لا يبلغها غير الله ولا تدركها رحمة الله عزمة من عزمات الله أبرمها في الكفار انهم من اصحاب النار ومعنى مال الاحداث اثمان الحدود وحدود الله لا تباع ورسوم الله لا تضاع فان قبل فالرشد أصاب والحق أجاب خار الله له الخيرة ووفقه لصالح القول والعمل

(وله اليه أيضا)

فعما لئن استرقني الشيخ الرئيس حديثا لقد استحقني قديما ولئن اشتراني طريفا لقد ملكني تليدا ولقد أجله الله بين أعاديه فلا تناله يد أحد بسوء ومنهم شقي وسعيد فالسعيد من أغناه وعقبه بعده والشقي من أغناه وحده فاذا استاذن ذو فضله للعود الى بلده لم يرض بما سلف من انعامه حتى يتبعه باضعافه ثم يأذن له في انصرافه فاذا وصل الى

المدح في معرض الذم

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن
ومنه أيضا قول الشاعر
ولا عيب فى هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم
وبيت الشيخ صفى الدين الحلى
لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم
وبيت العميان فى بديعيتهم
لا عيب فيهم سوى أن لا ترى لهم * ضيفا بجوع ولا جارا بهتضم
قلت بين قول الشيخ صفى الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم وبين قول العميان عن الضيف انه لا يجوع بون بعيد وبيت الشيخ عز الدين
فى معرض الذم ان رمت المديح فهم * لا عيب فيهم سوى الاعدام للنعم
وبيت بديعيتى
فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم

(ذكر البسط)

(هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش فى اكناف أرضهم)
هذا النوع أعنى البسط من مستخرجات ابن أبى الاصبع والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة كقول النبى صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة لفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى اذ تمامه لا يكون الا بذكر عامة المسلمين فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحترى فى الخيرى وهو المنثور الاصفر
قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقه
فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيرى فبسط اللفظ الذى لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما فى البسط من حسن ادماج الغزل فى الوصف بغير لفظ التشبيه ولا قرينة اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته
سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لا وان ولم
والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته
ذو بسط كف وخلق زانه خالق * أثنى عليه اله العرش بالعظم
وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين
هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش فى أكناف أرضهم

(ذكر الاتساع)

(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعانى اتساع فى عليهم)

البسط

الدرب فثم ناس معهم افراس وناس معهم لباس وناس معهم اكياس فاذا وصل الى المنزل الاول فهناك رجال معهم جمال ورجال معهم بغال واخرون معهم حمير واعبد يدفعها كبير يرى انه وقع تقصير وان ما حمل يسير واذا وصل الى المنزل الثانى فالجارية بنفيس من الاعلاق وألف خانى للانفاق وكثير من المعاذير اثناء الدنانير وهلم جرا الى آخر المملكة فى كل أرض يطؤها منحة تعانقه وهدية تلحقه هذه حال الظاعن فاحال المقاطر ثم ان الجود أيسر خصاله هلم الى الدين المتين فوالله لقد مضت ليلة الرقود ولم يشعر بمضيها وأتى النيروز ولم يحس باتيانه فأما المسكر وشربه والمنكر وقربه والعود وضربه والنرد ونصبه والشطرنج ولعبه فقد نزه الله هذه العتبة وطهر هذه الجنبة عنها وعمن يجالسها ويجانسها

الاتساع

هذا النوع أعنى الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل الفاظه من المعانى كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تأويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبى الاصبع وهو أنور الوجوه ومن ذلك فواتح السور التى اقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها اسماء للسور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لا عار بدنسهم * شم الانوف طوال الباع والامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعالى فى الصحابة كالـ * فاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالى اتساع فى عليهم

(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

*(جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم)*

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرره ويطابقه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع والذى تحرر عنده ان هذا النوع عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فخصلت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى اهابة الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فخصلت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر

وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا على وكر

حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الارض ايهما * قال المجيب هناك لا أدرى

برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى

أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

جمع المؤتلف والمختلف

ويلابسها ويمارسها وأما الملك وحراسته والامر وسياسته والدولة واقبالها فيكما عرف حالها وسارت أمثالها وأما البلدة فهى التى غيرتها الحراب والحروب وخربتها الخطاب والخطوب ولافصل البرق بما مضى من تهنئة القاضى بالنصر الذى اتاحه الله للمسلمين فقد علم اى حق حق وأى باطل زهق وأى خيل كشفت اى خيل بل اى نهار فضح اى ليل وأى قطر سيق الى اى قفر واى مغوثة ادركت اى لوثة وأى ماء أهدى الى ظمآن فيا نسمت الرياح توضح فالمقراة كما نسجت السمور به هراة فالحمد لله الذى أراح وسكن تلك الرياح واقتضى من السلطان الكبير من اذا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * سوى الاخا ونص الذكر والرحم

قلت الحلي اساء الادب في نظم هذا البيت وكان يجب ان يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال ان الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله هم هم في جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيرا الى هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في بيت الصفي غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

جمع لمؤتلف فيهم ومختلف * في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب ان لا يستشهد على هذا النوع بغيره فاني قلت فيه عن الصحابة رضي الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(ذكر التعريض)

*(تعريض مدح أبي بكر بقدمني * في سبق حلمهم مع موصليهم)*

هذا النوع أعني التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن ان يكني المتكلم بشيء عن اخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت ان تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للاخر لم تكن أمي زانية يعرض بان أمه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي فانه من الامثلة البديعة وليس في هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أتى ساجدا لله ساعته * ولم يكن ساجدا في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

تطويل تعريض شانئهم بعظمهم * والرفض أقبح شيء موجب الاضم

وبيتي الذي اطنبت في وصفه هو قولي بعد

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

تعريض مدح أبي بكر بقدمني * في سبق حلمهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

*(ثم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي)*

التعريض

اعتل قد واذا اعترض قط ومن الامير العادل من اذا شاء رفع واذا شاء حط هنيئا املاك الديار نيل الجبار ولكتب القاضي موقع من قلبي لطيف وشعب من نفسي فارغ فلم لا يسرني بها والسلام

(وله أيضا)

ليس الشوق الي يا سيدي بشرق انماهو النار تطيش ونظير والسم يسري ويسير وابيت أيادي بك عندي بأياد هذه في وادو تلك في واد وهن أطواق الحمام وقلائد الكنهن من العظام وليس تقصيري عنها بتقصير لكنه حياء من مقابلتها بغير كذبها وهيهات ليس التخلق في المكرمات بخلق وقد جاءت شيخي ابا فلان رسالة تمهني اليها حتى يأتيك كتابي

الترصيع

هذا النوع أعني الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أو مقابلة أو جناس كان ذلك زيادة حسنة ومن أمثلته الشعرية قول أبي فراس

وأفعالنا للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من مناف منافق * ويا ليلها كم من مواف موافق

والمبرز في هذا النوع هو الذي يخلي نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التي ليست من الترصيع بحيث لا يأتي في صدر بيته بلفظة الا ولها أخت تقابلها في العجز حتى في العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدي * ورحيق خمرة سيبه للمعتفي

فهذا البيت وقع الترصيع في جميع ألفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدي والمعتفي وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثاني كرر فيه ناظمه حرف النداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الترصيع قوله

من حاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفي الدين فاته في هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ما قررته في نظم هذا النوع وايضا فان الشيخ صفي الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى في بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب وناهيك ان العميان تبصروا له ونظموه في بديعيتهم وهو

فهجر ربعي لذاك الربع مغتنمي * ونثر جمعي لذاك الجمع معتصمي

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع في جميع ألفاظ البيت ولكن ذاك في مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فللنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

كم رصعوا كلما من در لفظهم * كم ابدعوا حكما في سر علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى في العروض والضرب ولكن كرر في بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفي والكمال لله وبيت بديعيتي أقول فيه بعد قولي في بيت التعريض

بهم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع في نظمه وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله

على اثرها وعلى ابي فلان سلام يصحبه شوق يضم الجوانح هضما ويبري الحشا وعظما ويا كاتي خضما وقضما وانفقه نثرا ونظما وانا في عهدة قصيدته الغراء واياديه الغر وكأن قد والسلام

وله الى صديق جواب كتاب ورد منه يذكر وصوله اليه يوم العيد

كتابي يا سيدي كتاب من لا همة له الا قربك ولا غاية له الا حديثك خرج عليك وحرام لا يحله الا الوفاء ان تقيم ساعة نظرك فيه او تعرج على شيء دون التأهب للخروج وحبذا العزم الذي نبهك الله له واسعدني به ومرحبا بيوم لقائك ويا شوقاه الى وجهك ولي بقربك عيدان ونعم الموعد العيد الا انه بعيد والمراحل أقل من الايام ولو تفضلت واختصرتها ويا اني ما ذكرت في كتابك من الارتياد لمبرك بادية والله اني استبعدك وأنت معي في ازار فكيف في دار

في بيته وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضا في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فاني قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة بأربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا في تسمية النوع الذي هو الترصيع واعمري انه اتوريه مارصع في العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

(ذكر السجع)

*(سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم)*

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أولا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة اقسام المطرف والموازي والمشطر والمرصع القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وكقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال ومن الامثلة الشعرية قول أبي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

الثاني الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ومنه قول الحريري في المقامات الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل * والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث المشطر وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه وقلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف انشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وامثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كنت شهدت كأنترا كبه في مهد يا طاسم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوقه الى ما ورد منه متزايدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على

السجع

وفي دار فكيف في جوار وهذه الحضرة من ضيق المنازل وعوزها وعزتها على غاية لا يمكن عليها مزيد ولا أعرف لك مسكنا تاوي به اوفق بك ولا أرفق بي من صدري ولا غرفة أولى بك وأخبأ لك من صدقي وما ضاقت دار لمتحابين وأنا في حجرة نعنا وفيها مربط للدواب واليها الهجرة وعليها النزول وأما الشيخ الذي وصفت حاله وتوسله بكتاب سيدي فلان فاهلا به على ان الوسيلة الاولى لا تقصر عن الثانية فليرد مستجيرا بالله متوكلا عليه والله المعين على مايخرج من عهدة وسيلته وهو حسبي ونعم الوكيل

(وله أيضا)

كتابي عن سلامة لولا ماينغصها من فراقك وعافية لو متعت بلقائك يكاد كتابك يرويني ان عطشت ويغذوني

الثانية فلا باس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة فى آخر القرائن مثاله فى القرينتين
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدّا فالثانية أطول من الاولى ومثاله فى الثلاثة قوله تعالى وأعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة مخالفة
لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول
الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم
فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابى يسافر رأيه
وهو لايبرح ويسير وهو ثاو لاينزح ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك
ومن فوائد الانشاء التى يطول بها باع المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات
الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس
المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك
الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده الا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك ما ابعد
ما فات وما أقرب ما هو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان تغير
لفظة الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد فمن ذلك
الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فيمال التى هى من
ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى
والضحى والليل اذا سجى اميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ما هى من ذوات الياء لاجل
الموافقة وكذلك والشمس وضحاها اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما هى من
ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما
قلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا
قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة ولو تتبع المتأمل
ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من
الهامة والسامه ومن كل عين لامه والاصل عين ملمة لانه من ألم ولكنه لاجل الموافقة
قيل لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات الاصل
موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا
الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف
ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا فى أحكام الفواصل
ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم
بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص
الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ فيقال لفظ فصيح
ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد

ما عشت لا اذكر معه
شغلا وان اهم وكانى
اتأمل من سطوره صفحات
صدرك واعلم ان مصدره
عن صدر زجاجى الطبع
باطنه كظاهره اما ماذكرته
من حديث اقامتى وظعنى
فالمقام ما اقام الشتاء
والظعن اذا ساعد القضاء
واما انصراف القوم الى
نيسابور فليس بصواب
انى ذا أحسست من الهواء
بطيب راحل نحوهم لامحالة
ان شاء الله واما ما وصفت
من انفاذ ما انفذت وابتياع
ما ابتعت فما زدتنى علما
بما عرفت انى اذا شككت
فى الشمس ضحوة نهار لم
اشك فى فضلك واما أبو
فلان فلو عرف ما يجرى له
فى هذه الديار لقر عينا ولو
نشط فأتم كان خيرا وأما
حديث أبى فلان فقد
اخبرته وذكران أصحاب
الجبال قبضوا اماله من

المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ * فمن الانشا الفصيح البليغ قول ابن عباد وقد قيل له ما أحسن السجع فقال ما خف على السمع فقيل مثل ماذا قال مثل هذا ومنه ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانتشوار بما تنجلى به هذه الغمره وتمحو هذه الكره فينصب السيل وتمحى آية الليل ومنه قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف احشائهم وسرى الوشل فى تفاريق اعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره ومنه قول الصابى نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه ومنه قول بديع الزمان كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومنه قول القاضى الفاضل رحمه الله ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وانملة اذا خضبها ايدى الاصيل كان الهلال لها قلامه ويجيئ فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية لا زال فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف ومثله فى الحسن قوله فى صدر مثال شريف سلطانى اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد اضرمت الحمية للدين نار غضبها وعذاها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها والجياد ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ما فيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه قلت ما أوردت كثيرا من الانشاء ههنا الا لان يطيب للمتأمل تنقله من شطوط البحور الى التنزه فى رياض المنثور فمن ذلك ما انشأته فى تقليد مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الشافعى بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب المعالى ورقيناه الى درجات الكمال علما ان الكمال ما خرج عن بيته العالى فانه المنشئ الذى ما للصاحب دخول الى ديوانه ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه ولا للشهاب محمود ان يباهى كماله فى طارفه وتالده ولا للقاضى الفاضل شرف البارزى وتمييزه ولو بالغ فى كثرة شهوده ما نثر فى كمام طرسه زهره الا وأرانا ذبول زهر المنثور ولا قرع أبواب المصطلح الا فتحت ودخل بيتها بغير دستور ولا تسنم منبر الاجياد بالفاظ كان مزاجها من تسنيم وقالت البلغاء للفصاحة المحمدية ما ثم الا الرضا والتسليم ومنه ما أنشأته فى تقليد ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالى عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى فانه من البيت الذى وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت وما خفى

المال فان رأى الصواب ان يخرج فالامر اليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

وصلت كتبك بما شرحته من حالك وقصصته من حديثك وقتا لو غشى ذات حمل لوضعت ويوما تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقد شاهدت نيسابور يوم غضب السلطان وتوظيفه على الديار ووجوه التجار مائتى ألف دينار كيف طارت العقول من ذلك الحديث وزاغت العيون وطاشت القلوب وحشرجت النفوس هذا ولم يتجاوز القول الى الفعل ولم يتعد الوعيد الى الايقاع فما ظنك بثلثمائة ألف دينار توجه وجوهها فى ثلاثة أيام ثم تحصل عن آخرها بتمام فلم يمكن عرض تلك الحال فى تلك الاهوال ولعمرى ما انت فيما تأتى

ان اماكم الاعظم أول من راعى حقوقه و بادر الى رفع مثاله وشرع فى رفع قواعده وتشييد
كماله واهم هذا الفرع الذى زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر وقد انبته الله نباتا حسنا
والنبات الحوى حسنه لا ينكر غاب نيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ما أبهاه
ولجأ الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله وسلكناه فى حياة والده فكان لشيختنا
الشريفة نعم المريد وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وها هو فى البيوت البارزية بيت القصيد
والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال وان كان الكمال زها بحاشيته
فحاشيتنا ازدهت بهذا الكمال وكان والده عقدا فرط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه
وقد نظمناه فى عقد سلكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه وامتدت ألسن الاقلام الى
ثغور المحابر فقبلتها وانشرحت صدور الاوراق وعاق فيها عنابر سطور رخملتها وقالت لمحر
أقلامه اهلا بالعربيات التى ليس لها الا الايدى الجهنية غرر ومرحبا بعهد النوبة بقهوة
الانشاء فان شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر وجاء الامام الذى ان كتب تقليدا
قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه
ومأمونه ورشيده ان تحمس فى انشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا أو استطرد
الى وصف روض ممرج زاد هرجا ومرجا أو ترسل غراميا فاحديقة زهير عند زهر منثوره
أو كتب عناقيد يدا سال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه استقطت مع الحصى عند خريره
فانه المنشئ الذى ما اعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه الا قال كل منشئ دخلت اصبع قلبى من
دواتى تحت رزه ولاحولة من دوح أقلامه فرعا الا تساقط بين الاوراق ثمرات شهيه فلو
ادركها الصاحب اقدمها وأخر الفواكه البدريه ولو ناسبه الفتح اقابله المؤمنون بالقتال
وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف اسجال فانه الامين
الذى ان تصرف فى ممر رتنا الشريفة فقد ثبت ان يوثق العرا لبيته العالى أو أملى فى
دواتنا الشريف كانت اماليه أمالى المحب لا أمالى القالى ولولا خشية الاطالة لا وردت
هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء لنسيج وحده * ومنه ما أنشأته عن
مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك الناصر
صاحب اليمن وهو لازال جناس مجده سعد الحركة بين اليمن واليمن وسيفه اليمانى لم يرض
بجانسة سيف ابن ذى يزن والامة باجد هاته أ بجنات عدن فى عدن ولا برحت صنائعه
بصنعاء محبرة حتى فى سطور الطروس وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها
شيب الرؤس وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم وبدور مودته سافرة فى
ليالى سطورها بين يدى التكميل والتتميم أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته
وكتب واثبت مقدمات الاخلاص فحكم له قاضى المحبة بالموجب وأودعناها من
السلام ما تعمه رحمة الله وبركاته ومن طيب الثناء ما يتأرج بين أدراج ذلك المندل الرطب
نفحاته ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن الختام
ومن بجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام وتبدى لعلمه ورود المثال
العالى بطيب تلك المعادن التى ودّ النسيم أن يقيدها ويقتبس ولقد رافقها الا كتاب

بجازم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سيد
الشهداء يوم القيامة حمزة
ابن عبد المطلب ورجل قام
الى أمير جائر فامره ونهاه
افتريد ان تكون سميم حمزة
فى الشهادة وقسيمه فى
السيادة وانت تألم الضرب
وتكره القيد وتعاف
الغل وتخاف الذل
وتعاشر الناس ويعجبك
ان تناط بك الآمال كلا
وان كنت مشفقا على
نفسك فقف عند مقدارك
انما ذلك لمن ودع اهله وخرج
من بيته مستعدا للموت
لشرب كأسه والسيف
بجده رأسه فان سلم فنادر
يؤرخ حديثه وان قتل
فشهيد تقسم مواريثه
وانما ترك الامر بالمعروف
لهذا الحروف والصواب
أن لا يطلب هذا الثواب
والجواب أن لا يغادر هذا
الباب انما ينبغى هذا الامر

اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها ونكاه بنفس فأكرم به مثالا أرانا خفر الملك على كل
قرينة لها من حجب البلاغة ستور وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور
وردصحف الصفاء صقيلة فتمثل فيها وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول
نجنيها وقدم من ذلك الحرم الاحمدي فكان أكرم وافد وبل منا بالاكرام وفتح أبواب
الدخول الى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام ولقد علنا بكاس انشائه وهو
بحضرتنا الشريفة دائر وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والفاضل لا ينسب
الا الى الناصر وتغزلنا في محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بحيرة العلم وراعنا تحمس
بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب سيف وقلم وود كل دوح أن يلاطروس او راقه
بريحان سطوره وتطفل كل روض أريض عندورود على زهر منثوره وقالت فصاحته
وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان هل يفتي انا بصدق المحبة فقال لهما القلب قضي الامر
الذي فيه تستفتيان فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين وهذه سلافة
انشاء دارت سلطانياتها فانتشت أهل الخافقين وهذا سحر صدقت عزائمه في العطف
والقبول بين الملكين وابطل هذا السحر الحلال ما حرم بابل من سحر الملكين واشتمل
على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما اعيانا كان البلاغة قالت لهما قد جاء سحولكما
سلطانا فياله من مثال تدرع زرد ميماته فقلنا الاطعن فيه لطاعن وتشرع طباق بديعه
فكانت على أكناف النيل من أثره مساكن وأطرب بانفاس علمنا أنها من يراع ما برح
بالسعادة موصولا وطاف في حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا
واقدأ كثر هذا المثال في كتابه المبين من ابناس الخطاب وقضت به الوحشة أجلها
فقلنا لكل أجل كتاب وهذا الجواب أيضا ولولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان الامين
ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم * ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك
المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو
فارس عبد العزيز رحمه الله وهو لازالت سيوف عزائمه في الجهاد ماضية الضرب ولا
برح جوده واقدامه متطابقين في السلم والحرب نخصه بسلام هو لنا والشوق بردوسلام
وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها الانهاء الى ذلك المقام وتحيات تنطق بها عند مواظبة
الخرس ألسنة الاقلام وثناء يقلد بخالص عقوده جيد الزمان ويهدي قلائد العقيان
ومحبة بقمر صدقها في ذلك الافق الغربي وبشمس وتزيل وحشة من سلا عن غيرها
في المغرب وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحجاج المغرب فبادرنا الى
قبول ذلك فان هذا قد تبرك من النجب السائرة به بالمبارك وقد اعددناه مصحوبا بالسلامة
وحداته تطرب بنغمة الحجاز به وتهيم اشتياقا عند تشبيبها بذكر الطلعة المتوكلية واعدنا
جواب ذلك على يد رسولكم الذي لم يقابل منا بغير القبول ليكون خالص ودنا مشتركا
بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالي الناصري
محمد بن أبي يزيد بن عثمان وهو لازالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم وسيره العثماني
محفوظا في بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص في كل بيت من معاني محبته تهيم وفروض

ان يصابر الجرو يولي الرمح
عرضا ويقول وعجلت
اليك رب لترضى ما أعرف
مقاما أخلق بالمنار وأقرب
من الثار والتراب المثار
من المقام الذي يتوهمه في
المرام الذي يرومه ولا يغرنك
منثور الخليفة وذكر
المسلمين في الصحيفة ان
كتاب الله حرم ذلك المنثور
وليس بين الاخماس والعشور
الا تقوية يد الآمر بالمعروف
واغاثة الملهوف وقد نبذوه
وراء ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلا وان كنت تريد
صلاح ذلك فانا أعبر رؤياك
ان الآمر بالمعروف اذا قصد
جاها بعرض اوما لا يكثر
اوصيتا يبعد وقتل دون
امره حبط عمله وخاب امله
وان أراد الآخرة وثاب
الى شأنه ما عددت ونبذا مما
ذكرت كتب في المشركين
وانا انشدك الله في نفسك
انها عليك عزيزة والبلد
حبيبة وفي مالك انك اخرجته
من لهوات الاسود وجمعته

الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى
عليه السلام وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة وألسن سيوفه بثغور بلادهم من
رشف أرياق دمائهم مبلولة ولا برح يجاهد فى سبيل الله برا ويتخذ فى البحر سبيله فانه من
الذى علا بمحمد مقامه وانسجم بالخلف العثمانى نظامه واقتدى بمشيختنا المؤيدية
والنجم فى هذا الاقتداء له شريك وساعدته تورية السعادة لما تمسك بقول من قال ولابد
من شيخ بريك ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبولة والمشاركة فى
القبول على ما يرضى الله ورسوله صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج
بطيب السلام عليه وتنسم نسمات القبول من أخبارها الطيبة ما ننقله اليه وحملناها
ثناء أطلقنا عنان كميت القلم وهو غرة فى جبهته وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها
الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض
نفسه ومحاسن صفاته وقال الفاضل الناصر هذا الانشاء الذى ما خرس لسان قلمه
ولا شابت لمة دواته) ونبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه
مختالا فى شعار الاخلاص فعلمنا انه عنوان العهد وميثاقه وقد اتحف من نبات الايناس
ما غرس باكناف النيل نخلا نباته ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته
فقطفنا زهرا المنثور من رياضه عند الورود وتفرلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين
العوارض والخدود وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس فعلمنا انه للملوك تذكرة
وتبصرنا فيما آدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصرة وقلنا هذه لمعة لو أدركها
السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قوية أو القاضى السعيد لقال ما سناء
الملك بجعة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد
ومن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها وتتجرد لقتال المشركين وقد تكنى لها النصر بابيه
فايد سلطانها واذا قدحت سيوف الدواتين فى عباب البحر على الكفار نارا قال لسان
النصر لاتذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن
ان يشنف به سمعه الكريم فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم)
وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب وأعطاهم المراكب وهى آلة
الظاعن الهارب فقد علمنا من عقبى الدار ومن سنة الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى
النار فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين ويعلم انه من المكرمين فى الدارين
وقد تلمظت ألسن سيوفنا شوقا لحلاوة نصره وتحركت عيدان رماحنا طربا بسماع ذكره
وفضت جوارح سهامنا ريش اجنحتها لاقتناص تلك الغربان وهامت فرساننا المؤيدية
الى منازل الاحباب لتريه من اعدائه مقاتل الفرسان فانه المجاهد الذى حظ بنى الاصفر
فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود وكم أذاقهم الموت الاحمر وكمال التدبيج بقول
أهلا بعيش أخضر يتجدد ونتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مبارك
ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعز الله انصارك فتقديمه العثمانى
من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر وهو اليوم امام المجاهدين الذى ماصلت سيوفه

على الايام البيض والليالى
السود ان تعرضه للتفريق
وفى اطفاء الك ان تدعهم على
قارعة الطريق ودار
سلطانك واقم حيطانك
واعرف زمانك واقطع
لسانك انه سبع بين فكيك
فاحذر ان ينم عليك فاما
شكرك للشيخ الامام
فشكرا لمجاوره مجاورة
النار للعود وملابسه
ملابسة الوجود للجود
ومقارنه مقارنة الوفاء للعهود
ومخالطه مخالطة الخدود
للاصداغ السود ومعاشره
معاشرة البدر للسعود
وانا اجاهد نفسى فاستنزلها
عن بلد جهها اجابة لك
واكان حضرته اجلها
الله واما شكرك لفلان
فشكر فضول انه ليس من
الدنيا وما يتعاطاه أهلها فى

فى محراب القتال الاقبال مرقى النصر الله اكبر والله يجريه على أجل العوائد من هذا النصر ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده عن مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو أعز الله أنصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لازالت زوراء العراق فى أيامه القويمة مستقيمة الجانبين وحلته الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين فلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الالدى وما كل

ولامية العجم تقول

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة الباس منه رقة الغزل

فاكرم بهما الامين داراعلى وبنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية وفتحت لها المياه أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية أصدرناها الى المقر وواجهه انفرد بالثناء بين أوراقها والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق واذا أطلقت من فض الختم خفقت اجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق وتبدى الكريم علمه وروود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل ورويته تنسف وهبت نسمات قبوله فاطفأت مافى القلوب من التاهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وتاملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى الودة وحام عليه صادى الاشواق فوجده منها قد اعذب الله فى مناهل اصفائه ورده وأومض البرق فى الظلمات من رقم سطوره فشاهدناه كانه نظم برده فهو مثال يوسفى ولكن ظهر لسر الداودى من فصل خطابه وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه والتمنت من كاس سطوره آرام الايناس فاقتنصنا منها ماهو عن العين شارد وائتلف القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الجسد فى حديد بارد وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد وهذه القصة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقر ان يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا ومرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ماغمضت عنه فى اجفانها وأنامل أسنتنا ماذكرت نوبته الاشرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا مابرحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل الغرض اليوسفى فى ان نخيم عليه وننزل سلطان قهرنا بارضه وتغرس فيها عوامل المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الالاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل بمجس العيدان فى كل خارج وقد آن سله لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيبا ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا ويدهمه من أبى النصر بناء حرب شرف فى اسباب

شئ وانما يقوم لله وبقعد لله ومايكاد مثله يصنع بكتاب مثلى وان ابيت الاذالك لم أرض الارضالك وأما فلان فما يخفى عنى فضله والخير الذى هو أهله وان لم يحظ بعضنا من بعض بعشرة ولم يجر رسمى بمفاتحة وقابل فى الواجب ان ابلغ مرادك فانتظر فى الجملة كتبى فانها تصل عن قريب وراءيك فى معرفة ما كتبته والمواظبة على العادة التى اجددتها منك وقراءة السلام على الاخوان موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

سيدى وجدت قلبا فارغا فتمكنت ومعقلا من صدرى فتحصنت فكيف ازعجك وقلبى حصارك ام كيف أغلبك وكلى انصارك

الوقائع جدهم ورد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى أمد تلا لهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع اسا كنها المجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت تلك الحصون الواقعة وان كانت المنايا غابت عنهم مدة كلمتهم السنة سيوفهم وقالت حصرت واذا طرق بروجهم منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت وماخفى عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التى مزقها الله أيدى سبا وكم سائل سأل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك النبا وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحرها مديد ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله خولك ناظر * هذا ومافى العالمين مناظر
فرج على اللعون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فابدت منه زحافه فى وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

وماخفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدا ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا لون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصره وأخذوا سريعا شبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لخراب بهجة الا بهاتين القبيلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل للاعراب عن سواهما ماعملت وقد نبهنا كريم الالتفات الى ان تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا عمدة وتالله لقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطور الاخوة فى رقاعها محققه وتصديق مايقصه فى الجواب فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقة والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بمشاهدة أمثلته وطيب أخباره وينشكها منا من بين أوراقها بشهى ثماره (ومما) انشأته بالديار المصرية وحصل اجماع الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضى القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقينى نور الله ضريحه بعد عزل الهروى ويوم قراءته بالجامع المؤيدى أرخه المؤرخون وذكروا أنه لم يتفق بتلك مصر يوم نظيره وهو الحمد لله الذى أبان فضل العرب على العجم فى الكتاب والسنة وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدريسه طريق الجنة وأزال ظلم الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة ونشكره حمده على نصرة أصحاب

ومادمنا ظماء وكنت لنا ماء فنحن نشربك فارفق بنا لاقربنا يخاف ولا وردنا بماف والسلام

ولها الى ابى الوفاء صاحب ديوان بست

لو يجعل راسينا رأس المال زدته ودا ولو حال بينى وبينه سور الاعراف مانقصته حبا ولقد اختلفت على مواضعه حتى ظننت ان القضاء يكابر واردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ماثنى العزم فان نشط الى هذه الليلة عرفنى مستقره لاحضره ان شاء الله تعالى والسلام

(وله الى الفقيه أبى سعيد)

وصلت رقعة الفقيه ولولا ودهوانا استقيه اشتمت العام والخاص وذكرت العاص والماص وانجاوزت دار الرجال الى حجرة العيال

الشافعي وعود سيرته الى منازلها العالية ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فمن جهل أحكام القضاء أمست عليه ماضية ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقدر ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم العربية كل عجمة وتميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمة صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل بدروع ضلاله ونقيم حدودها على من بدل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وجهل أسماء رجاله وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أولا تطل * فلابس نرعى قمرك

وقد حلا مكرر الحمد بنشر الاعلام المؤيدية على أئمتنا الاعلام وحلت أبناء مواقع النورية بنصرة شيخ الاسلام فهو الليث الذى كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث حتى تأيدوا بمؤيدهم وأعز الله أنصارهم بالشافعي والليث حجبناه عن غيوم العزل زمنا وقد ساعدنا رأينا الشريف فى اظهاره

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

ما كنت أوثر ان يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الانذال والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية

لعل الحمامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى عللى

وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية

تقدمتنى رجال كان شوطهم * وراء خطوى لو أمشى على مهل

وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضية

اعلاء من بدا فضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى

فتنبهنا له وقلنا الضده وقد اهبطناه من تلك الرتبة العالية

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى أو يجعل السراب ماء * واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى * ويأبى الله أن يطابق سحبان بباقل أو يجارى فارس العلم براجل

ومن يقل للمسك أين الشذى * كذبه فى الحال من شما

وتالله لقد زادنا بحجبه فى غيوم العزل علما بعلو مقداره وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره وقالت الامة ذلك ما كنا نبغى واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب انلنا وظيفته غيره فزلزلت الارض زلزالها وقلنا يخف على قلبنا فاخرجت الارض أثقالها وأظهرنا جلال العرب فاطلقوا أعنة بلاغتهم فى ميادين الفصاحه وما أحقهم هنا بقول

ما هذه الاسجاع التى كتبها والفصاحة التى عرضها بكر ونالم الطالق أعلى رأى يتعلم الخلق أم لم يجد غيرى يجرب سيفه عليه اعلاه الرواية كل يوم فلما قال قافية هجانى

وكتب الى رئيس بلخ وعميدها محمد بن ظهير

كتابى وللشيخ الرئيس رحم فى الراسيات مخول وله فى الفضل آخر وأول ولا يحلوله طرف من شرف ومن انتهت الى المجد حدوده وعطست بانف شامخ جدوده ونبت فى مغرس الفضل عوده وقف الثناء على متصرفاته وأقام عليه بعد وفاته وما زالت جفنته تدور على الضيف فى الشتاء والصيف حتى عبرت بحسان فارتهنت منه اللسان وحبر فيهم

الفاضل وتناجدت اهل نجد فبكل صاح باصباحه وعلمنا ان هذا افضل رفل به ابناء العرب فى حلل التقديم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهال ؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وازهرت هذه البشرى فى ربيع ولكنه ربيع الابرار الذى نزه الله روحه وريحانه عن كل غمام وصان فيه المسلمين ممن يأكل اموال الناس بالباطل ويدلى بها الى الحكام ونشر الله اعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدى اسماءها وكانت ستور الجهل قد اسبلت على التفاسير فاظهر السر للآى كشافها أما القراآت فهى فى قرى شيخ الاسلام وفضله فيها عاصم من الجهل ونافع وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها وشرعت بيوت العرب لشواهدها واكرم نزلها وأما المعانى فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح وأما المنطق فمقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقينا وأما العقليات فما رأينا لمن ناظره فيها فى هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا وها هو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعدما أمرض الجهل عيونه وأرمد والحاوى أظهر ما حواه من العلم بعدما كان هلك أسى وتجلد والروضة أزهرت فى حدائق هذه المسرة بين أوراقها فاينعت ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت وظهرت رفعة الرافعى فى افق كماله ونور الله ضريح الشافعى بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالى هو الذى ناظرناه بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

فعلمنا انه حجة للشافعى الذى منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال وما أبدر فى أفق درس الا أزال ظلم الشك بأنواره واستشر ابداره عن التتمة والاكمال وهو ابو العلماء الذى ولد من الام افراحهم وابو المهمات الذى شهر من العدة الكاملة فى ميدان الفرسان سلاحهم واليه انتهت الغاية فانه ما برح يأتينا فى وجيز تقريبه بالعجاب ويغنينا عن موضح القشيرى فانه يغذينا فى ابانته باللباب اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التحجب وها هو قد ظهر ويتسلسل فى أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى الشيخى لازالت الشافعية فى أيامه الشريفة بجلالهم فى ترشيح بهجة وابتهاج وثبت الله القواعد وأقامها فى ملكه على التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج ان تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع لتمويه فى الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطالب وعيون المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذى تهذيبه فى أدب القاضى كفاية وهو البحر الذى ما دخلنا بسيطه المبسوط الا قالت التورية انه فى البسط كامل ولا نظرنا الى حليته الجلالية الا غنينا عن المصباح بنوره الشامل وقد ميزناه على مناظريه لما أقروا له بالتعجيز وقرت عيون ابن البارزى نور الله ضريحه بهذا التمييز وألفيناذكر علوم يجل قدره عن نسبتها اليه ولكن

القصائد الحسان فهذا الزمان يخلق وهى جديدة وتلك العظام تبلى فى الثرى وهذه المحاسن تبقى بين الورى وحق على الله ان لا يخلى كرما من لسان يبث احدوثته وما أنبت دولة الشيخ الرئيس يرمى فى هذه القوس وقد خطب القاضى ولسانه مقراض الخفاجى يضعه حيث يشاء وبحر لا تكدره الدلاء وصدر كأنه الدهناء وقلب كأنه الارض والسماء وشرف دونه الجوزاء وحوله الخلفاء وخلفه العواصل والقصور والسفاح والمنصور فما ظن الشيخ بثناء يصدر عن هذه الجملة وقد حضر هراة ودرانها وآنس سكانها وملأها شكراله وثناء عليه ثم رحل عنها بسلامها جمالا

ثغور سيناته تبسم عند ذكره وافواه ميمانه اتكثر الثناء عليه فليتأتى ذلك فانه العزيز عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه واذا ذكرنا الاصول فاصوله محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستصفى بديع علمه ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه وعلم ان جلال الدين الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه وهو جامع مختصراتها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه لازال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند ولا برح أجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة تسع عشرة وثمانمائة ان أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر عليها وأحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله بالرحمة والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر بها على كل فاضل بالتقديم وان كان لسان القلم قد طال فانا أقطعه ههنا تأدبا مع عبد الرحيم وقد وصلناها ههنا شمل القطعتين ليتفكه المتأمل فى جنى الجنتين ويتنزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه وتعالى من اصوبها نزوعا واصفاها ينبوعا واسناها فروعا وامدها بحر مواهب وأضمنها احسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات بحره ويجرى على سواد الارض فضته البيضا ويهنأ بيده الخضيبة نقب الجرب من الجربى ويحيى مطلعه أنواع الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه الارض وان كان قد تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب فرأينا الابانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعة وتمده من الاضاعة وتتصرف فيه على ما يصرفك من الطاعة وتشهر ما أورده البشير من البشرى باباته وتمده بايصال رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وحلق أصابعه ليزيل الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر بمسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق فقفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد الناس على الآثار وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى

الامالى ايامن ثناء على الرئيس خافه فيها وله فى التمسك بالعادة التى انجبت هذه السعادة والشيمة التى اثمرت هذه الاثنية الكريمة رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

شاهدت من طلعة الشيخ دارة القمر وجنيت من حديثه طيب الثمر وانتهى الى من اخلاقه مؤنس الخبر واقتصر الزمان منه على هذا المقدار وصنع له تلك الاسفار ومصائب قوم فوائد آخرين ومضى فقضى حجه المبرور ورجع فعاود منزله المعمور وعدت عوادى هذه المحن عن ان أزوره مهنئا أو أكاتبه معتذرا وكان شئ الى شئ فانعقدت خجلة سدت الباب

من تحتها الانهار وحصن مشتهى الروضة فى صدره وحنى عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظما زلالا * الذمن المدامة للنديم

ورافد يد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية نخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحيى لها امهات العصف والاب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقيه ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتى فى أيامه قويه ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الاشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قرسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشبر وعلم باقلامها ورسم بحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت بعلاق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر الانحراسا كنه للمطالعة بعد ما نفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الحور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على النور ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه ونقلت أردافه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال اليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه وأمست سود السفن كالحسنات فى غرة وجناته وكلما زاد زاد الله فى حسناته فلا فقير سد الا وحصل له من فيض نعمائه الفتوح ولاميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه اجرت عيونه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع فنشر النيل اعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زمجره ورام ان يهجم على عبير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى وكسره وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها براوبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناله حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت متشنفا ولا برح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لا بد لهم من سكين فقلت وينهى

وتوالى ربعى السعاة فنوّهت بهذا الكتاب واعتقدت بالقاضى وعقدته جسرا الى رضاه ووجدته من مولاه الشيخ بحيث يطاع الشفاعة ولا يدخر السمع والطاعة فان كان لهذا الكتاب موقع فيا يتلوه عريض طويل وان لم يكن له موقع فالتطويل ثقيل وندماا قتنص الشيخ جملة هذا القاضى فاينتمى الا اليه ولا يرفرف الا عليه ولا يطمئن الا لديه ولا يرى الشرف الا من يديه ولا الحياة الا من حواليه امتع الله بعضهما ببعض وزادهما من كل خير ان شاء الله تعالى

وصول السكين التى قطع المسلول بها اوصال الجفاء وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ماغابت الاوصات الاقلام من تعثرها الى الجفاء زرقاء كم ظهر للبيض منها الوان خرساء ومن العجائب انه السان كل عنوان ماشاهدها موى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعد ان خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة مار وى منها اقط وكم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا وحكم بحسن صحيح اقطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالشباب والنصاب معلمة الطرفين وانما صبح تقمعت بسواد الدجى فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى والسان برق امتد فى ظلمات الليل فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيل هذا وتقطعها موزون اذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح ميسرفاغير الجزر والمد من اجل ذا تدخل فى مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل وكما ندعه نوجزه والرمح فى تعقيده مطوّل ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تدنى حلاوة العسال فلا يظهر اطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعد التنبه انها أقرب منه الى الصواب وحكم اهابعة ذلك قبل ان تستكمل النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الامر حتها باحسان ولا طالعت كتابا الا ازالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعدة وتالله ماوقعت فى قبضة الأطالت لسانها وتكلمت بحده ان ادخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من غمده كان على طاعتها قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها قبل ضربه ماحل النظر يق فلو عارضها أبو طاهر اطرك من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك باذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان للشبد عقد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها سار تركيب النظم الاماحات ظهورها أو الحوايا أو مااختلط بعظم ولو لمحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ماأقر برسالة السيف وفل وقال القلم رسالته أطاق لسانك بشكر مواليك وأخاص الطاعة لباريك وماقصدا الملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف مبذبح نحر فقرى وتأتى بما يشفى وايهام التورية بقول ويبرى (قلت) الذى أوردته ههنا من انشائى وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذى تحتم على شرحه وبيانه وايضاحه باب التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه وعلم انها أربعة أقسام وهى المطرف والموازى والمشطر والمرصع وذكرت فيه الفوائد التى منها أحكام الفواصل وأوردت المباحث فى الانشاء الذى فيه نظر بالنسبة الى الحالة التى هى المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التى هى من انشائى وانشاء الغير

وله أيضا الى اسمعيل بن أحمد الديوانى

ولا يزال يستخفنى الى الشيخ الامير شوق ونزاع لولا العوائق تطاع فيذكرنى طلوع الشمس محياه ورسيم السحر رياه وعسى الله ان يجمعنا واياه انه على ذلك قدير والمكارم أدام الله عز الشيخ كوامن فى الاحرار ككمون النار فى الاحجار وكون الماء فى الانهار ثم لا تقدح تلك النار ولا ينبط ذلك الماء بمثل هذه الاعمال السلطانية انما تكن اليد من بسطتها وتعين الهمة على مرادها ومحال ان أخطى من الشيخ بحظوتى و يبلغ هو من الرفعة

ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك ما يذبل عنده زهر المنثور ويقرط فى قلائد النحور ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات منها مجلد انشأنه بالبلاد الشامية قبل أن استقر منشئ دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية وثلاث مجلدات انشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه ومجلد انشائه عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد معين محصور وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاحوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم لليد معتصم * بالعيس لامستم يوما ولا سئم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

كم قائل بصميم الجمع مقتحم * وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى ان الشيخ عز الدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند الجماعة فى شروحهم ان التسجيع هو ان يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطرى بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى بوزنه مثل قائل وقائل وصميم ونظيم وجمع وسجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها وليته نقل هذا البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من الحشو وهو

كم رصعوا كلما من در لفظهم * كم أبدعوا حكما فى سر علمهم

مع انه تطرف فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى أقول فيه

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

(ذكر التسميط)

(تسميط جوهره يلفى بأبحره * ورشف كوثره يروى لكل ظمى)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت يسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون اجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت وكون اجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت التسميط قال ابن أبى الاصبع ماخالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الا لتكون

(وله ايضا الى ابن ميكال رئيس نيسابور) اعجوبة لكنها محجوبة حتى نصلى على النبى بنشاط ونتزل عن قيراط ماهى بأخبث اليك بساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاتان تركب الطحان روح ولا جسد وصوت ولا أحد والعود أحمد ومتى فرزنت يابيدق وأف القوم حدثهم ويابؤس عصر أحوجهم اليك ويا سخف من يافد على راقد وشر دهرك آخره أنشد ابن صدق البحترى فى اللامية لقد صدق الاعشى فى الصادية وان وصف الدريدى فى المقصورة فلقد تغير الامير عن الصورة وان كان كالآخر الاول فما أحوج الكتب الى المقراض والكذب السواد على البياض افراطا فى الامتداح وتصدا فى السماح ان نظم ابن الرومى فى الطائية فالقول

(التسميط)

القافية كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد بأجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روي يخالف القافية كقول ابن ابي الاصبع

واسمر مثمر من مزهر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذي هو قافية البيت وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التسميط

فالحق في أفق والشرك في نفق * والكفر في فرق والدين في حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تسميط ذي أدب تنظيم ذي ارب * تحقيق ذي غلب بالنصر ملتزم

وبيت بديعيتي اشرت فيه الى نظمي ونثري ترفعا بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم بقولي

سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم

وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلقي بابحره * ورشف كوثره يروي لكل ظمي

التورية في التسميط هنا منتظمة في سلك الجواهر وقد تقرر ان السمط هو الذي يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولي يلقي بابحره فمحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والري للظامي وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

(ذكر الالتزام)

(لا أمدح رسول الله ملتزمي * فيه ومدح سواه ليس من لزمي)

هذا النوع الذي سماه قوم الالتزام ولزوم ما لا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو في الاصطلاح ان يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو باكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء في الكتاب العزيز في مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومثله قوله تعالى والليل وما وسق والقمر اذا اتسق وأما الشعراء فابو العلاء كان أكثرهم في هذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

ومنه قوله

قول الموسوطائية بأيها بالله الاغر ابراهيم وولد آزر ابراهيم وابن الذي أخرج الميت من الحي رد هذا الثوب الى الطي

يا أيها العام الذي قدرا بي أنت الفداء لكل عام أول وما أذى العام لكن الانعام وما اشكو الايام لكن اللئام عام اول عرفان والعام هذا الفرقان الثاني كل قرار امير ءلا بطانه والجار جائع وتحفظ ماله والعرض ضائع لبدات الاشياء حتى لخاتها تنبدي غروب الشمس من حيث تطلع كانت السيادة في المطابخ فصارت في المطابخ أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ولئن سمنت انفسكم لقد هزلت انفسكم يا رذالة الزمن والراغبين عن تقليد المنن رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن

(الالتزام)

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الراح والماء الذي غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على لزوم مالا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم * في مارق بغبار الحرب ملتثم

وبيت العميان

وميل سمعي لنيل القرب من شيمي * وسيل دمعي بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لي التزام بمدحي خير معتصم * بربه وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتي أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمي * فيه ومدح سواه ليس من لزمي

(ذكر المزاوجة)

(اذ تزاوج ذنبي وانفردت له * بالمدح منّ وبجاني من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو في اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفي الاصطلاح قال السكاكي ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى * اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

ومن اذا خفت في حشري فكان له * مدحي نجوت وكان المدح معتصمي

وبيت العميان

اذا تبسم في حرب وصاح بهم * يبكي الاسود ويرمي اللسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب في خلدي * ذكرت أن نجاتي في مديحهم

وبيت بديعيتي أقول فيه

اذا تزاوج ذنبي وانفردت له * بالمدح منّ وضماني من النقم

(ذكر التجزئة)

وربت في كلمي جزيت من قسمي * ابديت من حكمي جليت كل عمي

التجزئة هي ان يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزن مختلفين جزأ بجزء أحدهما على روي يخالف روي البيت والثاني على روي البيت كقول الشاعر

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

وبيت الشيخ صفي الدين

(المزاوجة)

اللامية قول البحتري
بلا ثقة تحبب تنبلك عن خبري
فيها وعن خبر الشاة ابن ميكال
والصادية قول الاعشى
كلا ابو بكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا
والمقصورة قول الدريدي
ان ابن ميكال الامير انتاشني
من بعد ما قد كنت كالشئ اللقا
والطائية قول ابن الرومي
يا آل وهب حدثوني عنكم
لم لا ترون العدل والاقساطا
ما بال ضرطتكم بحل رباطها
عفوا ودرهمكم بشد رباطا
صروا ضراطكم المبذ صر
عند السؤال الفلس والقيراطا
اوفا سمعوا بنوا الكم
وضراطكم
هيهات لستم للنوال نشاطا
لكنكم افرطتم في واحد
وهو الضراط فعدلوا الاسقاطا
(وله الى قيس بن زهير)
اعوز الصوف فبعثت

(التجزئة)

يا ارق خذم فى مأرق أمم * أو سابق عرم فى شاهق علم

والعميان ماانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

ذى فضل اندية ذى عدل تجزئة * فالذئب فى ظلم يمشى مع الغنم

الشيخ عز الدين سها فى هذا البيت من رتبة التجزئة فى الشطر الثانى بالنسبة الى التقرير فى شرط الرتبة وبيت بديعيتى أشير فيه الى ما أبديته من المحاسن فى المديح النبوى بقولى

وربت فى كلمى جزيت من قسمى * أبديت من حكمى جليت كل عمى

(ذكر التجريد)

(لى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله وفائدته المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهى هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها * وأجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتيها وردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

شوس ترى منهم فى كل معترك * أسد العرين اذا احتر الوطيس حمى

الشيخ صفى الدين جرد فى بيته اسد العرين من الشوس وبيت العميان فى بديعيتهم

من وجه أحمد لى بدر ومن يده * بحر ومن لفظه در لمنتظم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

من لفظه واعظ بالنصح جرد لى * يا نفس توبى وللتجريد فالتزمى

وبيت بديعيتى فى المديح النبوى قولى

لى فى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى

(ذكر المجاز)

(وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * ايانه بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتى المتكلم بكلمة يستعملها فى غير ما وضعت له فى الحقيقة فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتى المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها متعددة لخلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكره من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضى كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابى

يا ليلة لى بحوارين ساهرة * حتى تكلم فى الصبح العصافير

قوله

(التجريد)

الملك به فروطففت تلوم وظلت تقعد فى العتاب وتقوم وارانى ما ابعدت فى العباس ولا خرجت عن متعارف الناس فالصوف نفس الفرو الا انه نسيج والفرو نفس الصوف الا انه حديج فكل فرو صوف ولبس كل صوف فروا فان انصفت وجدت الفرو فطرة والصوف بدعة وان نظرت رايت الفرو صوفا وزيادة فكان نعمى وسعادة والفرو وبرفى الشتاء ونطع فى الصيف فان قرسك البرد فالبسه وان غشيك المطر فاقلبه وانت تيس

(المجاز)

قوله لخلوها الخ كذا فى النسخ والصواب أخذ من السابق واللاحق لعدم خلوها الخ اه

ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع الوزن

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفي الدين قوله

صالوا فنالوا الاماني من مرادهم * ببارق في سوى الهيجاء لم يشم

المجاز في بيت الشيخ صفي الدين في لفظة بارق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

أحمي فؤادي مجازي نحو حجرته * وقد دهشت لجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي اني تجردت لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بعده في المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * أبياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال ولم توف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبي الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبي سلمى

أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح في البيت الثاني الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلي في بديعيته قوله

كأنما حلق السعدي منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشي الدر في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر وبيت الشيخ صفي الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها في البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي ابوه يقاربه

(وله الى ابي علي الشادي جوابا عن رسالة كتبها يعتذر اليه فيها) وصلت رقعتك يا شيخ وحضر رسولك فأدى رسالتك وسرد مقالتك وسأل اقالتك وقد صانك الله عما ظننت فافترقنا وحشة فتجمعنا معذرة ولا قطعنا جرم فتصلنا مغفرة اما ما اعتذرت عنه من حق لم تقضه وواجب أخللت بفرضه فاجعل الله للصلة فرضا حتى نصير قرضا ولم اقرضك مكرمة انتظر بازائها ان تشمر لجزائها وقد كان يوجب فضلك ان آخذ نفسي لك بما تأخذها لي فاني على السعي اقوى وأقدر والاعتذار من جانبي اولى واجدر واما ما ذكرت من غفلتك يوم اجتيازي عن القيام فقد علمت ان على ذلك الباب الرفيع عالما كبيرا وجما غفيرا ولم يقم لاجتيازي الانفر معدودون فان كان

وفى رواية اخواته فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال ومامثله الاملك أبوه يقارب خاله اسهل مأخذه وقرب تناوله وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

فى ظل أبلج منصور اللواء له * عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ماانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

أوائف اللفظ مع وزن بمدحة من * لانا وذم عدو بين السلم

قلت ثقل الهمزة فى لفظة أوائف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحة مولانا كان سببا فى عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن فى بيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتى قلت فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد قولى فيه فى ائتلاف اللفظ مع المعنى

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

وقلت بعده

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)

(والوزن صح مع المعنى تآلفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم)

هذا النوع أعنى ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى خروجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فانى لو شهدت ابا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوه الا مايطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فألجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

من مثله وذراع الشاة حذره * عن سمه بلسان صادق الرتم

والعميان ماانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

يؤلف اللفظ والمعنى مدائحه * فللمعانى ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين اتى اولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رتم فى بيت الشيخ صفى الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى فى بيت الموصلى فى غاية الائتلاف وبيت بديعيتى قلت فيه

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

وقلت بعده فى ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تآلفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

(قوله وقلت بعده ضائع بعد قوله أولا قلت فيه عن النبى الخ

ائتلاف المعنى مع الوزن)

قيام القائم يسر وقعود القاعد لايضر واما ماذكرت من منزلتك كانت عند الامير من قبل وتغيرها الآن فان الزمان يقلب الاعيان فكيف الالوان هذا عيبه العتيق وطبعه العريق وقد استمر على هذا العيب ولو انصفك خلفك ولو احسن عشرتك ماغير قشرتك ولكنه كما شاب هامتك اشاب كرامتك وكما اوهن ركنك اوهن رتبتك ومن ذا الذى بعز لا يتغير وقد حضرنى باشيخ خاطر نصح لك فى قبوله حظ ولى فى ايراده وعظ ومثلى لايعظ مثلك ولا يعيب فعلك ولكن للديانة قريحة وللمسلم نصيحة فاسمعها وان لم ترضها فدعها وقد توجهت تلقاء امراى لك ان لاتأتيه اوغدا اليه بدا

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حمى)

هذا النوع أعنى ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو ان يكون فى الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحترى فى الابل الضيلة

كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسى كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسى حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * فى بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الموصلى فى بديعيته

ساروا وجدوا النوى واللفظ مؤتلف * من لسن دمعى بلفظ خد منسجم

الذى فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثانى فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتى قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

وقلت بعده فى ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حمى

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى)

هذا النوع أعنى التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف القافية وهو ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتى به القافية متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذى عند البديعيين عليه الاختصار فى هذا الباب قول أبى الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقال ابن أبى الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا فى قافية أشد من تمكين النابغة الذبيانى حيث قال

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت ويعجبنى هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمرى انه أمكن وألطف وأظرف وهو

ورب ظبى آنس * حشاشتى ملكته * أسقيته أسكرته * حركته نبهته

نادمته أعجبته * حدثته أطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

قوله هو ان يكون الخ عبارة غير مؤدية للمقصود بل فاسدة ولو قال هو ان يكون فى الكلام معنى يصح تاديته بعبارات مختلفة فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف لسلم من ذلك اه

التمكين

فقد أوجعنى الآن ما أوجعك غدا أراك تلقى هذا الامير بدلال وتنسبه الى ملال وهما مركبان خلقان بالعثار فاجعل قصاراك تحسين امر مولاك وتباعد اذا أدناك وتواضع اذا اعلاك انك ان دنوت وادناك صرت فى حجره فتعرضت لهجره وان علوت واعلاك الجأته الى دفعك واحوجته الى وضعك ثم اشكره اذا رفعك ولا تشكه اذا وضعك على انى اراك ترفع فوق حدك ويتجاوز بك قدر مثلك اقسم همتك الى ابعد من حيث رتبتك ارايت لو ان صاحبك النار ورد الى هذه الديار ما كان يصنع بهذا الامير أكان يجلسه على السرير ارايت لو كانت

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد في الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تمكين حبك في قلبي تشبث به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

(ذكر الحذف)

(وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * محو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع أعني الحذف عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي اجمع الناس على انها نسيج وحدها * وواسطة عقدها (وقد عن لي) ان أوردها ههنا بكمالها * واورد معها مانسج المتأخرون على منوالها * وهي قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللأواء * مالك الامم * ومصور الرمم * واهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * ادرك كل سر علمه * ووسع كل مصر حلمه * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * احمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الصمد * لا والد له ولا ولد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم آله الكرماء * وأهله الرحماء * ما همر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا لمعاد كم كدح الاصحاء * واردعوا اهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * وادرعوا حلل الورع * وداووا علل الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا وساوس الأمل * وصوروا لاوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعلال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسكرة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * وطحطح عرمرما * ودمر ملكا مكرما * همه سلك المسامع * وسح المدامع * واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عم حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحاسد * والاساود والآساد * ما مول الامال * وعكس الآمال * ولا وصل الاوصال * وكلم الاوصال * ولا سر الاوسا * ولؤم واسا * ولا اصح الاوداء * وروع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الحم مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء *

الحذف

قوله أو جميع الحروف الخ عبارة ناقصة تمامها أو المعجمة مع ابدال كل بكل اه

غرّ سنانه ميزانك وكان المدار خزانك اين كنت تروم ان تقعد وتقوم وجدتك تذكر عظيم حقك في هذه الدولة فالواتصات هذه الدولة بالسلطان وفم انا قشتك الحساب وقالت يا باعلى حقك حقك انك شيخ فقط لا اللفظ بسعدك ولا الخط ولا الرأي بصحبك ولا السيف ولا الاصل يعضدك ولا النفس ولا المال يرفعك ولا الدين ولا الجديد يقومك ولا المزح يفضلك فما هذا الحق العظيم ما كنت تراك قائلا هل هي الا الصحبة الطويلة الثقيلة فتنقاب عليك الوسيلة فيلزمك اكثر مما يلزمك صحبتها فلم ترتق فتقا ولم تشدد لها أزرا وصحبتك فاشبعت جوعك وامنت خوفك فالحاصل عليك لا لك أيا على هذه كلمات

ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصاد كم والمدر مهاد كم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة مورد كم اما أهوال الطامة لكم مرصده اما دار العصاة الحطمة المؤصده حارسهم مالك ورواؤهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لامال أسعدهم ولا ولد ولاعدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والعمر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصله ولا دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آها لها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومراسها مكمد مالواهمه حاسم ولا السدمه راحم ولا له مما عراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام وردأكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمع الكرام والسلام والسلام

(قلت) رحم الله أبا القاسم الحريرى أتى فى عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن الجأته ضرورة العاطل فى مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام ولا يحصل هذا الاشكال فى مرآة الافهام فاللأواء الشدة والاحمر والاسود العرب والعجم ووسم بمعنى علم وهمر بمعنى صب والركام السحاب المتراكم والكدح عمل الانسان من الخير والشر والاود المعوج والمساورة المواثبة وطحطح بمعنى هدم وهلك والسك ضيق الصماخ والرعاع السفلة والاساود الحيات والآصار جمع اصر وهو الثقل والساهرة قيل انها عرصات القيامه وقيل انها وجه الارض انتهى (واتفق) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الادباء وسأل الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى ان رسم لى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه وبل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ان اكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات الفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت ان الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذى ما سبقنى ناثر اليه ولا حام طائر فكره عليه وهو طالع الملوك رسالة محمد وسلم واحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم والله ما سمعها عالم الا ودام ولا ردع مهرها الحلال مسلما الا كره الحرام وعاد عاملا واعد للصلاح حواصله وصار له مع الله معامله ما احلى ما كرر عاطلها الحلى واهلا لسهولة مسالكها وسهلا مالو لد ساعده سعد احكامها ولا لاهل العصر سكر الا ما أدار كاس مدامها ولا لعمارة عامر صرحها ورهطه ولا للصدر در كلؤلؤها ووسطه ولا لو لد مطروح مع طرحها المحرر مطارحه ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لمسرحها آرام سارحه ولا لمسارح الماء الحلو لمحها الا كالآل

مرة الا انها احق ولو لم أرد نصحك لحنث قصدك ولو كنت لك عدوا أو أردت بك سوأ اقلت لا ترض برتبتك وطالب بحق صحبتك والق هذا الامير بادلالك ومن باذلالك ولو فعلت ذلك او اخطرته ببالك خربت على سبالك وكنت سبب الجناية وأيضا فان نسبتك ولى نعمتك الى الملال نوع من أنواع الاخلال لان ذلك ينفر من لا يعرف خلقه من الزوار ويردع من يريد قصده من الاحرار ويعرض فى العاجل للعار وفى الآجل للنار فلا تعرض عاصر حت وقد نصحتك ان انتصحت وأما اخوك الذى تصفه فمن هو لا أعرفه ان كنت عنيت الاستاذ ابا فلان فاسأل الله

وماعاصر ما أسسه المعمار الأطلال وما المطاعم الحلوة منها الامالحه وما صوادح الكلام الصادح الاحول دوحها صادحه وما الطعم الراح مع حلاوة وردها راحه ولا السلسل الورد معها طلاوة ولو كان الطل أدواحه ولا اللؤلؤ الدر درّ سلوكها ولا اللمع والسوالع العاطرة عطر مسوكها ولم لا وحكمها حرسه الله صار ملكا ولحكمه أحكام وكلام الملوك ملوك الكلام لا اله الا الله ما أمر اولاد آدم الاحكمه وما كلام الحكماء وما أحكمه الاحرمه وما أمة رسول الملك العلام الاسادة الامم وما هما صدور هم الامطالع أهل الحكم أطال الله عمره وما طها سامع واطلع هلالدالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم لما هل هلالها سرور وا كر وامحلها وأحلوها الصدور أحكامها عمدة لامة محمد وما أعادها السامع الاصار العود أحمد

سالوا دور ها السمع كساه * درّها وهو عاطل كل حله

لا سماع الالهها لا كلام * اسوا ها كرّره كرّره الله

ورع ما حكاه ولده ام أوراه واسمع سامرة همام صعد طور الحكم وساعده الله وحسم كل كلامه مادة العواطل وسلسل الطروسه وسطوره سلاسل الدور ودور السلاسل ولو سمعها ملك العواطل امال رؤس رماحه وكل حد سلاحه وسع مالم الامل ومعاهد صدره وأدرّ لاهل الموارد الحلوة ولله درّه ما للكمال أصول سطوره الكامله ولا اورد مع رسول كرسالة محمد مراسله رحم الله امرأ أطاع اوامر حكمها وعمر مرسوم رسمها ودارس ما احكمه عهدها وامله امد الله عمره والحمد لله * والحلي بيت بديعيته في باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا * لله الا وعدوا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف في بديعيتهم وانا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف عاطلا لاجل تسمية النوع في البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما شرط أولا فكل منا جنح في باب الحذف الى جهة أما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف في بيته اسقاطا فقال

اروم اسقاط ذنبي بالصلاة على * محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتي حذفت منه الاحرف التي تنقط من تحتها وهو الذي نظمته بعد قولي

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * امكن مدائحه قد أبرأت سقمي

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم احقر ولم أضم

(ذكر التدبيج)

(واخضر أسود عيشي حين دبجه * بياض حظي ومن زرق العداة حمي)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبي الاصبع وهو عبارة عن ان يذكر الناظم أو الناثر ألوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فن التدبيج على طريق التورية قول الحريري في المقامة الزورانية فذا غبر العيش

تعالى سترا بمنه ووجها لا يسود سبحان الله اقل ما في الباب ان ترتيبه في الخطاب ترتيب ولا نايا شيخ هذه الالفاظ وان حوت على الاعضاء حمى الرمضاء فانه تعمل في الامعاء عمل الدواء فافتح لها الحجاب اذ ذلك وافسح لها فناء صدرك فقد والله نصحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك فقد ظلمك الدهر بما بخسك والسلطان بما نقصك واساء الادب من زاحمك والعشرة من تقدمك واخطأ الرأي من لم يصرف على أمرك ونهيك لانك نسيج وحدك وسواد العراق بستان جدك وعلى بن عيسى خادم عبدك وعبيد الله غرس يدك وذو

(التدبيج)

الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى ردنا الى العدو الازرق فخذا الموت الاحمر ومنه ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان فانه المجاهد الذى جعل حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود فاذاقهم الله به الموت الاحمر وكمال التدبيج بقول أهل لابسيش اخضر يتجدد ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن حيوس

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فالقهم فى منازل او نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

ببياض عزم واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول اتدرى كيف أصنع بالخلق
اذا احمر وجهى وما بيض وايدى * ازرق لهم رجلى ولو خضر واعنق

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة الصدغ والسواد من العيـ * ـن بياض المشيب قد اور ثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وعى * سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى * بيض الثنا فاستمع تدبيج وصفهم

قلت ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه تلون فى باب التدبيج على الصفى وتحرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العدا احمى

*(ذكر الاقتباس)

(وقات يا ليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يحفظونى باقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها اشكاية من عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل

الرياستين فى كمك وذو العلمين فى جيبك والمقتدر بالله ولى عهدك وللقائم الامر من بعدك وغباوة من الايام تأخير مثلك وجهل من الاقدار اضاعة فضلك وعمى بالخلافة عن محلك وغفلة بالملوك عن كفايتك وشين على السرير قعود غيرك والشمس تزداد ضوءا بطلعتك والدهر معتز بكونك من اهله فاما ابن العميد فاحسن العبيد بيانك والمهلبى صبى كتابك وانما اضطربت أمور خراسان حين خذلها تدبيرك وما استقامت حتى وسعها ضميرك وما شئت من هذا الباب وا كنات من هذا الجراب فاختر من القوانين

(الاقتباس)

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح الفاضل

قد أملّ الصدود الاقبالا * ثم زادت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤادى قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
مامن محبا كانه ماراى غصـ * ـنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى اثر العيـ * ـس ارحمونى ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت باثنا تبتيلا
لا نسميه وعده بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فاغرب فان الحريرى كنى به عن شدة القرب وكذلك هو فى الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مدحيـ * ـك ما أخطأت فى منعى
لقد انزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذى لا يرجى نفعه والمراد به فى الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز ان يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذى خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف فى راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر فى قوله انا الى الله ومراده آية التعزية فى المصيبة وهى قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه اسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن فى الكلام من الحديث النبوى اقتباسا وزاد هنا الطيبى فى الاقتباس من

مسائل

احبهما اليك وأنا على ما ترى من فراغى مشغول الضمير ضيق الاوقات حرج البال فلا عليك ان لا تزيدنى شغلا وذكرت حرصك على عشرتى واسفك على الفائت منها فلا بأس وان فاتك كلى فلا بأس وان لك فى عشرة غيرى متسعا وباخلاق سواى مستمتعا فاهون لمن أهون بك واخلط لاخيك شيأ من الوحشة بهذا الانس ونبذا من المأتم بهذا العرس واجعلنى آخر خطابك وأول منسيك وان رأيت ان لا ترانى حتى أراك فعلت ذلك ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا والله لا أظلك انك الشيخ الفاضل وزيادة والفاضل وكرامة وليس من

مسائل الفقه والشاعر قدم في لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحمامى

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها في مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه

أهدى الكم على بعد تحيته * حيوا بأحسن منها أو فردوها

ويعجبنى هنا قول ابن سنا الملك في بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * انا باخع نفسى على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذى اتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله في الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يا ناظرة ما جات لى حسن طاعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى في تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

ومثله

ان دمعت عينى فن أجلها * بكى على حالى من لا بكى
اوقعنى انسانها في الهوى * يا أيها الانسان ما غركا

ومثله

قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها
لقد ادعيت دعاوياً في حبه * صدقت وافلح من بذا زكاها
فنفوس عذالى عليه وعذرى * قد ألهمت بفجورها وتقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضى محيى الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره
انزلتهم في مقلتى * فاذاهم بالساهرة

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى

واغيد جارت في القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

لا انصاف ان تخاطب بالكاف ان عمل البريد اليك ومدار الانهاء عليك واولى ما يجب لعامل الانهاء ان يخاطب بالهاء ولكنك طفقت لاتهاب سلطان العلم فاعلم انك ان سلطان العلم لا يهابك ولو اتصلت باسباب السماء أسبابك أنت عافاك الله اذ قلدت البريد تبردت هذا البريد يؤذن انك لو وليت الديوان لقتلت الاخوان فلو قلدت الوزارة ما كنت تصنع أ كنت أول من يصفع واذا بيل على سبيل الطائع وهو الخليفة فن الخليفة يا شيخ حشمة في الراس وعشرة بين الناس فاذا رفعت فالانسان نعمة ولابس للنعام قيمة ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي أضعف خصري * فأعينوني بقوه

ومنه قول المعمار

ابن الجمالي مات حقا * برّح بي موته وآذى
ورحت اقرا عليه جهرا * ياليتني مت قبل هذا

ويعجبني في هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقلت

ناحت مطوّقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعي بعد فرقة حبه
لكن به لما سمحت تباخلت * فغدت مطوّقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها في هذا الباب وهي ان العلماء في هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن وأما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريري فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وقوله انا انبئكم بتأويله واميز صحيح القول من عليله وكقول ابن نباته الخطيب في الخطب التي في ديوانه أما أنتم بهذا الحديث تصدقون ما لكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قلت وأما عبد المؤمن الاصفهاني صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب وامام هذا المحراب فمن قوله في الاطباق فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء في ميدان العرض أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض وقوله ولو علم الجذل صولة النجار وعضة المنشار لما تطاول نيرا ولا تخايل كبرا وسيقول البلبل المعتقل ليتني كنت غرابا ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقوله

لله تحت قباب العز طائفة * اخفاهم في رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا
هذي المكارم لا قوبان من عدن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
هذي المناقب لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

هم الذين جبلوا برا من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس والانسان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس وان في الدين القويم لشغلا عن الزيج والتقويم الايمان بالكهانه باب من أبواب المهانه فأعرض عن الفلاسفه وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه فاكثرهم عبدة الطبع وحرسة الكواكب السبع فالمنجم

الالمانك ومن جملة أوائلك ولما خرجت من مجالس الشيخ اسمعيل رحمه الله ورأيت قيامك الثقيل ونهوضك العليل صعدت السطح أتصفح اعلى المواضع فرأيت منارة الجامع اشرف المطالع فبدرت ان اقصدها ونويت ان اصعدها فاذا صرت منها في الدرجة العليا خريت على الدنيا والسلام

(وله الى ابي الفوارس الاصم)

يعجبني ان يكون الشيخ فصيح اللسان طويله حسن البيان جميله ولا يعجبني ان يطول لسانه حتى يلحس به جبينه ويضرب به صدره ويعلك به قفاه فخير الامور أوساطها وأمام الساعة أشراطها والغاية شؤم

الفبى وما للكاهن الاجنبى ومرجب عن غير النبى وهل ينخدع بالفال الا قلوب الاطفال وان امرأ جهل حال قومه وما الذى يجرى عليه فى يومه كيف يعرف حال الغد وبعده ونحس الفلك وسعده وان قوما يأكلون من قرصة الشمس لمعزولون وانهم عن السمع لمعزولون ما السموات الا مجاهل والكواكب شواهها وما النجوم الاهيا كل سجدة ومن الله قواها كل يسرى لامر معمى وكل يجرى لاجل مسمى (وقوله) الحرص يسبل على وجوه الظلمة براقعها والظالم يدع الديار بلاقعها يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم نودك الفاحم قبل ان يبيض فانما الدنيا جدار يريد أن ينقض فلا يغرنك قطفها النضيج هوغيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) فى آخر مقالة من الاطباق تلك أمة قد خلت ذكروا الله فى الخلوات فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان وأخلص القلوب قلبان يزدوجان يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم وآخرون يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم وقوله لله دره فياهذا لاتحسد المتنعم على ترفه ولا تغبط المتكبر على شرفه وقل له اذا برزت الجحيم وقدم له الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) أليس من الخسران بزار يأكل الميت ومكى لا يزور البيت فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره أسفارا ولا تك كالحمار يحمل أسفارا (قلت) هذا القدر الذى أوردته هنا كاف فى الاقتباسات التى تليق بمواعظ الخطب فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب ولم يبق الا اظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المتأخرين فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء ببصر اقتباسهم قال ان هذا الا سحر مبين ومن ذلك قول مالك ازمة هذا الفن القاضى الفاضل من تقريظ ورأيت كل معتاض غيره لصناعة البديع لاعجابا بالبدعة خارجا عن الشرعه دائرا فى غير عشه مخرجا ميت القول من طرسه على نعشه فهى المدام وما دون فهمهم عنه فدام ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام وكل ابنة فكر ما طالعت فكره الاصاح انسان طربه يا بشراى هذا غلام وكل غصن ألف وكل همزة حمام وفيها وفيها وأخاف ان أقول ولا أوفيها وليت هذه المحاسن وليت الاسماع وألقت القناع وفى العمر مستمتع وفى قوس الشبيبة منزع ولكن ضاق فترعن مسير وجاء فضلها الاول فى الزمن الاخير وقد حان ان تخبب فى البلاغة القدحان وأنى وانه قضى الامر الذى فيه تستفتيان (وقوله) لازالت الملوك تنزل لركوبه والسيوف تضحك لقطوبه واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره وكتب له فى الدنيا حسنة وفى الآخره وغض عيون اعدائه فاذاهم بالساهره (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا واضاءت فى خاطره فما استمدت مدادا ولكن اذ كتب سرجا ونهجت له طريق السعادة فلله من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب لم يجعل له عوجا (وقوله) ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا

والاستقصاء لزم فان الجار يشب على جارته فتارة بعض الانحراف وتارة كل الانصراف وتارة تحت الاكاف ثم يوعيه فى الغلاف ويزعم الجار انه لوشاء فى اول شبابه لاتى الامر من بابه واقر الحق فى نصابه وكان هذا ظننا به ولكن لوقوف السيارة وتعبير النظارة وتحريض الحارة فلا تكن أحرم من حمارى ولا عليك ان يبذك غيرى فان الجرم من الجر بنب ومن الكبائر والله طافيلى يدب ومن النوادر ذباب بنب واللص فى بيت النائب آمين وانما يقع فى الحريم ويحنك بحائط الجحيم

(وله الى الشيخ أبى الحسن الشبلى)

احدى عشرة ليلة كنت حدثتك ياشيخ حديثها

ورفعه مكانا عليا وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا (وقوله) كتبها الخادم وقد اخرجت السماء أثقالها وفتحت من العزالى أقفالها وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها وثوب الليل بالغمام غسيل وسيف الظلام بسيف البروق قتيل وقد زادت السيول الى ان صارت الخيام عليها فواقع وهمهم الرعد قارئا فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع وكأن الصباح قد ذاب فى الليل قطرا وكأن البرق لما ساوى الغمام بين صد فى الليل والنهار قال آتونى أفرغ عليه قطرا (وقوله) ونفذت بلاغته بسلطانها ونفثت بسحر بيانها وصلى القلم من يده فى محراب ومن طرسه على سجادة وجاء منه كتاب لو كان البحر مدادا لما زاده وكم كتاب لا يساوى مداده وأخذت الارض زخرفها وحلت من الاسلحة أحرفها وشنت الغارة على السمع والبصر فسلم لها من أسلم وبهت الذى كفر (وقوله) النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص والخبر عنها مشوب وخالص وابن أبى عصرون قوم يقولون قد وزر وقوم يقولون كلا لا وزر (وقوله) وقفت على تلك الالفاظ المجنسة التى هى ذرية بعضها من بعض وغرات الجنة فكلما رزقت منها رزقا قلت كقول أهلها الحمد لله الذى أورثنا الارض (وقوله) ومما يجب ان ينهى تربية الحمام التى سكنت فى البروج فهى أنجم وأعدت كنائن اللحاجات فهى أسهم وقد كادت ان تكون من الملائكة فاذا نيطت بها الرقاع صارت أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع (وقوله) وعملوا الابرجة الخشبيه وزحفوا بها الى الابراج الحجريه وخصوصا الى برج يعرف بالذباب ولكن حماه ذباب السيف الاسلامى من الذباب فلم يقدروا ان يستنقذوه وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه (وقوله) والاسلام مد الى ترابه باعا طويلا والقى عليه الشرك من ألسنة السيوف قولا ثقيلا وحصون العدو قامت قيامتها الخالها اليوم كيوم تكون الجبال كثيبا مهيلا (وقوله) مما كتب به عن السلطان الملك الناصر الى أمير المؤمنين المستضىء بالله وهو سلام قولا من رب رحيم وروح وريحان وجنة نعيم مملوك العتبات الشريفة وعبدها ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها ينهى أن الله سبحانه شرف ملة الاسلام على الملل ودولة أمير المؤمنين على الدول وقد أقام سيفه حساب الكفرة فاظهر تحريف حسابها ونقلها من ظهور أسرتها الى بطون ترابها فهل ترى لهم من باقيه أو تسمع لهم من لاغيه وظلت أقحاف بنى حام تحت غربان الفلاة غربانا وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أشكالا وألوانا وعزت سيوف الاسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين وعوتبت منهم الانفس والرؤس فقالتا أتينا طائعين (ومن اقتباسات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله) من رسالته التى كتبها عن السلطان الملك الظاهر الى شمس الدين آق سنقر الفارقانى جوابا عن كتابه الذى أرسله بفتوح النوبة لما توجه اليها من الديار المصرية (وهو) أدام الله نعمة المجلس ولازالت عزائمه مرهوبة وغنائمه مجلوبة ومحبوبة وسطاه وخطاه هذى تكفى النوب وهذه تفتح أرض النوبه ولا برحت وطأته على الكفار مشتده وآمالها الهلاك الاعداء كرماحه ممتده ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التى يرى بها الذين

كذبوا

والضحى ان لحيتك لمن تلك اللحى يا شؤم البقرة ترد وانا لا أشعر وتصدر وأنا لا أخبرهبنى لا أعلم بقدومك ألم تعلم بمقامى وهبنى لم أبال بسبالك أما تخاف ملامى وهبنى لم أنشط للقائك ألم ترغب فى سلامى والله لولا شفقتك من القلب لربطتك مع الكلب ولكن لاحيلة وصدرى حصارك وكلى انصارك والسلام

(وله أيضا الى المعدل بن أحمد)

تصبحنا الايام كل صبيحة
بنادرة تربو على أخواتها
وكانت تطير الطير عن وكناتها
فصارت تزيل الهام عن سكناتها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه ثم اختلف العلماء فمن وهب من ماله وأعطى من حلاله

كذبوا على الله وجوههم مسودة صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأثنت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد والله يشكر تفاصيل همم المجلس وجملها وآخر غزواته وأولها واذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو بعود سالما الى مستقر والشمس تجرى لمستقر لها (وقوله) فى وصية العهد الشريف الذى انشأه للسلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وهو والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع ومأمون الأمر المستمع به يتمسك من يمتار ويمتاز وهو جنة والباطل نار فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ومن ذلك) اقتباس العلامة أبى طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (ومن ذلك) ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية فى رسالة السيف والقلم فرقى الأنامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى خاتمة سواده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فاتحة أدراج الصدور ما تفتقت عن صحائف الصباح غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا وقصبة سباق ذوى الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيى وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائرة وقادمة أجنحته الطائرة وأئمة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منة ان نظمت فرائد العلوم فالقلم سالكها وان علت أسرة الكتب فانما هو مالكها هذا وهو الجارى بما أمر الله به من العدل والاحسان والمسود الطرف كأنما هو لعين الرأى انسان طالما قاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوتى من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وكيف يعادى من اذا كرع من نقسه فقل انا أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه فقل ان شانئك هو الأبتر فعند ذلك نهض السيف عجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا ببريق الصوارم من سطور الصفوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق الورى وزنده الورى به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاه وجلا شخص الدين الحنيفى وقد جمع جفاه وأجرى سيوله بالأباطح فأما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء وحماته

ثم رجع فى نواله فقال أبو حنيفة مكروه قبيح وقال الشافعى حرام صريح وقلتم انه حسن مليح ولكل أصل وترجيح وتأويل الخبر صحيح يقول أبو حنيفة القىء وان كان رجيعا وكان أكله قبيحا شنيعا فليس بحرام ويقول الشافعى ورد الخبر بورود النهى ولا شئ فى بابه لائق وتقولون القىء لمن قاءه لا لمن شاءه ونحن أولى به من الكلاب وان ساءه وورد علينا كتاب من سلطانى بأن لا تتعرض ضياعى بوجه ولا تطالب اكرتى بشئ فرأيت أن أصالحك على النصف من مال الأحداث ووجدت الصلح جائزا فى مال الميراث فأمضيت الصلح وأديت النصف ثم رجعت عودا على بدء نطلب ما بقى فبعثت

اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتح باب الدين الى ان دخلت فيه الناس أفواجا فهو ذو العزم الثاقب وسماء المجد الذى زينت آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب تحسم به ادواء الفتن المضله وتحذف همه الجازمة حروف العله ويجني من سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهله يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويصرع ابناء الشجاعة فانا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعضت الحرب الضروس بنابه وقذف شياطين القراع بشهبه ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه وكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا فقام القلم فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وانحرف الى السيف وقال أيها المفتخر بطبعه المغتر بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاقطع عنك أسباب المفاخره واستر من نابك فى هذه المكاشره فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح اولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل قدرى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن فى هذا القدر من نور اقتباسه ما يهتدى به الاعشى ويستغنى بانشائه عن سلافة الانشاء ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما حدث معاشرته ولذت فى الليالى مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردى فى خطبته فى الكلام على المائة غلام (وهو) لعمرى ما أنصفنى من اساء بى الظن وقال انى رضيت مع درجة العلم بهذا الفن والصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (ومن ذلك) قوله فى توقيع عدالة بعض الشهود بحلب المحروسة (وهو) الحمد لله الذى شاد رتبة العدالة وحماها وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها وعصمة من فرقة فى قلوب الحكام من نار تدليسهم وقود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف واذا عنى الصاحب بالاخ رفقا واحسانا تلوناه هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا والله يعلم ابه بلوك ويبلغنا مرجونا ببلوغ مرجوك حتى يقول أولاد الصاحب عنا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر العجمى على قصيدتى الكافية البرهانية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه والاقتباس فى التقريظ فياله من قصيد ردعيون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقه تالية على من قابلها بامرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (ومن ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطى الى الشيخ جمال

الملك ثلاثة دنانير منقيا شرك غرس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها تفعل ما لا يفعل التوراة والانجيل وتغنى ما لا يغنى التأويل والتنزيل وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل فاما الامير والشيخ الجليل ومنشورهما الطويل فنسأل الله سترا جميلا وسبحان الله بكرة وأصيلا والسلام

(وله الى الفقيه أبى الحسن الطريف)

من استسلام فى اخوة أو قصد فى مروة فالفقيه السابق الى كل كريم من الخصال المبتهج بكل نبيه من الكمال الحالى بكل نادرة غراء العاطل من كل فاحشة عذراء ان ذكر الجمال طلع بدرا او السخاء زخر بحرا او العميد رجح

الدين بن نباته يقبل الارض التى سقت السماء نباتها وعمر الله بمعانى الحسن أبياتها (منها)
فلاغر وان فضح بديع الزمان بلفظه البديع وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل
فصل منها ربيع وتجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم وقالت الكؤس حين شبهت
فى امالة الاعطاف بالفاظه وما منا الاله مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها فى ليل نقسها
الى المحل الاقصى وحباها بالفضل الذى لايحصى وأنبت دوحتها فى رياض الفصاحه
وغرق حدائقها التى لو فتح النرجس عينه فى عينها النسب الى الوقاحه فتبارك الذى جعل
فى سماء دوحته اشمس بلاغته بروجا وأعلى همه التى لاترضى الشهب جيادا والاهلة
سروجا حتى أقام يراع قلمه لسوق الادب قصبه وشاد من قصائده كل بيت اذا مر الحاسد
ببابه قبل العتبه وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته وعلت من قصره المشيد بسيئات
سطوره شرفاته وفديت بالمباسم والقدود معانيه وألفاته وزهت امداحه المؤيديه
فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد وفضحت
لسهلها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر فى بستانها
منظره ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجد مسكره وعلم المتنبى
ان هذا خاتم الادباء لامحاله والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله وأقام بتقديمها على
غيرها براهين الاحتجاج وقال المحى عندما قابل بحرها الحلو بحره هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح أجاج ومن ذلك مانقلته من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمده الله
برحمته (وهو) ورد علينا شخص من اهل القير وان ضرير يسمى عبد الله الزغبى يتعاطى
نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى انه وشى الى
صاحبنا الشيخ زين الدين ابن أبى بكر العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بانى اهتضمت جانبه
وانتقصته وغضيت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى من ذلك
وتأذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج بلغنى ٣ بلغ الله سيدنا ومولانا الامام
العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الامه الكاتب الحجة زين الدنيا
والدين قرة عين الكرام الكاتبين أقصى ماينتهى اليه تنافس المتنافس وتبتهج به صدور
الاولياء والرؤساء والمجالس ولازال زينة يحلى به العاطل ويظل تحت جناح أدبه القائل
من غيبة ذلك الضرير ٣ مالاخشى الله فيه بظهر الغيب ونقل الى المسامع الكريمة مالايحتاج
للاعتذار عنه لما فيه من الريب ولكن لاغناء ليفذهن المملوك الكليل من التنصل ولابد
من نهلة اعتذار على سبيل التعلل وكان المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المغتاب الآن
صار عنده محمودا اذ كان السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء
على امام لاهل هذه الصناعة مطهر من الارجاس لقال لهم لسان البلاغة مروا أبا بكر فليصل
بالناس فكيف يسوغ للمملوك ان يدعى غير هذا وكيف ولم ولماذا أحسدا على الادب
فما أهجرنى له من عصر الصبا بحمد الله وما اغنانى اوتفاخرا بالنظم فما اشغلنى عنه بتدبير
الممالك بما عنانى نعم وان كان جوهر الالفاظ مما يحسد عليه فما أزهدنى والله فى هذا العرض
الفانى (منها) والمسؤل من احسانه امران (احدهما) الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام

صخرا او الرأى اسفر
فجرا او الحياء رشح خمرا
او الذكاء توقد جمرا وقد
وصلت كتبه تترى وما تأخر
الجواب عنها لعذر الا لعادة
كسل ابتلى عليها الاخوان
قبله وان لم يكونوا مثله
ولم يبلغوا فضله وأرجو ان
يكون هذا الكتاب لما
خرقه الكسل رفوا ولما
جرحه التهاون أسوى وقد
نهض أبو فلان وهو منى بمنزلة
العين واليدين وأوصيته
ان لايغب زيارته يوما وكما
أوصيته كذلك أوصى
الفقيه ان لايالوه معاضدة
ومراغدة انه بصدد شغل
ابلاده فليجمع يده الحيده
فى كل ماهو بصدده ومما
أخبره به ما أجريت بحضرة
الشيخ من حديثه وقرانه
عليه من كتابه وشحذت عزمه

الفرج من هذه الشدة والآخر رد كل فاسق عن الباب العالي فان ابا بكر أول من نصاب
في الردة وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى وتردد
اليه مرة أخرى فعبس وتولى أن جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبي
الفخري المشار اليه بعد توجهه من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدته ما قدر الله
عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة
التي سارت بها الركبان وجاء البديع الاقتباس في معانيها بيان (وهي) يقبل الارض التي
من يممها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى ابوابها أكثر من هيمان
العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق اعنة ألفاظها وتركض في ذلك المضمار
وتهيم بواديها الذي يجب ان ترفع فيه على اعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهي بعد
اشواق أمست العين بها الى مجاري العين معثره ولو لم يقر انسانها بمرسلات الدمع اذلت
في حقه قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ان
يكتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول
(منها) ونظرت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتوني زبر
الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا
سلاسلا وأغلالا وسعيرا يامولاي لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد وطبخت قلوب
أهلها وسلقوا من الالسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم
ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤي في ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا
حامية وكم رجل تلا عند ذهاب بيته تبت يدي أبي لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب
(منها) ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة
وستروا بر وجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفة (منها)
وتطاول الى السور المشرف وقد فصل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب
الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا ابدا من المشكلات فلا وابيك لو نظرته
يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد والى
المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت
والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وآخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك فاتحة
باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتاملت أهل الباب وهم يتلون لاهل
البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة
وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن
قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قوم لمساعدتهم
على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ياقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
(منها) فاعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب
حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) وتوصلت الى

ظاهر

فيه من اطناعه وصوبت
رأيه فيه من اختياره وأبو
فلان يقوم بوصفه وما
أمرني بكتابه واردا ورسوله
قاصدا وحديثه جاريا
وخياله طارقا فلبهد منها
ما استطاع ان اكل موقعا
وللفقيه فيما يراه التوفيق
والسداد ان شاء الله
تعالى

(وله الى طاهر الداوردي
يهنئه بابن له)

حقا لقد انجح الاقبال وعده
ووافق الطالع سعده وان
الشأن انما بعده وحبذا
الاصل وفرعه وبورك
الغيث وصوبه وابنع
الروض ونوره وحبذا
سماء اطلعت فرقدا وغابة
ابرزت اسدا وظهر وافق
سندا وذكر يبقى ابدا
ومجد يسمى ولدا وشرف
لحمة وسدا

ظاهر كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم ورباها
وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة
الا أحصاها (منها) هذا وكم خاتف قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها
مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش
الخضل والبسر عسيرة ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة (ومن
ذلك) ما أنشأته قديما في توقيع لمولانا قاضى القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبي الحسن على
الحنبلي جمل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة والذى أوردته
في التوقيع من الاقتباسات البديعة قولى وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وتلا من سعى لهم في ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم
البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وتمشت
الصحة فى مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) ما اقتبسته فى ديباجة عهد مولانا أمير
المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو الحمد لله الذى شد عضد هذه الامة
بمن أمسى به معتضدا واسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك فى تقديم بيته
الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسى بعد ابى مسلم بابى النصر فاكرم بحسن الختام وحسن
الابتدا ونشكر حمده على سلطان مؤيد اتحف به العلماء الاعلام وظهر بجلالهم فى ايامه
الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام نحمده على حكمته التى اقتضت ان تكون
الخلافة عمدة الاحكام يزول بها الالتباس وهو القائل تعالى ياداود انا جعلناك خليفة
فى الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) ما اقتبسته فى عهد مولانا السلطان الملك الظاهر
ططر بقولى منه فان البغاة بنت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان فقيل
لاهل البيعة قد فتح الله لابى الفتح فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) ما اقتبسته
فى مثال شريف مؤيدى كان جوابا لقرا يوسف ونبدى لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب
اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب
من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وهذه
النعمة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على القرآن يقول أنا يوسف
وهذا أخى قد من الله علينا (واتفق لى) فى تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى اقتباسات
بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد اضعفنى اليتم وصار الباطل قويا فهب لى من
لدنك وليا (ومنها) واعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (ومن ذلك) ما كتبته على ديوان المقر البارعى
الكاملى الاديبى العمادى اسمعيل بن الصائغ الحلبى احد أعيان كتاب الانشاء الشريف
الذى عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة رحمه الله وهو وقفت على
هذا الكتاب الذى رفع عماد الادب فى هذا الجيل وشرعت فى ذكر محاسنه فقال لسان

انجب ايام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا
شهاب ذكاء وبدر علاء
ووجداه ابن جلا
ابيض يده والجفلى
كمثله اولى فلا
اذا الندى احتفلا

(وله الى أبى المظفر فى شأن
أبيه أبى الحسن البغوى)

يبلغنى ان آباه دائم العبث
بالحمى والتنقل بشقى
وانه حسن البصيرة فى بغضى
كثير التناول من عرضى
واحمد الله ان دم الصديق
لا يشرب على الريق ولحم
الوريد لا يصلح للقديد
والولى لا يقلى ولا يتخذ لحمه
نقلا بالقدح وعلى املائنا
بالجرح او يقصر سعيه
ويتداركه وهنه فيعلم أن
من أملى من مقامات الكدية
اربعمائة مقامة لا مناسبة
بين المقامتين لفظا ولا معنى
وهو لا يقدر منها على عشر
حقيق الانهاج لكشف
عيوبه والسلام

القلم واذكر في الكتاب اسمعيل (ومنه) واما ابن حجة فندب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف والامتثال هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف هذا وقد ذوت من حدائق فكري زهرة الشباب واختفى لساني كما قال ابن نباتة واغلق عليه من شفتيه مصراعي باب وخمد جمر القريحة وجمد ذلك الذهن السيال ونأى عن خدمتي كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال ولكن هبت على نسمات الشبيبة من دوحة هذا المصنف الجليل فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجليل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل وهذا القدر الذي أوردته كاف هنا في الاقتباس من القرآن فاني اخشى باب الملالة ولكن عن لي ان أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس عن بديع الاقتباس وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء في المنظوم فهو عقد وتضمين وان كان في المنثور فهو اقتباس وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال في ذلك فذكر ان الاقتباس يكون في مسائل الفقه وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون في غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ما وقع من الاقتباس في الحديث النبوي وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فما وقع من الحديث النبوي قول الصاحب بن عباد

اقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبي الحسن علي بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل في نهابر يعدم
وماهو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش اهلكه الله في نهابر النهاوش بالنون المظالم والنهابر المهالك الواحد نهبور (ومنه) قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك ومن اقتباسات الحديث في النثر قول الحريري في المقامات انما الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ومنه قوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

(وله الى بعض اخوانه في شأن أبي الحسن المحتسب)

بلغني اطال الله بقاءك أن فاضلا يكنى أبا الحسن معدودا في نزل الكتاب وفرج أهل الفضل والآداب إنتدب للافاتي وبيني وبينه مهامه فيح وماشككت انا اذا وردنا نيسابور استقبلنا مراحل بفضائله وتلقانا بفراسخ بمسائله وقد وردناها فلا ارض استقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤال قرع وما زلنا ننتظر نشاطه لما اسلف حتى اخلف ونصرته لما بذل حتى خذل واهتزازه لما اقدم حتى احجم وقدامه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو ايده الله وان لم يستنزل بلسان قوله فقد استقال بلسان فعله ولم يعتذر في ظاهر أمره فقد

اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبنى من المنظوم هنا قول الشيخ شهاب الدين أبى جعفر بن مالك الاندلسى الغرناطى

لا تعاد الناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب فى الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق ذى حسن

اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح ومن الاقتباس فى مسائل الفقه فى المنظوم قول بعضهم

اقول لشادن فى الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن اجمع فى نصاب * فاذ زكاة منظرك البهى
فقال ابو حنيفة لى امام * يرى ان لا زكاة على الصبى
وان تك مالكى الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعى
فلا تك طالبا منى زكاة * فاخراج الزكاة على الولى

ومثله قول ابى العلاء احمد بن سليمان المعرى

ايا جارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لى عندكم بمقيل
لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى انا عبده * وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضى عبد الوهاب المالكى

يزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتى قطفها * والحكم ان الزرع للزارع

وله ايضا

ونائمة قبلتها فانتبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى فديتك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
فنى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتى فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه

اعتذر فى باطن سره ولا اعلم ما الذى نواه كما لا اعلم ما الذى أغراه وما اعرف السبب فى نشوزه كما لا اعرفه فى بروزه واهل العلة فى عذره الآن كالعلة فى نذره كان ومن طلب لغير ارب هرب لغير سبب ومن شهر سيفه قبل الحرب اغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير هدنة وما احسن البناء على القاعده واقبح الصلف تحت الراعده ورحم الله الجاحظ فقط ضرب حالى مع هذا الفاضل فى قالب قصة ظريفة وحكاها فى معرض اعجوبة لطيفة وذكر فى كتاب طبائع الحيوان ان فارين خرجا من نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه ويرفع صدره ويخبط أرضه ويحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من

بغرمه والكن في التركيب فاق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسي رحمه الله تعالى

طابت زكاة الحسن منها فجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه مني

على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عني

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

يا سيدي ان جرى من مدمعي ودمي * للعين والقلب مسفوح ومسفول

لاتخش من قود بقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات في علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني

للمنطقيين اشتكي أبدا * عين رقيب فليته هجعا

صادرها من أحبه فاني * ان نختلي ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات في غاية الحسن ولكن اورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد في مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قولهم العدد اما زوج واما فرد فهذه القضيه مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لايجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لايخلو من أحدهما فلامعنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله

تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا تعجب ممايسوغ التعجب منه لان منع الجمع لايكون في المتصلة وانما هو في حكم المنفصلة وأما الاقتباس في علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

وعندي ان الشمس بالصحو آذنت * وسكري أراه من محال يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه حتى غلب على غالبهم التوجيه فمنه قول أبي الطيب

حولي بكل مكان منهم خلق * تخطي اذا جئت في استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لاتستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندي بمنزلة مالايعقل فحقهم ان يستفهم عنهم بما ومنه قوله

اذا كان ماينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لاتفعل او ينفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين في معزول

دون اللقاء فأوى الى بحره وقد كان يعجب من رآهما في ذلك القرار عقيب ذلك الضرار وذلك الهرب تلوه هذا الطلب وتلك الشماسه بعد هذه الحماسه ولوشاهد هذا النفار انسي الفار وماالوم هذا الفاضل على بساط شرطواه وموقد حرب اجتواه لكني ألومه على مانواه ثم لم يبلغ هواه واراده ثم لم يورزناده ورامه ثم لم يبلغ مرامه فاقول قد ضرب فأين الابحاع وانذر فأين الايقاع وهذي بوارقه فاين صواعقه وذا توعيده فاين عديده وتلك بنوده فأين جنوده وهذي معاهده فأين عهوده وما أهول رعده لو أمطر بعده ولا كفران فانه اشفق على غريب ان يظهر

فلا تعضبن اذا ما صرفت * فلا عدل قبلك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أبا قرا من حسن وجنته انا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي

انا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار وقال له أنت الذي وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير يا قادمين قد أقبلت * بالله كونى الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين علي السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني

لاى معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان فانهما في غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردي

شاعر أخرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت في معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي وما ذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها جائز لاجل الضروره

ويعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك

أيا عمر استعد لغير هذا * فأحمد في الولاية مطمئن

عواره وان طار طواره فأمسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الي وأجحف بفضله من حيث أبقى علي وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه والاسد أن يروضه والحية أن تطوقه والسم أن يذوقه وظننت غير المظنون بفضله بعد أن شرقت بكاس الغم من أجله وهجرت الوساد من خوفه وبينا أنشد

ان جنبي عن الفراش لناب * حتى أنشدت

طاب لي وطاب فيه شرابي

وبينا أقول

ما لقلبي كأنه ليس مني

حتى قلت

أين من كان قاعدا ابانى

ومن وقع بما لم يكتسب نجا من حيث لم يحتسب وما أحسن منارا في هذا الفاضل أن وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلامة فامتطاه ومن أبي

٢ قوله في الهامش أين من كان قاعدا ابانى لعله اين من كان قائلا إنا أعنى

وكل منكما كفء كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لى عند كم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكأننى الف ولام فى الهوى * وكأن موعد وصلك التنوين

ويعجبنى فى الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث النبوى ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فى النثر وأما فى النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا لاترى الامساكنهم * ولا اقتباس يرى من هذه الاطم

وبيت بديعيتى قولى

وقلت ياليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يلحظونى باقتباسهم

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال فى مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف فى السبك وقال التيفاشى السهولة أن يأتى الشاعر بالفاظ سهلة تتميز على ماسواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهى تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتنى ياقلب أنى * اذا ماتبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبى العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبى أن البهاء زهيرا فائدة زمان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا

الايام قبل الليالى ومن عصى الزجاج أطاع العوالى ومن لم يشرب كاس السلامة هنيأ سقى مجل الندامة رويا وان بعدم طالب الملامة عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن أساء بدأ اقد أحسن عودا ولئن أوعد قولا اقد أمن فعلا وبقى أن ينظم على النضال ولا يندم على الافضال فيأتينا من باب المعاشرة ان لم يأتنا من المكاثرة وينشر نا فى الوداد ان لم يطونا فى باب الجهاد اللهم الا أن يكون بقى فى صدره غرض أو فى قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله أن يستر علينا ما يظهر له وليت شعرى بم أراد امتحانى ورام امتهانى فليفطن انى غفلت عما فطن واسترحت مما تعب

(وله ايضا)

اللون أعدل شاهد والتعين

(السهولة)

كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومثله قوله

ان أمرى لعجيب * ما يرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيأ * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يا مالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفا منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
اترى تذكر عهدى * مثل ما اذكر عهدك
اترى تحفظ ودى * مثل ما احفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا او شئت عندك
انا فى دارى وحدى * فتفضل انت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اماترى كيف اضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كأنني والمدام فى فمه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علوه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو فى كتابى * امورا من فراقك أشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم اجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شرقى فصولا * لمولانا علاق الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله

أعرف نافذ فليحتمل منى اللون وشحوبه والقلب وخفوقه والجسم ونحوله والاجفان ودرها والانفاس وحرها والافكار وغوصها فوالله لقد تحملت وجدا لو لاقى الصخر لجابه أو الحديد أذابه أو الطفل أشابه أو الكوثر لشابه أو الموت اهابه والسلام

(وله ايضا)

لا والله لا أطا العشرة بعدها ولا أريد كرامة لا تحتمل غرامة ولا أقبل محبة لا تساوى حبة والسلام

(وله أيضا)

الانسان يولد على الفطرة من طرفه استطرفه ومن لحمه استحلمه حين لا يسمى قرطبانا حتى يشقى زمانا فاذا تعب دهرا طويلا يسمى

ملكتموني رخيصا * فانحط قدري لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

وألطف منه قوله

انا أدري بأنني * قل قسمي لديكم
فالى كم تطلعي * والتفاتي اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

والطف منه قوله

اما تقرر أنا * فلم تأخرت عنا
وما الذي كان حتى * حللت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ما ترجع عني قلت لا * قال ما تطلب مني قلت شي
فانني يحمر مني خجلا * وثناه التيه عني لا الي
كدت بين الناس أن الثمه * آه لو أفعل ما كان علي

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميل بي نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم * بقية في الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لي بقلب أشتريه * من القلوب القاسيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت اشكو حاليه
اني لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم علي بقبلة * هبة والا عاريه
واعيدها لك لا عدمت * بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها ونفسي راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت امركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم

كشحنا انه ميلا والضب اذا شب كان بالخيار اشاعي لحم الحوار أو كني أبا الجار أو لقب برد الخيار أو شبه بالجدار أو أطلال الدار وان شاء سمي برفقة الاحباب أو زينة الاتراب أو غمرة الغراب او دمية المحراب او فرحة الاياب وعلى الام ان تلد البنين وتغذوهم سنين وتقيهم الماء والنار وتكنهم الليل والنهار فان خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها من الحديث وان قدم السرم فلغيرها الجرم وان حل الشرج ففي الاير الفرج وعلى ابنها الحرج أما الام ففي العراء وان رغمت أنوف الشعراء
وما جلت من امرئ في ضلوعها
أعق من الجاني عليه لسانيا

شرفونی بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لی ودهركم
قد نسيتم وانما * أنالم أنس ذكركم
لورأيتم محاكم * من فؤادی لسركم
لووصلتم محبكم * ماالذی كان ضركم

ومن المرقص فی هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * أناالذی مت عشقا
حاشالنبانورعينى * تلقى الذی أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا آنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
ياالف مولای مهلا * ياالف مولای رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفی الدين فی السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاءنى سلفا * ماناله أحد قبلى من الامم

والعميان مانظموا هذا النوع فی بديعيتهم ولا وجدته فی بديعية الشيخ عزالدين الموصلی الا أن يكون فی نسخة غير التی نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عزالدين قدم العقادة فی بيته على السهولة وبيت بديعيتی

يارب سهل طريقی فی زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

(وقلت بعده فی حسن البيان)

(حتى يبث بديعی فی محاسنه * حسن البيان وأشدو فی مجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما فی النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب بأسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفی البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبی فی يده فأراد أن يقول أحد عشر فأدركه العى حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبی ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز فی الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعى فی بيانه وكان الاحسن أن يقول احد عشر * والاوسط أن يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنوع المبين فی هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين فی مقام أمين وكقوله

وقد بلغنی عن فلان ما كاد يوحش وسوء الاستمسالك خير من حسن الصرعة والسلام

(وله الى ابن أخته)

أنت ولدی مادمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك فان قصرت ولا اخالك فغيری خالك والسلام

(وله أيضا الى وارث مال)

وصلت رقعتك ياسيدی والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقد مات الميت فليحى الحى فاشدد على مالك بالخمس فانت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكى لك وقد مولك بمال بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا

حسن البيان

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى في
الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين
عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وامثال هذا الباب كثيرة ان يتتبعها في القرآن ومما
جاء من ذلك في الشعر قول أبي العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب اوفكرا

وكقول الآخر

لحظات في خفايا سريرة * اذا كرها فيها اعتاب ونائل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة
وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو اطرق
مفكرا اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس فابانا عن هذه المعاني باحسن ابانة وبيت
الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى

وعدتني في منامي ماوثقت به * مع التقاضي بمدح فيك منتظم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لي * هدى النبي الرضي الواضح اللقم

وبيت بديعيتي قلت قبله في السهولة

يارب سهل طريقي في زيارته * من قبل ان تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده في حسن البيان

حتى يبث بديعي في محاسنه * حسن البيان وأشدو في جائزهم

(وقلت بعده في الادماج)

قد عز ادماج شوقي والدموع لها * على بهار خدودي صبغة العنم

هذا النوع أعني الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني
ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده كقول عبيد الله بن
عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبد الله قد اختلت حاله
فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع امرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ماهو عليه من الاختلال في ضمن التهنئة وتلطف في التلويح
ورفق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لاجرم أن ابن سليمان
فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدي

ولا بد لي من جهلة في وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر في الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا يرغب عنه بنفسه جملة وانما
عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الوديعة تستعاد ثم استفهم عن

عن غيره وسيعجم الشيطان
عودك فان استلانه رمالك
بقوم يقولون خير المال
ما أنفق بين الشراب
والشباب وأنفق بين الحباب
والاحباب والعيش بين
الاقداح والقداح ولولا
الاستعمال لما أريد المال
فان أطعتهم فاليوم في
الشراب وغدا في الخراب
واليوم واطربا للكاس
وغدا واحربا من الافلاس
يامولاي ذلك الخارج من
العود يسميه الجاهل نقرا
ويسميه العاقل فقرا وذلك
المسموع من الناي هو اليوم
في الآذان زمر وغدا
في الابواب سمر والعمر مع
هذه الآلات ساعة
والقنطار في هذا العمل
بضاعة وان لم يجد الشيطان
مغمزا في عودك من هذا
الوجه رمالك بآخرين يتلون
الفقر حذاء عينك فتجاهد
قلبك وتحاسب بطنك
وتناقش غبنك وتمنع نفسك
وتبوء في دنياك بوزرك وتراه

الادماج

الحل الصالح الذي يصلح لهذه الوداعة استنها اما انكارا فيكون مفهوم الخطاب بقاء احله
لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج في ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزمان لقلة
الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من تصلح لهذا الشان ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري

قد نفض العاشقون ماصنع الدهر بالوانهم على ورقه

قصد وصف الخيري بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلي في الادماج قوله

اصدق قولك لوحب امرئ حجرا * اكان في الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر في زمرة النبي صلى الله عليه وسلم في طي تصديقه
الحديث المأثور عنه وبيت العميان

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا أحاديث مجد طيبة وأدمج في ذلك
وصف الرياض وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

ادمجت شكواى من ذنبي بمدحته * عساه تشفع لي ياشافع الامم

الشيخ عزالدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعي لا أعلم أين
أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتي

وقد عزادماج شوقي والدموع لها * على بهار خدودي صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غايته قصده وصف
الخيري بالصفرة وأدمج فيه ألوان العشاق وأنا قصدت شرح الحال في غرة ادماج الشوق
بواسطة جريان الدمع وأدمجت في ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية
بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس هو ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك
ومثاله في كتاب الله عز وجل اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس
بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل في البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك
في الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم
والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل بزيادة تكمل حسنه
اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو
لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفي الدين الحلي
في بديعيته قوله

فوني غير مأمور وعدلي * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفي الدين في قوله غير مأمور فان لفظة وفي في البيت فعل أمر ومرتبة

قوله الدهر في نسخة الهجر

قوله أحيت الخ في نسخة تحيي بالي الرمم

في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ماهو فيه فليكن لله في مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت فلان تكون في جانب التقدير خير لك من أن تكون في جانب التبذير

(وله أيضا الى ابي الحسن البيهقي)

حزني وانا حصير يد الفضل طويلة ولسان الشكر قصير انا بالله وبهذا اللحاج بآل بيهق وهداياها والشيخ الفاضل ونعمته وما احسن هذه العادة واحسن منها الاعادة والبر في كل فصل جديد والفطام كما علمت شديد وابتداء الفضل سهل والشان في ترتيبه والاقط مطبوخا طيب والباذنجان نضيجا اقرب ونحن الى الدعوة احوج والصديق

الاتم فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حي له تمشي في المفاصل قل * بالاحتراس تمشي البرء في السقم

قلت الشيخ صفي الدين احترس في بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس في وصف الخمرة

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولي غير مطرود هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبي صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع في قولي لم أحترس بعدها محاسنها لا تورى والتكميل بقولي من كيد مختصم هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت في براعة الطلب)

(وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم اصرح فلم أحتج الى الكلم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس دون كشفه كقول أبي الطيب المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدر معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصده وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفي الدين قوله

وقد علمت بما في النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمي

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبي * وأنت أكرم من نطق بالاولم

وبيت بديعيتي

وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده في العقد)

(قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير متهم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد ان يؤخذ المنثور بجملة لفظه او بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى اخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من انواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه اكثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل ابو تمام في كلام عزى به الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو

البهائم

لا يبغين وانا لا استزيد فتى القدر تدركه وفي أي ليلة تحضر والسلام

(وله أيضا)

انا اطال الله بقاء الشيخ ان كان اللقاء أول نظرته حقاء فعود الرحال على ارتحال والمرء كالسيف مضاه تحت شباه فمن رأى فرنده فقد عرف ما عنده (قيل لنصراني) ان المسيح يحيي الموتى فقال واحرياه كذا من اشبه آباه ولو لم استدل على فضله الا باصطناع ذلك الشيخ له لكفت خليقا ان لا اضل طريقا فهل ترى ان نشترك في خدمة ذلك الشيخ على ان نكون على مؤنها وله منها والى كلفها وله تحفها فان رأى ذلك الصواب فليحسن المآب وليعرفني لا كون الرقعة الثانية اذا رجع أو بدا لي على ما صنع فما اشوقني الى ذلك المجلس الشريف وما احوجني الى التعريف ورأيه الموفق في ذلك ان شاء الله تعالى

براعة الطلب
العقد

البهائم نعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفي الدين قوله

ماشب من خصلتي حرصي ومن أملي * سوى مديحك في شيبي وفي هرمي

المقصود في هذا البيت من العقد قول النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان ما نظما هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

عقد اليقين صلاتي والسلام على * محمد ائتماني بالاسلام

قلت أما الشيخ صفي الدين فاني لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلا ولكن ذكرفيه حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر في شرحه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفي حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وفي الحديث اكثروا من الصلاة علي ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت وبيت بديعيتي

قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير سحرهم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

(ذكر المساواة)

(تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما في بديعهم)

هذا النوع أعني المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن الفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك * واعلم أن البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فأما الايجاز فكقوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب والاطناب في هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقال سبحانه وتعالى في قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وامر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل في الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل ائلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لا يوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الذم لا نقصد

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

الاستاذ الفاضل وان كان بازلا في التجارب حنكته والايام عركته فقد يخفى على العارف وجه الامر الغموض سببه وعين الناظر أبصر من عين المناظر وليس من بد أب كمن يلعب وهذا شئ لا تحمد خاتمته ودست لا تعمد قائمته وقد جعل الحبس يدجريدته فليجعل العفو بيت قصيدته ولكن الحلم سلطان غضبه وليرش الماء على لهبه فبالله ما ادخره وذا ولا آلوه نصحا وفقني الله قائلا ووفقه قابلا وعد الآن الى حديث الشوق وتقسم فكري بخروجه وهذه عادة الايام معي اذا عقدت اصبعي وذلك اني لم أثق بصاحب * من الناس الاخانني وترحلا في البيت لفظ فلبته اغرض

المساواة

وقول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

وقد مدحت بما تم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * فى الحسن شاهده فى نون والقلم

وبيت بديعيتى فى المساواة قولى

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم

(وقلت بعده فى حسن الختام)

(حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى)

هذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه ابن ابى الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلا خاتمة الكلام مهما مع أنهما لابد ان يحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى فى الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة فن المعجز فى ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى فى سورة عبس يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو المقدم فى فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر فى ختام جواب كتاب كتب به الى معاوية ثم ذكرت انه ليس لى ولاصحابى عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار وانى مرقل اليك بجحفل من المهاجرين والانصار وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وما هى من الظالمين ببعيد وأجمعوا

حسن الختام

أصيله ومعنى غيرته لشئ آثرته وهو الظرف الهمذانى فليعلم ذلك والسلام

(وله الى أبى سعيد الطائى الهمذانى)

أنا بما يهدى الى من أخبار الشيخ قرير العين قوى الظهر مستظهر على الدهر معتد للايام بما يوليه من حال رضاها ومحاب يبلغها راغب الى الله تعالى فى حفظ ما خوله والزيادة فيما نحله وممن فتق سمعى بالثناء عليه وبرد صبرى بحسن القول فيه أبو فلان فقد أبدأ وأعاد وأبلغ وزاد وأحسن وأجاد ورعى الانفصال وراءه الى ما خاف من حظه بخدمته ومكانه من مجلسه وسألنى تزويده هذه الاحرف ليتخذها عنده ذريعه وتكون لديه وديعه فأنعمت له بالجواب وسيصل بمشيئة الله فلا

بعد ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر وحسن خواتمها نعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل الى براعة استهلالها وفهم القصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى ان وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجرى معهم ممار فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل (والفصل الذى عجز الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين ونفدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت) وهذا الفصل الذى أحجم القاضى عن معارضته قلت فى معناه وكتبت الى سيدنا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة بجسده مشتملة على ذلك جميعه راعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فزت الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وارجع الى ما كنا فيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى)

يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت • بأرواح أهل العلم روضة مشتهى
وهبت بأنفاس العلوم قبولها • ولا زال صدر الدين منشرحا بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لا زال الجد له حاجبا وقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عينا لوجوه المسائل فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود وندى جوده الذى اذا جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التى لفت من البديع الالتفات واوصافه التى غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيآته حسنات كف عنا نعب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بصنائعه فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة بأصابعه فلله ندى يمينه الذى لم يزل

بالوفاء عزازا واهتزازا وانا الى ما أنطقه من سائر أخباره فقير وهو بامدادى بها جدير ويسرنى له ان يصل رحم البادية بالجواب اذا لم يصلها بالافتتاح فليفعل وليهد الى من ثمرات يديه ولسانه ما أسكن اليه وأشكره عليه الشيخ أبو فلان وصف لى ظمأ فى جوار البحر وسغبا فى جنان الخلد وضيقا فى فضاء الارض على قرب الرحم وعلو السن والذنب فى ذلك لتمام الاجل وانقضاء المدة ومثل الشيخ من شال بضبع الاحرار من هذه الادبار وكان به فضل الاستظهار على الليل والنهار فان فعل خيرا شكر وان عاق عائق عذر وانا الى ذلك الشيخ بالاشواق ثم نأكل الطعام ونمشى فى الاسواق حتى يفرج الله ويرتاح فتحل عقدة

المملوك به فى بلاد الشام مكنى وكم فاض منه قلب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما وفى جبلات على محبته القلوب فصار حبه ظاهرا فى كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك أدعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال للطيف ذلك المزاج وأثنيته التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها الكل قلب ابتهاج لكن تناقلت عليه أرداف النوى وأسكنت فى وسط قلبه الجوى وقد الانقطاع بسببه الذى زاد فى حده ولكن جار فى قده ولو حصر المملوك ماساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه وهو بعد القلب بالصبر ولكن كماذ كرت عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كنا فيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل الجيد الذى آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم برده وقصارى امنيته برده وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ولو أنى مت من الضر وقد ناجتنى القرونه بأن توجد عندكم المعونه وآذنتنى فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدق توسمى ونظر الى بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت بفجر الصخر ولا فخر فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعارى ثم لأرينكم أشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض	جور الزمان المتعدى البغيض
يا قوم انى من أناس غنوا	دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع	وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت	فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم	ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جارلهم ساغبا	ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى	بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى	أسد التحامى وأساة المريض
فمحملى بعد المطايا المطا	وموطنى بعد البقاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى	بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله	مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه	وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه	من دنس اللوم نقى رحيض

بطفى

الزمان وتفل أنياب الزمان والسلام

(وله الى أبى القاسم الكاتب)

أنا لا أحسد أحدا على ما خوله الله من نعمة ورزقه من خير ولكن هذه الكتب التى تصدر عن قلم الشيخ يجل عنها قدره ولا أحب أن يصدر مثلها صدره ولا أراه بحمد الله الا موفما على أمسه ولا أجد آثار الربيع الا لآثار نفسه أنجب والله عبد الشيخ الجليل وبارك الله فى السليل وماضره تلفه والشيخ الفاضل خلفه وما محاه مونه ما بقى صيته وصونه وأما الحواصل فانها غير حواصل والسلام

(وله الى صديق له يستدعى بقرة)

الكدخدائية زرع ان لم يصادف ثرى ثريا من التدبير وجوّا غنيا من

يطفى نار الجوع عنا ولو * بمذقة من جازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض
فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لى صفحة * ولا تصدّيت انظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برّا تولت يتلوها الاصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغمار واملست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ماستبدى من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبى زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لاعنفه على ماأجرى اليه فاستلقى استلقاء المتردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

ياليت شعرى أدهرى * أحاط علما بقدرى
وهل درى كنه غورى * فى الخدع أم ليس يدرى
كم قد قمرت بنيه * بحيلتى وبمكرى
وكم برزت بعرف * عليهم وبنكر
اصطاد قوما بوعظ * وآخرين بشعر
واستفز بخل * عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر * وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا * مألوفة طول عمرى
لخاب قدحى وقدحى * ودام عسرى وخسرى
فقل لمن لام هذا * عذرى فدونك عذرى

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره ومازخرف فى شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولا يفعل الامايريد فثنيت الى أصحابى عنانى وأبثثتهم ماأثبته عيانى فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز ومازخرفته من الباطل فى نظمها ونثرها الذى خلب كل منهما القلوب وسلب عقول السامعين الى أن بالغوا فى اكرامها فلما كشف لهم الغطاء عن جميع ماغفته وتحققوا أنه بنى على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل فى هذه المقامة هى قوله ندوت أى حضرت النادى والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصد تناية بال عراه واعتراه والمعارف الوجوه والمعارف الثانية من المعرفة وعمال

التقدير لم يحصل بالغه ولم يجن باذنه والجملة اذا اجتمعت على معد مختلفة الاهواء متفقة الارجاء طاحنة الرحى جرت الى الاحتيال فيما يقيم الاود ويكفى العدد وقد احتيج فى الدار الى بقرة يحلب درها فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين فى حلبه كما تنظم بين دلوين فى شربه وليملأ العين وصفها كما يملأ اليد خلفها وليزن مشيها سعة الذرع كما يزين درها سعة الضرع ولتكن عوان السن بين البكر والمسن ولتكن طروح الفحل رموح الرجل وليصف لونها صفاء لبنها وليكن ثمنها كفاء سمنها ولتكن رخصة اللحم جمة الشحم كثيرة الطعم مربعة الهضم صافية كالجون فاقعة اللون واسعة البطن وطية الظهر ممتلئة

القوم من يقوم بأمرهم وسروات القبائل السر وهو السخاء والمروأة واحد السروات سراة لا يجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهي القطعة الصغيرة والقلب هنا قلب العسكر ويمطون الظهر أي يحملون المنقطع ويولون اليد أي النعمة وأردى أهلك والاعضاد جمع عضد وهو ما يمسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التي تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال ونبا ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أي لم يور ووهت أي ضعفت واليمين القوة والثنية الناقة التي لها ستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أي تكدر وازورّ مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفودي صدغي والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدو الازرق الشديد العداوة والاصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أي عطاشا وتلوي تابى وعينه فراره أي عيانه يغنيك عن اختباره وفي المثل ان الجواد عينه فراره أي عيانه وقصاري أمره أي آخر أمره وآليت أي حلفت وابذل الحر أي الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقي فيها القذى والجود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والحامل بمعنى تطمك الشعر والشعار الثوب الذي يلي الجسد والدثار ما فوقه والردن الكم ودردبيس من أسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة ونشب توقد وغريض طري وساغب جائع والجريض الغصص والاساة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر واليفاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلي تترك والنعاب فرخ الغراب والمهيض الذي كسر بعد جبر وأمح وفق ورحيض مغسول وبمذقة أي بجرعة واعشار القلوب أي قطع القلوب وحتى ما حها من ديمه الامتياح أي أعطاها من عادته بعطى وافعوعم امتلأ وفاغر مفتوح فاشرأبت تطاولت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والاغمار البله وعاجت عطفت وأماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونضت جردت وخصاص جمع خصاصة وهو الثقب في الباب وكذلك الصير وفي الحديث من نظر الى قوم من صير باب فقئت عينه وانسرت انكشفت وانحفر الحباء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصد واستلقى رقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمغردين المطربين والعقيرة الصوت وكنه غوري حقيقة أمري والخل والخمر هنا كنايتان عن الخير والشر وقدحي سهمي وقدحي استخراجي أمره العجيب والمربد العاتي والمرادة العتو وجوا أي سكتوا اه تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضي الفاضل في حسن الخواتم قوله) في حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفي وهو لا برحت راياته السود سويدات قلوب العساكر وأجنحة الدعاء المحلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لا برحت الاقدار له جنودا والجديدان يسوقان اليه في أيامهما وليالبهما اماء وعبيدا ومثله قوله والله تعالى يرد رد السحب الهاطلة الى الاكنة الجدوب والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب والمسرة الى مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله في ختام جواب كتاب ناصري ولا زال كالئا للاسلام بسيفه الذي جفنه كجفنه ساهر ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر (ومنه

قوله)

الصهوة فسيحة اللهوة لا تضيق بطنها عن العلف فتؤديها الى التلف ترد الهول ولا تخافه وتشرب الرنق ولا تعافه واجهد أن تكون كبيرة الخلق لتكون في العين أهيب ضيقة الحلق ليكون صوتها في الاذن أطيب واحذر ان تكون نطوحا أو لموحا واياك ان تبتغيها ملوحا أو رشوحا ولتكن مطاوعة عند الحلب لا تمنع نفسها ولا تكثر لسها وداهية في الرعي لاقرب سعي سقاه على الحوض كالنجة لا تأمن من البجة الوفة للراعي الذي يرعاها مجيبة لصوته اذا دعاها مهتدية الى المنزل بغير هاد ذاهبة الى المرعى بغير قياد ولا أظنك تجدها اللهم الا ان بمنح القاضي بقرة وهو على رأي التناسخ جائز فاجهد جهدك وابذل ما عندك

قوله) والله تعالى يعفو عن المكافات بلقائه كما أعفى عن بقية الخلق ببقائه (ومن ذلك قول العلامة الشهاب محمود فى ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل (وصرع) ابن الصاحب أمين الدين مرزماوهو من أصناف الطير الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين فى انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة المقدسة الملكية يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة رسالة بديعة فى هذا المعنى وحسن ختامها أبدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك فى ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ ألزمته الدنيا طائره فى يديه وألزمته الآخرة طائره فى عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذى انشأه القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين اماما وللمعتدين انفصاما ويطفئ بماء سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن ختام رسالتى التى تقدم ذكرها فى باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التى قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد وقد ود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس فأعاذ الله مولانا و بلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة (ومن أبدع الامثلة التى ليس لها امثال فى حسن الختام قولى فى تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن لا يهدى تمر الى هجر فانا الى مشورته أحوج من المبتدا الى الخبر والله تعالى يديم ركنا لهذا البيت الشريف الذى تطوف الناس حوله وبحمى اليه ولا برح كلامه فى المشورة لفظا ومعنى تتم الفائدة به ويحسن السكوت عليه (وقلت فى خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فاما باشر ذلك علما وانا انه من تقرب الى الله بخدمة بيته فقد فاز ولا بد ان يصير له بباحة هذا البيت بحسن توشيحه دار الطراز فقد أسعده الله وظهر له فى توشيح هذا البيت نظم مفيد ولا ينكر حسن هذا التوشيح للقاضى السعيد والله تعالى يكرم مثواه فى الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره ولا زالت أنامل بره تختم بخواتيم الخير وتتنقل أحاديث المحاسن بفصها فى اخباره (ومثله قولى) فى تقريظ كتبته لقاضى القضاة ولى الدين القرشى على كتابه المسمى بعمدة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم ويجعله لاعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لى بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف سيدى موسى ولد المقام الشريف المؤيدى سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها وواسطة عقدها (منها) حملت به أمه وأبرزته كشمس الحمل بهجة ونورا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ولكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت) بعد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة فى مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة بولد سيدى المقر الاشرف الناصرى محمد ولد المقام الشريف المؤيدى نور الله ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس الى ان جاء عندى وسألنى الجواب

واجعل اهتمامك امامك وحرصك قدامك يوفق سعيك ويحسن هديك واستعن بالله تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين والسلام

(وله نسخة وصية)

هذا ما أوصى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد يوصى وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اليه متابه وما به خلقه ولم يك شيأ مذكورا ورزقه قدرا مقدورا وضرب له أمدا ممدودا وامره ونهاه فأطاعه وعصاه ولم يطعه الا بتوفيق من عنده ولم يعصه الا اعتمادا على لطفه بعبده واتكالا على رحمته وعفوه لا اجتراء على لعنته ومقته ولا معتزا بنفسه ووقته ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وأراهم الجادة وحذرهم ثنيات الطرق

قوله من رأس القلم كذا فى النسخ ولعل معناه بدون تفكر اه

فكتبت تهنئة بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوسا وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى أتم بها كل حاد والمجد وعمت بركتها ابراهيم وموسى ومحمد والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المؤيدية ليتسلسل كل حديث بسنده ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال ويتيله من نعمه مالا يخطر قبل وقوعه ببال ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعد ماذهب رونقه وزال وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علم علماءه على كل غاد ورائح ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ما تقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسك من أقل عبيده ويود منثور الدر ان ينتظم فى سلك عقوده وذلك انى كتبت للمقر المرحومى القطبى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى واعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى والقوم بانتظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم الى ان صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التغابن وعمت المنافقون ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم الممتحنة فى الحشر ولم يسمع لهم مجادلة لما نازعوا بالحديد فى هذه الواقعة ولكن من الرحمن وطالع قمر الامن ولاحظهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة وكشفوا ذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب

واني جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير

فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تك هفوة * على خطامنى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا تزال بك الدنيا ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

وأمرهم أن يأخذوا بالسنة ويعضوا عليها بالنواجذ وضمن الجنة للآخذ وخلف فيهم القرآن حبلا ممدودا وجسرا معقودا ليتخذوه اماما ولا يحلوا دونه حلالا ولا حراما ثم لحق بالرفيق الاعلى وقد خرج عن عهدة ما حمل وصدع بما أمر فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما فأوصى وهو يقول ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وأوصى وهو يدين لله تعالى بما دان به السلف الصالح والصدر الاول من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بريأ من الاهواء والبدع والرأى المخترع والافك المتسع راجيا قوى الطمع خائفا شديد الفزع حاذرا أهوال المطلع مؤمنا بعذاب القبر وفتنته عائذا بالله منهما ومنه راغبا اليه فى ان يلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت موقنا بالبعث والحشر شاهدا

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك في هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقال ابن نبيه في ختام قصيدة أشرفية

دمتم بني ايوب في نعمة * تحوز في الخلد حد الزمان
والله لازلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة في ختام مديح مظفري

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا ان يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك في ختام مديح عادلي

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا ابو الياس او هذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله في ختام مديح مؤيدي

فابق عالي المقام داني العطايا * قاهر الباس ظاهر الانباء
يتمنى عدوك العيش حتى * أتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي رحمه الله تعالى في ختام مديح نبوي

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام في الصبح ثم العشاء
ماصبا في أصائل قلب صب * ذكر المنتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي في ختام قصيد نبوي

صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضر بحك في الدجى

ومثله ما قولي في ختام مديح نبوي ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما في المديح النبوي وهو

عسى وقفة او قعدة لابن حجة * على بابكم يسعى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت * وقدرك في يوم الشفاعة اعظم
وقد ناله في عنفوان شبابه * هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب في زمن الصبا * عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فما وردنا الصافي طمو وقلوبنا * عليك اذا ما نابها الضيم حوم

وقلت بعده في حسن الختام

عليك سلام نشره كلما بدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفي الدين في حسن الختام

فان سعدت فمدحي فيك موجبه * وان شقيت فذنبي موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحي لا آتي أبدا * فأجعل العذر والاقرار مختتمي

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

فاجعل له خلاصا من قبح زلته * في حسن مفتتح منه ومختتم

ان الجنة حق وحسنت مستقرا ومقاما وان النار حق وان عذابها كان غراما وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور اوصى اذا جاءه الحق واشخصه الامر وجد به الجد وتوفاه الموت ان لا تعقد عليه مناحة ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال نقع ولا يرفع صوت ولا يدعى ويل ولا يسود باب ولا يخرق متاع ولا يقلع غرس ولا يهدم بناء ولا يطرق الشيطان اليه طريقا ولا يمثل له امرا فمن فعل ذلك فليس من الله تعالى في حل ولا من الميت في حل وانما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم ان الدنيا

و بيت العميان فى حسن الختام ابدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت و بيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والختم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعيتى

حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العامر بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختامه مسك لكونه بالخاتمة لما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين فى بيته بحسن مبتدا ساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعنى البديعية وشرحها اذا ملكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الادب فانى ما تركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان القلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ماوقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيدانى أقول و بالله المستعان ان العميان اختصر واجانبا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب لخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء و براعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ماوقع من غريبه و بديعه وما تقرر من البحث مع المقصر فى نظمه وما يتفرق به شمل مجاميع الادب و ينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه ما لا اختفت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

قال المصنف رحمه الله فرغت من تأليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

دار جهاز وان الموت جسمر جواز استشعره قبل حلوله ولم يرعه وقت نزوله وان يكفن فى ثلاثة أثواب بيض قباطى لا سرف فيها ولا حرج على من يتولى امره ان يقرنه ثوب خيلاء من مطرز او معلم او ابريسيم او منسوج بذهب انه لمحتاج ان يتحقق ويتشبه بالساكنين فى بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وان يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث واهل السنة وان يلحد ولا يبنى عليه ولا تشهد النساء فيحملهن على الصراخ والعويل *(تم)*

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول راجى شفاعة المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم بدار الطباعة أعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون ملهم الحجة طبع كتاب خزانة ابن حجة موشاة الطرر بالمنشآت ذات الجنى الدانى المنسوبة لاديب زمانه البديع الهمذانى على ذمة صاحب الاخلاق الغرر حضرة على افندى قمر بالمطبعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى المجد المشرقة كواكب السعد فى ظل فرد الزمان ونور طلعة كيوان حسنة الليالى والايام مركز مدار العدل فى سائر الاحكام صاحب السمت الجليل والقدر الجليل جناب عزيز مصر

الخديو

الخديو اسمعيل لازالت الايام مشرقة بطلعة وجوده والليالى منيرة بكوكب سعوده ولا
برح قرير العين منتعش الروح والعين برؤية انجاله الكرام واشباله الفخام لافتئت
الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور حلاهم وكان طبعه الميمون وتمثيله
المصون مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بيا لها أعنى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله
السالك جادة سبيله من لم تزل عليه احاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى
وملاحظة ذى الرأى المسدد حضرة ابى العينين افندى احمد وكان
تمام طبعه فى اوائل الشهر المعظم وهو شهر الله المحرم ابتداء
سنة ١٢٩١ الف ومائتين واحدى وتسعين من هجرة
خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وآله
وكل منتسب اليه ماذر
شارق ولمع بارق
آمين
م

